

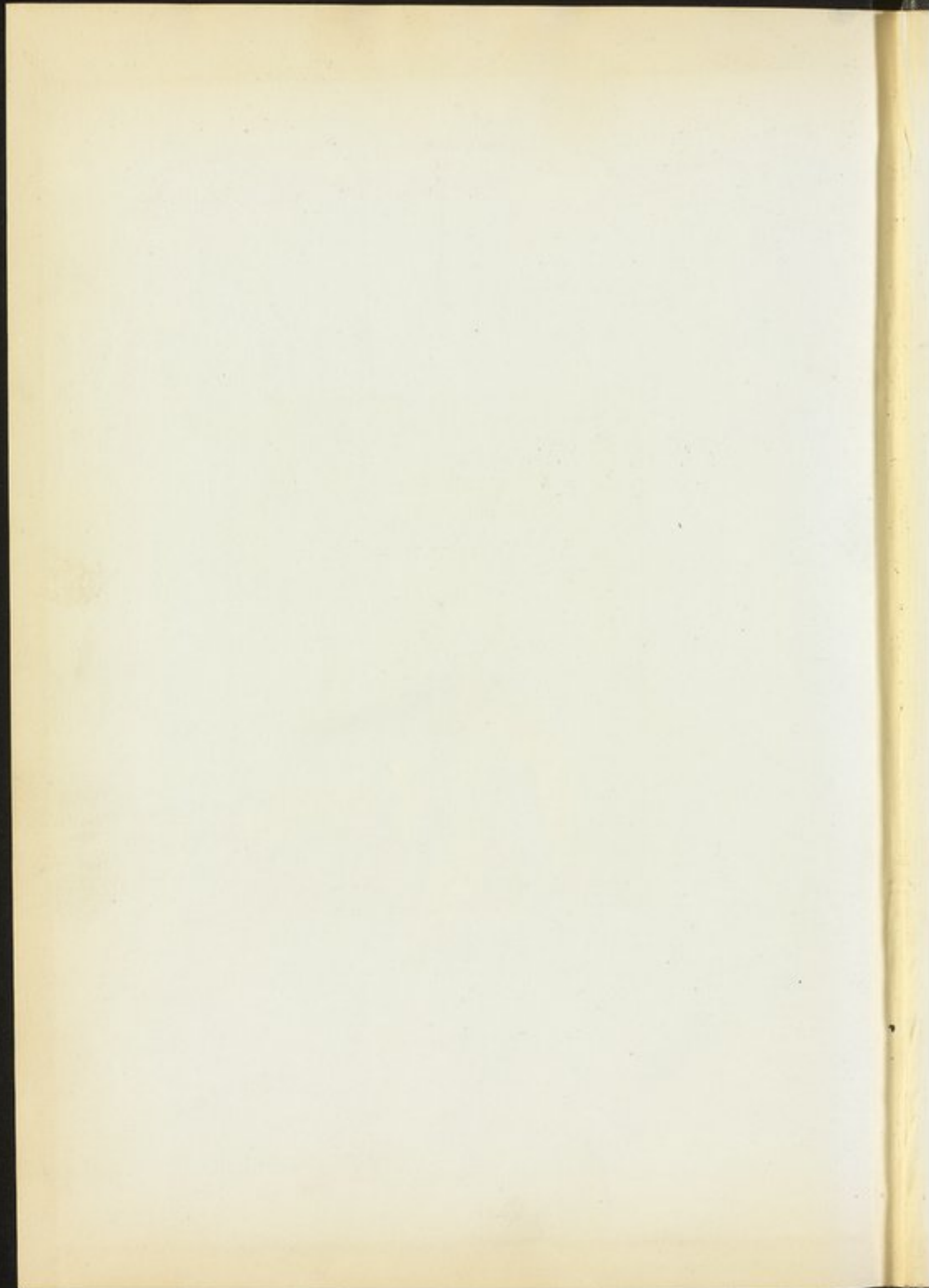
الكتاب
الغني في

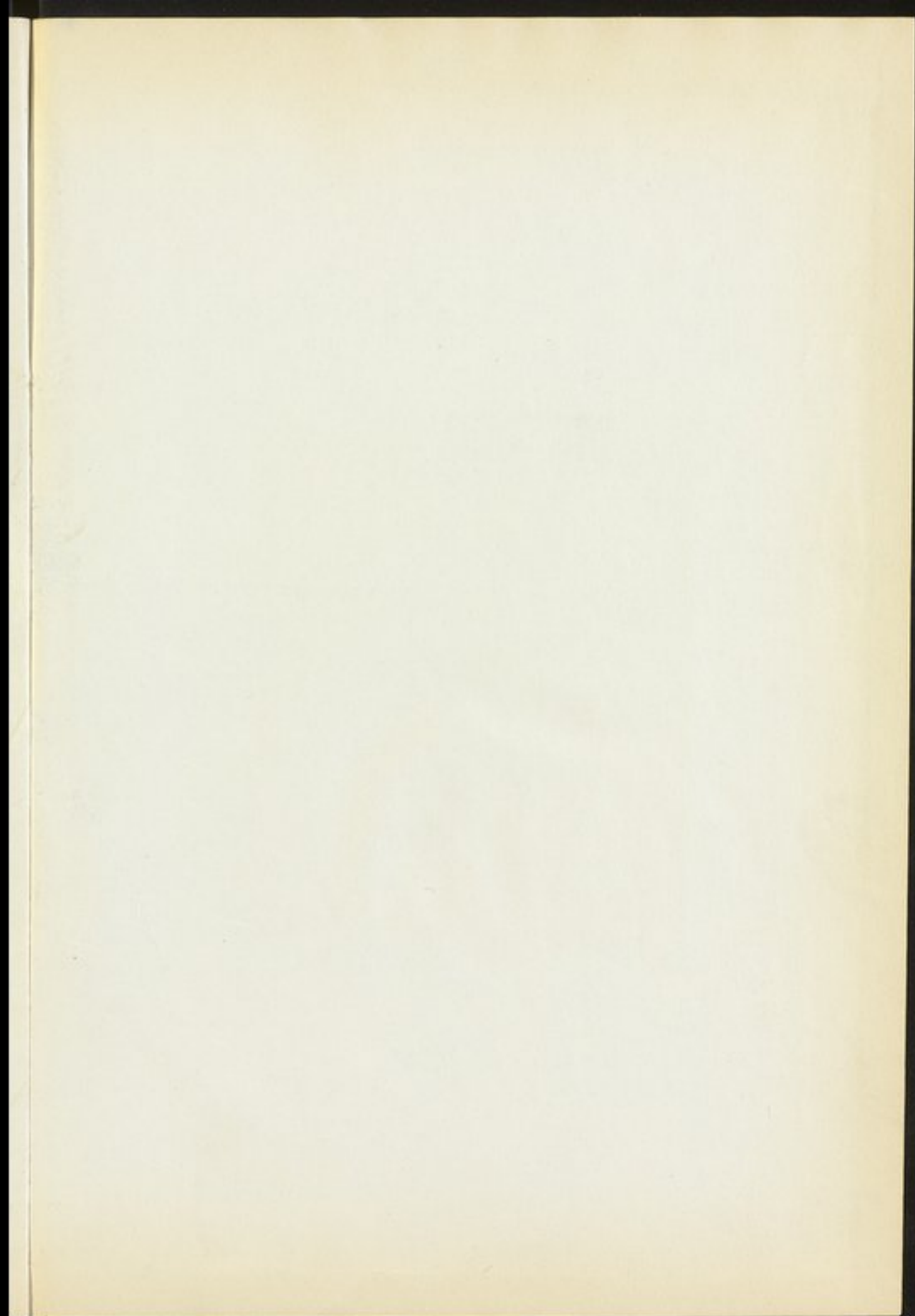
تأليف
أبي الفرج الأصفهاني

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







الكتاب الأخضر

تأليف
أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثاني

الناشران

دار الثقافة
بيروت

المطبعة البولسية
حريصا

١٩٥٥

893.7Isl

035

v. 2

كلمة الناشرين

يطيب لنا أن نخي تراث الاقدمين فنقدمه لقراء العربية مائدة شهية متنوعة الالوان ، وقد أصدرنا المجلد الاول من الاغاني وها نحن نقدم المجلد الثاني ، بعد ما رأينا من تشجيع القراء والادباء . وقد ادخلنا على هذا المجلد التحسينات الجملة فبذلنا السعي في تلافي الاخطاء المطبعية ، ونحن نعتذر عما وقع فيها في المجلد الاول .

واكتفينا بتقديم فهرس المواضيع للمجلد الاول فقط ، وقد رأينا من الخير والاسهل ان نصدر في آخر الكتاب مجلدين للفهارس عامة يحتويان اسماء الاعلام والمدن والموضوعات والشعراء ورجال السند والمغنين ورواة الاغان من الامم والقبائل وما الى ذلك مما اشتمل عليه كتاب الاغاني . وقد عهدنا الى لجنة من المحققين ان تقوم بهذا العمل على وجهه الاكمل فعسى ان نكون قد قمنا برضى القراء وخدمة الادباء والاساتذة والطلاب والمدارس اجمع وعلى الله الاتكال .

الناشران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد الثاني

من كتاب الاغاني

اخبار مجنون بنى عامر ونسبه

نسبه الصحيح :

هو - على ما يقوله من صحح نسبه وحديثه - قيس ، وقيل : مهدي ،
والصحيح قيس بن الملوّح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب
ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ومن الدليل على أن اسمه قيس قول ليلي
صاحبه فيه :

ألا ليت شِعري والخطوب كثيرة متى رَحِلُ قيسٍ مُستَقِلُ فراجعُ

اسمه الصحيح :

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مَنْ لا أَحْصِي
يقول : اسمُ المجنونِ قيسُ بن الملوّح .

لم يكن مجنوناً؟

وأخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا الرياشي ، وأخبرني الجوهري عن عمر بن شبة أنها سمعا الأصمعي يقول - وقد سُئل عنه - : لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لؤثة كَلَوْتُهُ ألي حَيَّة التَّمِيرِي .

الاختلاف في وجوده :

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبى وأحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة عن الخزامي قال حدثني أيوب بن عباية قال : سألت بني عامر بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدت أحداً يعرفه .

وأخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأب قال : قلت لرجل من بني عامر : أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئاً ؟ قال : أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى تروي أشعار المجانين ! إنهم لكثير ! فقلت : ليس هؤلاء أعني إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيئات ! بنو عامر أغلظ أكباداً من ذلك ، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصلعة رؤوسها ، فأما زرار فلا .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول : رجلان ما عرفاً في الدنيا قط إلا باسم مجنون : مجنون بني عامر ، وابن القرية ، وإنما وضعها الرواة .

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن الخزامي قال : ولم أسمع من الخزامي فكتبته عن ابن أبي سعد قال أحمد : وحدثنا به ابن أبي سعد عن الخزامي قال حدثنا عبد الجبار بن سعيد

(١) اللؤثة بفتح اللام الحلق وبضمها الاسترخاء والحبسة في اللسان .

(٢) في طبعة دار الكتب المصرية الصلعة ومعناها على رؤسهم الصغيرة رؤوسها .

(٣) هو أيوب بن زيد بن قيس والقرية أمه وكان لسنا خطيباً .

أَبْنُ سَلْيَانَ بْنِ تَوْفَلٍ بْنِ مُسَاجِقٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : سَعَيْتُ عَلَى بَنِي عَامِرٍ فَرَأَيْتُ الْمَجْنُونِ وَأَتَيْتُ بِهِ وَأَنْشَدَنِي .

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلْيَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الشُّكْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجْتَمِعٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : الْمَجْنُونُ الْمَشْهُورُ بِالشَّعْرِ عِنْدَ النَّاسِ صَاحِبُ لَيْلَى قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ ، أَحَدُ بَنِي نُمَيْرٍ بْنِ عَامِرٍ ابْنِ عُقَيْلٍ ، قَالَ : وَمِنْهُمْ رَجُلٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ : مَهْدِيٌّ بْنُ الْمُلُوحِ مِنْ بَنِي جَعْدَةَ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ .

المجنون فتى من بني أمية ؟

وَأَخْبَرَنِي عَمِيٍّ عَنِ الْكُرَّانِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أَبِي سَعْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : حَدَّثْتُ أَنَّ حَدِيثَ الْمَجْنُونِ وَشَعْرَهُ وَضَعَهُ فَتًى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَ يَهُوَى ابْنَتَهُ عَمَّ لَهُ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَظْهَرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، فَوَضَعَ حَدِيثَ الْمَجْنُونِ وَقَالَ الْأَشْعَارُ الَّتِي يَرَوِيهَا النَّاسُ لِلْمَجْنُونِ وَنَسَبَهَا إِلَيْهِ .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى وَأَبُو الْحَسَنِ الْأُسْدِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : اسْمُ الْمَجْنُونِ قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ أَحَدُ بَنِي جَعْدَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ ابْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ .

وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَعْدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زَكَرِيَّا الْعَدَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ طَالُوتَ بْنِ عَبَّادٍ : أَنَّهُ سَأَلَ الْأَصْمَعِيَّ عَنْهُ ، فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا ، بَلْ كَانَتْ بِهِ لَوْتَةٌ أَحَدُهَا الْعَشْقُ فِيهِ ، كَانَ يَهُوَى أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا لَيْلَى ، وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ .

وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ اسْمَهُ قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ .

وَذَكَرَ شُعَيْبُ بْنُ السَّكَنِ عَنْ يُونُسَ النَّخْوِيِّ أَنَّ اسْمَهُ قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ ،

قال أبو عمرو الشَّيبَانِيّ: وحدثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه، فذكر أنه قيسُ بن الملوّح .

وذكر هشام بن محمد الكلبيّ أنه قيسُ بن الملوّح ، وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه^(١) ، فعقر^(٢) على قبره ناقته وقال في ذلك :

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتي بذى السَّرح لما أن جفاه الاقاربُ
وقلتُ لها كوني عَقيراً فَإِنِّي غداً راجلٌ أمشي وبالامس راکبُ
فلا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ يا بنَ مُزَاحِمٍ فكلُّ بكأس الموت لاشكَّ شاربُ

وذكر إبراهيم بن المنذر الحزاميُّ وأبو عبيدة معمر بن المثنى أن اسمه البُخَيْرِيُّ ابن الجعد .

ذكر مُضْعَبُ الرُّبَيْرِيُّ والرياشيُّ وأبو العالية أن اسمه الاقرعُ بن مُعَاذ . وقال خالد بن كلثوم : اسمه مهديُّ بن الملوّح .

وأخبرني الاخفش عن السُّكَّرِيِّ عن ابي زياد الكلبيّ ، قال : لَيْلَى صاحبةُ المجنون هي ليلي بنتُ سَعْدِ بن مَهْدِيٍّ بن رَبِيعَةَ بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبِيعَةَ ابن عامر بن صَعَصَعَة .

أخبرني محمد بن خَلْفٍ وَكِيعٌ ، قال حدثنا أبو قَلَابَةَ الرُّقَاشِيّ ، قال حدثني عبد الصّدِّ بن المُعَدَّل ، قال : سمعتُ الاصمعيّ وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول :
لم يكن مجنوناً وإنما كانت به لَوْنَةٌ وهو القائل :

أخذتُ محاسنَ كلِّ ما ضَلَّتْ محاسنُه بِحُسْنِه
كَأَدَّ الغزالُ يَكُونُهَا لولا الشَّوْى وَنُشُوزُ قَرْنِه

(١) يقال : اختلط عقله إذا تغير وفسد .

(٢) أصل العقر: قطع القوائم ثم أطلق بمعنى النحر . قال ابن الاثير: كانوا يعقرون الابل على قبور الموتى أي ينحرونها ويقولون : إن صاحب القبر كان يعقر للاضياف أيام حياته فنكافته بمنزل صنيعه بعد وفاته . وإنما أطلق العقر على النحر لانهم كانوا اذا ارادوا نحر البعير عقروه لئلا يشرد عند النحر .

(٣) الشوى : الاطراف .

المجانين بليلي كثيرون :

وأخبرني عمر بن عبدالله بن جميل العتكي قال حدثنا عمر بن شبة قال
حدثنا الاصمعي قال :

سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العائري فقال : عن أيهم
تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رُموا بالمجنون ، فعن أيهم تسأل ؟ فقلت : عن الذي
كان يُشَبَّب بليلي ، فقال : كلهم كان يُشَبَّب بليلي ، قلت : فأنشدني بعضهم ،
فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون :

ألا أيها القلبُ الذي لَجَّ هائماً بليلي وليداً لم تُقَطَّعْ ثَمَامُهُ
أفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أُنِيَ لك اليوم أن تَلْقَى طيباً ثَلَاثُمُهُ
أجِدْكَ لا تُنْسِيكَ لَيْلَى مُلِمَّةٌ تِلْمٌ ولا عهدٌ يَطُولُ تَقَادُمُهُ

قلت : فأنشدني لغيره منهم ، فأنشدني لمعاذ بن كليب المجنون :

ألا طالما لَاعَبْتُ لَيْلَى وَقَادَنِي إلى اللهو قلبٌ لِلْحِسانِ قُبُوعُ
وطال أَمْتَرَاءُ الشُّوقِ عَيْنِي كُلَّمَا تَرَفَّتْ دُمُوعاً كَسَجْدُ دُمُوعُ
فقد طال إِمْسَاكِي على الكَيْدِ التي بها مِنْ هَوَى لَيْلَى القَدَاةُ صُدُوعُ

قلت : فأنشدني لغير هذين ممن ذَكَرْتُ فأنشدني لتهدي بن الملوح :

لو أَنَّ لك الدنيا وما عُدِلَتْ به سِوَاهَا وَلَيْلَى بَاتَتْ عَنْكَ بَيْنُهَا
لَكُنْتُ إلى لَيْلَى فقيراً وَإِنَّمَا يَقُودُ إِلَيْهَا وَدَّ نَفْسِكَ حِينُهَا

قلت له : فأنشدني من بقي من هؤلاء ، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إن في واحد
من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليوم .

(١) ثَمَامُهُ : جمع ثَمِيمَةٍ وهي خُرْزَة أو ما يشبهها كان الاعراب يضعونها على أولادهم للوقاية
من العين والارواح .

(٢) أُنِيَ : حان وقرب .

(٣) الامتراء : الاستدرار .

(٤) بينها هنا معناه وصلها لأنه من أسماء الأضداد ، يطلق على الوصل والفراق .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال قال ابن الأعرابي: كان معاذ بن كليب مجنوناً، وكان يُحب ليلى، وشركه في حبها مزاحم بن الحارث العقيلي، فقال مزاحم يوماً للمجنون:

كلانا يا معاذ يُحب ليلى بغير وفيك من ليلى التراب
شركتك في هوى من كان حظي وحظك من مودتها العذاب
لقد خبَلت فؤادك ثم ثنت بقلبي فهو مخبول مُصاب

قال فيقال: إنه لما سمع هذه الايات ألتبس وخولط في عقله.

وذكر أبو عمرو الشيباني: أنه سمع في الليل هاتفاً يهتف بهذه الايات، فكانت سبب جنونه.

وذكر إبراهيم بن المنذر الحزامي عن أيوب بن عباية: أن فتى من بني مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر وينسبه الى المجنون، وأنه عمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر، فحمله الناس وزادوا فيه.

المجنون اسم مستعار:

وأخبرني عمي عن الكُراني عن العمري عن العُبي عن عوانة أنه قال: المجنون اسم مستعار لا حقيقة له، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب، فمثل من قال هذه الاشعار؟ فقال: فتى من بني أمية.

وقال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعراً هذه سبيله قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح.

وأخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني الحكم بن صالح قال: قيل لرجل من بني عامر: هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشق؟ فقال: هذا باطل، إنما يقتل العشق هذه اليمانية الضعاف القلوب.

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني
أيوب بن عبيدة قال حدثني من سأل بني عامر بطناً بطناً عن المجنون فما وجد
فيهم أحداً يعرفه .

شعره مولد عليه :

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا أحمد بن الحارث عن ابن
الأعرابي أنه ذكر عن جماعة من بني عامر سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه ، وذكروا
أن هذا الشعر كله مولد عليه .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ
عن أبيه عن محمد بن الحكم عن عوانة قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا :
ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بني عامر .

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول :
الذي ألقى على المجنون من الشعر وأضيف إليه أكثر مما قاله هو .

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق
قال : أنشدت أيوب بن عبيدة هذين البيتين :

وخبرتني أن تيماء منزلٌ لبلى إذا ما الصيف ألقى المراسياً
فهذي شهرُ الصيفِ عنا قد أنقضتْ فما للتوى ترمي لبلى المراسياً

وسأله عن قائلها ، فقال : جميل ، فقلت له : إن الناس يروونها للمجنون ،
فقال : ومن هو المجنون ؟ فأخبرته ، فقال : ما لهذا حقيقة ولا سمعت به .

وأخبرني عمي عن عبدالله بن شبيب عن هارون بن موسى القروي قال :

(١) مولد : مفتعل .

(٢) تيماء : بلد صغير في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى والأبلى الفرد ، حصن
السموأل بن عاديا اليهودي مشرف عليها فلذلك كان يقال لها : تيماء اليهودي .

سألت أبا بكر العدوي عن هذين البيتين فقال : هما لجميل ، ولم يعرف
المجنون ، فقلت : فهل معها غيرهما ؟ قال : نعم ، وأنشدني :

وإني لاخشي أن أموت فجاءةً وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هيّا
وإني لننسيني لقائك كلّما لقيتُك يوماً أن أثبتك ما بيّا
وقالوا به داء عياله أصابه وقد علمت نفسي مكان دوائيا

وأنا أذكر بما وقع إليّ من أخباره جُملاً مستحسنةً ، مُتَّبِعَةً من العهدة فيها ،
فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعض الرواة الى غيره وينسبها مَنْ
حكيت عنه إليه ، وإذا قدّمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومُتَّبِعٍ للعيوب .

عشق ليلي صغيرا :

أخبرني بخبره في شغفه بليلي جماعة من الرواة ، ونسخت ما لم أسمع من
الروايات وجمعت ذلك في سياقة خبره ما اتّسق ولم يختلف ، فاذا اختلف نسبت
كل رواية الى راويها .

فمن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي ،
قالا : حدثنا عمر بن شبة عن رجاله وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، ونسخت
أخباره من رواية خالد بن كلثوم وأبي عمرو الشيباني وابن دأب وهشام بن محمد
الكلبي وإسحاق بن الجصاص وغيرهم من الرواة .

قال أبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة : كان المجنون يهوى ليلي بنت مهدي بن
سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
وتكنى أم مالك ، وهما حينئذ صبيان ، فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان
مواشي أهلها ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحُجبت عنه ، قال : ويدل على ذلك
قوله :

صوت

تعلقتُ ليلي وهي ذاتُ ذؤابةٍ^(١) ولم يبدُ للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين زعى البهْمُ يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبرْ ولم تكبرِ البهْمُ

في هذين البيتين للاخضر الجديّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالوسطى، ذكره هارون
ابن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامي.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عبيدة
ونسختُ هذا الخبر بعينه من خطِ هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا
عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني أبو عتب
البصري عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال:

بينما ابنُ مُليكة يؤذن إذ سمع الاخضرَ الجديّ يُغني من دار العاص بن وائل:

وعُلِقَتْهَا غَرَاءَ ذاتِ ذؤابٍ ولم يبدُ للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين زعى البهْمُ يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبرْ ولم تكبرِ البهْمُ

قال: فأراد أن يقول: حيّ على الصلاة فقال: حيّ على البهْمُ، حتى سمعه
أهل مكة فغدا يعتذرُ إليهم.

وقال ابنُ الكلبي: حدثني معروف المكي والمُعلى بن هلال وإسحاق بن
الحصّاص قالوا:

كان سببُ عشقِ المجنون ليلي، أنه أقبل ذات يوم على ناقه له كريمة وعليه

(١) الذؤابة: شعر الناصية. وفي ديوانه وكتاب الشعر والشعراء في ترجمته: «وهي غرة
صغيرة». وفي تزيين الاسواق: «وهي ذات ثمام».

(٢) البهْم: جمع بهمة وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها،
الذكر والانثى في ذلك سواء.

حُلَّتَانِ مِنْ حُلَلِ الْمُلُوكِ، فَرَّ بِامْرَأَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهَا: كَرِيمَةٌ، وَعِنْدَهَا جَمَاعَةُ نِسْوَةٍ
يَتَحَدَّثْنَ فِيهِنَّ لَيْلَى، فَأَعْجِبْنَهَا جَمَالُهُ وَكَمَالُهُ، فَدَعَوْنَهُ إِلَى التَّزْوُلِ وَالْحَدِيثِ، فَتَزَلَّ
وَجَعَلَ يُحَدِّثُهُنَّ وَأَمَرَ عَبْدًا لَهُ كَانَ مَعَهُ فَعَقَرُ لَهْنٍ نَاقَتَهُ، وَظَلَّ يُحَدِّثُهُنَّ بَقِيَّةَ
يَوْمِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فَتَى عَلَيْهِ بُرْدَةٌ مِنْ بَرُودِ الْأَعْرَابِ يَقَالُ لَهُ:
مُنَازِلُ يَسُوقُ مَغْرَى لَهُ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَتَرَكْنَ الْمَجْنُونُ، فَغَضِبَ وَخَرَجَ
مِنْ عِنْدَهُنَّ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَأَعْقِرُ مِنْ بَرٍّ أَوْ كَرِيمَةٍ نَاقَتِي وَوَصَلِيَّ مَفْرُوشٌ يُوَصِّلُ مُنَازِلِ
إِذَا جَاءَ قَعَقَعَنَ الْحُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتُ أَرْضِي صَوْتَ تِلْكَ الْخَلَاخِلِ
مَتَى مَا أَتَتُّنَا بِالسِّهَامِ نَضَلَّتْهُ وَإِنْ زَمَ رَشَقًا عِنْدَهَا فَهُوَ نَاضِلِي

قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ لَيْسَ حُلَّتُهُ وَرَكِبَ نَاقَةً لَهُ أُخْرَى وَمَضَى مُتَعَرِّضًا لَهَا فَأَلْقَى
لَيْلَى قَاعِدَةً بَيْنَهُمَا وَقَدْ عَلِقَ حَبْلُهُ بِقَلْبِهَا وَهَوَيْتُهُ، وَعِنْدَهَا جُوزِيَّاتٌ يَتَحَدَّثْنَ
مَعَهَا، فَوَقَفَ بَيْنَ وَسَلَّمَ، فَدَعَوْنَهُ إِلَى التَّزْوُلِ وَقُلْنَ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي مُحَادَثَةِ مَنْ
لَا يَشْغَلُهُ عَنْكَ مُنَازِلٌ وَلَا غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: إِي لَعْمَرِي، فَتَزَلَّ وَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَهُ
بِالْأَمْسِ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَعْلَمَ، هَلْ لَهَا عِنْدَهُ مِثْلُ مَا لَهَا عِنْدَهَا، فَجَعَلَتْ تُعْرِضُ عَنْ
حَدِيثِهِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ وَتَحْدِثُ غَيْرَهُ، وَقَدْ كَانَ عَلِقَ بِقَلْبِهِ مِثْلُ حَبْلِهَا إِيَّاهُ وَشَغَفَتْهُ
وَاسْتَمْلَحَهَا، فَبَيْنَمَا هِيَ تَحْدِثُهُ، إِذْ أَقْبَلَ فَتَى مِنَ الْحُلِيِّ فَدَعَتْهُ وَسَارَتْهُ سِرَارًا طَوِيلًا،
ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: انْصَرَفْ، وَنَظَرَتْ إِلَى وَجْهِ الْمَجْنُونِ قَدْ تَغَيَّرَ وَأَنْتَقَعَ لَوْنُهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ
فَعَلَهَا، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

كَلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بَغْضًا وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ
تَبَلَّغْنَا الْعْيُونَ بِمَا أَرَدْنَا وَفِي الْقَلْبَيْنِ شَمٌّ هَوَى دَفِينٌ

فَلَمَّا سَمِعَ الْبَيْتَيْنِ شَهَقَ شَهَقَةً شَدِيدَةً وَأَغْمَى عَلَيْهِ، فَكَثَّ عَلَى ذَلِكَ سَاعَةً،

(١) أَي مِنْ أَجْلِ .

(٢) أَي تَرَامِينَا بِالسِّهَامِ، وَنَضَلَّتْهُ: غَلَبَتْهُ .

(٣) الرِّشَقُ: رَمَى أَهْلَ النَّضَالِ مَا مَعَهُمْ مِنَ السِّهَامِ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ .

(٤) يَقَالُ: انْتَقَعَ لَوْنُهُ إِذَا تَغَيَّرَ مِنْ هُمْ أَوْ فَزَع .

ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ .

المجنون يخطب ليلي :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكي عن محمد بن سعيد المخزومي عن أبي الهيثم العقيلي قال :

لما شهرا أمر المجنون وليلي وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء ، وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشرين من الابل وراعيها ، فقال أهلها : نحن مَحَبَّرُوهَا بَيْنَكُمَا ، فمن اختارت تزوجته ، ودخلوا اليها فقالوا : والله لن تختاري ورذا لنتمثلن بك ، فقال المجنون :

ألا يا ليلَ إن مُلِكتِ فينا خياركِ فَأَنْظُرِي لِمَنِ الْخِيَارُ
ولا تَسْتَبْدِلِي مِنِّي دَرِيئاً ولا بَرَمًا إِذَا حُبَّ الْقَتَارُ^(١)
يَهْرُولُ فِي الصَّغِيرِ إِذَا رَأَاهُ وَتُعِجْزُهُ مُلِمَّاتُ كِبَارُ^(٢)
فمثلُ تَأْيِمْ مِنْهُ نِكَاحُ ومثلُ تَمَوُّلٍ مِنْهُ أَفْتِقَارُ^(٣)

فاختارت ورذا فتزوجته على كره منها .

ابوه يروي قصة جنونه :

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا : حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمار بن حريم المري قال :

(١) البرم : التيم .

(٢) القنار : ربح اللحم المشوي .

(٣) الأييم : المرأة التي تفقد زوجها .

خرجتُ إلى أرض بني عامر لالتقي المجنون، فدُللتُ عليه وعلى محلّته، فلقيتُ
أباه شيخاً كبيراً وحوّله إخوةً للمجنون مع أبيهم رجالاً، فسألتهم عنه فبكوه،
وقال الشيخ: أمّا والله لو كان آثر عندي من هؤلاء جميعاً، وإنه عَشِقَ امرأةً من
قومه والله ما كانت تطمع في مثله، فلما فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجه
إياها بعد ما ظهر من أمرها، فزوجها غيره، وكان أول ما كلف بها يجلس إليها في
نفر من قوماً فيتحدّثون كما يتحدّث الفتيان، وكان أجملهم وأظرفهم وأرواهم لاشعار
العرب، فيغيضون في الحديث فيكون أحسنهم فيه إفاضة، فتعرضُ عنه وتُقبلُ
على غيره، وقد وقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه، فظننت به ما هو عليه من
حبها، فأقبلت عليه يوماً وقد خلّت فقالت:

صوت

كلانا مُظهرٌ للناس بغضاً وكلُّ عند صاحبه مَكِينُ
وأسرارُ الملاحظِ ليس تُخفى إذا نطقت بما تُخفي العيونُ

هيامه بليلي :

- غنّت في الأوّل عَرِيبٌ خَفِيفَ رَمَلٍ، وقيل : إنَّ هذا الغناء لشارية، والبيتُ
الآخر ليس من شعره - قال : فخرٌ مغشياً عليه ثم أفاق فاقدّاً عقله، فكان لا يلبسُ
ثوباً إلا خرّقه ولا يشي إلا عارياً ويلعب بالتراب ويجمعُ العظامَ حوله، فإذا ذُكِرَتْ
له ليلي أنشأ يحدثُ عنها عاقلاً ولا يُخطئُ حرفاً، وترك الصلاة، فإذا قيل له : مالك
لا تُصلي ! لم يردّ حرفاً، وكنا نخبسه ونقيّده، فيعضُّ لسانه وشفته، حتى خشنا
عليه فخلّينا سبيله فهو يهيمُ.

قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف :

قال الهيثمُ : فوّلَى مروانُ بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمن بن عوف صدقاتٍ

بني كعب وقشير وجعدة والحريش وحبيب وعبدالله، فنظر إلى المجنون قبل أن يستحكم جنونه فكلّمه وأنشده فأعجب به، فسأله أن يخرج معه، فأجابه إلى ذلك، فلما أراد الرواح جاءه قومه فأخبروه خبره وخبر ليلي، وأن أهلها استعدوا السلطان عليه، فأهدر دمه إن أتاهم، فأضرب عما وعده وأمر له بقلائن، فلما علم بذلك وأتى بالقلائن ردها عليه وأنصرف.

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرواة: أن المجنون هو الذي سأل عمر بن عبد الرحمن أن يخرج به، قال له: أكون معك في هذا الجمع الذي تجمه غداً، فأرى في أصحابك، وأتجمل في عشيرتي بك، وانخر بقريك، فجاءه رهط من رهط ليلي وأخبروه بقصته، وأنه لا يريد التجمل به، وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها، وأنهم قد شكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن دخل عليهم، فأعرض عما أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقلائن، فردّها وقال:

رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا بَدَأَ لِي النِّقْصُ مِنْهُ لِلْهَوْدِ
وَرَأَوْا مُقْصِرِينَ وَخَلْفُونِي إِلَى حُزْنٍ أَعَالَجُهُ شَدِيدِ

قال: ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى، قال: فلم تزل تلك حاله، إلا أنه غير مستوحش، إنما يكون في جنبات الحي منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلا خرقة، ويهذي ويخطط في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة، ولا يجيب أحداً سألته عن شيء، فإذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب عقله ذكروا له ليلي، فيقول: بأبي هي وأمي، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويحييهم، ويأتيه أحداث الحي فيحدثونه عنها وينشدونه الشعر الغزل، فيجيبهم جواباً صحيحاً وينشدهم أشعاراً قالها، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفل بن مساحق، فنزل مجعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان، فقال لغلام له: يا غلام، هات ثوباً، فأتاه به، فقال لبعضهم: خذ هذا الثوب فألقه على ذلك الرجل، فقال له: أتعرفه جعلت فداك؟ قال: لا، قال: هذا ابن سيّد الحي، لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طرّح عليه شيء خرّقه،

ولو كان يلبس ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه ، وَحَدَّثَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَدَعَا بِهِ
وَكَلَّمَهُ ، فَجَعَلَ لَا يَعْقِلُ شَيْئاً يَكَلِّمُهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُجِيبَكَ
جواباً صحيحاً فاذا ذكر له ليلتي ، فذكرها له وسأله عن حبه إياها ، فأقبل عليه يحدثه
بحديثها ويشكو اليه حبه إياها ويُنشدُه شعره فيها ، فقال له نوفل : الحب صيرك
إلى ما أرى ؟ قال : نعم ، وسينتهي بي الى ما هو أشد مما ترى ، فعجب منه
وقال له : أتحب أن أزوجهما ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال :
انطلق معي حتى أقدم على أهلها بك وأخطبها عليك وأرغبهم في المهر لها ، قال :
أترأك فاعلاً ؟ قال : نعم ، قال : أنظر ما تقول ! قال : لك علي أن أفعل بك
ذلك ، ودعا له بثياب فألبسه إياها ، وراح معه المجنون كأصح أصحابه يحدثه
وَيُنشدُه ، فبلغ ذلك رعهطها فتلثوه في السلاح ، وقالوا له : يا بن مساحق ، لا
والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت ، فقد أهدر لنا السلطان دمه ، فأقبل
بهم وأذبر ، فأبوا ، فلما رأى ذلك قال للمجنون : انصرف ، فقال له المجنون : والله
ما وقيت لي بالعهد ، قال له : انصرفك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح
من سفك الدماء ، فقال المجنون :

صوت

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى نُحْلِسَ عَقْلَهُ فَأَصْبَحَ مَذْهُوباً بِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ
خَلِيّاً مِنَ الْخُلَانِ إِلَّا مُعْذِراً يُضَاحِكُنِي مَنْ كَانَ يَهُوَى تَجَنُّبِي

الغناء للحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى من جامع أغانيه :
إِذَا ذُكِرْتُ لِي عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ رَوَائِعَ عَقْلِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبٍ

(١) يريد انه بذل الجهد في إقناعهم أن يدخلوه معه وقلبه على جميع الوجوه فلم يُجِدْ شَيْئاً .

(٢) نُحْلِسَ : سلب .

(٣) هو المقصر الذي لا عذر له ولكنه يتكلف العذر .

وقالوا صحيح ما به طيفُ جنةٍ ولا هم إلا بافتراء التكدبِ
وشاهدٌ وجدي دمعٌ عيني وحُبها بَرَى اللحمَ عن أحناءٍ عظمي ومنكبي

صوت

تَجَنَّبْتَ ليلي أن يَلِجَ بك الهوى وهيئات كان الحبُّ قبل التَجَنُّبِ
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكِ صدى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ
الغناء لإسحاق خفيفٌ ثقيلٌ أولُ بإطلاق الوتر في مجرى النضر، وفيه لأبن
جامع هَزَجٌ من رواية الهشامي وهي قصيدة طويلة .
ومما يغني فيه منها قوله :

صوت

فلم أرَ ليلي بعد مَوْقِفِ ساعةٍ بحَيْفٍ مِنِّي تَرْمِي حِمَارَ الْمُحْصَبِ
ويُبدِي الحصى منها إذا قَذَفَتْ به من البُرْدِ أطرافَ البَنَانِ الْمُخْضَبِ
فأصبحتُ من لَيْلى العداة كَنَاطِرٍ مع الصبح في أعقابِ نجمٍ مُغْرِبِ
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكِ صدى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ
فيه ثقيلٌ أولٌ مطلقٌ باستهلال، ذكر ابنُ المكي أنه لا يبيحُ، وذكر
الهشامي أنه للوائق، وذكر حبش أنه لأبن مُحَرِّز، وهو في جامع أغاني سليمان
منسوبٌ إليه .

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد الشكري عن محمد بن حبيب للمجنون :

(١) طيف جنة : من الجن .

(٢) الأحناء : جمع حنو وهو كل شيء فيه أعوجاج كعظم الحجاج (العظم الذي ينبت عليه الحاجب) واللحم والضمع .

فوالله ثم الله إني لدائبُ أفكر ما ذنبي إليها وأعجبُ
 ووالله ما أدري علامَ قتلتي وأيَ أموري فيك يا ليلَ أركبُ
 أقطعُ جبلَ الوصلِ فالموتُ دونه أمَ أشربُ رنقا منكم ليس يُشربُ
 أمَ أهرُبُ حتى لا أرى لي مجاورا أمَ أصنعُ ماذا أمَ أبوحُ فأغلبُ
 فأيقها يا ليلَ ما ترتزينه فإني لمظلومُ وإني لمُعْتَبُ

حجوا به ليسلوها فزاد جنونه :

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلبيّ قالا : حدثنا
 عمرُ بن شُبّة قال : ذكر هشامُ بن الكلبيّ وواقفه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم
 وأخبرنا الحسنُ بن عليّ قال حدثنا ابنُ أبي سعد قال حدثني عليّ بن الصباح عن
 هشام بن الكلبيّ عن أبيه :

أن أبا المجنون وآمه ورجالَ عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلٍ فوعظوه وناشدوه الله
 والرحم ، وقالوا له : إن هذا الرجلُ لهالك ، وقبلَ ذلك ففي أقبحَ من الهلاك
 بذهاب عقله ، وإنك فاجعٌ به أباه وأهله ، فنشدناك الله والرحم أن تفعلَ ذلك ، فوالله
 ما هي أشرفُ منه ، ولا لكَ مثلُ مالِ أبيه ، وقد حكمتُ في المهر ، وإن
 شئتَ أن يخلَعَ نفسه إليك من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمها إنه لا
 يزوجه إياها أبداً ، وقال : أفضحُ نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأت أحدٌ من العرب ،
 وأيسمُ أبنتي ببيسَمٍ فضيحةٍ ! فانصرفوا عنه ، وخالفهم لوقته فروجها رجلاً من
 قومها وأدخلها إليه ، فما أمسى إلا وقد بنى بها ، وبلغه الخبرُ فأيس منها حينئذٍ
 وزال عقله جملةً ، فقال الحَيّ لآبيه : احججْ به إلى مكة وأدعُ الله عز وجلَ له ،
 ومُرّه أن يتعلّق بأستار الكعبة ، فيسألَ الله أن يعافيه بما به ويُعِيضها إليه ، فلعل
 الله أن يُخَلِّصه من هذا البلاء ، فحجَّ به أبوه ، فلما صاروا بمنى سمعَ صائحاً في الليل
 يصيحُ : يا ليلي ، فصرخَ صرخةً ظنوا أن نفسه قد قَلَّتْ وسقطَ مَغْشياً عليه ، فلم
 يزل كذلك حتى أصبحَ ثم أفاق حائلَ اللونِ ذاهلاً ، فأنشأ يقولُ :

صوت

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعِزَاءَ فَقَالَ لِي مِنْ الْآنَ فَايَأْسُ لَا أَغْزَاكَ مِنْ صَبْرٍ
إِذَا بَانَ مَنْ تَهْوَى وَأَصْبَحَ نَائِيًا فَلَا شَيْءَ أَجْدَى مِنْ حُلُولِكَ فِي الْقَبْرِ
وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى فَهَيَّجَ أَطْرَابَ الْفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي
دَعَا بِأَسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّا أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي
دَعَا بِأَسْمِ لَيْلَى ضَلَّلَ اللَّهُ سَعِيَهُ وَلَيْلَى بِأَرْضٍ عَنْهُ نَازِحَةٌ قَفْرٍ

الفناء لعريب خفيفٌ ثقيلٌ - ثم قال له أبوه: تعلقٌ بأستار الكعبة وأسأل الله أن يعافيك من حبِّ ليلي، فتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم زدني لليلي حبًّا وبها كلفًا ولا تُنسيني ذكرها أبدًا، فهم حينئذٍ وأختلط فلم يضبط. قالوا: فكان يهيم في البرية مع الوحش ولا يأكل إلا ما ينبت في البرية من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت منهاهلها، وطال شعر جسده ورأسه وألقته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشام، فإذا تاب إليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجد، فيقال له: وأين أنت من نجد! قد شارفت الشام! أنت في موضع كذا، فيقول: فأروني وجهة الطريق، فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحماوه أو يكسوه فيأبى، فيدلّونه على طريق نجد فيتوجه نحوه.

أخبرني عمي قال حدثني الكُرَافِي قال حدثنا العُمَرِيُّ عن الهيثم بن عدي وأخبرنا حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالوا حدثنا عمرو ابنُ شَبَّة قال ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال:

خرج منّا فتى حتى إذا كان بيثر ميسون^(١) إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال،

(١) الاطراب: جمع طرب وهو خفة تعتري الشخص من شدة الفرح أو الخزن.

(٢) بيثر ميسون: هي بيثر بمكة بين البيت والحجون بأبطح مكة.

وإذا معهم فتى أبيضٌ طوالٌ جعدٌ كاحسنٍ مَنْ رأيتُ من الرجال على هزال
منه وصفرةٍ ، وإذا هم مُتعلِّقون به ، فسألتُ عنه ، فقليل لي : هذا قيسُ المجنونُ
خرج به أبوه يستجيرُ له بالبيت ، وهو على أن يأتي به قبر رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم ليدعو له هناك لعله يُكشَفُ ما به ، فإنه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه
 منه عدوه ، يقول : أخرجوني لعلني أُنسَمَ صبا نجدٍ ، فيُخرجونه فيتوجهون به نحو نجدٍ ،
 ونحن مع ذلك نخاف أن يُلبّي نفسه من الجبل ، فإن شئتَ الأجر دنوت منه فأخبرته
 أنك أقبلت من نجدٍ ، فدنوت منه وأقبلوا عليه فقالوا له : يا أبا المهدي ، هذا
 الفتى أقبل من نجدٍ ، فتنفّس تنفّساً ظننتُ أن كيدَه قد أنصَدعت ، ثم جعل يسألني
 عن وادٍ وادٍ وموضعٍ وموضعٍ ، وأنا أخبره وهو يبكي أحراً وبكاءً وأوجعه للقلب ،
 ثم أنشأ يقول :

ألا ليت شعري عن عوارِضتي قناً^(١) لطول الليالي هل تغيّرتا بعدي
 وهل جارتانا بالبئيل إلى الحمى^(٢) على عهدنا أم لم تدوما على العهد
 وعن علويات^(٣) الرياح إذا جرت^(٤) بريح الخراسي هل تهبُّ على نجدٍ
 وعن أقحوان^(٥) الرمل ما هو فاعل^(٦) إذا هو أسرى ليلةً بثرى جعدٍ
 وهل أنفضن^(٧) الدهر أفنان^(٨) ليمتي على لاحق^(٩) المتنين مندلق^(١٠) الوخد^(١١)
 وهل أسعن^(١٢) الدهر أصوات هجمة^(١٣) تحذر^(١٤) من نشز^(١٥) خصيب^(١٦) إلى وهدي^(١٧)

(١) رجل طوال بضم الطاء : مفرط الطول .

(٢) جعد : معصوب الجوارح شديد الأسر غير مسترخ ولا مضطرب .

(٣) قنا وعوارضة : جبلان .

(٤) علويات : جمع علوية نسبة إلى العالية وهي ما فوق أرض نجد إلى تهامة وهذه النسبة نادرة والقياس عالي .

(٥) يقال : تراب جعد أي ندي .

(٦) لاحق : صافر من قولهم لحق الفرس لحوفاً أي ضم . والمتنان : جنبنا الظهر عن اليمين والشمال ، والواحد من يذكر ويؤنث . والمندلق : السريع ، يقال : اندلقت الخيل إذا خرجت فأسرعت . والوخد : ضرب من سير الخيل والابل وهو سعة الخطو في المشي .

(٧) الهجمة : القطعة الضخمة من الابل .

(٨) النشز : المكان المرتفع .

(٩) الوهد : المكان المظلم من الأرض .

بربك هل ضمت اليك ليلي :

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي والعُتيّ قالا :

مر المجنونُ بزوج ليلي وهو جالسٌ يضطلي في يومٍ شاتٍ، وقد أتى ابنَ عمِّ له في حيِّ المجنونِ حاجةً، فوقفَ عليه ثم أنشأ يقول :

صوت

بربك هل ضمتَ اليك ليلي قبيلَ الصبحِ أو قبَلتَ فاها
وهل رفَّتْ عليك قرونُ ليلي رَفِيفَ الأَقْوَانه في نداها

فقال : أَللهم إذ حَلَفْتَنِي فَتَنِّمْ، قال : فقبض المجنونُ بكِلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه، وعضَّ على شفته فقطعها، فقام زوجُ ليلي مغموماً بفعله مُتَعَجِّباً منه فضى .

غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحُسين بن مُحَرَّرٍ، ولحنه رَمَل بالوسطى عن الهشامي .

صبا نجد :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المَهَلَّبِيّ قالا : حدثنا عمر بن سُبَّة قال : قال محمد بن الحكم عن عَوانة : إنه حدثه ووافقه ابنُ نصر وابنُ حبيب قالوا :

(١) رفت بفتح الراء من رفّ لونه يرف بالكسر رفيقاً رفا إذا برق وتللا، أراد شدة سواد شعرها .

إنَّ أهلَ المجنون خرجوا به معهم الى وادي القرى^١ قبل توحشه ليمتاروا^٢ خوفاً عليه أن يضيع أو يهلك، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان^٣، فقال له بعضُ فتیان الحَيّ: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلى تنزل بهما، قال: فأَيُّ الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا الصِّبا، قال: فوالله لا أرى^٤ هذا الموضع حتى تهبَّ الصِّبا، فأقام ومضوا فامتاروا لانفسهم، ثم اتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبَّت الصِّبا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

صوت

أيا جبلي نعمان بالله خلياً سبيل الصِّبا يخلص إلي نسيها
أجدُّ بردها أو تشفٍ مني حرارةً على كبدٍ لم يبقَ ألا صميمها^٥
فإن الصَّباريح تشفٍ إذا ما تنسَّمت على نفس محزونٍ تجلَّت همومها

وقوفه على منازل ليلى:

اخبرني علي بن سليمان الاخفش قال حدثني محمد بن الحسين بن الحرون قال حدثني الكسروي عن جماعة من الرواة قال:

لما منع أبو ليلى المجنون وعشيرته من ترويحها بها، كان لا يزال يغشى بيوتهم ويهجم عليهم، فشكوه الى السلطان فأهدر دمه لهم، فأخبروه بذلك فلم يرعه وقال: الموت أروح لي فليتهم قتالوني، فلما علموا بذلك وعرفوا أنه لا يزال يطلب غرة^٦ منهم حتى إذا تفرقوا دخل دورهم، فارتحلوا عنها وأبعدوا، وجاء المجنون

(١) وادي القرى: وادي بين الشام والمدينة كانت به قرى منظومة.

(٢) من الامتبار وهو جلب الطعام للبيع وغيره.

(٣) هو نعمان الأراك وهو وادي بين مكة والطائف. وقيل وادي لهديل على ليلتين من عرفات.

(٤) لا أرى: لا أبرح.

(٥) صميمها: أصلها.

(٦) غرة: غفلة.

عشيّة فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بلاقع^١، فقصّد منزل ليلي الذي كان
بيتها فيه، فألصق صدره به وجعل يُمرّغ^٢ خديّه على تراه، ثم أنشأ يقول، - وذكر
هذه الايات ابن حبيب وأبو نصر له :

أيا حرجات^٣ الحميّ حيث تحمّالوا بذني سَلَمٍ^٤ لا جادكن ربيع
وخياتك^٥ اللاتي يُنزعج^٦ اللوى بلين^٧ يلى لم تبهن ربوع
ندمت^٨ على ما كان مني ندامة^٩ كما يندم المغبون حين يبيع
فقدت^{١٠}ك من نفس شعاع^{١١} فإنني نهيتك^{١٢} عن هذا وأنت جميع
فقرّبت^{١٣} لي غير القريب وأشرفت^{١٤} اليك ثنايا^{١٥} ما لهن طالع

الغريم الذي لا ينصف :

وذكر خالد بن جميل وخالد بن كلثوم في اخبارها التي صنعها أن ليلي وعده
قبل أن يختلط أن تستأجره ليلة إذا وجدت فرصة لذلك، فكث مدة يرأسها في
الوفاء وهي تعدّه وتسوّف^{١٦}ه، فأقّى أهلها ذات يوم والحميّ^{١٧} خلوف^{١٨}، فجلس الى
نسوة من أهلها حجرة^{١٩} منها بحيث تسمع كلامه، فحدثهن طويلاً ثم قال : ألا
أنشدكن^{٢٠} أبياتاً أحدثتها في هذه الايام ؟ قلن : بلى، فأنشدهن :

- (١) بلاقع جمع بلقع : خالية .
- (٢) الحرجات : جمع حرجة وهي الغنضة، وسميت بذلك لضيقها، وقيل : الشجر المتنف، وهي
أيضاً الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل اليها الاكلة وهي ما رعى من المال .
- (٣) ذو سلم : موضع بالحجاز .
- (٤) يقال : نفس شعاع اذا انتشر رأيها فلم تتجه لأمر جزم .
- (٥) الجميع : ضد المتفرق .
- (٦) أشرفت : ظهرت وارتفعت .
- (٧) الثنايا : جمع ثنية وهي العقبة وهي المرق الصعب في الجبل يريد بذلك أن الوصول الى ليلي
صعب لا يستطيعه .
- (٨) يقال : حميّ خلوف اذا غاب الرجال وأقام النساء .
- (٩) حجرة : ناحية .

صوت

يا للرجال لهم بات يعرفوني مُسْتَطَرَفٍ وَقَدِيمٍ كَادُ يُبْلِينِي
 مَنْ عَازِرِي مَنْ غَرِيمٍ غَيْرِ ذِي عُسْرِ يَأْبَى فَيَسْطَلُّنِي دَيْنِي وَيَأْوِينِي
 لَا يُبْعِدُ النِّقْدَ مِنْ حَتَّى فَيُنْكِرَهُ وَلَا يُحْدِثُنِي أَنْ سَوْفَ يَفْضِينِي
 وَمَا كَشْكْرِي شُكْرٌ لَوْ يُوَافِقُنِي وَلَا مُنَايَ سِوَاهُ لَوْ يُوَافِينِي
 أَطْعَمَهُ وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي أَمْرِهِ وَهَوَاهُ وَهُوَ يَعْصِينِي

قال : فقلن له : ما أنصفك هذا الغريم الذي ذكرته ! وجعلن يتضاحكن
 وهو يبكي ، فاستحييت ليلي منهن ورقت له حتى بكت ، وقامت فدخلت بيتها
 وانصرف هو .

- في الثلاثة الايات الأول من هذه الايات هزج طنبوري للسدود -
 قالا في خبرهما هذا : وكان للجنون أبنا عم يأتياه فيحدثانه ويُسلّياه ويؤانسانه ،
 فوقف عليهما يوماً وهما جالسان ، فقالا له : يا أبا المهدى ألا تجلس ؟ قال : لا ، بل
 أمضي إلى منزل ليلي فأترسه وأرى آثارها فيه ، فأشني بعض ما في صدري بها ،
 فقالا له : فنحن معك ، فقال : إذا فعلنا أكرمنا وأحسننا ، فقاما معه حتى أتى دار
 ليلي ، فوقف بها طويلاً يتتبع آثارها ويبكي ويقف في موضع موضع منها
 ويبكي ، ثم قال :

صوت

يا صاحبي أيمًا بي بمنزلة قد مرّ حينٌ عليها أئما حين
 إني أرى رجعات الحب تقتلني وكان في بدنها ما كان يكفيني

لا خير في الحب ليست فيه قارعة^١ كأن صاحبها في ترع موتون^٢
 إن قال عذأله مهلاً فلان لهم قال الهوى غير هذا القول يعنيني
 ألقى من اليأس تارات فتقتلني وللرجاء بشاشات فتخينني

الغناء لابراهيم خفيف ثقيل من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبي عن أبي مسكين : إن جماعة من بني عامر حدثوه
 قالوا : كان رجل من بني عامر بن عقيل يقال له : قيس بن معاذ ، وكان يدعى
 المجنون ، وكان صاحب غزل ومجالسة للنساء ، فخرج على ناقة له يسير ، فمر امرأة
 من بني عقيل يقال لها : كريمة ، وكانت جميلة عاقلة ، معها نسوة فعرفته ودعوته
 الى النزول والحديث ، وعليه حلتان له فاخرتان وطيلسان وقلنسوة ، فزول فظل
 يتحدثن وينشدن وهن أعجب شيء به فيما يرى ، فلما أعجبه ذلك منهن عقر
 هن ناقة ، وقمن اليها فجعلن يشوين ويأكلن الى أن أمسى ، فأقبل غلام شاب
 حسن الوجه من حين جلس اليهن ، فأقبلن عليه بوجوههن يقلن له : كيف
 ظلمت يا منازل اليوم ؟ فلما رأى ذلك من فعلهن غضب ، فقام وتركهن
 وهو يقول :

أعقر من جرأ كريمة ناقتي ووصلني مفروش ليوصل منازل
 إذا جاء قمعن الحلي ولم أكن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل

قال : فقال له الفتى : هلم نتصارع أو تتناضل ، فقال له : إن شئت ذلك
 فقم الى حيث لا تراهن ولا يرينك ، ثم ما شئت فافعل ، وقال :

إذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته وإن يرم رشقا عندها فهو ناضلي

وقال ابن الكلبي في هذا الخبر : فلما أصبح لبس حلتته وركب ناقته ومضى
 متعرياً هن ، فألقى ليلي جالسة بفناء بيتها ، وكانت معهن يومئذ جالسة ، وقد

(١) الموتون : المفروب على الوتين وهو عرق معلق بنباط القلب .

عَلِقَ بِقَلْبِهَا وَهَوَيْتَهُ ، وَعِنْدَهَا جُورِيَّاتٌ يُحَدِّثْنَهَا ، فَوَقَفَ بَيْنَ وَسَلَمَ ، فَدَعَوْتُهُ إِلَى
التَّزُولِ وَقُلْنَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي مُحَادَثَةِ مَنْ لَا يَشْغَلُهُ عَنْكَ مُنَازِلٌ وَلَا غَيْرُهُ ؟ قَالَ :
إِي لَعْمَرِي ، فَتَزَلُ وَقَعَلَ فَعَلَّتْهُ بِالْأَمْسِ ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَعْلَمَ هَلْ لَهَا عِنْدَهُ مِثْلُ مَا
لَهُ عِنْدَهَا ، فَجَعَلَتْ تُعْرِضُ عَنْ حَدِيثِهِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ وَتَحَدِّثُ غَيْرَهُ ، وَقَدْ كَانَ
عَلِقَ حُبُّهَا بِقَلْبِهِ وَسَعَفَتْهُ وَاسْتَمْلَحَهَا ، فَبَيْنَا هِيَ تَحَدِّثُهُ إِذْ أَقْبَلَ فَتَى مِنَ الْحَيِّ فَدَعَتْهُ
فَسَارَتْهُ سِرَّاراً طَوِيلاً ثُمَّ قَالَتْ لَهُ أَنْصَرِفْ ، فَأَنْصَرَفَ ، وَنَظَرَتْ إِلَى وَجْهِ الْمَجْنُونِ
قَدْ تَغَيَّرَ وَأُمْتَقَعَ وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا فَعَلَتْ ، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

كَأَلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً وَكُلٌّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ
تَبْلُغُنَا الْعَيُونَ مَقَالَتَيْنَا وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثُمَّ هَوَى دَفِينٌ

فَلَمَّا سَمِعَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ شَهَقَ شَهَقَةً عَظِيمَةً وَأَغْمَى عَلَيْهِ فَكَثَّ سَاعَةً ، وَنَضَّحُوا
الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَفَاقَ ، وَتَمَكَّنَ حُبُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ وَبَلَغَ
مِنْهُ كُلٌّ مَبْلَغٍ .

تَحَوَّرَتْ رَاحَتَاهُ وَمَا شَعَرَ :

حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْقَرَشِيِّ
قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَالِيَةِ عَنْ أَبِي ثُمَامَةَ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ :

لَا يُعْرِفُ فِينَا مَجْنُونٌ إِلَّا قَيْسُ بْنُ الْمُلَوَّحِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الْعَشِيرَةِ قَالَ : قُلْتُ لَقَيْسُ بْنُ الْمُلَوَّحِ قَبْلَ أَنْ يُخَالَطَ :
مَا أَعْجَبُ شَيْءٍ أَصَابَكَ فِي وَجْدِكَ بَلِيلِي ؟ قَالَ طَرَقْنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ أَضْيَافٌ وَلَمْ يَكُنْ
عِنْدَنَا لَهُمْ أَدَمٌ ، فَبِعَثْنِي أَبِي إِلَى مَنْزِلِ أَبِي لَيْلَى وَقَالَ لِي : اطْلُبْ مِنْهُ أَدَمًا ، فَأَتَيْتُهُ
فَوَقَفْتُ عَلَى خِبَائِهِ فَصَحْتُ بِهِ ، فَقَالَ : مَا تَشَاءُ ؟ فَقُلْتُ : طَرَقْنَا ضَيْفَانٌ وَلَا أَدَمَ
عِنْدَنَا لَهُمْ فَأَرْسَلْنِي أَبِي نَطْلُبُ مِنْكَ أَدَمًا ، فَقَالَ : يَا لَيْلَى ، أَخْرِجِي إِلَيْهِ ذَلِكَ النَّحْيَ ،

(١) أَدَمُ الْحَبِزِ : خَلَطَهُ بِالْأَدَمِ وَالْأَدَمُ مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ .

(٢) النَّحْيُ عِنْدَ الْعَرَبِ : الزُّقُّ الَّذِي يَوْضَعُ فِيهِ السَّمْنُ خَاصَّةً .

فاملائي له إناؤه من السمن ، فأخرجته ومعني قَعْبٌ ، فجعلتُ تَصُبُّ السمنَ فيه وتَتَحَدَّثُ ، فألهانا الحديثُ ، وهي تَصُبُّ السمنَ وقد امتلأ القَعْبُ ولا نعلمُ جميعاً ، وهو يسيلُ حتى استنقعتُ أرجلنا في السمن ، قال : فأتيتهم ليلةً ثانيةً أطلبُ ناراً ، وأنا مُتَلَفِعٌ بِبُرْدٍ لي ، فأخرجت لي ناراً في عُطْبَةٍ فأعطتنيها ووقفنا نتحدثُ ، فلما احترقت العُطْبَةُ خَرَقْتُ من بُرْدِي خِرْقَةً وجعلتُ النارَ فيها ، فكلما احترقت خَرَقْتُ أخرى وأذكيتُ بها النارَ حتى لم يبقَ عليّ من البردِ إلا ما وارى عورتي ، وما أعقلُ ما أصنعُ ، وأنشدني :

أُمَسْتَقْبِلِي نَفْحُ الصَّبَا ثُمَّ شَائِقِي بَرْدِ ثَنَايَا أُمَ حَسَّانَ شَائِقُ
كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْحُمْرَ شَجَّهَا بماء الندى من آخر الليل عَاتِقُ
وما يَشْمُهُ إِلَّا بَعِينِي تَقَرُّسًا كما رِشِمٍ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ

ومن الناس من يروي هذه الاياتَ لَنُصَيْبٍ ، ولكن هكذا روي في الخبر .

بنو عامر ارق الناس قلوباً :

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرقاشي عن عبد الصمد ابن المذلل قال :

سمعتُ الاصمعي يقول - وقد تذاكرنا مجنون بني عامر - قال : هو قيس بن معاذ العُقَيْلِيُّ ، ثم قال : لم يكن مجنوناً إنما كانت به لَوْنَةٌ ، وهو القائل :

أَخَذْتُ مُحَاسِنَ كُلِّ مَا ضُنْتُ مُحَاسِنَهُ بِحُسْنِهِ
كَادَ الْغَرَالُ يَكُونُهَا لَوْلَا الشَّوْىُ وَنُشُوزُ قَرْنِهِ

(١) القعب : القدح الضخم الغليظ ، وقيل : قدح من خشب مقعر .

(٢) العُطْبَةُ : خِرْقَةٌ تُوْخَذُ بِهَا النَّارُ .

(٣) شَجَّهَا : مزجها .

(٤) العاتق : البكر التي لم تبن عن أهلها .

(٥) شتمته من الشيم وهو النظر الى نحو النار والسحاب والبرق يقال شام السحاب والبرق شياً أي نظر اليه أين يقصد وأين يحظر .

قال : وهو القائل :

صوت

ولم أرَ ليلي بعد موقف ساعةٍ بخيفٍ مني ترمي حجارَ المحصبِ
ويُبدى الحصى منها إذا قذفتُ به من البردِ أطرافَ البنانِ المحصبِ
فأصبحتُ من ليلي الغداة كناظرٍ مع الصبح في أعقاب نجمٍ مغربِ
ألا إنما غادرتُ يا أمَّ مالكٍ صدى أينما تذهب به الريحُ يذهبِ

في هذه الابيات لحنٌ من الثقيل الاول ، ابتداءه نشيدٌ من صنعة الواصل وهو المشهور . وذكره ابنُ المكي لا يبي . وهو في جامع غناء سليم بن سلام له . وذكره حبشٌ في موضعين من كتابه فنسبه في طريقة الثقيل الاول في أحدهما الى ابن محرز ، والآخر الى يحيى المكي . وزعم الهشامي أن فيه لسليم بن سلام لحناً آخر من الثقيل الاول .

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي قال حدثني إبراهيم بن سعد الزهري قال : أتاني رجل من عُذرة حاجة ، فخرى ذكر العشق والعشاق ، فقلتُ له : أنتم أرقُّ قلوباً أم بنو عامر ؟ قال : إنا لارقُّ الناس قلوباً ، ولكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها .

بعض اوصافه :

أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه القطان إجازة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي قال أخبرني عبد الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جده قال : أنا رأيتُ مجنون بني عامر ، وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه سُحوبٌ^١ واستنشده فأنشدني قصيدته التي يقول فيها :

(١) يقال : شحب لونه يشحب شحوباً إذا تغير لعارض مرض أو سفر ونحوه .

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّيْنَةَ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامَ لَا أُعَدِّي عَلَى اللَّهِوَ عَادِيَا

أخبرني محمد بن الحسن الكندي خطيب مسجد القادسية قال حدثنا الرِّياشي قال : سمعت أبا عثمان المازني يقول : سمعتُ مُعَاذًا وبُشَرَ بنَ الْمُفَضَّل جميعاً يَنشِدَانِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَيُنْسُبَانَهُمَا لِمَجْنُونِ بَنِي عَامِر :

طَمِعْتُ بَلِيلَى أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمُطَامِعِ
وَدَايَنْتُ لَيْلَى فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ

وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحُباب عن ابن سَلام قال : قضى عُبَيْدُ اللَّهِ بنَ الْحَسَنِ بنَ الْحَصَنِ بنَ أَبِي الْحَرِّ الْعَنْبَرِيِّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ قَضِيَّةً أَوْجَبَهَا الْحُكْمُ عَلَيْهِ ، وَظَنَّ الْعَنْبَرِيُّ أَنَّهُ تَحَامَلُ عَلَيْهِ وَأَنْصَرَفَ مُغَضِبًا ، ثُمَّ لَقِيَهُ فِي طَرِيقٍ ، فَأَخَذَ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ وَكَانَ شَدِيدًا أَرِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
إِيهَ يَا عُبَيْدُ اللَّهِ !

طَمِعْتُ بَلِيلَى أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمُطَامِعِ
فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

وَبَايَعْتُ لَيْلَى فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عُدُولٌ عِنْدَ لَيْلَى مَقَانِعُ

خَلَّ عَنْ الْبَغْلَةِ . قَالَ الصُّوْلِيُّ فِي خَبَرِهِ هَذَا : وَالْبَيْتَانِ لِلْبَعِيثِ هَكَذَا ، قَالَ :
فَلَا أُدْرِي أَمِنْ قَوْلِهِ هُوَ أَمْ حِكَايَةٌ عَنْ أَبِي خَلِيفَةَ ! .

آخر عهده بليلي :

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري عن عبد الله بن خلف الدلال قال حدثنا زكريا ابن موسى عن شُعَيْبِ بْنِ السَّكَنِ عن يونس النحوي قال :

(١) لَا أُعَدِّي : لَا أَعِينُ وَلَا أَنْصُرُ .

(٢) يُقَالُ : رَاعَ الشَّيْءَ تَرِيْعًا أَيِ رَجَعَ وَعَادَ .

(٣) جَمَعَ مَقْنَعٌ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَهُوَ الْعَدْلُ مِنَ الشُّهُودِ يُقَالُ : فَلَانٌ شَاهِدٌ مَقْنَعٌ أَيِ رَضًا يُقْنَعُ بِهِ .

(٤) أَرِيدًا : قَوِيًّا .

لما اختلط عقل قيس بن الملوّح وترك الطعام والشراب، مضت أمه إلى ليلى
فقلت لها: إن قيساً قد ذهب حبك بعقله، وترك الطعام والشراب، فلو جئته
وقتاً لرجوت أن يشوب إليه عقله، فقلت ليلى: أمّا نهاراً فلا لاني لا آمن قومي
على نفسي ولكن ليلاً، فأتته ليلاً فقالت له: يا قيس، إن أمك ترعم أنك
جئنت من أجلي وتركك المطعم والمشرب، فاتق الله وأبق على نفسك، فبكى
وأنشأ يقول:

قالت جئنت على أئشٍ فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يُفيق الدهر صاحبه وإنما يُصرع المجنون في الحين

قال: فبكت معه، وتحدثا حتى كاد الصبح أن يسفر، ثم ودعته وأنصرفت
فكان آخر عهده بها.

سبب جنونه:

أخبرنا ابن المزدبان قال قال القحذمي: لما قال المجنون:

قضاها لغيري وأبتلاني بحبها فهلاً بشيء غير ليلي أبتلانيا

سلب عقله. الغناء لحكم ثقیل أول، وقيل إنه لابن الهريذ. وفيه لمتيم
خفيف ثقیل أول من جامع أغانيها. وحدثني جحظة بهذا الخبر عن ميسون بن
هارون أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت برص.

تسميته:

أخبرني الحسن بن علي القرشي عن ابن عائشة قال: إننا سمى المجنون بقوله:

ما بال قلبك يا مجنون قد خلعا في حب من لا ترى في نيله طمعا
الحب والود نيطا بالفؤاد لها فأصبحا في فؤادي ثابتين معاً

حدثنا وكيع عن ابن يونس قال قال الاصمعي : لم يكن المجنون مجنوناً ، إنما جنَّه العشق ، وأنشد له :

يُسْتُونِي المجنونَ حينَ يَرُونِي نَعَمَ بِي مِن لَيْلِي الغداةَ جنونُ
لَيْالِي يَزْهِي بِي شَبَابٌ وَشِرَّةٌ وَإِذْ بِي مِن خَفْضِ المَعِيشَةِ لِينُ

أخبرني محمد بن المَرْزُبَان عن إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني علي بن سهل عن المدائني : أنه ذَكَرَ عنده مجنونُ بني عامر فقال : لم يكن مجنوناً ، وإنما قيل له المجنون بقوله :

وَإِنِّي لِمَجْنُونٌ بَلِيلِي مُوَكَّلٌ وَلَسْتُ عَزُوفاً عَنْ هَوَاهَا وَلَا جَلْدًا
إِذَا ذُكِرَتْ لِي بِكَيْتُ صَبَابَةٍ لَتَذْكَارُهَا حَتَّى يَبْلُ الْبُكَاءُ الْخَدَّاءُ

أخبرني عمر بن جميل العَتَكِي قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا عون ابن عبد الله العامري أنه قال : ما كان والله المجنون الذي تَعْرُونه الينا مجنوناً ، إنما كانت به لَوْنَةٌ وَسَهْوٌ أَحْدَثَهَا بِهِ حُبُّ لَيْلِي ، وأنشد له :

وَبِي مِنْ هَوَى لَيْلِي الَّذِي لَوْ أَبَيْتُهُ جَمَاعَةُ أَعْدَائِي بَكَتْ لِي عُيُونُهَا
أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلِي أَبَتْ أَنْ تُطِيعَنِي فَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بَلِيلِي جُنُونُهَا

أخبرني ابن المَرْزُبَان قال قال العُتْبِي : إنما سمي المجنون بقوله :

يَقُولُ أَنَسٌ عَلَّ مجنونَ عامرٍ يَرُومُ سُلُوءًا قَلْتُ أَتَى لِمَا بِيَا
وَقَدْ لَامَنِي فِي حُبِّ لَيْلِي أَقَارِي أَخِي وَأَبْنُ عَمِي وَأَبْنُ خَالِي وَخَالِيَا
يَقُولُونَ لَيْلِي أَهْلُ بَيْتِ عَدَاوَةٍ بِنَفْسِي لَيْلِي مِنْ عَدُوٍّ وَمَالِيَا
وَلَوْ كَانَ فِي لَيْلِي شَذًا مِنْ خُصُومَةٍ لَلَوَيْتُ أَعْنَاقَ الْمَطِيِّي الْمَلَاوِيَا

(١) يزهي : يطيش في الشباب ويستغفني .

(٢) شرة : حرص الشباب ونشاطه .

(٣) لويت : عطفت .

أخبرني هاشم الخراعي عن عيسى بن إسميل قال قال ابن سَلام : لو حلفتُ أن
مجنون بني عامر لم يكن مجنوناً لَصَدَقْتُ ، ولكن تَوَلَّهْ ! لما زُوِجت ليلي وأيقنَ
اليأسَ منها ، ألم تَسْمَعْ إلى قوله :

أيا ويحَ مَنْ أَمسى تُخْلِسَ عَقْلَهُ فأصبح مذهباً به كلُّ مذهبٍ
خَلِيعاً مِنَ الْخُلَانِ إِلَّا مُجَامِلاً يُسَاعِدُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّي
إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلى عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ عَوَازِبُ قَلْبِي مِنْ هَوَى مُتَسَقِبِ
قال : وأنشدنا له أيضاً :

صوت

وُشِغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى مَا كَانَ فِيكَ فَإِنَّهُ سُغِلِي
وَأَدِيمُ لَحْظَ مُخَدَّتِي لِيَرَى أَنْ قَدْ فَهِمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي

ليلى أم مالك :

أخبرني ابنُ المرزبان عن محمد بن الحسن بن دينار الأحمول عن علي بن المغيرة
الأثرم عن أبي عبيدة :

أَنَّ صَاحِبَةَ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرِ الَّتِي كَلَّفَ بِهَا لَيْلى بِنْتُ مَهْدِيٍّ بَنِ سَعْدِ بْنِ مَهْدِيٍّ
ابن الحريش ، وكنيتها أم مالك ، وقد ذكر هذه الكنية المجنون في شعره فقال :
تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكِ بِمَا رَحَّبْتُ يَوْمًا عَلِيَّ تَضِيقُ
وقال أيضاً :

فَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْ أُمَّ مَالِكِ أَشَابَ قَذَالِيَّ وَأَسْتَهَامَ فُؤَادِيَا
خَلِيلِيَّ أَنْ دَارَتْ عَلَى أُمَّ مَالِكِ صُرُوفُ اللَّيَالِي فَاغْبِيَا لِي نَاعِيَا

(١) قوله : ذهب عقله من شدة الوجد .

(٢) القذال : جماع مؤخر الرأس .

وقال أبو عمرو الشيباني: عَلِقَ المجنون ليلي بنتَ مهدي بن سعد من بني الحريش، وكنيتها أم مالك، فَشَهَرَ بها وعُرفَ خبره فَحُجِبَتْ عنه، فَشَقَّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوجه إياها، فاشتدَّ به الأمرُ حتى جُنَّ وقيل له: «مجنون بني عامر»، فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهم ما يُحدَّثُ به ولا يعقله إلا إذا ذُكِرَتْ ليلي. وأنشد له أبو عمرو:

صوت

مناجاة:

ألا ما ليلي لا تُرى عند مَضْجَعِي بليلي ولا يجري بذلك طائرُ
بلى إن عَجَمَ الطائرَ تجري إذا جرت بليلي ولكن ليس للطير زاجرُ
أزالت عن العهد الذي كان بيننا بذلي الأثر أم قد غيَّرتُها المقادرُ
فوالله ما في القرب لي منك راحةٌ ولا البعد يُسَلِّني ولا أنا صابرُ
ووالله ما أدري بأية حيلةٍ وأي مرامٍ أو خطارٍ أخطرُ
وتالله إن الدهرَ في ذاتِ بيننا علي لها في كل حالٍ جائرُ
فلو كنت إذ أزمعت هجري تركتني جميع القوى والعقلُ مني وافرُ
ولكن أيامي بحقلٍ عَنِيْزَةٍ وبالرضم أيامُ جناها التجاورُ
وقد أصبح الود الذي كان بيننا أمانِيَّ نفسٍ والمؤمل حائرُ
لعمري لقد رنَّقتُ يا أم مالك حياتي وساقتي اليك المقادرُ

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض الشاميين قال: دخلتُ أرض بني عامر، فسألت

(١) الخطار: مصدر خاطر بمعنى راهن.

(٢) جميع: مجتمع.

(٣) الحقل: المزرعة ويطلق على الموضع البكر الذي لم يزرع فيه قط. وعنيزة موضع بين البصرة ومكة. والرضم: موضع على ستة أميال من زبالة. وزبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة.

(٤) رنقت: كدوت، والترنيق كما يطلق على التكدير يطلق على ضده الذي هو التصفية.

عن المجنون الذي قتله الحبُّ، خُفِّروني عنه أنه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها
ليلي، رباً معها ثم حُجِّبَتْ عنه، فاشتدَّ ذلك عليه وذهب عقله، فأثاه إخوانٌ من
إخوانه يابومونه على ما يصنع بنفسه، فقال :

صوت

يا صاحبي المأني منزلةٍ قد مرَّ حينٌ عليها أيما حينٍ
في كل منزلةٍ ديوانُ معرفةٍ لم يُبقِ باقيةً ذكر الدواوينِ
إني أرى رجعاتِ الحبِّ تقتلني وكان في بدنها ما كان يكفيني

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل .

قيس الهائم على وجهه :

أخبرني هاشمُ الحُرّامي عن الرِّياشي قال :

ذكر الثُّنَيَّيْنِ عن أبيه قال : كان المجنونُ في بدء أمره يرى ليلي ويألفها ويأنسُ
بها ثم غُيِّبَتْ عن ناظره، فكان أهله يُعزُّونه عنها ويقولون : تَزَوَّجْكَ أَنْفَسَ جَارِيَةٍ
في عَشِيرَتِكَ، فيأبى إلا ليلي ويهذي بها ويذكرها وكان ربما هاج عليه الحزن والهم
فلا يملكُ ممَّا هو فيه أن يهيمَ على وجهه، وذلك قبل أن يتوحَّشَ مع البهايم في
القفار، فكان قومه يابومونه ويَعْدُلُونَهُ، فأكثروا عليه في الملامة والعُدْلَ يوماً فقال :

صوت

يا لكُرجالٍ إهمَّ بات يعرفني مُسْتَطَرَفٍ وقديمٍ كان يعينني
على غريمٍ مَلِيٍّ غير ذي عُدْمٍ يَأبَى فينطَلِّني دَيْنِي ويلوِينِي^١

(١) الغريم : الدائن . يلويني : يخطئني .

لا يذكرُ البعضَ من دَيني فيُنكره ولا يُحدِثني أن سوف يقضي
وما كُشكري شُكرُ لو يوافقني ولا مَنى كُناهُ إذ يُثيني
أطعته وعَصيتُ الناسَ كُلَّهُم في أمره ثم يأبى فهو يعصيني
خيري لمن يتبغي خيري ويأمله من دون شرّي وشرّي غيرُ مأمون
وما أشاركُ في رأيي أخا ضَعِف ولا أقول أخِي مَنْ لا يواتيني
في هذه الايات هزَجُ طُنُبوري السدودِ من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيباني: حدَّثني رباح العامري قال: كان المجنونُ أول ما علق ليلى كثير الذِّكر لها والإتيان بالليل إليها، والعربُ ترى ذلك غير مُنكر، أن يتحدَّثَ الفتيانُ إلى الفتيات، فلما عَلِمَ أهلها بعشقه لها منعه من إتيانها وتقدّموا إليه، فذهب لذلك عقله ونُسَ منه قومه واعتنوا بأمره، واجتمعوا إليه ولا موه وعذّوه على ما يصنعُ بنفسه، وقالوا: والله ما هي لك بهذه الحال، فلو تناسيتها رجونا أن نسلو قليلاً، فقال لما سمع مقاتلهم وقد غلب عليه البكاء:

صوت

فواكِدا من حُبِّ من لا يُحِبُّني ومن زفّراتٍ ما لهنَّ فناء
أرأيتك إن لم أعطك الحبَّ عن يدٍ ولم يكُ عندي إذ أنيت إياه
أتلرّكتي للموت أنتِ فميتُ وما للنفوس الخائفات بقاء
ثم أقبل على القوم فقال: إن الذي بي ليس بهين، فأقلّوا من ملامكم فليستُ بسامع فيها ولا مُطيع لقول قائل .

نهارى نهار الناس :

أخبرني عمي ومحمد بن حبيب وأبنُ الموزُبان عن عبد الله بن أبي سعد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دأب عن رباح بن حبيب العامري :

(١) أرأيتك : أصله أرأيتك كلمة تقولها العرب للاستخبار بمعنى أخبريني .

(٢) عن يد : عن انقياد واسلام .

أنه سأله عن حال المجنون وليلى، فقال: كانت ليلى من بني الحريش وهي بنت مهدي بن سعيد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش، وكانت من أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلاً وأفضلهن أدباً وأملحهن شكلاً، وكان المجنون كلفاً بمحادثة النساء صباً بهن، فبلغه خبرها ونعتت له، فصبا إليها وغرم على زيارتها، فتأهب لذلك ولبس أفضل ثيابه ورجل جتة ومس طيباً كان عنده، وأرتحل ناقة له كريمة برجل حسن وتقلد سيفه وأتاها، فسلم فردت عليه السلام وتحدثت في المسألة، وجلس إليها فحدثته وحادثها فأكثر، وكل واحد منهما مقيم على صاحبه معجب به، فلم يزال كذلك حتى أمسياً، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلة شوقاً إليها، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطول من ليلته الأولى واجتهد أن يفيض فلم يقدر على ذلك، فأنشأ يقول:

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزئتني اليك المضاجع
أقضي نهارى بالحديث وبألمنى ويجمعني والهم بالليل جامع
لقد ثبتت في القلب منك محبة كما ثبتت في راحتين الأصابع

- عروضة من الطويل . والغناء لابراهيم الموصلي رمل بالوسطى عن عمرو -
قال: وأدام زيارتها وترك من كان يأتيه فيتحدث إليه غيرها، وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى أنصرف، فخرج ذات يوم يريد زيارتها فلما قرب من منزلها لقيته جارية عنراء فتطير منها، وأنشأ يقول:

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى بجدة القوى والوصل أعسر حاسر

(١) الجملة: مجتمع شعر الرأس .

(٢) غطت بالمسألة: بالغت في ملاحظته والسؤال عنه .

(٣) أي شؤم .

(٤) الجدة: القطع . والقوى: جمع قوة وهي الطاقة الواحدة من طاقات الجبل .

(٥) الحاسر: الكاشف يوصف به الرجل والمرأة، يقال: امرأة حاسر بغيرها، إذا حسرت عنها

درعها، وكل مكشوفة الرأس والذراعين: حاسر .

صديق "العصا صعب المرام إذا أنتحي لوصول أمري" جدت عليه الأواصر

ثم سار إليها في غدٍ خدتها بقصته وطيرته من لقيه، وأنه يخاف تغير عهدها وانتكائه وبكى، فقالت: لا ترع، حاش لله من تغير عهدي، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء الله، فلم يزل عندها يحادثها بقية يومه، ووقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه، فجاءها يوماً كما كان يجيء، وأقبل يحادثها فأعرضت عنه، وأقبلت على غيره بجدتها، تريد بذلك محنته وإن تعلم ما في قلبه، فلما رأى ذلك جزع جزعاً شديداً حتى بان في وجهه وعرف فيه، فلما خافت عليه أقبلت عليه كالمسرة إليه فقالت:

كلانا مظهر للناس بغضا وكل عند صاحبه مكين

فسري عنه وعلم ما في قلبها، فقالت له: إنما أردت أن أمتحنك والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك، وأعطي الله عهداً إن جالست بعد يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوق الموت إلا أن أكرهه على ذلك، قال: فانصرفت عنه وهو من أشد الناس سروراً وافرهم عينا. وقال:

أظن هواها تاركي بمضلة من الأرض لا مال لدي ولا أهل
ولا أحد أفضي إليه وصي ولا صاحب إلا المطية والرحل
محا حبها حب الألى كُنَّ قبلها وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

بعد أن تزوجت:

أخبرني جعفر بن قدامة عن أبي العيناء عن العتيبي قال:

- (١) من الصدع بمعنى الشق وهو كناية عن الفراق. قال العرب: العصا تضرب مثلاً للاجتماع وتضرب انشقاقها مثلاً للافتراق الذي لا يكون بعده اجتماع، وذلك لأنها لا تدعى عصا إذا انشقت.
- (٢) الأواصر: جمع آصرة وهي ما عطفك على رجل من راحم أو قرابة أو صهر أو معروف.
- (٣) لا ترع: لا تخف ولا يلحقك فزع.
- (٤) أي أنجلي هم وانكشف.
- (٥) المضلة: بفتح الضاد وكسرها: الأرض التي يضل فيها.

لما حُجِبْتُ ليلي عن المجنون خطبها جماعة فلم يرَضَهُمْ أَهْلُهَا ، وخطبها رجل من
ثَقِيفٍ مَوَسِّرٌ فَرَوَّجُوهُ وَأَخَفَوْا ذَلِكَ عَنِ الْمَجْنُونِ ثُمَّ نَمِي إِلَيْهِ طَرَفٌ مِنْهُ لَمْ يَتَحَقَّقْهُ ، فَقَالَ :

دَعَوْتُ إِلَهِي دَعْوَةً مَا جَهِلْتُهَا وَرَبِّي بِمَا تُخْفِي الصَّدُورُ بَصِيرُ
لَئِنْ كُنْتُ تُهْدِي بَرْدَ أَنْيَابِهَا الْعَلَا لِأَفْقَرٍ مِنِّي إِنِّي لَفَقِيرُ
فَقَدْ شَاعَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّ قَدْ تَرَوَّجَتْ فَهَلْ يَأْتِيَنِي بِالطَّلَاقِ بَشِيرُ

وقال أيضاً :

أَلَا تِلْكَ لَيْلِي الْعَامِرِيَّةُ أَصَبَحْتُ تَقَطَّعُ إِلَّا مِنْ ثَقِيفٍ جِبَالُهَا
هُمْ حَبَسُوهَا مَحْبَسَ الْبَدَنِ وَابْتَغَى بِهَا الْمَالَ أَقْوَامٌ أَلَا قَلَّ مَا لَهَا
إِذَا التَفَتْتُ وَالْعَيْسُ صَعْرٌ مِنَ الْبَرَى بِنَخْلَةٍ جَلَّتْ عِبْرَةُ الْعَيْنِ حَالُهَا

قال : وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه :

صوت

أَلَا أَتَيْتُ الْبَيْتَ الَّذِي لَا أَزُورُهُ وَإِنْ حَلَّه شَخْصٌ إِلَيَّ حَبِيبُ
هَجَرْتُكَ إِشْفَاقًا وَزَرْتُكَ خَائِفًا وَفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرَ مِنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَعِيبُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعْلَهَا بِيَوْمٍ سُرُورٍ فِي الزَّمَانِ تَوُوبُ

الغناء لعريب ثاني ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى . قال : وبلغه أن أهلها يريدون نقلها إلى
الثَّقَفِيِّ فَقَالَ :

صوت

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بَلِيلِي الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ

(١) صعر : جمع أصعر من الصعر وهو ميل في العنق . والبرى : جمع برة وهي الحلقة تجعل في
أحد جانبي منخر البعير . ونخلة : اسم موضع .

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

— عَرُوضُهُ مِنَ الْوَافِرِ . الْغَنَاءُ لِابْنِ الْمَكِيِّ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا
عَنِ إِسْحَاقَ ، وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ آخِرُ لُسْلِيَانٍ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنَصْرِ ، وَفِيهِ
لَاِبْرَاهِيمَ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنِ الْهَشَامِيِّ — قَالَ : فَلَمَّا نُقِلْتُ لَيْلَى إِلَى الشَّقَقِيِّ
قَالَ :

طَرِبْتَ وَشَاقَتَكَ الْجُمُولُ الدَّوَافِعُ :

طَرِبْتَ وَشَاقَتَكَ الْجُمُولُ الدَّوَافِعُ غَدَاةٌ دَعَا بِالْبَيْنِ أَسْفَعُ نَازِعُ
شَحَا فَاهُ نَعْبًا بِالْفِرَاقِ كَأَنَّهُ حَرِيبٌ سَلِيبٌ نَازِحُ الدَّارِ جَازِعُ
فَقُلْتُ أَلَا قَدْ بَيَّنَّ الْأَمْرُ فَانصَرَفُ فَقَدْ رَاعِنَا بِالْبَيْنِ قَبْلَكَ رَائِعُ
سُقِيتُ سُومًا مِنْ غَرَابٍ فَإِنِّي تَبَيَّنْتُ مَا خَبَّرْتَ مَذَانْتَ وَاقِعُ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي لَا مُجِبُ أَلَوْمِهِ وَلَا يَبْدِيلُ بَعْدَهُمْ أَنَا قَانِعُ
وَقَدْ يَتَنَاهَى الْإِلْفُ مِنْ بَعْدِ أَلْفِهِ وَيَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْخَلِيطَيْنِ صَادِعُ
وَكَمْ مِنْ هَوًى أَوْ حَيْرَةٍ قَدْ أَلْفَتْهُمْ زَمَانًا فَلَمْ يَمْنَعَهُمُ الْبَيْنَ مَانِعُ
كَأَنِّي غَدَاةُ الْبَيْنِ مَيِّتُ جُوبَةٍ أَخُو ظُلُمٍ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشَارِعُ
تَحَلَّسُ مِنْ أَوْشَالٍ مَاءِ صَبَابَةٍ فَلَا الشَّرْبُ مَبْذُولٌ وَلَا هُوَ نَاقِعُ^١

(١) عَزَّهَا : غَلَبَهَا .

(٢) الْجُمُولُ : فِي الْأَصْلِ الْهُوَادِجُ وَاحِدُهَا حُمْلٌ ثُمَّ اتَّسَعَ فِيهَا وَصَارَتْ تَسْتَعْمَلُ فِي الْإِبِلِ الَّتِي عَلَيْهَا
الْهُوَادِجُ . وَالدَّوَافِعُ : الْمَتَدَفِّعَةُ فِي السَّيْرِ .

(٣) الْأَسْفَعُ : الْأَسْوَدُ . وَالنَّازِعُ : الْمَسْرِعُ . وَالْمُرَادُ بِالْأَسْفَعِ النَّازِعُ « الْغَرَابِ » .

(٤) شَحَا فَاهُ يَشْجُوهُ وَيَشْجَاهُ : فَتَحَهُ .

(٥) نَعْبًا : صِيَاحًا وَتَصْوِيئًا .

(٦) الْحَرِيبُ : مَنْ سَلَبَ حَرِيَّتَهُ وَهِيَ مَالُهُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ أَمْرُهُ .

(٧) الْجُوبَةُ : فُضَاءٌ أَمْلَسَ سَهْلٌ بَيْنَ أَرْضَيْنِ .

(٨) تَحَلَّسَ الشَّيْءُ : انْتَهَبَهُ وَأَخَذَهُ خَلْسَةً .

(٩) الْأَوْشَالُ : جَمْعُ وَشَلٍ وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ . وَالصَّبَابَةُ : بَقِيَّةُ الْمَاءِ تَبْقَى فِي الْإِنَاءِ وَالسَّقَاءِ .

(١٠) هُوَ مَنْ لَقَعَ بِمَعْنَى رَوَى .

وبيضٍ تَطَلَّى بِالْعَيْرِ كَأَنَّهَا نِعَاجُ الْمَلَأِ جِئَتْ عَلَيْهَا الْبَرَاقِعُ
تَحْمَلْنَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ فَأَوْمَضَتْ لَهْنَ بِأَطْرَافِ الْعَيُونِ الْمَدَامِعُ
فَمَا رِمْنُ رُبْعِ الدَّارِ حَتَّى تَشَابَهَتْ هَجَائِثُهَا وَالْجُونُ مِنْهَا الْخَوَاضِعُ
وَحَتَّى حَمَلْنَ الْحُورَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَخَاضَتْ سُدُولَ الرَّقْمِ مِنْهَا الْأَقَارِعُ
فَلَمَّا أَسْتَوَتْ تَحْتَ الْخُدُورِ وَقَدْ جَرَى عَيْرٌ وَمَسْكٌ بِالْعِرَانِينَ رَادِعُ
أَشْرَنَ بَأْنَ حُشْوَا الْجَمَالِ فَقَدْ بَدَا مِنَ الصَّيْفِ يَوْمٌ لَافَحَ الْحَرَّ مَاتِعُ
فَلَمَّا لَحِقْنَا بِالْحُمُولِ تَبَاشَرَتْ بِنَا مُقْصِرَاتٌ غَابَ عَنْهَا الْمَطَامِعُ
يُعَرِّضْنَ بِالذَّلِّ الْمَلِيحِ وَإِنْ يُرْدُ جَنَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهِنَّ مَوَازِيعُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَدَمْعِي مُسَبِّلٌ وَقَدْ صَدَعَ الشَّمْلُ الْمَشْتَتَ صَادِعُ
أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الْخُدُورِ تَعَرَّضْتُ لِعَيْنَيْي أَمْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ

المجنون وهديل الحمام :

أخبرني عيسى الحسني الوراق قال حدثنا الهيثم بن فِرَاسٍ قال حدثني العُمَريُّ
عن الهيثم بن عدي :

أَنَّ أَبَا الْمَجْنُونِ حَجَّ بِهِ لِيَدْعُوَ اللَّهَ غَزَّ وَجَلَّ فِي الْمَوْقِفِ أَنْ يُعَافِيَهُ ، فَسَارَ وَمَعَهُ
أَبْنُ عَمِّهِ زِيَادُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مُزَاحِمٍ ، فَرَّ بِجَهَامَةٍ تَدْعُو عَلَى أَيْكَةٍ فَوْقَ يَبْكِي ،
فَقَالَ لَهُ زِيَادُ : أَيَّ شَيْءٍ هَذَا ؟ مَا يُبْكِيكَ أَيْضًا ؟ سَرَّ بِنَا نَلْحَقَ الرُّفْقَةَ ، فَقَالَ :

- (١) الملا : الصحراء .
- (٢) أي قطعت .
- (٣) هو وادٍ قرب مكة .
- (٤) ما رِمْنُ : ما برحن .
- (٥) الهجائن والجون الخواضع : الأبل .
- (٦) السدول : جمع سدبل وهو ما يجلل به الهودج من الثياب .
- (٧) الأكارع : قوائم الدابة .
- (٨) العرين : الأنف .
- (٩) قبيس مردوع : فيه أثر الطيب والزعفران .
- (١٠) مقصرات : داخلات في القصر وهو عند العرب العشي .
- (١١) تدعو : تصوت وتنوح .

أَنَّ هَتَفَتْ يَوْمَا بَوَادٍ حَمَامَةً بِكَيْتَ وَلَمْ يَعْذِرْكَ بِالْجَهْلِ عَاذِرُ
دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ^(١) بَعْدَ مَا عَلَتْ الضُّحَى فَهَاجَ لَكَ الْإِحْزَانُ أَنْ نَاحَ طَائِرُ
تُعْتَبِي الضُّحَى وَالصُّبْحَ فِي مُرَجِّحَةٍ^(٢) كَثَافِ الْأَعَالِي تَحْتَهَا الْمَاءُ حَائِرُ^(٣)
كَانَ لَمْ يَكُنْ بِالْقِيلِ^(٤) أَوْ بَطْنِ أَيْكَةٍ^(٥) أَوْ الْجَزْعِ مِنْ تَوَلَّى الْأَشَاءِ حَاضِرُ
يَقُولُ زِيَادُ إِذْ رَأَى الْحَيَّ هَجَرُوا^(٦) أَرَى الْحَيَّ قَدْ سَارُوا فَهَلْ أَنْتَ سَائِرُ
وَإِنِّي وَإِنْ غَالُ^(٧) التَّقَادُمُ حَاجِي مُلِمُّ^(٨) عَلَى أَوْطَانٍ لَيْلَى فَنَاطِرُ

جبل التوباد :

أخبرني ابن أبي الأَزهَر عن الرُّبَيْر عن محمد بن عبد الله البَكْرِي عن موسى
ابن جعفر بن أبي كَثِير وأخبرني عمي عن ابن شَيْب عن الفُرَوِي عن موسى
ابن جعفر بن أبي كَثِير وأخبرني ابنُ المَرْزُبَان عن ابنِ الهَيْثَم عن العُمَرِي عن العُثْبِي
قالوا جميعاً :

كان المجنونُ وُلِيَّ وهما صَبِيَّانِ يَرْعِيَانِ غَنَاءَ لاهلهما عند جبلٍ في بلادهما يقال
له التَّوْبَادُ، فلما ذهب عقله وتَوَحَّشَ، كان يَجِيءُ إلى ذلكَ الجبلِ فيقيمُ به، فإذا
تذكر أيامَ كان يُعْطِيفُ هو وُلِيَّ به جَزَعٌ جَزَعًا شَدِيدًا وأَسْتَوْحَشَ فهمام على وجهه
حتى يَأْتِي نَوَاحِي الشَّامِ، فإذا ثَابَ إليه عقله رأى بلدًا لا يعرفه فيقولُ للناس الذين
يلقاهم : بأبي أنتم، أين التَّوْبَادُ من أرض بني عامر؟ فيقال له : وأين أنت من
أرض بني عامر ! أنت بالشَّامِ عليك بنجهم كذا فأَمَّهُ، فيسضي على وجهه نحو ذلك

(١) ساق حرّ : أصله صوت القهاري ، ويطلق على الذكر من القهاري تسمية له باسم صوته وهو المراد هنا .

(٢) المرجحة : المهتزة المتأيلة .

(٣) حائر : متردد .

(٤) القيل : اسم لعدة مواضع .

(٥) الأيكة : الفيضة الملتفة الأشجار .

(٦) الجزع : اسم موضع . وتول الأشاء : صفار النخل .

(٧) هجروا : ساروا في وقت الهاجرة .

(٨) غال الشيء : ذهب به .

النجم حتى يقع بأرض اليمن، فيرى بلاداً يُنكرها وقوماً لا يعرفهم فيسألهم عن التُّباد
وأرض بني عامر، فيقولون: وأين أنت من أرض بني عامر! عليك بنجم كذا
وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التُّباد، فإذا رآه قال في ذلك:

وأجهشتُ للتُّباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رأيته
وأذرفتُ دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلتُ له قد كان حولك جيرة وعهدي بذالك الصرم منذ زمان
فقال مَضُوا وأستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان
وإني لأبكي اليوم من حذري غداً فراقك والحيان مجتمعان
سجلاً وتَهْتَاناً ووبلاً وديعةً وسحاً وتسجماً إلى هملاًن^(١)

ذهاب عقله:

أخبرني عمي عن ابن سَلِيب عن هارون بن موسى القُرَوي عن موسى بن
جعفر بن أبي كثير قال: لما قال المجنون:

خليلي لا والله لا أملك الذي قضى الله في ليلي ولا ما قضى لي
قضاها لغيري وأبتلاني بحبها فهلاً بشيء غير ليلي أبتلانياً
سَلِيبَ عقله.

وحدثني جعظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصلي أنه لما قالها برص.

يهتف بليلي:

قال موسى بن جعفر في خبره المذكور: وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع
صائحاً يصيح: يا ليلي في ليلة ظلماء أو توهم ذلك، فقال لبعض من معه: أما

(١) أجهشت: تهيأت للبكاء.

(٢) يقال: هنت السماء تهتن هتناً وتهتناً أي صبت.

(٣) يقال: سجت السحابة مطرها تسجيماً وتسجماً إذا صبت.

(٤) الهملان: فيض العين بالدموع.

تسمعُ هذا الصوتَ ؟ فقال : ما سَمِعْتُ شيئاً ، قال : بلى ، والله هاتِفٌ يَهْتِفُ بِلِيلي ،
ثم أنشأ يقول :

أقولُ لأدنى صاحِبِي كَلِمَةً أَسَرْتُ مِنَ الْأَقْصَى أَجِبُ ذَا الْمُنَادِيَا
إِذَا سَرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفُضَاءَ رَأَيْتُنِي أَصَانِعُ رُحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ شِمَالًا يُنَازِعُنِي الْهُوَى عَنْ شِمَالِيَا

وقال ابنُ شَيْبٍ وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُوسَى قَالَ : قُلْتُ لِغُرَيْرِ بْنِ طَلْحَةَ
الْمُخْزُومِيِّ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ مَنْ قَالَ شِعْرًا فِي مَنَى وَمَكَّةَ وَعُرَفَاتٍ ؟ فَقَالَ : أَصْحَابُنَا
الْقُرَشِيُّونَ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْمَجْنُونُ حَيْثُ يَقُولُ :

وداعٍ دعا إِذْ نَحْنُ بِالْحَيْفِ مِنْ مَنَى فَهَيَّجَ أَحْزَانَ الْفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي
دعا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بَلِيلِي طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي

فقلت له : هل تَرَوِي للمجنون غيرَ هذا ؟ قال : نعم ، وأنشدني له :

أما وَالَّذِي أَرْتَى تَبِيرًا مَكَانَهُ عَلَيْهِ السَّحَابُ فَوْقَهُ يَتَنَصَّبُ
وَمَا سَلَكَ الْمَوَاةَ مِنْ كُلِّ جَسْرَةٍ طَلِجٌ كَجَفْنِ السَّيْفِ تَهْوِي فَتَرْكَبُ
لَقَدْ عِشْتُ مِنْ لَيْلَى زَمَانًا أَحْبَبَهَا أَخَا الْمَوْتِ إِذْ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ يَكْذِبُ

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه قال : كانت كنيةُ لَيْلَى أُمَّ عَمْرُو ،
وأنشدَ للمجنون :

(١) يتنصب : يرتفع .

(٢) الموماة : الغلاة .

(٣) نافقة جسر : ماضية في سيرها .

(٤) طليج : الناقة التي جهدها السير وهزلها .

صوت

أبى القلبُ إلا حُبَّهُ عامريَّةً لها كنيةٌ عمروٌ وليس لها عمروٌ
تكادُ يدي تَنذِي إذا ما لمستُها وينبُتُ في أطرافها الورقُ الحُضْرُ

الغناء لعريبٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ، وقال حبش : فيه لإسحاق خفيفٌ ثَقِيلٌ .

داء قديم :

أخبرني هاشم الخزازي عن دماذ عن أبي عبيدة قال : خطب ليلى صاحبة
المجنون جماعة من قومها فكبرهتهم ، فخطبها رجلٌ من ثَقِيفٍ موسرٌ فوضيته ، وكان
جميلًا فتزوجها وخرج بها ، فقال المجنون في ذلك :

ألا إن ليلى كالتنيجة^(١) أصبحتُ تَقَطَّعُ إلا من ثَقِيفٍ جِبالُها
فقد حبسوها مَحْبُسَ الْبُذْنِ وَابْتَغَى بها الريحَ أقوامٌ تَسَاحَتَ^(٢) مالُها
خليلي هل من حيلةٍ تعلما^(٣)نيها يُدَنِّي لنا تكليمَ ليلى احتياها
فإن أنتم لم تعلماها فلستما بأولِ باغٍ حاجةٍ لا ينالها
كان مع الركب الذين اقتدوا بها غامةً صيفٍ زعزعتها شالها
نظرتُ بُمُغْضَى سَيْلِ جَوْشَنَ إِذْ غَدَوْا مَحْبُوبٌ بأطرافِ المخارمِ^(٣) آلهَا
بشافيةٍ الاخران هيَّجَ شوقها مُجَامَعَةُ^(٣) الألافِ ثم زياها
إذا ألتفتت من خلفها وهي تَعْتَلِي بها العيسُ جَلِي عَجْرَةَ^(٣) العينِ حالها

أخبرني علي بن سليمان الأُخْفَشُ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ عن أبي
نصر أحمد بن حاتم قال : وأنشدناه المبرد للمجنون فقال :

(١) التنيجة : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن .

(٢) يقال أسحت ماله : استأصله وأفسده .

(٣) المخارم : الطرق في الجبال أو الرمل .

صوت

وأحسُّ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ بِذِكْرِكِ وَالْمَشَى إِلَيْكِ قَرِيبُ
مَخَافَةٌ أَنْ تَسْعَى الْوُشَاةُ بِظَنَّةٍ وَأَحْسُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبُ
فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي - وَأَنْتِ أَجْتَرِمْتِهِ وَكُنْتِ أَغْرَ النَّاسِ - عَنْكِ تَطِيبُ
فَاوْ شَنْتِ لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْكِ وَلَمْ يَزَلْ لَكِ الدَّهْرُ مَتْنِي مَا حَيْثُ نَصِيبُ
أَمَّا وَالَّذِي يَبَاوُ السَّرَاوِرَ كُلِّهَا وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ
لَقَدْ كُنْتُ مِمَّنْ تَصْطَفِي النَّفْسُ خُلَّةً لَهَا دُونَ خُلَانِ الصَّفَاءِ حُجُوبُ

ذكر يحيى المكي أنه لأبن سريج ثقيل أول، وقال الهشامي: إنه من منحول يحيى إليه .

ظل النسوة في القمر :

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حدثني الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال حدثني إسحاق الموصلي، وأخبرني به محمد بن مزيد والخسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني سعيد بن سليمان عن أبي الحسن البیضاء قال :

بيننا أنا وصديق لي من قریش غشي بالبلاط ليلاً ، إذا بظل نسوة في القمر ، فسمعتُ إحداهن تقول : أهو هو ؟ فقالت لها أخرى معها : إي والله إنه هو هو !

فدنت مِنِّي ثم قالت : يا كهل ، قل لهذا الذي معك :

ليست لياليك في خاخرٍ بعائدةٍ كما عهدت ولا أيام ذي سلمٍ

فقلت : أجِبْ فقد سمعتُ ، فقال : قد والله قُطِعَ بي وأرتج عليّ فأجِبْ عَنِّي ، فقلت :

فقلتُ لها يا عزَّ كلِّ مصيبةٍ إذا وُطِنْتُ يوماً لها النفسُ ذَلَّتْ

ثم مضينا حتى اذا كُنَّا بَمَفْرَقَ طَرِيقَيْنِ مَضَى الْفَتَى إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَضَيْتُ إِلَى مَنْزِلِي،
فَإِذَا أَنَا بِجَوِيرَةٍ تَجَذَّبُ رِذَايَ فَاتَفَتُ، فَقَالَتْ لِي: الْمَرْأَةُ الَّتِي كَلَّمْتَهَا تَدْعُوكَ،
فَضَيْتُ مَعَهَا حَتَّى دَخَلْتُ دَارًا وَاسِعَةً ثُمَّ صَرْتُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ حَصِيرٌ، وَقَدْ ثَلَّتْ
لِي وَسَادَةٌ جَلَسْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ بِوَسَادَةٍ مَثْنِيَةٍ فَطَرَحَتْهَا، ثُمَّ جَاءَتْ الْمَرْأَةُ
جَلَسْتُ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لِي: أَنْتَ الْحَبِيبُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: مَا كَانَ أَفْظَ جَوَابَكَ
وَإِعْظَمَهُ! فَقُلْتُ لَهَا: مَا حَضَرَنِي غَيْرُهُ، فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا، وَاللَّهِ مَا خَلَقَ
اللَّهُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْسَانٍ كَانَ مَعَكَ! فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا الضَّامِنُ لَكَ عَنْهُ مَا
تُحِبِّينَ، فَقَالَتْ: هِيَ هَاتِ أَنْ يَقَعَ بِذَلِكَ وَفَاءً، فَقُلْتُ أَنَا الضَّامِنُ وَعَلَيَّ إِنْ آتَيْكَ
بِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ فَانْصَرَفْتُ، فَإِذَا الْفَتَى بِبَابِي، فَقُلْتُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: ظَنَنْتُ
أَنَّهَا سَتُرْسِلُ إِلَيْكَ وَسَأَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَعْرِفْ لَكَ خَبْرًا، فَظَنَنْتُ أَنَّكَ عِنْدَهَا،
فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُكَ، فَقُلْتُ لَهُ: وَقَدْ كَانَ الَّذِي ظَنَنْتُ، وَقَدْ وَعَدْتُهَا إِنْ آتَيْكَ فَأَمْضِيَ
بِكَ إِلَيْهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا تَهَيَّأْنَا وَانْتَظَرْنَا الْمَسَاءَ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ رَحَلْنَا
إِلَيْهَا، فَإِذَا الْجَارِيَةُ مُنْتَظِرَةٌ لَنَا، فَضَتْ إِمَامَنَا حِينَ رَأَتْنَا حَتَّى دَخَلْتُ تِلْكَ الدَّارَ وَدَخَلْنَا
مَعَهَا، فَإِذَا رَاحَةٌ طَيِّبَةٌ وَمَجْلِسٌ قَدْ أُعِدَّ وَنُصِّدٌ، فَجَلَسْنَا عَلَى وَسَائِدٍ قَدْ تُنِيتُ
وَجَلَسْتُ مَلِيًّا ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَعَاتَبَتْهُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَتْ:

صوت

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشَمْتُ لِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أَرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فَلَوْ كَانَ قَوْلُ يَكْلُمُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَأَ بِجِلْدِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كُلُّوْمُ

هذه الايات لاميسة امرأة ابن الدُمينة، وفيها غناء لابراهيم الموصلي ذكره
إسحاق ولم يُجَيِّسْهُ. وقال الهشامي: هو خفيف رمل، وفيه لعريب خفيف
ثَقِيلٌ أَوَّلٌ يُنسَبُ إِلَى حَكَمِ الْوَادِي وَإِلَى يَعْقُوبَ. قَالَ: ثُمَّ سَكَتَتْ وَسَكَتَ
الْفَتَى هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ:

غَدَرْتُ ولم أَغْدِرْ وَخُنْتُ ولم أُخْنِ وفي بعض هذا للحجب عَزَاءُ
جَزِيَّتِكَ ضَعْفَ الْوَدِّ ثُمَّ صَرَمْتَنِي حُبُّكَ مِنْ قَلْبِي إِلَيْكَ أَدَاءُ
فَأَلْتَفَتَتْ إِلَيَّ فَقَالَتْ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ! قَدْ خَبَرْتُكَ ، فَعَمَزَتْهُ أَنْ كُفَّ
فَكَفَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ :

صوت

تَجَاهَلْتُ وَصَلِي حِينَ جَدَّتْ عَمَائِي فَهَلَّا صَرَمْتَ الْحَبْلَ إِذْ أَنَا أَبْصِرُ
وَلِي مِنْ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتَهُ نَصِيبٌ وَإِذْ رَأَيْتُ جَمِيعُ مُوقِرُ
وَلَكِنَّا آذَنْتَ بِالصَّرْمِ بَغْتَةً وَلَسْتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي جِئْتُ أَقْدِرُ
الغناء لا إبراهيمَ ثَقِيلُ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو - فَقَالَ :

لَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي - وَأَنْتِ أَجْتَرِمِي وَكُنْتَ أَعَزَّ النَّاسِ - عَنْكَ تَطْيِيبُ
قَالَ : فَبَكَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَوْ قَدْ طَابَتْ نَفْسُكَ ! لَا ، وَاللَّهِ مَا فِيكَ بَعْدَهَا
خَيْرٌ ، ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَقِي بَضَائِكَ وَلَا يَغِي بِهِ عَنْكَ .
وَهَذَا الْبَيْتُ الْآخِرُ لِلْمَجْنُونِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرَ هُنَا وَلَيْسَ مِنْ أَخْبَارِ الْمَجْنُونِ
لِذِكْرِهِ فِيهِ .

رجع الخبر الى سياقة أخبار المجنون

مر ولم يلهم بليلي :

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكَرْنِيُّ عَنْ الْعَمْرِيِّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ أَنَّ رَهْطَ
الْمَجْنُونِ أَجْتَازُوا فِي نُبْجَةٍ لَهُمْ بِحْيَى لَيْلَى ، وَقَدْ جَمَعْتَهُمْ نُبْجَةً فَرَأَى أَيْيَاتَ أَهْلِ
لَيْلَى وَلَمْ يُقَدِّمِ عَلَى الْإِمَامِ بِهِمْ وَعَدَلَ أَهْلَهُ إِلَى جِهَةِ أُخْرَى ، فَقَالَ الْمَجْنُونُ :

(١) النُبْجَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ : الذَّهَابُ فِي طَلَبِ الْكَلَامِ وَالْعُشْبُ فِي مَوْضِعِهِ .

لعمرك إن البيت بالقبيل الذي مررت ولم ألم عليه لسانق
 وبالجزع من أعلى الجنبية منزل شجا حزن صدري به متضايق
 كأنني إذا لم ألق ليلى معلق بسين أهفو بين سهل وحالق
 على أنني لو شئت هاجت صباقي علي رسوم عي فيها التناطق
 لعمرك إن الحب يا أم مالك بقلبي يراني الله منه للاصق
 يضم علي الليل أطراف حركم كما ضم أطراف القيصر البناتق

صوت

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشق
 نعم صدق الواشون أنت حبيبة إلي وإن لم تصف منك الخلاق

الغناء لمتم ثقيل أول من جامعها . وفيه لدعامة رمل عن حبش .

حديث ليلى مع جارتها :

أخبرني أحمد بن جعفر جعظة قال حدثني أحمد بن الطيب قال قال ابن
 الكلبي : دخلت ليلى على جارة لها من عقيل وفي يدها مسواك تستاك به ،
 فتنقست ثم قالت : سقى الله من أهدى لي هذا المسواك ؛ فقالت لها جارتها :
 من هو ؟ قالت : قيس بن الملوح ، وبكت ثم تزعت ثيابها تغسل ؛ فقالت :
 ويحك ! لقد علق مني ما أهلكه من غير أن أستحق ذلك ، فنشدتك الله ،
 أصدق في صفتي أم كذب ؟ فقالت : لا والله ، بل صدق ؛ قال : وبلغ المجنون
 قولها فبكى ثم أنشأ يقول :

(١) القبل : الناحية .

(٢) الجزع : منحرج الوادي ومنعطفه .

(٣) السب : الجبل كالسب اي يذهب في الهواء .

(٤) أهفو : أذهب في الهواء .

(٥) الخالق : الجبل المرتفع .

نُبِتْتُ ليلي وقد كنتُ نبِغَ لها قالت سقى المزنُ غيثاً منزلاً خرباً
وحبذا راكبٌ كنتُ نَهَشْتُ به يُهدي لنا من أراكِ الموسمَ القُضْباً
قالتُ لجارتها يوماً نَسَّأَلُها لَمَّا اسْتَحَمَّتْ وألَقَتْ عندها السَّلباً
يا عَمْرُكَ اللهُ أَلَا قُلْتُ صَادِقَةً أَصَدَقْتُ صِفَةَ المجنون أم كَذَباً
ويروى: «نشدتكِ اللهُ» ويروى: «أصادقاً وصفَ المجنون أم كذباً».

ليلي تخرج مع زوجها:

وقال أبو نصر في أخباره: لما زُوِّجَتْ ليلي بالرجل الثقفي سمع المجنون رجلاً
من قومها يقول لآخر: أنتَ بمن يُشْتَعُ ليلي؟ قال: ومتى تخرج؟ قال: غداً،
صُخُوةً أو الليلة، فبكى ثم قال:

صوت

كَأَنَّ القلبَ ليلةٌ قِيلَ يُغْدَى بليلى العاِمِرِيَّةِ أو يُرَاحُ
قطاةٌ عَزَّها شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الجَنَاحُ

الغناء ليحيى المكي خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو، وفيه رَمَلٌ ينسب إلى
إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكي؛ وقال حَبَشٌ: فيه خَفِيفٌ ثَقِيلٌ لُسْلِمٌ.

غريب الدار في أرض عامر:

وقال الهيثمُ بنُ عديٍّ في خبره: حدثني عبدالله بن عِيَّاش الهَمْدَانِي قال
حدثني رجلٌ من بني عامر قال: مُطِرْنَا مَطَرًا شَدِيدًا في ربيعِ أَرْتَبَعْنَاهُ، ودام
المطرُ ثلاثاً ثم أَصْبَحْنَا في اليوم الرابع على صَخُورٍ وخرج الناسُ يمشون على الوادي،
فرايتُ رجلاً جالساً حَجَرَةً وحده فقصدته، فإذا هو المجنون جالسٌ وحده يبكي

(١) السَّلبُ: كل ما على الإنسان من ثياب.

(٢) حَجَرَةٌ: ناحية.

فوعظته وكلمته طويلاً وهو ساكت لم يرفع رأسه إليّ ، ثم أنشدني بصوت حزين
لا أنساه أبداً وحرقته :

صوت

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَنِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتِي غُرُوبُ^(١)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ يَكُونُ يَوَادٍ أَنْتَ فِيهِ قَرِيبُ
يَكُونُ أَجَاجًا^(٢) دُونَكُمْ فَإِذَا أَنْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّى طَيْبَكُمْ فَيَطِيبُ
أَظَلُّ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ أَلَا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبُ
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْنَ الْحُمَى إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ حَلِيبُ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرُرْ حَيِّيًا وَلَمْ يَطْرَبْ^(٣) إِلَيْكَ حَيْبُ

وأول هذه القصيدة - وفيه أيضاً غناء - :

صوت

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ وَهَجْرَانُهُ مِنِّي إِلَيْهِ ذُنُوبُ
هَجْرُكَ مَشْتَاقًا وَزُرْتُكَ خَائِفًا وَفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرَ مِنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَغْفِرُ الْإِيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا بِيَوْمِ سُرُورٍ فِي هَوَاكَ تُثِيبُ

هذه الابيات في شعر محمد بن أمية مَرْوِيَّةٌ ، وَرُوِيَتْ هَا هُنَا لِلْمَجْنُونِ . وفيها
لَعَرِيبٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، ولعبدالله بن العباس ثاني ثَقِيلٍ ، ولأحمد بن المكي
خَفِيفٌ ثَقِيلٌ :

وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الطَّرِيدِ وَبَاعَدْتُ إِلَى النَّفْسِ حَاجَاتُ^(٤) وَهْنٍ قَرِيبُ

(١) غروب : دموع .

(٢) ماء أجاج : ملح مر .

لئن حال يأسٌ دون ليلي لربما أتى اليأسُ دون الامر فهو عَصِيبُ
ومثيتني حتى إذا ما رأيتني على شرفٍ للناظرين يُريبُ
صددتِ وأشمتِ العدوَّ بصرُنا أتابك يا ليلي الجزاءُ مُثِيبُ

عندما خر مغشياً على وجهه :

أخبرني هاشم بن محمد الحزامي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا
مهدي بن سابق قال حدثنا بعض مشايخ بني عامر أن المجنون مرَّ في توحشه
فصادف حيَّ ليلي راحلاً ولقيها فجأةً فعرفها وعرفته فصعقَ وخرَّ مغشياً على وجهه ،
وأقبل فتیانٌ من حيِّ ليلي فأخذوه ومسحوا الترابَ عن وجهه ، وأسندوه إلى
صدورهم وسألوا ليلي أن تقفَ له وقفةً فرقتَ لماً رآته به ، وقالت أماً هذا فلا
يجوز أن أفتضحَ به ، ولكن يا فلانة - لامة لها - اذهبي إلى قيس فقولِي له :
ليلى تقرأ عليك السلام ، وتقول لك : أغرز عليَّ بما أنت فيه ، ولو وجدتُ
سبيلاً إلى شفاءِ دائكَ لوقيتُك بنفسي منه ، فضتِ الوليدةُ إليه وأخبرته
بقولها ، فأفاقَ وجلس وقال : أبلغها السلام وقولي لها : هيهات ! إن داني ودواني
أنتِ ، وإن حياتي ووفاتي لفي يديك ، ولقد وكَّلتِ بي شقاءَ لازماً وبلاءَ طويلاً .
ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لأصحابي هي الشمس ضوها
لقد عارضتنا الريحُ منها بنفحةٍ
فأزلتُ مغشياً عليّ وقد مضتُ
أقلبُ بالأيدي وأهلي بعولةٍ
ولم يبق إلا الجلدُ والعظمُ عارياً
أدنياي ما لي في أنقطاعي وغربتي
عديني - بنفسِي أنتِ - وعداً فرجاً

قريبٌ ولكن في تناوُلها بُعدُ
على كيدي من طيبِ أرواحها برْدُ
أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا ردُّ
يغدُوني لو يستطيعون أن يغدُوا
ولا عظمَ لي إن دام ما بي ولا جلدُ
إليك ثوابُ منك دينٌ ولا نقدُ
جلاً كربةً المكروب عن قلبه الوعدُ

(١) أناة : انتظار .

(٢) العولة كالعول : رفع الصوت بالبكاء .

وقد يُتَسَلَّى قومٌ ولا كِبْلِيَّتِي ولا مثلَ جَدِّي في الشقاء بكم جَدُّ
غَزَتْنِي جنودُ الحبِّ من كلِّ جانبٍ إذا حان من جندٍ قُفُولٌ^٢ أتَى جُنْدُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المديني يقول قال نُوْفَلُ بنُ مُسَاحِقٍ :
أُخْبِرْتُ عن المجنون أن سببَ تَوَحُّشه أنه كان يوماً بِضَرِيَّةً جالساً وحده إذ ناداه
مُنَادٍ من الجبل :

كَلَّانَا يَا أَخِي يُجِبُّ لَيْلِي بَغِيٍّ وَفِيكَ مِنْ لَيْلِي التُّرابُ
لَقَدْ خَبَلْتُ فَوَادِكَ ثُمَّ ثَلَّتْ بَقْلِي فَهُوَ مَهْمومٌ مُصَابُ
شَرِّكَتِكَ فِي هَوَى مَنْ لَيْسَ تُبْدِي لَنَا الْإِيامُ مِنْهُ سِوَى اجْتِنَابِ

خبر نوفل بن مساحق مع المجنون :

قال : فَتَنَّفَسَ الصُّعْدَاءُ وَغُثِّيَ عَلَيْهِ ، وكان هذا سببَ تَوَحُّشه فلم يُرَ له أثرٌ
حتى وجده نوفلُ بنُ مُسَاحِقٍ . قال نوفل : قَدِمْتُ الْبَادِيَةَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ لِي :
تَوَحَّشَ وَمَا لَنَا بِهِ عَهْدٌ وَلَا نَدْرِي إِلَى أَيْنَ صَارَ ، فَخَرَجْتُ يَوْمًا أَتَصِيدُ الْأَرُؤَى^٣ ،
وَمَعِيَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِنَاحِيَةِ الْحَمَى إِذَا نَحْنُ بِأَرَاكَةِ^٤ عَظِيمَةٍ
قَدْ بَدَأَ مِنْهَا قَطِيعٌ مِنَ الظِّبَاءِ^٥ ، فِيهَا شَخْصٌ إِنْسَانٍ يُرَى مِنْ خَلَلِ تِلْكَ الْأَرَاكَةِ ،
فَعَجِبَ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ ، فَعَرَفْتُهُ وَأَتَيْتُهُ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْمَجْنُونُ الَّذِي أُخْبِرْتُ عَنْهُ ،
فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي وَتَخَفَّفْتُ^٦ مِنْ ثِيَابِي وَخَرَجْتُ أَمْشِي رُويْدًا حَتَّى أَتَيْتُ الْأَرَاكَةَ
فَأَرْتَقَيْتُ حَتَّى صَرْتُ عَلَى أَعْلَاهَا وَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى الظِّبَاءِ ؛ فَأَذَا بِهِ وَقَدْ تَدَلَّى
الشَّعْرُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَكُذِّ أَعْرِفْهُ إِلَّا بِتَأَمُّلٍ شَدِيدٍ ، وَهُوَ يَرْتَعِي فِي ثَمَرِ تِلْكَ
الْأَرَاكَةِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَتَمَثَّلْتُ^٧ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِهِ :

(١) الجَدُّ بِالْفَتْحِ : الْحِطُّ وَالنَّصِيبُ .

(٢) الْقُفُولُ : رَجُوعُ الْجُنْدِ بَعْدَ الْغَزْوِ .

(٣) الْأَرُؤَى : الْوَعُولُ وَهِيَ تَبُوسُ الْجَبَلِ وَاحِدَهُ أَرُؤِيَّةٌ .

(٤) الْأَرَاكَةُ : وَاحِدَةُ الْأَرَاكِ وَهُوَ شَجَرٌ كَثِيرُ الْوَرَقِ وَالْأَغْصَانِ يَنْبِتُ بِالْعُورِ تَتَخَذُ مِنْهُ الْمَسَاوِيكُ .

(٥) أَيِ تَزَعَّتْ شَيْئًا مِنْهَا .

أَبْكِي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ لَيْلَى وَشِعْبَاكُمَا مَعَا

قال : فَتَفَرَّتِ الظُّبَاءُ ، وَأَنْدَفَعَ فِي بَاقِي الْقَصِيدَةِ يُنْشِدُهَا ، فَمَا أُنْسَى حُسْنَ نَعْمَتِهِ وَحَسْنَ صَوْتِهِ وَهُوَ يَقُول :

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيَسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلَمِ أَسْبَلْتُهَا مَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْشَنِي عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ إِنْ تَصَدَّعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِيكَ تَدْمَعَا
مَعِيَ كُلُّ غَيْرٍ قَدْ عَصَى عَاذِلَاتِهِ بِوَصْلِ الْعَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعَرَعَا
إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَاءِ بِنِ اسْرَعَتْ إِلَيْهِ الْعَيُونُ النَّاضِرَاتُ التَّطَلُّعَا

قال : ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِهِ :

يَا دَارَ لَيْلَى بِسِقْطِ الْحَيِّ قَدْ دَرَسَتْ إِلَّا الثَّلَمُ^(١) وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ
مَا تَقْتَأُ الدَّهْرَ مِنْ لَيْلَى تَمُوتُ كَذَا فِي مَوْقِفٍ وَقَفْتَهُ أَوْ عَلَى دَارِ
أَبْلَى عِظَامِكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذِكْرُ كَهَا كَمَا يُنَحِّتُ قِدْحُ^(٢) الشَّوْحَطِ الْبَارِي

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ حَيَّاكَ اللَّهُ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا نُوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ ،
خِيَّائِي فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَحْدَثْتَ بَعْدِي فِي يَأْسِكَ مِنْهَا ؟ فَأَنْشَدَنِي يَقُول :

أَلَا حُجِبَتْ لَيْلَى وَآلَى أَمِيرُهَا عَلَيَّ يَمِينًا جَاهِدًا لَا أَزُورُهَا
وَأُوْعِدَنِي فِيهَا رِجَالُ أَبُوهُمْ أَبِي وَأَبُوهَا خَشِنَتْ لِي صُدُورُهَا
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهَا وَأَنْ فَوَادِي رَهْنُهَا وَأَسِيرُهَا

قال : ثُمَّ سَنَحْتُ لَهُ ظُبَاءَ فَقَامَ يَعْدُو فِي أَثَرِهَا حَتَّى لَحِقَهَا فَضَى مَعَهَا .

(١) الثَّلَم : نبت في البادية ، كان العرب يَسْدُون به خصاص البيوت ، وهو من الثبات الذي لا يطول .

(٢) القِدْح : السهم . والشَّوْحَط : ضرب من النبع تتخذ منه القسي ، وهو من اشجار الجبال .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال : حدّثني علي بن الصّباح عن ابن الكلبي قال : لما قال مجنون بني عامر :

قضاها لغيري وأبتلاني بحبّها فهلاً بشيء غير ليلى أبتلانيا

نودي في الليل : أنت المتسخط لقضاء الله والمعترض في أحكامه ! وأختلس عقله فتوحش منذ تلك الليلة وذهب مع الوحش على وجهه . وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيت من أشهر أشعاره ، والصوت المذكور بذكره أخبار المجنون هاهنا منها . فيها أيضاً عدّة أبيات يُغنى فيها ، فمن ذلك :

صوت

أعد الليالي ليلة بعد ليلة :

أعدّ الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشتُ دهرًا لا أعدّ الليالي
أراني إذا صليتُ يَمُمْتُ نحوها بوجهي وإن كان المصلّي ورائي
وما بي إشراكٌ ولكنّ حبّها كمود الشجأ أعياء الطيب المداوي
أحبّ من الاسماء ما وافق أسمها وأشبهه أو كان منه مداني
في هذه الابيات هزجٌ خفيفٌ لمعان مغزّي :

صوت

وخبرتماني أنّ تيماء منزلٌ ليلي إذا ما الصيفُ ألقى المراسيّا
فهذي شهورُ الصّيف عني قد أنقضتُ فما للنّوى ترمي بليلى المرامي
في هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعته عجوزٌ عمير الباذغيسي^١ على لحن إسحاق :
أماويّ إنّ المالَ غادر ورائحُ

(١) نسبة الى باذغيس وباذغيس ناحية تشتمل على قرى .

وله حديث قد ذكر في أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغني ، لانه
أشهر في أيدي الناس ، وإنما هو لحن إسحاق أخذ فجعل على هذه الايات وكيد
بذلك :

صوت

فلو كان واش باليامة يئسه وداري بأعلى حصر موت أهتدي ليا
وماذا لهم - لا أحسن الله حالهم - من الحظ في تضرع ليلى حباليا
فأنت التي إن شئت أشقيت عيشي وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التي ما من صديق ولا عدا يرى نضوا ما أبقيت إلا رثي ليا
أمضوبة ليلى على أن أزورها ومثخذ ذنبا لها أن ترائيا
إذا برت في الارض الفضاء رأيتني أصانع رجلي أن يميل حباليا
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن شمالاً يئازعني الهوى عن شماليا
أحب من الاسماء ما وافق اسمها وأشبهه أو كان منه مدانيا
هي السحر إلا أن للسحر رقية وإني لا ألي لها الدهر راقيا

وأنشد أبو نصر للمجنون وفيه غناء :

صوت

تكاد يدي تندي إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الورق الخضر
أبي القلب إلا حبها عامرية لها كنية عمرو وليس لها عمرو
الغناء لعريب ثقيل أول ، وذكر الهشامي أن فيه لإسحاق خفيف ثقيل .

المجنون يرثي ابيه :

اخبرني محمد بن مزيد بن ابي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابيه
عن الهيثم بن عدي قال : أنشدني جماعة من بني عُقيل للمجنون يرثي اياه ، ومات
قبل اختلاطه وتوحشه ، فعقر على قبره ورثاه بهذه الابيات :

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتي بذي السّرح لما أن جفّته أقاربُه
وقلتُ لها كوني عقيراً فإنني غداة غدٍ ماشٍ وبالأُمس رابكُه
فلا يُبعدنك الله يا بن مزاحم وكلّ أمرى وِلْموتٍ لا بدّ شارِبُه
فقد كنت طلاعَ التجارِ ومُعطيَ الـ جِيادٍ وسيفاً لا تُقلّ مضاربُه

شعره على اثر موعظة :

اخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الخزامي عن
محمد بن مَعْن قال : بلغني ان رجلاً من بني جعدة بن كعب كان اخاً وخالاً للمجنون
مرّ به يوماً وهو جالسٌ يخطّ في الارض ويعبث بالخصي ، فسلم عليه وجلس عنده ،
فأقبل يخاطبه ويعظه ويُسلّيه ، وهو ينظر اليه ويلعب بيده كما كان وهو مُفكّر
قد غمره ما هو فيه ، فلما طال خطابه إياه قال : يا أخي ، اما لكلامي جواب ؟
فقال له : والله يا أخي ما علمتُ أنك تُكلمني فاعذرني ، فإني كما ترى مذهبُ
العقلِ مُشترِكُ اللَّبِّ وبكى ، ثم أنشأ يقول :

صوت

وشُغِلْتُ عن فهم الحديث سوى ما كان منك فإنه سُغلي
وأديمُ لَحْظِ مُحَمَّدِي ليرى أن قد فهمتُ وعندكم عَقلي

تجاوب الحمام :

الغناء لِعُلُوَيْه . وقال الهيثم : مرّ المجنون بوادي في ايام الربيع وسماه يتجاوب
فأنشأ يقول :

صوت

ألا يا حَمَامَ الأيكَ ما لكَ باكياً أفا رقتَ إلناً أم جفاكَ حبيبُ
دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنَّمتَ هتوفُ الضحى بين الغصون طروبُ
تجاوبُ ورقاً قد أذنَ لصوتها فكلُّ لكلِّ مُسعدٌ ومُحبيبُ
الغناء لرداذ ثقيلٌ أولٌ مطلق في مجرى الوسطى .

يزورها في غياب زوجها :

وقال خالد بنُ حمل : حدثني رجالٌ من بني عامر أن زوجَ ليلى وأباها خرجا
في أمرٍ طروقَ الحَيَّ إلى مكة ، فأرسلت ليلى بأمةٍ لها إلى المجنون فدعته فأقام عندها
ليلةً فأخرجته في السَّحر ، وقالت له : يسر إليّ في كلِّ ليلة ما دام القومُ سَفْراً ،
فكان يُخْتَلَفُ إليها حتى قدِموا . وقال فيها في آخر ليلةٍ لقيها وودَّعته :

تمتّعُ بليلى إلنا أنتَ هامةٌ من الهام يدنو كلَّ يومِ حمأها
تمتّعُ إلى أن يرجعَ الراكبُ إليهم متى يرجعوا يحرمُ عليكَ كلامها

عندما مرض قيس :

وقال الهيثمُ : مرضَ المجنونُ قبل أن يخلطَ فعادهُ قومُه ونساؤهم ولم تعدْ
ليلى فيسن عاده ، فقال :

صوت

ألا ما ليلي لا تُرى عند مَضْجعي بليلى ولا يُجري بها لي طائرُ

(١) هتفت الحَمَامَة هتفاً : ناحت ، فهي هتوف .

(٢) أي استمعن لصوتها وأصغين إليه .

(٣) من أسعدت المرأةُ المرأةَ إذا ساعدتها بالنيابة في مصيبتها .

(٤) الهامة : أعلى الرأس واسم طائر ، وكان العرب يزعمون أن عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير
هامة فتطير . ونشأ من هذا الزعم قولهم : « هذا هامة اليوم أو غد » أي يموت اليوم أو غداً .

بلى إنَّ عَجَمَ الطَّيْرِ تَجْرِي إِذَا جَرَتْ بليلي ولكن ليس للطير زاجرُ
أَحَالَتْ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بذِي الرِّمْتِ أُمٌ قَدْ غَيَّبَتْهَا الْمَقَابِرُ
الغناء لِسُلَيْمٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ .

فَوَاللَّهِ مَا فِي الْقُرْبِ لِي مِنْكَ رَاحَةٌ وَلَا الْبُعْدُ يُسَلِّينِي وَلَا أَنَا صَابِرُ
وَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي بِأَيَّةِ حِيلَةٍ وَأَيَّ مَرَامٍ أَوْ خِطَارٍ أَخَاطِرُ
وَوَاللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا عَلَيَّ لَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ لَجَائِرُ
فَلَوْ كُنْتُ إِذْ أَرَمَعْتُ هَجْرِي تَرْكَيْتَنِي جَمِيعَ الْقُوَى وَالْعَقْلُ مَيْتِي وَافِرُ
وَلَكِنْ أَيَّامِي بِحَقْلٍ عُنَيْزَةٍ وَذِي الرِّمْتِ أَيَّامٌ جَنَاهَا التَّجَاوُرُ
فَقَدْ أَصْبَحَ الْوَدُّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أُمَانِي نَفْسٌ إِنْ تُخَبِّرَ خَابِرُ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَرَهَقْتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ حَيَاتِي وَسَاقَتْنِي إِلَيْكَ الْمَقَادِرُ

رأى غزالا فتذكر ليلي :

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْحَزَنْبَلِ عَنْ عَمْرٍو
ابْنِ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي عُقَيْلٍ قَالَ : قِيلَ لِلْمَجْنُونِ
أَيُّ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَيْلِي ، قِيلَ : دَعُ لَيْلِي فَقَدْ عَرَفْنَا مَا لَهَا عِنْدَكَ
وَلَكِنْ سِوَاهَا ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَعْجَبَنِي شَيْءٌ قَطُّ فَذَكَرْتُ لَيْلِي إِلَّا سَقَطَ مِنْ
عَيْنِي وَأَذْهَبَ ذِكْرُهَا بِشَاسْتِهِ عِنْدِي ، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ ظَلِيماً مَرَّةً فَتَأَمَّلْتُهُ وَذَكَرْتُ
لَيْلِي فَجَعَلَ يَزْدَادُ فِي عَيْنِي حُسْنًا ، ثُمَّ إِنَّهُ عَارَضَهُ ذَنْبٌ وَهَرَبَ مِنْهُ فَتَبِعْتُهُ حَتَّى خَفِيََا
عَنِّي فَوَجَدْتُ الذَّنْبَ قَدْ صَرَعَهُ وَأَكَلَ بَعْضَهُ ، فَرَمَيْتُهُ بِسَهْمٍ فَمَا أَخْطَأْتُ مَقْتَلَهُ ،
وَبَقَرْتُ بَطْنَهُ فَأَخْرَجْتُ مَا أَكَلَ مِنْهُ ، ثُمَّ جَمَعْتُهُ إِلَى بَقِيَّةِ شَاوِهِ وَدَفَنْتُهُ وَأَحْرَقْتُ
الذَّنْبَ ، وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

- (١) الرمت : شجر يشبه الغضا لا يطول وينبسط ورقه . وذو الرمت : وادٍ لبني أسد .
- (٢) عنيزة : بقعة ينتهي إليها ماء أودية وحقل عنيزة : موضع الحقل أي الاجتماع .
- (٣) الشلو : الجسد من كل شيء ويطلق على العضو من أعضاء اللحم .

أبى الله أن تبقى لحى بشاشة
فصبراً على ما شاء الله لي صبرا
رأيت غراً لا يرتعي وسط روضة
فقلت أرى ليلي تراءت لنا ظهراً
فيا ظلي كل رعداً هنيئاً ولا تحف
فإنك لي جار ولا ترهب الدهراً
وعندي لكم حصن حصين وصارم
فما راعني إلا وذنب قد انتحى
حسام إذا أعلمته أحسن الهبراً
فأعلق في أحشائه الناب والظفراً
فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرأ
ففوقت سهمي في كتوم غمزتها
فأذهب غيظي قتله وشني جوى
بقلي إن الحر قد يدرك الوترأ

زوج ليلي يسب قيساً :

قال أبو نصر : بلغ المجنون قبل توحشه أن زوج ليلي ذكره وعضه وسبه
وقال : أو بلغ من قدر قيس بن الملوح أن يدعي محبة ليلي ويؤنوه باسمها ! فقال
ليغيظه بذلك :

فإن كان فيكم بعل ليلي فإني
وذي العرش قد قبلت فاهاً ثانيا
وأشهد عند الله أنني رأيتها
وعشرون منها أصبعا من ورائها
أليس من البلوى التي لا شوى لها
بأن زوجت كلباً وما بذلت ليا

عفا الله عن ليلي :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا

(١) الهبر : القطع .

(٢) انتحى : اعترض .

(٣) فوقت : سدّدت .

(٤) الكتوم من القسي : التي لا ترن .

(٥) عضه يعضه عضها : قال فيه ما لم يكن .

(٦) لا شوى لها أي لا بقيا لها . والمراد وصف البلوى بتمهي الشدة يقال : القتل الخطئة
التي لا شوى لها أي لا بقيا لها ، ومنه قول الهذلي :

فإن من القول التي لا شوى لها إذا زلّ عن ظهر اللسان أغفلاتها
يريد بالقول الكلمة التي لا إبقاء لها أي القاتلة .

عليّ بن الصباح عن ابن الكلبي قال : خرج المجنون في عدّة من قومه يريدون
سَفَرًا لهم ، فمروا في طريق يتشعب وجهتين : إحداهما ينزلها رهط ليلي وفيها
زيادة مرحلة ، فسألهم أن يعدلوا معه الى تلك الوجهة فأبوا ، فمضى وحده وقال :

صوت

أَتَرَكَ ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إني إذا لَصَبُورُ
هَبُونِي أمرًا منكم أضل بعيرَه له ذِمَّةٌ إنَّ الذِّمَامَ كبيرُ
وَلِلصَّاحِبِ المَتْرُوكِ أعظمُ حرمةً على صاحبٍ من أن يَضِلَّ بعيرُ
عفا الله عن ليلي الغداة فإنها إذا وَلَيْتُ حُكْمًا عليّ تَجُورُ

الغناء لأبن سريج خفيف رمل بالوسطى عن حبش ، وفيه لأبن المارق
خفيف ثقيل عن الهشامي ، وفيه لعلويه رمل بالبنصر .

حمامة السرح :

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبَانِي عن أبيه : أن المجنون كان ذات ليلة
جالسًا مع أصحاب له من بني عمه وهو وكه يتلفظ ويتسلل وهم يعظونه ويحاذثونه
حتى هتفت حمامة من سَرَحَةٍ كانت بإزائهم ، فوثب قائمًا وقال :

صوت

لقد غَوَّدَتُ في جنح ليل حمامةٌ على إلفها تبكي وإنني لنائمُ
كذبتُ وبيت الله لو كنتُ عاشقًا لما سَبَقَتْنِي بالبكاء الحمامُ
ثم بكى حتى سقط على وجهه مَغْشِيًا عليه ، فما أفاق حتى حَمَيْتِ الشمسُ عليه
من غدر . الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دَحْمَانَ ثقيل أول مطلق في مجرى
الوسطى .

(١) السرح : واحدة السرح ، وهو كل شجر لا شوك فيه وقيل كل شجر طال .

في رمل يبرين :

وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلاً مرّ بالمجنون وهو برمل يبرين^(١) يحيط
فيه ، فوقف عليه متعجباً منه وكان لا يعرفه ، فقال له : ما بك يا أخي ؟ فرفع
رأسه إليه وأنشأ يقول :

بني اليأس والداء الهيامُ أصابني فأياك عني لا يكن بك ما بيا
كان جفون العين تهسي دموعها غداة رأت أظعان ليلى غوادياً
غروب أمرتها نواضح بزل على عجل عجم يروين صاديأ

اليانيون الذين اهاجوا اشواقه :

وقال خالد بن جمل : ذكر حماد الراوية أن نفراً من اهل اليمن مروا بالمجنون ،
فوقفوا ينظرون اليه فأنشأ يقول :

ألا أيها الركب اليانئون عرجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانياً
نسائلكم هل سال نعان بعدنا وحب الينا بطن نعان وادياً
يقول في هذه القصيدة :

صوت

ألا يا حمامي قصر ودان هجتنا علي الهوى لما تغنيت ليا
فأبكيك في وسط صغي ولم أكن أبالي دموع العين لو كنت خالياً

(١) قرية كثيرة النخل والعيون العذبة وفيها رمل كثير، بينها وبين الأحساء مرحلتان .

(٢) الأظعان : جمع ظليعة وهي الجمل يظعن عليه .

(٣) الغروب : جمع غرب وهو الدلو الكبير الذي يستقى به على السانية . وأمرتها : جعلتها
تمر وتذهب . والنواضح : جمع ناضح ، وهو ما يستقى عليه الماء من نحو البعير والثور وغيرها من
النضح وهو سقي الزرع وغيره بالسانية . والبزل : جمع بازل وهو البعير الذي استكمل السنة الثامنة
وظعن في التاسعة وفطر نابه .

غنى في هذين البيتين علويه غناء لم ينسب .

فوالله إني لا أحب ، لغير أن تحل بها ليلي ، البراق^(١) الأعالي
ألا يا خليلي حب ليل مجشمي حياض المنايا أو مقيدي^(٢) الاعادي
ويا أيها القمريتان تجاوبا بلعنيكما ثم أسجعا^(٣) عللانيا
فإن أنتما استطربتما^(٤) وأردتما خلأقا^(٥) بأطراف الغضى فأتبعانينا

ليلي التي رحلت فزال لب قيس :

قال أبو نصر : وذكر خالد بن كلثوم أن زوج ليلي لما أراد الرحيل بها الى
بلده بلغ المجنون أنه غادر بها فقال :

صوت

أمرمة^(١) للبين ليلي ولم تمت كأنك عما قد أظلك غافل
ستعلم إن شطت بهم غربة^(٢) النوى وزالوا بليلى أن لبك زائل
الغناء للربيع بن دحمان ثقیل أول بالوسطى :

قال أبو نصر قال خالد : وحدثني جماعة من بني قشير أن المجنون سقم سقاماً
شديداً قبل اختلاطه حتى أشنى على الهلاك ، فدخل اليه أبوه يعلله^(٣) فوجده ينشد هذه
الأبيات ويبكي أحراً^(٤) بكاء ، وينشج^(٥) أحراً^(٥) نشج :

ألا أيها القلب الذي لج هائماً بليلى وليداً لم تقطع^(١) قائمه
أفق^(٢) قد أفاق العاشقون وقد أنى حالك أن تلقى^(٣) طيباً ثلاثة

(١) البراق : أرض غليظة مختلطة بججارة ورمل .

(٢) مقيدي : جاعل قيادي في يد الاعداء .

(٣) استطربتما : طلبتما الطرب .

(٤) يعلله : يحدسه ويسليه .

(٥) ينشج : من نشج الباكي نشجاً أي غس بالبكاء في حلقه من غير انتخاب .

فما لك مسلوب الغراء كأنما ترى نأبي ليلى مغرماً أنت غارم
أجدك لا تنسيك ليلى مليمه قلم ولا ينسيك عهداً تقادمه

الجمان السائل على الجيوب :

قال : ووقف مستتراً ينظر الى اظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها ، فلما
رأهم يرتحلون بكى وجرع ، فقال له ابوه : ويحك ! إنما جئنا بك متخفياً ليتروح
بعض ما بك بالنظر اليهم ، فإذا فعلت ما أرى عرفت ، وقد أهدر السلطان
دمك إن مرت بهم ، فأمسك أو فأنصرف ؛ فقال : ما لي سبيل إلى النظر اليهم
يرتحلون وأنا ساكن غير جازع ولا بالك فأنصرف بنا ، فأنصرف وهو يقول :

صوت

ذُرِّ الدَّمْعِ حتى يظعن الحمي إنما دموعك إن فاضت عليك دليل
كان دموع العين يوم تحملوا جمان على جيب القميص يسيل
أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض
أصحابه عن ابن الاعرابي للمجنون :

صوت

ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرة أعالجها لا أستطيع لها رداً
إذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا وجدت لمرأها ومنسها برداً
على كيد قد كاد يُبدي بها الهوى ندوبا وبعض القوم يحسبني جلداً
هذا البيت الثالث خاصة يُروى لابن هرمة في بعض قصائده ، وهو من المائة
المختارة التي رواها إسحاق ، أوله :

(١) تحملوا : ارتحلوا .

(٢) جيب القميص : ما يفتح على النحر .

أفاطمَ إِنَّ التَّايَّ يُسلي من الهوى

وقد أخرج في موضع آخر . غنى في هذين البيتين عبدُ آل الهذلي ، ولحنه المختارُ على ما ذكره جحظةُ ثاني ثقيل ، وهما في هذه القصيدة :

وَإِنِّي يَمَانِي الهوى مُنْجِدُ النَّوى سبيلان ألقى من خلافهما جَهْدًا
سَقَى اللهُ نَجْدًا من ربيعٍ وَصَيْفٍ وماذا يُرْجَى من ربيع سَقَى نَجْدًا
بلى إِنَّه قد كانَ للعيش قُرَّةً وللصَّحْبِ والرُّكبانِ منزلةَ حَمْدًا
أبى القلبُ أَنْ ينفكَ من ذِكْرِ نِسوةٍ رِقَاقٍ ولم يُخْلَقنْ سُوءًا ولا نَكْدًا
إِذَا رُحْنٌ يَسْحَبُ الذُّيُولَ عَشِيَّةً وَيَقْتُلْنَ بالألحاظِ أَنْفُسَنَا عَمْدًا
مَشَى عَيْطَلَاتٌ رُجَّحٌ بِخُصُورِهَا رَوادِفٌ وَعَنَاتٌ تَرْدُ الأُحْطَا رَدًّا
وَتَهَتَّتْ لى العامريةُ فوقَها ولائتْ بِسَبِّ القَرَّ ذَا غُدُرٍ جَعْدًا
إِذَا حَرَكَ المَدْرَى صَفَاثِرَها العُلا مَجْجَنَ نَدَى الرِّيحانِ والعنبرِ الأورْدَا

وأخبارُ الهذليَيْنِ تُذكر في غير هذا الموضع إن شاء اللهُ لئلا تنقطع أخبارُ المجنون، ولها في المائة الصوت المختارة أغانٍ تذكر أخبارها معاً إن شاء الله .

مشابه من ليلي :

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدثني ميسونُ بن هارونَ قال ذكر الهيثمُ

- (١) حمد أي محمود .
- (٢) العيطلات : جمع عيطلة وهي الطويلة العنق في حسن ، وتوصف به المرأة والثافة ، والمراد بها هنا النياق .
- (٣) الروادف : الأعجاز . غير قياس أو هو جمع رادفة .
- (٤) الوعنات : اللينات .
- (٥) لامت : لغت وعصبت ، يقال : لاث العمامة على رأسه لوثاً إذا لغها وعصبها .
- (٦) السب : الحمار .
- (٧) الغدر : جمع غديرة وهي الذؤابة .
- (٨) المدرى : المشط وقيل : حديدة على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرَّح بها الشعر المتلبد .

ابن عدي، وأخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال: مرّ المجنونُ برجلين قد صادا ظبيةً فربطاهما بحبلَةٍ وذهبا بها، فلما نظر إليها وهي تركّضُ في حبالهما دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وقال لهما: حَلَّاهُا وَخُذَا مَكَانَهَا شاةً من غنمي - وقال ميسونُ في خبره: وَخُذَا مَكَانَهَا قَلُوصاً من إيلي - فأعطاهما وَحَلَّاهُا فَوَلَّتْ تَعْدُو هَارِبَةً. وقال المجنونُ للرجلين حين رآها في حبالهما:

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذَا في الحبلِ شَبْهاً لليلي ثم غَلَّاهَا
إني أرى اليومَ في أعطافِ شاتِكُما مَشاياً أَشْبَهَتْ ليلي فَعَلَّاهَا

قال: وقال فيها وقد نظر إليها تعدو أشدَّ عدوٍ هاربةٍ مذعورةٍ:

صوت

أيا شَبْهَ ليلي لا تُراعي فَإِنِّي لكِ اليومَ من وَحْشِيَّةٍ أَصْدِيقُ
ويا شَبْهَ ليلي لو تَلَبَّثْتُ سَاعَةً لعلَّ فَوَادِي مِنْ جَوَاهِ يُفِيقُ
تَفِرُّ وقد أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا فَأَنْتِ لِليلي لو عَلِمْتَ طَلِيقُ

المجنون يصف ليلي ويظهر الغزال:

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحمول أن ابن الأعرابي أخبرهما أن نسوةً جلسنَ إلى المجنون فقلن له: ما الذي دعاكَ إلى أن أحللتَ بنفسك ما ترى في هوى ليلي، وإفَّا هي امرأةٌ من النساء، هل لكَ في أن تصرفَ هَواكَ عنها إلى إحدانا فَنُشَاعِفَكَ وَنَجْزِيكَ بهَواكَ وَيرجعَ اليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك؟ فقال لهنَّ: لو قَدَرْتُ على صرفِ الهوى عنها اليكَنَّ لصرَفْتُهُ عنها وعن كلِّ أحدٍ بعدها وعِشْتُ في الناسِ سوياً مستريحاً؛ فقلن له: ما أعجبك منها؟ فقال: كلُّ شيءٍ رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبتني، والله ما رأيتُ شيئاً منها قطَّ إلا كان في عيني حَسناً وبقلبي عِلْقاً، ولقد جَهِدْتُ أَنْ يَقْشَحَ

منها عندي شيء، أو يسبح أو يُعاب لأسلو عنها فلم أجده؛ فقلن له: فصفا لنا،
فأنشأ يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها قمرٌ توسطُ جُنجَ ليلٍ مُبرِدٍ
موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسِدٍ إنَّ الجمالَ مَظَنَّةٌ للحسدِ
وتُري مدامعها تَرقرُقُ مُقلَّةٍ سوداءَ ترغِبُ عن سوادِ الإثمِ
خودٌ إذا كثرُ الكلامُ تعودتُ بحمى الحياءِ وإن تكلمتُ تقصِدُ

قال: ثم قال ابنُ الأعرابي: هذا والله من حسن الكلام ومُنقح الشعر.
وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً، وفيه غناء، قال:

كانَ فؤادي في مخالبِ طائرٍ إذا ذُكرتُ ليلي يَشُدُّ بها قَبْضاً
كانَ جِجاجَ الارضِ حَلَقَةً خاتِماً عليّ، فما تَرَدَّادُ طَوْلاً ولا عَرَضاً

اشمى من الدنيا وما فيها:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهزوبه قال حدثنا أبو
مسلم عن القحذمي قال: قال رجل من عشيرة المجنون له: إني أريد الإلمامَ يجي
ليلي فهل تودعني إليها شيئاً؟ فقال: نعم! قفْ بحيثُ تسمعُك ثم قل:

صوت

اللهُ يعلمُ أنَّ النفسَ هالكةٌ باليأسِ منكِ ولكني أعنيها
مَتَيْتُكَ النفسَ حتى قد أضرتُ بها وأستيقنتُ خُلُفاً ممَّا أميتها
وساعةٌ منكِ أهرها وإن قصرتُ أشهى إليّ من الدنيا وما فيها

- (١) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نَصفاً.
(٢) يقال: فسد في الأمر قصداً: توسط وطلب السداد ولم يجاوز الحد.
(٣) أعنيها: أكلفها ما يشق عليها.

قال : فضى الرجل ، ولم يزل يرقبُ خالوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلي لقد أحسنَ الذي يقول :

اللهُ يعلمُ أنَّ النفسَ هالكةٌ باليأسِ منكِ ولكني أُعْثِيها

وأنشدَ الايات : فبكت بكاء طويلاً ثم قالت : أبلغهُ السلامَ وقل له :

نفسِي فداؤك ، لو نفسي ملكْتُ إذا ما كان غيرُك يَجْزِيها وَيَرْضِيها
صبراً على ما قضاه اللهُ فيكَ على مرارةٍ في أَصْطَباري عنكَ أخفيها

قال : فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها : فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبْتُ لَعُورَةِ الْعُذْرِيِّ أَضْحَى أَحاديثاً لقومٍ بعد قومٍ
وعُورَةُ مات موتاً مُسْتَرْجِماً وها أنا مَيّتٌ في كلِّ يومٍ

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال أنشدنا احمد بن يحيى ثعلب عن أبي نصر للمجنون :

صوت

أيا زينةَ الدنيا التي لا ينالها مُنْايَ ولا يبدو لقلبي صَريْها
بعيني قَذاةٌ من هوائٍ لو أَنْها تُداوِي بِن تَهْوِي لصَحَّ سَقِيْها
وما صَبَرْتُ عن ذِكْرِكَ النفسُ ساعةً وإن كنتُ أحياناً كَثِيراً ألومُها

حلال لليلي شتينا وانتقاصنا :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي سعد قال حدثنا علي بن الصَّبَّاح عن ابنِ الكلبي قال : سأل الملوّحُ أبو المجنون رجلاً قَدِمْ من الطائف أن يمرَّ بالمجنون فيجلسَ اليه فيخبره انه لقيَ ليلي وجلسَ اليها ، ووصفَ له

صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنون ، وقال له : حَدِّثْهَا ، فإذا رَأَيْتَهُ قد
أَشْرَأَبَ حَدِيثَكَ وَأَشْتَهَاهُ فَعَرَفَهُ أَنَّكَ ذَكَرْتَهُ لَهَا ووصفتَ ما به فَشَتَّمَتْهُ وَسَبَّتْهُ ،
وقالت : إنه يكذب عليها وَيُسَهِّرُهَا بفعله ، وإنما ما أَجْتَمَعَتْ معه قط كما يصف ؛
ففعل الرجلُ ذلك ، وجاء اليه فأخبره بلفظها إياها ؛ فأقبل عليه وجعل يسأله عنها ،
فيخبره بما أمره به الملوّح ، فيزداد نشاطاً ويثوبُ اليه عقله ، إلى أن أخبره بسبِّها
إياه وشتمها له ؛ فقال وهو غير مُكْتَرِثٍ لما حكاها عنها :

صوت

تَمَرَّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِي الْغَضَى وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهَبَ هُبُوبُهَا
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالُ فَإِنَّمَا جَوَايَ بِمَا تُهْدِي إِلَيَّ جَنُوبُهَا
قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالْحَلِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
وَحَسْبُ اللَّيَالِي أَنْ طَرَحْتَكَ مَطْرَحًا بَدَارِ قَلْبِي تُسَمِّي وَأَنْتَ غَرِيبُهَا
حَلَالٌ لِلَّيْلِ شَتْمُنَا وَأَنْتَقَاصُنَا هَنِئْنَا وَمَغْفُورٌ لِلَّيْلِ ذُنُوبُهَا

ذكر أبو أيوب المديني أن الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته .
وفيه لمتيم غناء ينسب . وذكر الهيثم بن عدي أن المجنون قال - وفيه غناء - :

صوت

كَأَنْ لَمْ تَكُنْ لِيلى تُزَارُ بِذِي الْأَثَلِ وَبِالْجُرْعِ مِنْ أَجْزَاعِ وَدَانَ فَالْنَخْلِ
صَدِيقٌ لَنَا فَيَا نَزَى غَيْرَ أَنَّهَا تَرَى أَنْ حَبِي قَدْ أَحَلَّ لَهَا قَتْلِي

ليلى فلقة القمر :

أخبرني عمي قال حدثنا الكُرَاني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي عن

(١) اشْرَأَبَ : رفع رأسه لينظر .

عثمان بن عمارة بن حريم عن أشياخ من بني مرة قالوا : خرج منا رجل إلى ناحية الشام والحجاز وما يلي قبا والسراة وأرض نجد ، في طلب بغيه له ، فإذا هو بجيسة قد رفعت له وقد أصابه المطر فعدل إليها وتنحج ، فإذا امرأة قد كلسته فقالت : انزل ، فترل . وراحت إبلهم وغنهم فإذا أمر عظيم ، فقالت : سلاوا هذا الرجل من أين أقبل ؛ فقلت من ناحية تهامة ونجد ؛ فقالت : ادخل إليها الرجل ، فدخلت إلى ناحية من الجيسة ، فأرخت بيني وبينها سترًا ثم قالت لي : يا عبد الله ، أي بلاد نجد وطئت ؟ فقلت : كلها ؛ قالت : فيمن نزلت هناك ؟ قلت : ببني عامر ؛ فتنفست الصعداء ثم قالت : فبأي بني عامر نزلت ؟ فقلت : ببني الحريش ؛ فاستعبرت ثم قالت : فهل سمعت بذكر فتى منهم يقال له : قيس ابن الملوح ويلقب بالمجنون ؟ قلت : بلى والله ! وعلى أبيه نزلت ، وأثبته فظنرت إليه بهم في تلك الغياfi ، ويكون مع الوحش لا يعقل إلا أن تذكر له امرأة يقال لها ليلى ، فيكي ويُنشد أشعاراً قالها فيها . قال : فرفعت الستر بيني وبينها : فإذا فلقه قمر لم تر عيني مثلها ، فبكت حتى ظننت - والله - أن قلبها قد أنصدع ، فقلت : آيتها المرأة ، أتني الله فما قلت بأساً ، فكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت :

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رَحَلُ قيس مُستَقِلٌ فراجعٌ
بنفسي مَنْ لا يستقل برحله وَمَنْ هو إن لم يحفظ الله ضائعٌ

ثم بكيت حتى سقطت مغشياً عليها ، فقلت لها : مَنْ أنت يا أمة الله ؟ وما قصتك ؟ قالت : أنا ليلى المشؤومة عليه غير المؤنس له ؛ فما رأيت مثل حزنها ووجدتها عليه .

موت المجنون عشقاً :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قالوا : حدثنا عمرو بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة ، وأخبرني عثمان عن الكرائي عن العمري عن لقيط ، وحدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم

قال ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عماره ، وذكر ابو نصر احمد بن حاتم صاحب الاصمعي وأبو مسلم المستملي عن ابن الاعرابي - يزيد بعضهم على بعض -

أن عثمان بن عماره المري أخبرهم أن شيخاً منهم من بني مرة حدثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقي المجنون ، قال : فدللت على محلته فأتيتها ، فإذا ابوه شيخ كبير وإخوة له رجال ، وإذا نعم كثير وخير ظاهر ، فسألتهم عنه فاستعبروا جميعاً ، وقال الشيخ : والله لو كان آثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إلي ! وإنه هوي امرأة من قومه ، والله ما كانت تطمع في مثله ، فلما أن فشا أمره وأمرها كره ابوها أن يزوجه من بعد ظهور الخبر فزوجها من غيره ، فذهب عقل ابني وحلقه خبل وهام في الفيا في وجداً عليها ، فبسنه وقيدناه ، فجعل يعرض لسانه وشفتيه حتى خفنا أن يقطعها فخلينا سبيله ، فهو يهيم في الفيا في مع الوحوش ، يذهب إليه كل يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه ، فإذا تنحوا عنه جاء فأكل منه . قال : فسألتهم أن يدلوني عليه ، فدلوني على فتى من الحبي كان صديقاً له وقالوا : إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره ، فأتيته فسألته أن يدلني عليه ، فقال : إن كنت تريد شعره فكل شجرة قاله إلى أمس عندي ، وأنا ذاهب إليه غداً فإن كان قال شيئاً أتيتك به ، فقلت : بل تدلني عليه لآتيه فقال لي : إنه إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره ، فأتيت إلا أن يدلني عليه ، فقال : أطلبه في هذه الصحارى فادن مستأنساً ولا تره أنك تهابه ، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشي ، فلا يروعنك وأجلس صارفاً بصره عنه وأحظه أحياناً ، فإذا رأيته قد سكن من نفاذه فأنشده شعراً غزلاً ، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه معجب به ، فخرجت فطلبته يومي إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خط فيه بأصبعه خطوطاً ، فدنوت منه غير متقبض ، فنفر مني نفور الوحش من الانس ، وإلى جانبه أحجار فتناول حجراً فأعرضت عنه ، فكث ساعة كأنه نافر يريد القيام ، فلما طال جلوسه سكن وأقبل يخط بأصبعه ، فأقبلت عليه وقلت : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نَبِيَّيْ بعلُك في لُبْنَى وأنتَ خَبِيرُ
فإنَّ أنتَ لم تُخَبِّرْ بشيءٍ علمته فلا طُوتَ إلا والجنَّاحُ كَسِيرُ
ودُرَّتْ بأعداءِ حَبِيبِكَ فيهمُ كما قد تَرَانِي بالحبيبِ أدورُ

فأقبل عليّ وهو يبكي فقال : أحسنَ والله ، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث
أقولُ :

كَانَ القلبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بليلى العامرية أو يُراحُ
قطاةٌ غزَّها شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجَنَاحُ

فأمسكتُ عنه هنيهةً ، ثم أقبلتُ عليه فقلت : وأحسنَ والله قيس بنُ ذريح
حيث يقول :

وإني لَمُغْنٍ دمعَ عَيْنِي بالبكا حِذَاراً لما قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاكَ بليلى فراقُ حبيبٍ لم يَبِينْ وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ مَنِيَّتِي بكفِّكَ إلا أن مَنْ حَانَ حَائِنُ

قال : فبكي - والله - حتى ظننتُ أن نفسَه قد فاضتْ ، وقد رأيتُ
دموعَه قد بَلَّتِ الرَّمْلَ الذي بين يديه ، ثم قال : أحسنَ لَعَمْرُ اللهِ ، وأنا والله
أشعرُ منه حيثُ أقول :

صوت

وأذِنْتَنِي حتى إذا ما سَلَيْتَنِي بقولٍ يُجِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الاباطحِ
تَنَاءَيْتَ عَنِّي حينَ لا لي حيلةٌ وخَلَفْتَ ما خَلَفْتَ بينَ الجوانحِ

- ويروى : « وغادرتُ ما غادرتُ . . . » - ثم سنحتُ له ظبيةٌ فوثبَ يعدو

(١) العصم : جمع اعصم وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض . والوعل : تيس الجبل . يريد ان
قولها يجلب العصم ويستنزها من الجبال وهي مساكنها الى الاباطح السهلة .

خلفها حتى غاب عني وأنصرفتُ ، وعدتُ من غدٍ فطلبته فلم أجده ، وجاءت امرأةٌ كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدته بحاله ، فلما كان في اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهله معي فطلبناه يوماً فلم نجده ، وغدونا في اليوم الرابع نستقري أثره حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة حشين ، وهو ميت بين تلك الحجارة ، فاحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه .

ابو ليلى يندم على ما فعل :

قال الهيثم : خدثني جماعة من بني عامر : أنه لم تبق فتاة من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه ، وأجتمع فتیان الحيا يكون عليه أحر بكاء ، وينشجون عليه أشد نسيج ، وحضرهم حي ليلى مغزّين وأبوها معهم فكان أشد القوم جزعا وبكاء عليه ، وجعل يقول : ما علمنا أن الامر يبلغ كل هذا ، ولكني كنتُ أمراً عربياً يخاف من العار وقبح الأحدث ما يخافه مثلي ، فزوجتها وخرجت عن يدي ، ولو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا أحتملت ما كان علي في ذلك . قال : فما ريتي يوم كان أكثر باكيةً وباكياً على ميت من يومئذ .

نسبة ما في هذا الخبر من الاغاني

الصوت الذي أوّله :

ألا يا غرابَ البين ويحك نيتي بعليكَ في لبني وأنتَ خيرُ

الغناء لابن محرز ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن الهشامي ، وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكم . وفي رواية ابن الاعرابي أنه أنشده مكان :

ألا يا غرابَ البين ويحك نيتي بعليكَ في لبني وأنتَ خيرُ

صوت

ألا يا غرابَ الين هل أنتَ مُخَيَّرِي بخيرٍ كما خَبَرْتَ بالنأيِ والشَّرِ
وخبَرْتَ أن قد جَدَّ يَنُّ وَقَرُّوا جمالاً لبينِ مُثَقَّلَاتٍ من العَدْرِ
وهجتَ قَذَى عَيْنِ بَلْبَنِي مَرِيضَةٍ إذا ذُكِرَتْ فاضتْ مدامعُها تجري
وقلتَ كذاكُ الدهرُ ما زالَ فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بباقي على الدهرِ

الشعر لقيس بن ذريح ، والغناء لابن جامع ، ثقیلٌ أول بالسبابة في مجرى
البنصر عن إسحاق . وفيه لبخٍ ثقیلٌ أول بالوسطى عن عمرو . وفيه لدُحمان ثاني
ثقیلٌ عن الهشامي وعبد الله بن موسى .

ومنها الصوت الذي أوله :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بليلى العامرية أو يُراحُ

ومنها الصوت الذي أوله :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بقولٍ يُجِلُّ العُصَمَ سهلَ الاباطحِ

الغناء لابراهيم ، خفيفٌ ثقیلٌ بالوسطى عن الهشامي .

بكاء ابي ليلى :

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ الرَّبْعِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
حَبِيبٍ قَالَ :

لما مات مجنون بني عامر وُجد في أرض خَشِنَةٍ بين حجارةٍ سودٍ ، فحضر أهله
وحضر أبو ليلى - المراقف التي كان يهواها - وهو متذمّمٌ من أهله ، فلما رآه

ميتاً بكى وأسترجع وعلم أنه قد شَرِكَ في هلاكه ، فبينما هم يَقْلِبُونَهُ إِذْ وَجَدُوا
خِرْقَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

أَلَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي مَا بَنَا يَرْضَى شَقِيتَ وَلَا هُنَيْتَ مِنْ عَيْشِكَ الْعَصَا
شَقِيتَ كَمَا أَشَقَيْتَنِي وَتَرَكْتَنِي أَهْمٌ مَعَ الْهَلَاكِ لَا أَطْعَمُ الْعَمَصَا

صوت

كَأَنَّ فَوَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ إِذَا ذُكِرَتْ لِيْلَى يَشْدُ بِهَا قَبْضًا
كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ حَلْفَةً خَاتِمٍ عَلَيَّ فَمَا تَرْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرَضًا
فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ رَمَلٌ يَنْسَبُ إِلَى سُلَيْمٍ وَالْإِبْنِ مُحَرَّزٍ وَذَكَرَ حَبَشٌ وَالْهَشَامِيُّ
أَنَّهُ لَا إِسْحَاقَ .

يتداوى بالأشعار :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الشَّكْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ
قَالَ حَدَّثَنِي بَعْضُ الْقَشِيرِيِّينَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
مَرَرْتُ بِالْمَجْنُونِ وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَى وَادٍ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِطَ ،
وَهُوَ يَتَعَنَّى بِشَعْرٍ لَمْ أَفْهَمْهُ ، فَصَحْتُ بِهِ : يَا قَيْسُ ، أَمَا تَشْغَلُكَ لَيْلَى عَنْ الْغَنَاءِ
وَالطَّرِبِ ! فَتَنْفَسُ تَنْفَسًا ظَنَنْتُ أَنَّ حَيَازِمَةَ^(١) قَدْ أَنْقَدَتْ ، ثُمَّ قَالَ :

صوت

وَمَا أَشْرَفُ الْإِتِّفَاعَ^(٢) إِلَّا صَبَابَةٌ وَلَا أَنْشَدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا
وَقَدْ يَجْمَعُ^(٣) اللَّهُ^(٤) الشَّتَيْتَيْنِ بَعْدَ مَا
لَحَى اللَّهُ^(٥) أَقْوَامًا يَقُولُونَ إِنَّنِي وَجَدْتُ طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحَبِّ شَافِيَا

(١) حَيَازِمَةُ : ضُلُوعُ فَوَادِهِ .

(٢) الْإِتِّفَاعُ مِنَ الرَّمْلِ : مَا أَشْرَفَ وَعَلَا .

(٣) لَحَى اللَّهُ : قَبَحَهُ وَلَعَنَهُ وَابْعَدَهُ .

التقاؤه بقيس بن ذريح :

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال : اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قومه ، وكان كل واحد منهما مشتاقاً الى لقاء الآخر ، وكان المجنون قبل توحشه لا يجلس إلا منفرداً ولا يتحدث أحداً ولا يرد على متكلم جواباً ولا على مسلم سلاماً ، فسلم عليه قيس بن ذريح فلم يرد عليه السلام ؛ فقال له : يا أخي ، انا قيس بن ذريح ؛ فوثب اليه فعانقه وقال : مرحباً بك يا أخي ، انا والله مذهب مشترك اللب فلا تلسني ، فتحدثا ساعة وتشاكيا وبكيا ، ثم قال له المجنون : يا أخي ، إن حي ليلى مناً قريب ، فهل لك ان تمضي اليها فتبليغها عني السلام ؟ فقال له : أفعل . فضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلم وأنتسب ؛ فقالت له : حيأك الله ، ألك حاجة ؟ قال : نعم ، ابن عتيك أرسلني اليك بالسلام ؛ فأطرقت ثم قالت : ما كنت أهلاً للتحية لو علمت أنك رسوله ، قل له عني : أرأيت قولك :

أبت ليلى بالغيل يا أم مالك لكم غير حب صادق ليس يكذب
ألا إنما أبقيت يا أم مالك صدق أينما تذهب به الريح يذهب

أخبرني عن ليلى الغيل ، أي ليلى هي ؟ وهل خلوت معك في الغيل أو غيره ليلاً أو نهاراً ؟ فقال لها قيس : يا أبنه عم ، إن الناس تأولوا كلامه على غير ما أراد ، فلا تكوني مثلهم ، إنما أخبر انه رآك ليلى الغيل فذهبت بقلبه ، لا انه عناك بسوء ؛ قال : فأطرقت طويلاً ودموعها تجري وهي تكفكفها ، ثم أنتحبت حتى قلت تقطعت حيازيمها ، ثم قالت : اقرأ على ابن عتي السلام ، وقل له : بنفسني أنت ! والله إن وجدي بك لفوق ما تجد ، ولكن لا حيلة لي فيك ؛ فأنصرف قيس اليه ليخبره فلم يجده .

بكي فوحاً بليلي اذ راها :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عتي

عن ابن الصَّباح عن ابن الكلبيّ عن ابيه قال : مرّ المجنونُ بعد اختلاطه بليلى
تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويلٍ ، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه
مغشياً عليه ، فانصرفَتْ خوفاً من أهلها ان يلقَوْها عنده ، فكث كذلك ملياً ثم
أفاق وأنشأ يقول :

بكى فرحاً بليلى إذ رآها محبٌ لا يرى حسناً سواها
لقد ظفرتُ يداه ونالُ ملكاً لئن كانتُ تراه كما يراها

الغناء لابن المكيّ رملٌ بالبنصر . وفيه لعريبٌ ثقیلٌ أولٌ عن الهشاميّ .
وفيه خفيفٌ رملٌ ليزيد حوراء . وقد نُسبَ لحُنه إلى ابن المكيّ ولحنُ ابن
المكيّ اليه .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمرَ بلقاء الزلال
عَصَفَ الدهرُ بهم فأنقضوا وكذلك الدهرُ حالاً بعد حال

الشعر لعديّ بن زيد العبّاديّ ، والغناء لابن مُحَرَّرٍ ، ولحنه المختارٌ خفيفٌ آخر
بالبنصر ابتداءه نشيدٌ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طنبورة ، وذكر أحمد بن المكي
انه لأبيه . وهذه الأبياتُ قالها عديّ بن زيد العبّاديّ على سبيل المؤعظة للنعمان
ابن المنذر ، فيقال : إنها كانت سببَ دخوله في النصرانية .

عدي بن زيد والنصرانية :

حدثني بذلك أحمد بن عُمَران المؤدّب قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويّة
قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني عليّ بن الصَّباح عن ابن الكلبيّ قال :
خرج النعمانُ بنُ المنذر إلى الصيد ومعه عديّ بن زيد فمروا بشجرة ، فقال له

عديّ بن زيد : أيها الملك ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِالمَاءِ الرُّثَالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَنْقَرُوا وَكَذَاكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قال : ثم جاوز الشجرة فرآ بقبرة ، فقال له عديّ : أيها الملك أتدري ما تقول هذه المقبرة ؟ قال : لا ، قال تقول :

أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمُخْبِو نَ عَلَى الْأَرْضِ الْمُجْدُونَ
فَكَمَا أَنْتُمْ كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ

فقال له النعمان : إن الشجرة والمقبرة لا يتكلّان ، وقد علمت أنك إنما أردت عظمي ، فإسبيل التي تدرك بها النجاة ؟ قال : تدع عبادة الأوثان وتعبّد الله وتدين بدين المسيح عيسى بن مريم ؛ قال : أوفي هذا النجاة ؟ قال : نعم ، فتنصر يومئذ . وقد قيل : إن هذه القصة كانت لعديّ مع النعمان الأكبر بن المنذر ، وإن النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصر . وخبر هذا مع أحاديث عديّ .

ذكر عدي بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

نسبه وهل هو من فحول الشعراء :

هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عصية ابن أمية القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان أيوب هذا فيما زعم ابن الأعرابي أول من سبي من العرب أيوب ، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً وكذلك كان أبوه وأمه وأهلله ، وليس ممن يُعدّ في الفحول ، وهو قروي . وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها . وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان : عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها . وكذلك عندهم أمية ابن أبي الصلت ، ومثلها كان عندهم من المسلمين الكُتبت والطرمّاح .

العجاج ونقد الشعر :

قال العجاج : كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به ، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه ؛ فقليل له : ولم ذاك ؟ قال : لأنها قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه ، وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه . وكذلك عندهم عدي وأميه .

نزول آل عدي بالحيرة :

قال ابن الأعرابي فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن الشكري عن محمد بن حبيب عنه وعن هشام بن الكلبي عن أبيه قال : سبب نزول آل عدي ابن زيد الحيرة أن جده أيوب بن محروق كان منزله اليامة في بني أمية القيس بن زيد مناة ، فأصاب دماً في قومه فهرب فليح بأوس بن قلام أحد بني

الحارث بن كعب بالخيرية . وكان بين أيوب بن محروق وبين أوس بن قلام هذا نسب من قبل النساء ، فلما قدم عليه أيوب بن محروق أكرمه وأتزه في داره ، فكث معه ما شاء الله أن يمكث ، ثم إن أوساً قال له : يا بن خال ، أتريد المقام عندي وفي داري ؟ فقال له أيوب : نعم ، فقد علمت أني إن أتيت قومي وقد أصبت فيهم دماً لم أسلم ، وما لي دار إلا دارك آخر الدهر ؛ قال أوس : إني قد كبرت وأنا خائف أن أموت فلا يعرف ولدي لك من الحق مثل ما أعرف ، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمر يقطعون فيه الرحم ، فانظر أحب مكان في الخيرية اليك فأعلمني به لأقطعك أو أبتاعه لك ؛ قال : وكان لأيوب صديق في الجانب الشرقي من الخيرية ، وكان منزل أوس في الجانب الغربي ، فقال له : قد أحببت أن يكون المنزل الذي تسكن فيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب ؛ فأبتاع له موضع داره بثلاثة أوقية من ذهب وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً وأعطاها مائتين من الإبل برعايتها وفرساً وقينة ؛ فكث في منزل أوس حتى هلك ، ثم تحول إلى داره التي في شرقي الخيرية فهلك بها . وقد كان أيوب اتصل قبل ملكه بالملوك الذين كانوا بالخيرية وعرفوا حقه وحق أبنه زيد بن أيوب ، وثبت أيوب فلم يكن منهم ملك يملك إلا ولد أيوب منه جوارز وحملان .

مقتل زيد بن أيوب :

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حمداً ، فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الخيرية وهم مُنتدون بجفير - المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره - فأنفرد في الصيد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجل من بني أمية القيس الذين كان لهم النار قبل أبيه ، فقال له - وقد عرف فيه شبه أيوب - : بمن الرجل ؟ قال : من بني تميم ، قال :

(١) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

(٢) انتدى القوم : اجتمعوا . وجفیر : موضع بالخيرية .

من أيهم؟ قال: مَرَبِّي؛ قال له الأعراي: وأين منزلك؟ قال: الحيرة، قال: أمن بني أيوب أنت؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بني أيوب؟ وأستوحش من الأعراي وذكر الثار الذي هرب أبوه منه؛ فقال له: سمعتُ بهم، ولم يُعلم أنه قد عرفه؛ فقال له زيد بن أيوب: فمن أي العرب أنت؟ قال: أنا أمروء من طيء؛ فأمنه زيد وسكت عنه، ثم إن الأعراي اغتفل زيد بن أيوب فرماه بهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه، فلم يرم حافر دابته حتى مات؛ فليث أصحاب زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد أفتقدوه وظنوا أنه قد أمعن في طلب الصيد، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه، ثم غدوا في طلبه فأقتفوا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسيره فأتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً، فعرفوا أن صاحب الراحلة قتله، فأتبعوه وأغذوا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية، فصاحوا به وكان من أرمى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مرجع كَتَفَيْهِ بهم فلما أجنه الليل مات وأفلت الرامي، فرجعوا وقد قتل زيد بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب.

حماد كاتب النعمان الأكبر:

فكث حماد في أخواله حتى أيفع^(١) ولحق بالوصفاء، فخرج يوماً من الأيام يلعب مع غلمان بني لحيان، فلطم اللحياني عين حماد فشجّه حماد، فخرج أبو اللحياني فضرب حماداً فأتى حماد أمه يبكي، فقالت له: ما شأنك؟ فقال: ضربني فلان لان أبنته لطمني فشجّته، فخرعت من ذلك وحوّلتها إلى دار زيد بن أيوب وعلمته الكتابة في دار أبيه، فكان حماد أول من كتب من بني أيوب، فخرج من أكتب الناس وطلب حتى صار كاتب الملك النعمان الأكبر، فليث كاتباً له حتى ولد له ابن من امرأة تزوجها من طيء، فسماه زيدا بأسم أبيه.

(١) نسبة إلى امرئ القيس، ويقال في النسبة إليه: «أمروئي» أيضاً.

(٢) أي لم يبرح.

(٣) مرجع كتفيه: أسفلها.

(٤) يقال: أيفع الغلام فهو يافع إذا شارف الاحتلام. والوصفاء: جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق. ويقال: وصف الغلام إذا بلغ الخدعة وهو وصيف.

فروخ ماهان :

وكان حماد صديقاً من الدهاقين^(١) العظماء يقال له فروخ ماهان، وكان مُحسناً إلى حماد، فلما حضرت حماداً الوفاة أوصى بأبيه زيد إلى الدهقان، وكان من المرازبة^(٢)، فأخذه الدهقان إليه فكان عنده مع ولده، وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان، فعلمه لما أخذه الفارسية فلقيها^(٣) وكان ليبياً فأشار الدهقان على كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازبة، فكث يتولى ذلك لكسرى زماناً؛ ثم إن الثغمان^(٤) النصري^(٥) اللخمي هلك.

زيد بن حماد ملك الحيرة :

فأختلف أهل الحيرة فيمن يُتلىكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر لرجل يُنصبه، فأشار عليهم المرازبان زيد بن حماد، فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء ونكح زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عدياً، وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء. وولد للمرازبان ابن فسماه «شاهان مرد».

عدي في الكتاب :

فلما تحرك عدي بن زيد وأيقظ طرده أبوه في الكتاب^(٦)، حتى إذا حذق أرسله المرازبان مع ابنه «شاهان مرد» إلى كتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم

(١) الدهاقين : جمع دهقان وهو الناجر فارسي معرب .

(٢) المرازبان بضم الزاي : أحد مرازبة الفرس وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك وهو فارسي معرب .

(٣) لقيها : فهمها .

(٤) الكتاب : موضع تعليم الكتابة .

بالعربية وقال الشعر ، وتعلّم الرمي بالنشاب فخرج من الاساورة^(١) الرماة ، وتعلّم
لغَبَ العجم على الخيل بالصَّوَالِجَةِ^(٢) وغيرها . ثم إنَّ المَرْزُبَانَ وَقَدَ على كِسْرَى ومعه
أبنه « شاهان مرد » ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور
فقطاعما كما يتطاعم الذكر والانثى فجعل كل واحدٍ مِنْقَارَهُ في منقار الآخر ،
فغَضِبَ كِسْرَى من ذلك وراحَته غيرة^(٣) ، فقال للمَرْزُبَانَ وأبيه : لِيَرْمِ كل واحدٍ
منكما واحداً من هذين الطائرَين ، فإن قتلتكما أدخلتكما بيت المال وملأت
أفواهكما بالجوهر ، وَمَنْ أخطأ منكما عاقبته ؛ فأعتمد كل واحد منها طائراً
منهما ورَمَيَا فقتلاهما جميعاً ، فبعثهما الى بيت المال فمِلَّتْ أفواههما جَوْهراً ، وأثبت
« شاهان مرد » وسائر اولاد المَرْزُبَانَ في صحابته ؛ فقال فرُوخُ ماهان عند
ذلك للملك :

اتصال عدي بكسرى :

إن عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلقه في جُحْرِي فَرَبَّيْتُهُ ، فهو أفصح
الناس وأكثبهم بالعربية والفارسية ، والمملك محتاجٌ إلى مثله ، فإن رأى أن يُشَبِّهَهُ
في ولدي فعل ؛ فقال : أدعه ، فأرسل إلى عدي بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق
الحسن وكانت الفرسُ تتبرك بالجميل الوجه ، فلما كلمه وجده اظرف الناس
وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه وأثبتته مع ولدي المَرْزُبَانَ .

عدي كاتب كسرى :

فكان عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ، فرغب أهلُ الخيرة
إلى عدي ورهبوه ، فلم يزل بالمداث في ديوان كسرى يؤذَنُ له عليه في الخاصّة

(١) الاساورة : جمع الاسوار بالضم او الكسر وهو الجيّد الرمي بالسهم . وقال ابو عبيد :
اساورة الفرس : فرسانهم المقاتلون .

(٢) الصوالجة : جمع صولجان وهو عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب ، وهو
فارسيّ معرّب .

وهو مُعجَبٌ به قريبٌ منه ، وأبوه زيد بن حماد يومئذ حيّ إلا أن ذكرَ عديّ قد ارتفع وَحَمَلَ ذِكْرُ أبيه ، فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميعٌ من عنده حتى يقعدَ عديّ ، فعلاً له بذلك صيتٌ عظيمٌ ، فكان إذا أراد المُقامَ بالخير في منزله ومع أبيه وأهله أستاذنَ كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرينَ وأكثرَ وأقلَّ .

عدي موفد كسرى الى ملك الروم :

ثم إن كسرى أرسل عديّ بن زيد إلى ملك الروم بهدية من طُرفٍ ما عنده ، فلما أتاه عديّ بها أكرمه وحمله إلى عمّاله على البريد ليُرِيَه سعةَ أرضه وعظيمَ مُلكه - وكذلك كانوا يصنعون - فنمّ وقع عديّ بدمشق ، وقال فيها الشعر . فكان مما قاله بالشام وهي أول شعر قاله فيما ذكر :

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجُرْعِ من دُوْ مَـةَ أشهى إليّ من جَيُّونِ
وَنَدَامَى لا يَفْرَحُونَ بما نَا لُوا ولا يَرْهَبُونَ صَرْفَ الْمَنُونِ
قد سُقِيتُ الشَّوْلَ في دارِ بِشْرِ قَهْوَةً مُرَّةً بماءِ سَخِينِ

ثم كان أولُ ما قاله بعدها قوله :

لِنِ الدارِ تَعَفَّتْ بِخَيْمٍ أَصْبَحَتْ غَيْرَهَا طُولُ الْقِدَمِ
ما تَبَيَّنَ العَيْنُ من آياتِها غَيْرَ نُؤْيٍ مِثْلَ خَطِّ الْقَلَمِ
صالحاً قد لَقَّها فاستوسَّقتُ لفَّ بازيّ حَمَاماً في سَلَمِ

انقلاب في الحيرة :

قال : وفسد أمرُ الحيرة وعديّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ، لان أهلَ

(١) خيم : موضع .

(٢) أي جمعها فاجتمعت .

(٣) السلم : شجر ورفه القرظ الذي يدبغ به .

الخيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتله لانه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذُ من اموالهم ما يُعجبه ، فلما تبين أن أهلَ الخيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد ابن حماد بن زيد بن ايوب ، وكان قبله على الخيرة ، فقال له : يا زيد أنت خليفة أبي ، وقد بلغني ما أجمع عليه أهلُ الخيرة فلا حاجة لي في ملككم ، دونكوه مَلِكُوهُ مَنْ شِئْتُمْ ؛ فقال له زيد : إن الامر ليس إليّ ، ولكنني أسبرُ لك هذا الامرَ ولا آلوكَ نصحاً ، فلما أصبح غدا اليه الناسُ خيَّوهُ تحيةَ الملك ، وقالوا له : ألا تَبْعُثُ إلى عبدك الظالم - يعنون المنذرَ - فتريحَ منه رعيَّتكَ ؟ فقال لهم : أولاً خيرٌ من ذلك ! قالوا : أيسرُ علينا ؛ قال : تدعونهُ على حاله فإنه من أهل بيت مُلكٍ ، وأنا آتيه فأخبرهُ أن أهلَ الخيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الخيرة اليه إلا أن يكون غرو أو قتالٌ ، فلك اسمُ الملكِ وليس اليك سوى ذلك من الامور ؛ قالوا : رأيك أفضل . فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا ؛ فقيل ذلك وفرح ، وقال : إن لك يا زيدُ عليّ نعمةً لا أكفُرُها ما عرفتُ حقَّ سبب - وسبب صنم كان لاهل الخيرة - فوالى أهلَ الخيرة زيدا على كل شيء سوى اسم الملكِ فانهم أقرّوه للمنذر . وفي ذلك يقول عدي :

نحن كنّا قد علمتم قبلكم عمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ

قال : ثم هلك زيدٌ وأبنته عديّ يومئذ بالشام . وكانت لزيد الفُ ناقرةٌ للحمالاتِ كان أهلُ الخيرة أعطوه إياها حين ولّوه ما ولّوه ، فلما هلك أرادوا اخذها ، فبلغ ذلك المنذرَ ، فقال : لا ، واللّاتِ والعزّى لا يؤخذ بما كان في يد زيد تُفروقٌ وأنا أسمعُ الصّوتَ .

(١) سبر الامر : اختبره واستخرج كنهه .

(٢) آل : حلف .

(٣) الاصار : الطنب وهو جبل الحباء والسرادق وغوها .

(٤) الحمالات : جمع حمالة بالفتح وهي الدبة والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

(٥) التفروق : علاقة ما بين النواة والقيع من التمرة ؛ وقال الاصمعي : التفروق قمع البسرة

والتمرة ، ويكنى به عن القلة فيقال : ما له تفروق أي ما له شيء .

ففي ذلك يقول عدي بن زيد لابنه النعمان بن المنذر :
وأبوك المرء لم يُشَنَّا به يوم سيم الحنف منأذو الخسار

يؤثر الصيد على الملك :

قال : ثم إن عدياً قدِم المدائن على كسرى بديعة قيصر ، فصادف أباه والمرزبان الذي رباه قد هلكا جميعاً ، فأستأذن كسرى في الالمام بالخيرة فأذن له فتوجه إليها ، وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقيه في الناس ورجع معه . وعدي أنبل أهل الخيرة في أنفسهم ، ولو اراد أن يملكوه للمكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك ، فكث سنين يبدوا في فصلي السنة فيقيم في جفيرا ويشتر بالخيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى ، فكث كذلك سنين ، وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدئ من مبادي العرب ولا يتزل في حي من أحياء بني تميم غيرهم ، وكان إخلأوه من العرب كلهم بني جعفر ، وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد ، وكذلك كان أبوه يفعل : لا يجاوز هذين الحيين بإبله .

زوجته هند بنت النعمان :

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي يومئذ جارية حين بلغت أو كادت . وخبره يذكر في تزويجها بعد هذا .

قال ابن حبيب وذكر هشام بن الكلبي عن إسحاق بن الجصاص وحماد الراوية وأبي محمد بن السائب قال : كان لعدي بن زيد أخوان : أحدهما اسمه عمارة ولقبه أبي ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سمي ، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدي بن حنظلة من طيء ، وكان أبي يكون عند كسرى ، وكانوا أهل بيت

(١) أي يخرج إلى البادية .

(٢) جفيرا : قرية في البحرين ذات رياض ومياه ومنازه .

نصارى يكونون مع الاكاسرة، ولهم معهم أكل^(١) وناحية^(٢)، يُقَطِّعُونَهُمُ الْقَطَائِعَ وَيُجْزِلُونَ صَلَاتِهِمْ .

ابن المنذر في حجر عدي :

وكان المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان بن المنذر في حجر عدي بن زيد، فهم الذين أَرْضَعُوهُ وَرَبَّوْهُ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له «الاسود»، أمه مارية بنت الحارث بن جُلْهم من تيم الرباب، فأرضعه ورباه قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مَرِينَا ينتسبون إلى لَحْمٍ وكانوا أشرفاً . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرة^(٣)، وكان ولده يقال لهم «الاشاهب» من جالهم، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذر الاشاهب في الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

عدي السياسي الماكر :

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً، وأمّه سلمى بنت وائل بن عطية الصانع من أهل فدك^(٤)، فلما احتضر المنذر وخلف أولاده العشرة، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر، أوصى بهم إلى إلياس بن قبيصة الطائي، وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيته، فكث مملكتاً عليها أشهراً وكسرى في طلب رجل يملكه عليهم، وهو كسرى بن هُرْمَز، فلم يجد أحداً يَرْضَاهُ فَضَجَرَ، فقال : لا تبعن إلى الحيرة أنني عشر الفأ من الأساورة، ولا مملكن عليهم رجلاً من الفرس، ولا مرنهم أن يتزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم، وكان عدي بن زيد واقفاً بين يديه، فأقبل عليه وقال : ويحك يا عدي :

(١) الأكل : الرزق. يقال : فلان ذو أكل إذا كان ذا رزق وحظ واسع في الدنيا .

(٢) الأشاهب : سموا بذلك لبياض وجوههم .

(٣) فدك : قرية في الحجاز .

مَنْ بَقِيَ مِنْ آلِ الْمُنْذِرِ؟ وَهَلْ فِيهِمْ أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ،
 إِنَّ فِي وَلَدِ الْمُنْذِرِ لَبَقِيَّةً وَفِيهِمْ كُلُّهُمْ خَيْرٌ؛ فَقَالَ: ابْعَثْ إِلَيْهِمْ فَأَحْضِرْهُمْ، فَبَعَثَ عَدِيَّ
 إِلَيْهِمْ فَأَحْضَرَهُمْ وَأَتَرَهُمْ جَمِيعاً عِنْدَهُ، وَيُقَالُ: بَلَ شَخْصَ عَدِيَّ بْنِ زَيْدٍ إِلَى الْخَيْرَةِ حَتَّى
 خَاطَبَهُمْ بِمَا أَرَادَ وَأَوْصَاهُمْ، ثُمَّ قَدَّمَ بِهِمْ عَلَى كِسْرَى: قَالَ: فَلَمَّا نَزَلُوا عَلَى عَدِيَّ بْنِ زَيْدٍ
 أَرْسَلَ إِلَى النَّعْمَانِ: لَسْتُ أُمْلِكُ غَيْرَكَ فَلَا يُوحِشُكَ مَا أَفْضَلُ بِهِ إِخْوَتَكَ عَلَيْكَ مِنَ
 الْكِرَامَةِ فَإِنِّي إِنَّمَا أَغْتَرُهُمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ كَانَ يُفْضِلُ إِخْوَتَهُ جَمِيعاً عَلَيْهِ فِي التَّزَلُّ
 وَالْإِكْرَامِ وَالْمِلَازِمَةِ وَيُرِيهِمْ تَنْقِصاً لِلنَّعْمَانِ وَأَنَّهُ غَيْرُ طَامِعٍ فِي تِمَامِ أَمْرِ عَلَى يَدِهِ،
 وَجَعَلَ يَخْلُو بِهِمْ رَجُلًا رَجُلًا فَيَقُولُ: إِذَا ادْخَلْتُمْ عَلَى الْمَلِكِ فَالْبَسُوا أَغْفَرَ ثِيَابَكُمْ
 وَاجْمَلُوهَا، وَإِذَا دَعَا لَكُمْ بِالطَّعَامِ لَتَأْكُلُوا قَتَبَاطُوا فِي الْأَكْلِ وَصَغُرُوا اللَّقْمَ وَتَزَرُّوْا
 مَا تَأْكُلُونَ، فَإِذَا قَالَ لَكُمْ: أَتَكْفُونَنِي الْعَرَبَ؟ فَقُولُوا: نَعَمْ، فَإِذَا قَالَ لَكُمْ: فَإِنْ
 شَدَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الطَّاعَةِ وَأَفْسَدَ، أَتَكْفُونَنِيهِ؟ فَقُولُوا: لَا، إِنَّ بَعْضَنَا لَا يَقْدِرُ عَلَى
 بَعْضٍ، إِيهَابَكُمْ وَلَا يَطْمَعُ فِي تَفَرِّقِكُمْ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ مَنَعَةٌ وَبَأْسٌ فَقِيلُوا مِنْهُ:
 وَخَلَا بِالنَّعْمَانِ فَقَالَ لَهُ: أَلْبَسْ ثِيَابَ السَّفَرِ وَأَدْخُلْ مُتَقَلِّداً بِسَيْفِكَ، وَإِذَا جَلَسْتَ
 لِلْأَكْلِ فَعِظِمِ اللَّقْمَ وَأَسْرِعِ الْمَضْغَ وَالْبَلْعَ وَزِدْ فِي الْأَكْلِ وَتَجَوَّعْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ
 كِسْرَى يُعْجِبُهُ كَثَرَةُ الْأَكْلِ مِنَ الْعَرَبِ خَاصَّةً، وَيَرَى أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْعَرَبِيِّ إِذَا
 لَمْ يَكُنْ أَكُولاً شَرِهاً، وَلَا سِيا إِذَا رَأَى غَيْرَ طَعَامِهِ وَمَا لَا عَهْدَ لَهُ بِمِثْلِهِ، وَإِذَا
 سَأَلَكَ هَلْ تَكْفِينِي الْعَرَبَ؟ فَقُلْ: نَعَمْ، فَإِذَا قَالَ لَكَ: فَنَ لِي بِإِخْوَتِكَ؟ فَقُلْ
 لَهُ: إِنْ عَجَزْتُ عَنْهُمْ فَإِنِّي عَنْ غَيْرِهِمْ لَا عَجْزُ. قَالَ: وَخَلَا ابْنُ مَرْيَنَ بِالْأَسْوَدِ
 فَسَأَلَهُ عَمَّا أَوْصَاهُ بِهِ عَدِيٌّ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: غَشَّكَ وَالصَّلِيبَ وَالْمَعْمُودِيَّةَ وَمَا نَصَحَكَ،
 وَلَئِنْ أَطَعْتَنِي لَتُخَالِفَنَّ كُلَّ مَا أَمُرُكَ بِهِ وَلَتُسْلُكَنَّ، وَلَئِنْ عَصَيْتَنِي لَيُسْلُكَنَّ النَّعْمَانُ
 وَلَا يَغْرُنَكَ مَا أَرَاكَ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالتَّفْضِيلِ عَلَى النَّعْمَانِ، فَإِنْ ذَلِكَ دِهَاءٌ فِيهِ
 وَمَكْرٌ، وَإِنْ هَذِهِ الْمَعْدِيَّةُ لَا تَخْلُو مِنْ مَكْرٍ وَحِيلَةٍ؛ فَقَالَ لَهُ: إِنْ عَدِيًّا لَمْ يَأْتِنِي
 نَصْحاً وَهُوَ اعْلَمُ بِكِسْرَى مِنْكَ، وَإِنْ خَالَفْتُهُ أَوْحَشْتُهُ وَأَفْسَدَ عَلَيَّ وَهُوَ جَاءَ بِنَا
 وَوَصَفَّنَا وَإِلَى قَوْلِهِ يَرْجِعُ كِسْرَى، فَلَمَّا أَتَى ابْنُ مَرْيَنَ مِنْ قَبُولِهِ مِنْهُ قَالَ: سَتَعْلَمُ.
 وَدَعَا بِهِمْ كِسْرَى، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ جَاهُهُمْ وَكَلَامُهُمْ وَرَأَى رَجُلًا قَلْبًا رَأَى

مثلهم، فدعاهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدي، فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ويتأمل أكله، فقال لعدي بالفارسية: إن يكن في أحد منهم خيرٌ فني هذا فلما غسلوا أيديهم جعل يدعوا بهم رجلاً رجلاً فيقول له: اتكفيني العرب؟ فيقول: نعم اكفيكها كلها إلا إخواني، حتى انتهى الى النعمان آخرهم فقال له: اتكفيني العرب؟ قال: نعم. قال: كلها؟ قال: نعم. قال: فكيف لي بإخوتك؟ قال ان عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز؛ فلأكله وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب.

ابن مرينا يتوعد ابن زيد :

فلما خرج وقد مُلِكَ قال ابن مرينا للأسود: دونك عقي خلافاً لي! ثم إن عدياً صنع طعاماً في بيعة^(١) وارسل الى ابن مرينا أن أئتني بن احببت فإن لي حاجة، فأتى في ناس فتغدوا في البيعة؛ فقال عدي بن زيد لابن مرينا: يا عدي، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلزم عليه من كان مثلك، وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب اليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على مثله، وأنا أحب ألا تحقد علي شيئاً لو قدرت عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيك من نفسي، فإن نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك؛ وقام الى البيعة خلف ألا يهجو أبداً ولا يبغي غائلة ولا يزوي عنه خيراً أبداً. فلما فرغ عدي بن زيد، قام عدي بن مرينا خلف مثل يمينه ألا يزال يهجو أبداً ويبغي العوائل ما بقي. وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة، فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد:

ألا أبلغ عدياً عن عدي فلا تجزع وإن رئت قواكا
هياكلنا تبر غير فقر لتحمد أو يتم به غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميداً وإن تعطب فلا يبعد سواكا

(١) البيعة: معبد للتصاري واليهود.

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْمِيِّ لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاكَ مَا صَنَعْتَ يَدَاكَ

تدبيره المكيدة له :

قال : ثم قال عدي بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المَعْدِي الذي فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرك أن مَعْدًا لا ينال كيدُها ومكرها وأمرُك أن تعصيه خالفقتي ؛ قال : فأتريد ؟ قال : أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عَرَضْتَهَا عَلَيَّ ففعل . وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة ، فلم يكن في الدهر يوم يأتي إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا ، وكان إذا ذكر عدي بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيخ ذلك بأن يقول : إن عدي بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمَعْدِي لا يصلح إلا هكذا . فلما رأى من يُطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا : إنه لكذلك ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك - يعني النعمان - عامله ، وإنه هو ولأه ما ولأه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرَمَانَ له ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه .

النعمان يحبس عدياً :

وَأَتَوْا بِهِ النُّعْمَانَ فَقَرَأَهُ فَأَشْتَدَّ غَضَبُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ : غَرِمْتُ

(١) الكسمي : نسبة إلى كسع : حي من قبس عيلان وقيل هم حي من اليمن رماة . والكسمي هذا يقرب به المثل في الندامة وهو رجل رام رمى بعد ما أظلم الليل عبراً فأصابه وطن أنه أخطأه فكسر فوسه ثم ندم من الفد حين نظروا إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكل نادم على فعل يفعله . وإياه عن الفرزدق بقوله :

ندمت ندامة الكسمي لما غدت مني مطقة نوار

(٢) شيخ : اتبع .

(٣) القهرمان : أمين الملك وخاصته فارسي معرب ، ويطلق في لغة الفرس على القائم بأمور الرجل كالحازن والوكيل .

عليك إلا زُرْتَنِي فَإِنِّي قَدْ أَشْتَقْتُ إِلَى رَوْيَتِكَ ، وَعَدِي يَوْمَئِذٍ عِنْدَ كَسْرِي ،
فَاسْتَأْذَنَ كَسْرِي فَأُذِنَ لَهُ . فَلَمَّا أَتَاهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ حَتَّى حَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ لَا يَدْخُلُ
عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ ، فَجَعَلَ عَدِي يَقُولُ الشَّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَالَهُ وَهُوَ
مَحْبُوسٌ مِنَ الشَّعْرِ :

شعره في الحبس :

لَيْتَ شَعْرِي عَنْ الْهَلَامِ وَيَأْتِيكَ بُخَيْرِ الْإِنْبَاءِ عَطْفُ السُّؤَالِ
أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالَ وَالْأَنْفُسَ إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمِ الْمَحَالِ
وَنِضَالِي فِي جَنْبِكَ النَّاسَ يَرْمُونَ وَأَرْمِي وَكُلُّنَا غَيْرُ آلِي
فَأَصِيبُ الَّذِي تُرِيدُ بَلَا غَشٍّ وَأَرْبِي عَلَيْهِمْ وَأُوَالِي
لَيْتَ أَنِّي أَخَذْتُ حَتْنِي بِكَفِّي وَلَمْ أَلْقَ مِيتَةَ الْأَقْتَالِ
مَحْمُولًا مَحْلَهُمْ لَصَرَعَيْنَا الْعَالَمَ فَقَدْ أَوْقَعُوا الرَّحَا بِالْثِّغَالِ

وهي قصيدة طويلة . قالوا : وقال أيضاً وهو محبوس :

أَرَقْتُ لِمَكْفَهَرٍ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شَيْبِ
تَلُوحُ الْمَشْرِفِيَّةُ فِي ذُرَاهِ وَيُجَاوِ صَفْحَ دَخْدَارٍ قَشِيبِ

ويروى : تَحَالُ الْمَشْرِفِيَّةُ . الدخدار : فارسية معربة وهو الثوب المصون
يقول فيها :

-
- (١) إخطار المال والنفس : بذلها وجعلها خطراً .
 - (٢) المناهضة في الحرب : المناهضة .
 - (٣) المحال : الكيد أو المكر .
 - (٤) أي غير مقصر .
 - (٥) الأقتال : جمع قتل (بالكسر) وهو العدو .
 - (٦) يقال : محل فلان بصاحبه إذا سعى به إلى السلطان .
 - (٧) الثغال بالكسر : الجلد الذي يسط تحت رحا اليد ليقب الطحين من التراب ، وقد يطلق
الثغال على الحجر الأسفل من الرحا .

سعى الاعداء لا يألون شراً
أرادوا كي تمهل عن عدي
وكنتم لرازا خصبك لم أعرد^(١)
أعاليهم وأبطن كل سر
فقرت عليهم لما ألتقينا
وما دهرى بأن كدرت فضلاً
ألا من مبلغ النعمان عني
أحظي كان سلسلة وقيداً
أتاك بأنني قد طال حبسي
ويأتي مفقر إلا نساء
يبادرن الدموع على عدي
يحاذرن الوشاة على عدي
فإن أخطأت أو أوهنت أمراً
وإن أظلم فقد عاقبتوني
وإن أهلك تجد فقدي وتخذل
فهل لك أن تدارك ما لدينا
فإني قد وكلت اليوم أمري
علي ورب مكة والصليب
لئسجن أو يدعه^(٢) في القليب
وقد سلكوك في يوم عصب
كما بين اللحاء إلى العيب^(٣)
بتاجك فوزه القدح الاريب
ولكن ما لقيت من العجيب
وقد تهدي النصيحة بالمغيب
وعلاً والبيان لدى الطيب
ولم تسأم بمسجون حريب^(٤)
أرامل قد هلكن من النجيب
كشنة^(٥) خانه خوز الريب^(٦)
وما أقرؤوا عليه من الذنوب
فقد بهم المصافي بالحبيب
وإن أظلم فذلك من نصبي
إذا التقت العوالي في الحروب
ولا تغلب على الرأي المصيب
إلى رب قريب مستجيب

قالوا : وقال فيه أيضاً :

- (١) دعهه الشيء : حذره من علو الى اسفل تدحرجاً .
- (٢) فلان لرازا لفلان : لا يدعه يعانده ويخالفه .
- (٣) عرد الرجل عن قرنه : احجم وكل وفر .
- (٤) اللحاء : قشر العود .
- (٥) جريد التخل .
- (٦) الحريب : الذي سلب ماله وعقاره .
- (٧) الشن : الحلف من كل آنية صنعت من جلد .
- (٨) الريب : الحاضن .

طال ذا الليلُ علينا وأعتكرُ وكأني ناذرُ الصبحِ سترُ
 مِن نَجِيٍّ أَلْهَمَ عِنْدِي ثَاوِيًّا فوقَ ما أُعْلِنُ مِنْهُ وَأَسْرُ
 وَكَانَ اللَّيْلُ فِيهِ مِثْلَهُ وَلَقَدْ مَا ظَنَّ بِاللَّيْلِ الْقِصْرُ
 لَمْ أَغِيضْ طَوْلَهُ حَتَّى أَنْقِضِي أَتَمَّتْ لَوْ أَرَى الصُّبْحَ جَسْرُ
 غَيْرَ مَا عَشِقْتُ وَلَكِنْ طَارِقُ خَلَسَ النَّوْمُ وَأَجْدَانِي السَّهْرُ

وفيهما يقول :

أَبْلِغِ النَّعْمَانَ عَنِّي مَالِكًا قَوْلَ مَنْ قَدْ خَافَ ظَنًّا فَأَعْتَذَرَ
 أَنِّي وَاللَّهِ فَأَقْبَلُ حِلْفِي لِأَيِّلٍ كُلَّمَا صَلَّى جَارُ
 مُرْعِدٌ أَحْشَاؤُهُ فِي هَيْكَلٍ حَسَنَ لِمَتُهُ وَافِي الشَّعْرِ
 مَا حَمَلْتُ الْغِلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَلَدَى اللَّهِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَسْرُ
 لَا تَكُونَنَّ كَأَسِي عَظِيمِهِ بِأَسَا حَتَّى إِذَا الْعَظْمُ جَبَرُ
 عَادَ بَعْدَ الْجَبْرِ يَبْغِي وَهْنُهُ يَنْخَوْنُ الْمَشِيَّ مِنْهُ فَأَنْكَسَرُ
 وَأَذْكُرُ التَّعْسَى الَّتِي لَمْ أَنْسَهَا لَكَ فِي السَّعْيِ إِذَا الْعَبْدُ كَفَرُ

وقال له أيضاً - وهي قصيدة طويلة - :

أَبْلِغِ النَّعْمَانَ عَنِّي مَالِكًا أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَأَنْتَظَارِي
 لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ حَلَفْتُ شَرْقُ كُنْتُ كَالْعَصَانِ بِالْمَاءِ أَعْتَصَارِي
 لَيْتَ شِعْرِي عَنْ دَخِيلٍ يَفْتَرِي حَيْثَا أَدْرَكَ لَيْلِي وَنَهَارِي
 قَاعِدًا يَكْرُبُ نَفْسِي بَثُّهَا وَحَرَامًا كَانَ رِسْجُنِي وَأَحْتِصَارِي

(١) جسر الصبح : طلع وانفلق .

(٢) أجْدَانِي : أعطاني .

(٣) المَالِك : الرسالة .

(٤) أَيَّيْل : راهب .

(٥) الاعتصار : ان يذس الانسان بالطعام فيقتصر بالماء أي يشربه قليلاً قليلاً ليسيفه .

(٦) يشتد عليها حزنها .

(٧) احتصاري : حبسي .

أَجَلٌ نَعْمَى رَبِّهَا أَوْلَكُمْ وَدُنُوِي كَانَ مِنْكُمْ وَأَصْطِهَارِي

في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها اليه فلا تُغني عنده شيئاً .

سبب حبس النعمان له :

وأما المفضل الضبيّ فإنه ذكر أن عدي بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أنثى ولا ما يصلح لبائِك ؛ وكان آدمَ إخوته منظرأ وكلهم أكثر مالا منه : فقال له عدي : كيف أصنع بك ولا مال عندك ! فقال له النعمان :

ما اعرف لك حيلة إلا ما تعرفه أنت ؛ فقال له : قم بنا نخصر الى ابن قردس - رجل من اهل الخيرة من دومة - فأتياه ليقترضا منه مالا ، فأبى ان يُقرضهما وقال : ما عندي شيء ، فأتيا جابر بن سمعون وهو الأسقف احد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب فاستقرضا منه مالا ، فأتوها عنده ثلاثة ايام يذبح لهم ويسقيهم الخمر ، فلما كان في اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عدي : تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى ؛ فقال : لكما عندي ثمانون ألفا ، ثم أعطاهما إياها ؛ فقال النعمان لجابر : لا جرم لا جرى لي درهم إلا على يدك إن انا ملكت . قال : وجابر هو صاحب القصر الأبيض بالخيرة ، ثم ذكر من قصة النعمان وإخوته وعدي وأبن مرينا مثل ما ذكره أن الكلبي . وقال المفضل خاصة : إن سبب حبس النعمان عدي بن زيد ، أن عدياً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان ، وسأله ان يركب اليه ويتغذى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمان اليه فاعترضه عدي بن مرينا فاحتبسَه حتى تغذى عنده هو واصحابه وشربوا حتى تملوا ، ثم ركب الى

(١) أي من أجل نعمي .

(٢) ربا : رباها .

(٣) تستعمل هذه الكلمة بمعنى لا بد ولا محالة ، وكثير استعمالها في هذا المعنى حتى تحولت الى معنى القسم . والعرب تقول : لا جرم لأبتك ، ولا جرم لقد أحسنت ، قراها بمنزلة اليمين .

عديّ ولا فضلَ فيه ، فأحفظه^(١) ذلك ، ورأى في وجه عديّ الكراهة ، فقام
فركب ورجع الى منزله ؛ فقال عديّ بن زيد في ذلك من فعل النعمان :

أَحْبَبْتُ مَجْلِسَنَا وَحُسْنَ حَدِيثِنَا يُودِي بِمَالِكَ
فَالْمَالُ وَالْأَهْلُونَ مَضْرَعَةٌ لَأَمْرِكَ أَوْ نَكَالِكَ
مَا تَأْمُرُنْ فِينَا فَأَمْرُكَ فِي يَمِينِكَ أَوْ شِمَالِكَ

قال : وأرسل النعمان ذات يوم الى عديّ بن زيد فأبى ان يأتيه ثم اعاد رسوله
فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شرب فغضب وأمر به فُسِحِبَ من منزله حتى
أَنْتَهِيَ به اليه ، فحبسه في الصَّيْنِ^(٢) ولجّ في حبسه وعديّ يرسل اليه بالشعر ، فمأ
قَالَ لَهُ :

لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى الْمُنُونِ بَبَاقٍ غَيْرُ وَجْهِ الْمَسِيحِ الْخَلَّاقِ
إِنْ نَكُنْ آمِنِينَ فَاجَانَا سَرٌّ مُصِيبٌ ذَا الْوُدِّ وَالْإِشْفَاقِ
فَبَرِيٌّ صَدْرِي مِنَ الظُّلْمِ لِلرَّبِّ وَحَنَنْ يُعْقِدُ الْمِيثَاقِ
وَلَقَدْ سَاءَ نِي زِيَارَةٌ ذِي قُرْ بِي حَبِيبٍ لَوْ دَنَا مُشْتَاقِ
سَاءَ مَا بَنَا تَبَيَّنَ فِي الْأَيْدِي وَإِشْنَاقُهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ
فَاذْهَبِي يَا أُمِّمَ غَيْرَ بَعِيدٍ لَا يُؤَاقِي الْعِنَاقُ مَنْ فِي الْوَنَاقِ
وَإِذَا هَبِي يَا أُمِّمَ إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُنْفَسُ مِنْ أَرْزَمِ هَذَا الْخَنَاقِ
أَوْ تَكُنْ وَجْهَةً فَتَلِكُ سَبِيلُ النَّاسِ لَا تَمْنَعُ الْخُتُوفَ الرُّوَاقِ

ويقول فيها :

(١) أحفظه : أغضبه .

(٢) الصَّيْنِ : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع .

(٣) الإشفاق : أن تقل اليد الى العنق .

(٤) الأزم : الشدة .

(٥) الرواقى : جمع راقية وصفا لامرأة أو وصفا لرجل والهاء للبالغة وهو من رقي يرقى رقية اذا
عوذ ونفث في عوذته .

وتقول العدة أودى عدي^١ وبنوه قد أيقنوا بفلاق^٢
يا أبا منهر فأبلغ^٣ رسولا^٤ إخوتي إن أتيت صحن العراق^٥
أبلغا عامرا وأبلغ^٦ أخاه^٧ أنني موثق شديد وثاقي^٨
في حديد القسطاس^٩ يرقبني^{١٠} الخا^{١١} رس^{١٢} والمرء كل شيء يلاقي^{١٣}
في حديد مضاعف وغلول^{١٤} وثياب منضحات خلاق^{١٥}
فاركبوا في الحرام فسكوا^{١٦} احاكم^{١٧} إن عيرا^{١٨} قد جهزت لانطلاق^{١٩}

يعني الشهر الحرام . قالوا جميعاً : وخرج النعمان الى البحرين ، فأقبل رجل من
غسان فأصاب في الحيرة ما أحب ؛ ويقال : إنه جفنة بن النعمان الجلفني ، فقال
عدي بن زيد في ذلك :

سما صغر^{٢٠} فأشعل^{٢١} جانبيها^{٢٢} وأهلك^{٢٣} المروح^{٢٤} والغريب^{٢٥}

المروح : الابل المروحة إلى أعطانها . والغريب : ما ترك في مراعيه .

وثبت^{٢٦} لدى الثوبة^{٢٧} ملجأت^{٢٨} وصحن^{٢٩} العباد^{٣٠} وهن^{٣١} شيب^{٣٢}
ألا تلك الغنيم^{٣٣} لا إفال^{٣٤} ترجيها^{٣٥} مسومة^{٣٦} ونيب^{٣٧}
ترجيها^{٣٨} وقد صابت^{٣٩} بقر^{٤٠} كما ترجو^{٤١} أصاغرها^{٤٢} عتيب^{٤٣}

رسالته الى اخيه من السجن :

وقالوا جميعاً : فلما طال سجن عدي بن زيد كتب الى أخيه أبي وهو مع
كسرى بهذا الشعر :

(١) اسم من اغلاق القتال وهو إسلامه الى ولي المقتول فيحكم في دمه ما شاء .

(٢) القسطاس : أعدل الموازين وأقومها ، وقيل هو القبان .

(٣) العير : القافة ، وقيل العير : الابل التي تحمل الميرة .

(٤) الثوبة : موضع قريب من الكوفة كان يحبس فيه النعمان بن المنذر من أراد قتله .

(٥) الافال : صغار الابل .

(٦) النيب : النوق المسنة .

(٧) صابت بقر : تزلت في قرار .

(٨) عتيب : محلة في البصرة .

أبلغ أياً على نأيه وهل ينفع المرء ما قد علم
 بأن أخاك شقيق الفؤاد كنت به واثقاً ما سليم
 لدى ملك موثق في الحديد إماً بحق وإماً ظلم
 فلا أعرفنك كذات الغلام ما لم تجد عارماً تعترم
 فأرضك أرضك إن تأتينا تنم نومة ليس فيها حلم

قال : فكتب إليه أخوه أبي :

إن يكن خانك الزمان فلا عا جز باع ولا ألف ضعيف
 ويمين الإله لو أن جأوا طحونا نضي فيها السيوف
 ذات رز مجتابة غرة المو ت صحيح سربالها مكفوف
 كنت في حميها جئتكم أسمى فاعلم لو سمعت إذ تستضيف
 أو بال سألت دونك لم يمنع تلاد حاجة أو طريف
 أو بأرض أسطيع آتيك فيها لم يهني بعد بها أو مخوف
 إن تفتني والله إلفاً فجوعاً لا يعقبك ما يصبو الخريف
 في الأعادي وأنت مبي بعيد عز هذا الزمان والتغيف
 ولعمري لئن جرعت عليه لجروع على الصديق أسوف
 ولعمري لئن ملكت عزائي لقليل شرواك فيا أطوف

(١) ذات الغلام : الام المرضع .

(٢) عارماً : راضعاً .

(٣) اعترم الصبي ثدي أمه : مصه واعترمت هي أي طلبت من يعربها .

(٤) الألف : التثقيب البطيء .

(٥) الجأوا : الكتيبة تطحن ما تلقاه .

(٦) الرز : الصوت يسمع من بعيد .

(٧) السربال المكفوف : القميص إذا خيطت حاشيته .

(٨) شرواك : مثيلك .

عندما قتل في السجن :

قالوا جميعاً : فلما قرأ أبي كتاب عدي قام الى كسرى فكله في أمره وعرفه خبره ؛ فكتب الى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث معه رجلاً ؛ وكتب خليفة النعمان اليه : إنه قد كتب اليك في أمره ، فأتى النعمان أعداء عدي من بني بَقِيلَة وهم من غسان ، فقالوا له : اقتله الساعة فأبى عليهم ، وجاء الرسول ، وقد كان أخو عدي تقدم اليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدي فيدخل اليه وهو محبوس بالصنن ، فقال له : أدخل عليه فأنظر ما يأمر بك به فأمثله ، فدخل الرسول على عدي ، فقال له : إني قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تحب ووعدته بعدة سنة ، وقال له : لا تحرجن من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسله اليه ، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب فأوصله اليه ، فأنطلق بعض من كان هناك من أعدائه فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدي وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم يستبق مناً أحداً أنت ولا غيرك ، فبعث اليه النعمان أعداءه فغموه ثم مات ثم دفنوه . ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب اليه ؛ فقال : نعم وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجارية حسناء ، وقال له : إذا أصبحت فأدخل أنت بنفسك فأخرجك ؛ فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأعلمه الحرس أنه قد مات منذ أيام ولم تجزى ، على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إني كنت أمسر دخلت على عدي وهو حي ، وجئت اليوم لحجزني السجن وبهتني ، وذكر أنه قد مات منذ أيام . فقال له النعمان : أبيع بك الملك إلى فتدخل اليه قبلي ! كذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث ، فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمه ، وتوثق منه ألا يخبر كسرى إلا إنه قد مات قبل أن يقدم عليه . فرجع الرسول الى كسرى وقال : إني وجدت عدياً قد مات قبل أن أدخل عليه . ونديم النعمان على قتل عدي وعرف أنه احتيل عليه في أمره ، وأجترأ أعداؤه عليه وهابهم هيبة شديدة .

(١) يريد انهم غطوا وجهه بشيء حتى اختنق .

(٢) بهت الرجل : قابله بكذب .

النعمان يمدحه امام كسرى :

ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقى ابناً لعديّ يقال له زيد ، فلما رآه عرف
شبهه ، فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : انا زيد بن عديّ بن زيد ، فكلمه فإذا
غلامٌ ظريفٌ ، ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من امر
أبيه وجهزه^(١) ، ثم كتب إلى كسرى : إن عدياً كان ممن أعين به الملك في نصحه
وليه ، فأصابه ما لا بد منه وانقطعت مدّته وانقضى أجله ، ولم يُصَبْ به أحدٌ أشدّ
من مصيبي ، وأما الملك فلم يكن ليَقْدَر رجلاً إلّا جعل الله له منه خَلْفاً لِمَا عَظَّمَ
اللهُ من ملكه وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلحُ لخدمة الملك
فسرّحته إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل وليصرف^(٢) عنه عن ذلك
إلى عملٍ آخر . وكان هو الذي يلي المكاتبَةَ عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها
وفي خواصّ أمور الملك . وكانت له من العرب وظيفةٌ موظفةٌ في كل سنة : مُهران
أشقران يُجعلان له هُلاماً^(٣) ، والكمأة^(٤) الرطبة في حينها واليابسة والأقط^(٥)
والأذم^(٦) وسائر تجارات العرب ؛ فكان زيد بن عديّ يلي ذلك له وكان هذا عمل
عديّ . فلما وقع زيد بن عديّ عند الملك هذا الموقع سأله كسرى عن النعمان ،
فأحسن الثناء عليه . ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذي كان أبوه عليه .
وأعجب به كسرى ، فكان يكثر الدخول عليه والخدمة له .

كسرى يطلب نساء من النعمان :

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، فكانوا يبعثون في
تلك الأَرْضِينَ بتلك الصفة ، فإذا وَجِدَتْ حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا
يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة ،

(١) جهزه : أعدّه له معدّات السفر .

(٢) الهلام كغراب : مرق السكّاباج المبرد المصفى من الدهن . والسكّاباج : لحم يطبخ بخل .

(٣) نبات يظهر في الربيع مثل الفلقاس .

(٤) الأقط : الجبن .

وأمر فكتب بها إلى النواحي ، ودخل إليه زيد بن عدي وهو في ذلك القول ،
 غاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلبن له
 وقرأتُ الصفة وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته
 وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ؛ قال : فاكتب فيهن
 قال : أيها الملك ، إن شر شيء في العرب وفي النعمان خاصة أنهم يتكرمون
 - زعموا في أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكره أن يُعَيَّهن عن تبعث إليه أو يعرض
 عليه غيرهن ، وإن قدِّمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثني وأبعث معي
 رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه ، فبعث معه رجلاً جليلاً فهِماً ،
 فخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجل ويُطِفه حتى بلغ الحيرة ، فلما دخل عليه أعظم
 الملك وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك
 بصهره فبعث إليك ؛ فقال : ما هؤلاء النسوة ؟

نموذج الحناء في ذلك العصر :

فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها . وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى
 أنوشروان جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني ،
 فكتب إلى أنوشروان بصفتها ، وقال : إني قد وجهتُ إلى الملك جارية معتدلة
 الخلق ، نقيّة اللون والشعر ، بيضاء قمراء ، وطفاء كحلأ ، دعجاء حوراء عينية
 قنواء شماء برجاء زجاء أسيلة الحدة ، شهية المقبل ، جثلة الشعر ، عظيمة

(١) الوطفاء : غزيرة الاهداب وشعر الحاجبين .

(٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .

(٣) القنواء : وصف من القنا وهو ارتفاع في أعلى الأنف واحديداب في وسطه وسبوغ في طرفه .

(٤) الشعر في الأنف : ارتفاع القصة وحسنها .

(٥) البرجاء : الجميلة الحسنة الوجه .

(٦) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول .

(٧) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه .

الهامة ، بعيدة مهوى القُرط ، عَيْطَاء^١ ، عريضة الصدر ، كاعب^٢ الثدي ، ضخمة
 مُشاش^٣ المنكب والعضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سَبْطَة^٤ البنان ،
 ضامرة البطن ، خميصه^٥ الخضر ، غَرَّتِي^٦ الوشاح ، رَدَاح^٧ الاقبال ، رابضة^٨
 الكفل ، لَفَاء^٩ الفخذين ، رِيَا^{١٠} الروادف ، ضخمة الماكيتين^{١١} ، مُفْعِمَة^{١٢} الساق ،
 مُشَبَّعة^{١٣} الخُلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قَطُوف^{١٤} المشي ، مِكَسَال^{١٥} الضحى ،
 بَضَّة^{١٦} المتجرّد ، سَمُوعًا^{١٧} للسيد ، ليست^{١٨} بخنساء^{١٩} ولا سَفْعَاء^{٢٠} ، رقيقة الانف ،
 عزيزة النفس ، لم تُغْذَّ في بؤس^{٢١} ، حيّة رزينة^{٢٢} ، حليلة ركيّة^{٢٣} ، كريمة الحال ،
 تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد
 أحكمتها الامور في الادب ، فرأى أهل الشرف ، وعلمها عمل أهل الحاجة ،
 صَنَاع^{٢٤} الكفّين ، قَطِيعَة^{٢٥} اللسان ، رَهْوَة^{٢٦} الصوت ساكنته ، تَرِين^{٢٧} الولي ، وَتَشِين^{٢٨}
 العدو ، إن أردتها اشتهدت^{٢٩} ، وإن تركتها انتهت^{٣٠} ، تُحَلِّقُ عيناها ، وتُحْمِرُ
 وجنتها ، وتَذَبْذَبُ شفتها ، وتبادرك الوثبة إذا قت^{٣١} ، ولا تجلس إلا بأمرك

(١) العيطاء : الطويلة العنق .

(٢) غرث الوشاح : دقيقة الخصر .

(٣) الرداح : العجزاء الثقيلة الاوراك الثامنة الخلق . والاقبال : ما استقبلك من مشرف
 والواحد قَبَل .

(٤) لفاء : ضخمة الفخذين مكنتزة .

(٥) الماكيتان : اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين ، الواحدة مأكمة .

(٦) مفعمة الساق : ممثلتها .

(٧) مشبعة الخُلخال : كناية عن السمن .

(٨) القطوف : وصف من القطف وهو تقارب الخطو .

(٩) المكسال : المرأة التي لا تكاد تبرج مجلسها ، وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى .

(١٠) البضة : الناعمة ، يقال : امرأة بضة المتجرّد بالفتح أي بضة عند التجرد .

(١١) الخنساء من الخنس وهو تأخر الانف الى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا

مشرف ، وقيل هو قريب من الفطس وهو لصوق الفصبة بالوجة وضخم الارنية .

(١٢) السفعاء من السفع وهو السواد : اراد بسفعاء الخدين أنها بذلت نفسها وتركزت الزينة

والترفة حتى شحب لونها واسود ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .

(١٣) قطيعة اللسان : غير سليطة .

(١٤) رهوة الصوت : رقيقته ، سهلته .

إذا جلست . قال : فقيل لها أنوشروانُ وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز .

نعمان يرفض باباء :

فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ؛ وقال لزيد والرسولُ يسمع : أما في ما السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية : كاوان أي البقر ، فأمسك الرسول : وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملكُ كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب اليك به . فأنزلها يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذي طلب الملكُ ليس عندي ؛ وقال لزيد : اعذرني عند الملك . فلما رجعا إلى كسرى : قال زيد للرسول الذي قدم معه : اصدق الملك عما سمعت ، فإني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه اليك ، فقرأه عليه . فقال له كسرى ، وأين الذي كنت خبرتني به ؟ قال : قد كنت خبرتك بضئتهم بنسائهم على غيرهم ، وإن ذلك من شقايتهم واختيارهم الجوع والعري على الشبع والرياش ، وإيثارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم ليستثونها السجن ، فسل هذا الرسول الذي كان معي عما قال ، فإني أكرمُ الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به . قال للرسول : وما قال ؟ فقال له الرسول : أيها الملك ، إنه قال :

كيد زيد للنعمان :

أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ، فعرف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع ، لكنه لم يزد على أن قال : ربَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب . وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى شهراً على ذلك .

غضب كسرى واستجارة النعمان بسادات العرب :

وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه : أن أقبل فإن للملك حاجة اليك ، فانطلق حين أتاه كتابه ، فحمل سلاحه وما قوي عليه ، ثم لحق بجبلي طيبي ، وكانت فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وأمرأة ، وكانت أيضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيناً على أن يدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبوا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صهرك لقتلناك ، فإنه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحد منهم يقبله ، غير أن بني روَاحَة بن قُطَيْعَة بن عَبْس قالوا : إن شئت قاتلنا معك ، لئِنَّكَ كُنتَ له عندهم في أمر مروان القَرْظ ، قال : ما أَرِحُّ أنْ أَهْلِكَكُمْ ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى . فأقبل حتى نزل بذري قار في بني شَيْبَانَ سِرّاً ، فلقِيَ هَانِئَ بْنَ قَبِيصَةَ ، وقيل بل هَانِئَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَيْعَةَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ ، وكان سيداً مَنِيئاً ، والبيت يومئذ من ربيعة في آلِ ذِي الْجَدَيْنِ لَقَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ ذِي الْجَدَيْنِ ، وكان كسرى قد أطعم قَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ الْأُبَلَّةَ ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هَانِئاً يَمْنَعُهُ مما يَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسَهُ .

وقال حماد الراوية في خبره : إنه إنما استجار بهانيء كما استجار بغيره فأجاره ، وقال له : قد لُزِمَنِي ذِمَامُكَ وَأَنَا مَا نَعُكَ مَا أَمْنَعُ نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي مِنْهُ مَا بَقِيَ مِنْ عَشِيرَتِي الْأَذْنَيْنِ رَجُلٌ ، وَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِكَ لَأَنَّهُ مُهْلِكِي وَمُهْلِكُكَ ، وَعِنْدِي رَأْيٌ لَكَ لَسْتُ أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لِأَدْفَعَكَ عَمَّا تَرِيدُهُ مِنْ مَجَاوِرَتِي وَلَكِنَّهُ الصَّوَابُ ؛ فَقَالَ : هَاتِهِ ؛ فَقَالَ : إِنْ كُلُّ أَمْرٍ يُجْمَلُ بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمُلْكِ سُوقَةً ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلَئِنْ تَمَوْتُ كَرِيماً خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتَجَرَّعَ الذِّلُّ أَوْ تَبْقَى سُوقَةً بَعْدَ الْمُلْكِ ، هَذَا إِنْ بَقِيتَ ، فَأَمَضَ إِلَى

(١) الأبله : بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، وكانت مدينة فيها مسالح وقائد من قبل كسرى .

صاحبك وأحمل اليه هدايا ومالاً وألتر نفسك بين يديه ، فإمّا أن صفح عنك فعدتَ مَلِكاً عزيزاً ، وإمّا أن أصابك فالمتُ خيرٌ من أن يتلعبَ بك صعايلكُ العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيراً مجاوراً أو تُقتلَ مقهوراً ؛ فقال : كيف مجرمي ؟ قال : هنّ في ذمتي ، لا يُخلصُ اليهنّ حتى يُخلصَ إلى بناقي ؛ فقال : هذا وأبيك الرأيُ الصحيحُ ، ولن أجاوزَه . ثم اختار خيلاً وحللاً من عَصَبِ اليمَن وجوهرأ وطرفاً كانت عنده ، ووجه بها إلى كسرى وكتب اليه يعتذرُ ويُعلمُه أنه صائرٌ اليه ، ووجه بها مع رسوله ، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم ؛ فعاد اليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءاً . فمضى اليه حتى إذا وصل إلى المدائنَ لقيه زيدُ بنُ عديّ على قنطرة ساباط^(١) ، فقال له :

النعمان يسلم نفسه فيموت سجيناً :

انجُ نعيمُ ، إن أستطعتَ النجاء ؛ فقال له : أفعلتها يا زيدُ ! أما والله ، لئن عشتُ لك لأقتلنك قتلةً لم يُقتلها عربي قط ولألحقتك بأبيك ! فقال له زيد : أمضِ لشأركَ نعيمُ ، فقد والله أخيتُ لك أخيةً^(٢) لا يقطعها المهرُ الأرن^(٣) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث اليه ، فقيده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين^(٤) ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه .

(١) العصب : ضرب من برود اليمَن بعصب غزله أي يجمع ويُشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٢) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسم ، فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦ هـ .

(٣) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٤) الأخية : وتد في الحائط .

(٥) الأرن : التشيط .

(٦) خانقين : بلد بسواد بغداد كان النعمان خنق به عديّ بن زيد حتى قتله .

وقال حماد الراوية والكوفيون : بل مات بسابطاً في حبسه . وقال ابن الكلبي : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات ، واحتجوا بقول الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بسابطاً حتى مات وهو محزق

قال المحزق : المضيئ عليه . وأنكر هذا من زعم أنه مات بجانقين ، وقالوا : لم يزل محبوساً مدة طويلة ، وإنه إنما مات بعد ذلك بيمين قبيل الاسلام ، وغضبت له العرب حينئذ ، وكان قتله سبب وقعة ذي قار .

عدي وهند بنت النعمان :

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال علي بن الصباح حدثني هشام بن الكلبي عن أبيه قال :

كان عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب الشاعر العبدي يهوى هند بنت النعمان بن المنذر بن أمية القيس بن النعمان بن أمية القيس بن عمرو ابن عدي بن نصر ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن فارة بن لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ولها يقول :

علق الأحشاء من هندٍ علق مستسر فيه نصب وأرق

وهي قصيدة طويلة . وفيها أيضاً يقول :

(١) يقال حزرق الرجل بمعنى حبسه وضيق عليه .

(٢) العلق : العشق والهوى .

(٣) النصب : الداء والبلاء والشر .

مَنْ لِقَلْبٍ دَنَفٍ أَوْ مُعْتَمِدٍ قَدْ عَصَى كُلَّ نَصُوحٍ وَمُقَدِّ

وهي طويلة . وفيها أيضاً يقول :

يا خليلي يَسْرًا التَّعْسِيرَا ثُمَّ رُوحًا فَهَجَرَا تَهْجِيرَا
عَرَجَا بِي عَلَى دِيَارٍ لَهْنَدٍ لَيْسَ أَنْ عُجِبْتُ الْمَطْيَا كَبِيرَا

كيف تزوج هنداً :

قال ابن الكلبي : وقد تزوجها عدي . وقال ابن أبي سعد ، وذكر ذلك خالد بن كلثوم أيضاً قالا : كان سبب عشقه إياها أن هنداً كانت من أجل نساء أهلها وزمانها ، وأما مارية الكندرية ؛ فخرجت في خميس الفصح ، وهو بعد السعائين بثلاثة أيام ، تتقرب في البيعة ، ولها حينئذ إحدى عشرة سنة ، وذلك في ملك المنذر ؛ وقد قدم عدي حينئذ هدية من كسرى إلى المنذر ، والنعمان يومئذ فتى شاب ، فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدي ليتقرب ، وكانت مديدة القامة عبلة الجسم ، فراها عدي وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأملها ، وقد كان جوارها راين عدياً وهو مقبل فلم يقلن لها ذلك ، كي يراها عدي ، وإنما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها مارية ، وقد كانت أحببت عدياً فلم تدر كيف تأتي له . فلما رأت هند عدياً ينظر إليها شق ذلك عليها ، وسبت جوارها ونالت بعضهن بضرب ؛ فوقعت هند في نفس عدي ، فليث حولا لا يجبر بذلك أحداً . فلما كان بعد حول وظننت مارية أن هنداً قد أضربت عما جرى وصفت لها ببيعة دومة - وقال خالد بن كلثوم : ببيعة ثوما وهو الصحيح - ووصفت لها من فيها من الرواهب ، ومن يأتيها من جوارى الخيرة ، وحسن بنائها وسرورها ؛ وقالت لها : سلي أملك الإذن لك في إتيانها ، فسألته ذلك فأذنت لها ، وبادرت مارية إلى عدي فأخبرته الخبر فبادر فليس يلتمعاً كان « فرخان شاه مرد » قد كساه إياه ،

(١) هو اسم فاعل من فداه 'يغديه إذا قال له : جعلت فداك .

(٢) اليلق : القباء .

وكان مُذْهِباً لم يُرَ مثله حسناً، وكان عديّ حَسَنَ الوجه، مديد القامة، حُلُوّ العينين، حَسَنَ الْمَلِيسِ، نَتَّى الثَّغْرِ. وأخذ معه جماعةً من فِتْيَانِ الحِيرة، فدخل البيعة؛ فلما رآته ماريةُ قالتْ لهند: انظري الى هذا الفتى! فهو والله أحسنُ من كلِّ ما تَرَيْنَ من السُّرَجِ وغيرها! قالت: ومن هو؟ قالت: عديّ بنُ زيد؛ قالت: اتُخافين أن يعرفني إن دنوتُ منه لِأُراه من قريبٍ؟ قالت: ومن أين يَعْرِفُكَ وما رَأَكَ قطُّ من حيثُ يَعْرِفُكَ! فدنتُ منه وهو يُمازح الفتيانَ الذين معه وقد برَّعَ عليهم بجماله، وحسنِ كلامه وفصاحته، وما عليه من الثياب، فذهلتُ لما رآته وَهَيْتُ تنظرُ اليه. وعرفتُ ماريةَ ما بها وتبينتُهُ في وجهها، فقالت لها: كَلِمِيهِ، فَكَلَّمْتُهُ، وَأَنْصَرَفْتُ وقد تَبَعْتُهُ نَفْسُهَا وَهَوِيَّتُهُ، وَأَنْصَرَفْتُ بِمِثْلِ حَالِهَا. فلما كان الغدُ تَعَرَّضْتُ لَهُ ماريةُ، فلما رآها هَشَّ لها، وكان قبل ذلك لا يكلمها، وقال لها: ما غَدَا بِكَ؟ قالت حاجةٌ اليك، قال: اذكريها، فوالله لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتُكِ إياه، فَعَرَفْتُهُ أنها تهواه، وأن حاجتها الحُلوةُ به على أن تحتالَ لَهُ في هند، وعاهدتهُ على ذلك؛ فأدخلها حانوتَ خُمَارٍ في الحِيرة ووقع عليها؛ ثم خَرَجَتْ فَأَتَتْ هِنْدًا، فقالت: أما تَشْتَهينَ أن تَرَيَ عديّاً؟ قالت: وكيف لي به؟ قالت: أَعِدُّهُ مَكَانَ كَذَا وكَذَا في ظَهرِ القَصْرِ وتُشْرِفِينَ عليه؛ قالت: أَفْعَلِي، فَوَاعَدْتُهُ الى ذلك المكان، فَأَتَاهُ وَأَشْرَفْتُ هِنْدُ عليه، فَكَادَتْ تَمُوتُ، وقالت: إن لم تُدْخِلِيهِ إِلَيَّ هَلَكْتُ. فبادرتِ الأُمّةُ الى النعمان فأخبرتهُ خبرَها وَصَدَقْتُهُ، وَذَكَرَتْ أَنَّهَا قَدْ سَغِفَتْ بِهِ، وَأَنْ سَبَبَ ذَلِكَ رُؤْيُهَا إِيَّاهُ فِي يَوْمِ الْفِصْحِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَزُوجْهَا بِهِ افْتَضَحَتْ فِي أَمْرِهِ أَوْ مَاتَتْ؛ فَقَالَ لَهَا: وَيْلَكَ! وَكَيْفَ أَبْدُوهُ بِذَلِكَ! فقالت: هو أرغبُ في ذلكَ مِنِّي أَنْ تَبْدَأَهُ أَنْتَ، وَأَنَا أَحْتَالُ فِي ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ أَنَّكَ عَرَفْتَ أَمْرَهُ. وَأَتَتْ عديّاً فَأخبرتهُ الخبرَ، وقالت: أَدْعُهُ، فَإِذَا أَخَذَ الشَّرَابَ مِنْهُ فَأَخْطَبُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ غَيْرُ رَادِّكَ؛ قَالَ: أَخْشَى أَنْ يُغْضِبَهُ ذَلِكَ فَيَكُونُ سَبَبَ الْعِدَاوَةِ بَيْنَنَا؛ قالت: مَا قُلْتُ لَكَ هَذَا حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ مَعَهُ؛ فَصَنَعَ عديّ طَعَاماً وَاحْتَفَلَ فِيهِ، ثُمَّ أَتَى النعمانَ بَعْدَ الْفِصْحِ بِثَلَاثَةِ

أيام، وذلك في يوم الاثنين، فسأله أن يتعدى عنده هو وأصحابه، ففعل. فلما أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان فأجابته وزوجه وضما إليه بعد ثلاثة أيام.

هند تترهب بعده :

قال خالد بن كلثوم : فكانت معه حتى قتلته النعمان، فترهبت وحسبت نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة. وقال ابن الكلبي : بل ترهبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسها واحتسبت في الدير حتى ماتت، وكانت وفاتها بعد الاسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردته.

هند ترفض المغيرة :

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام ابن محمد بن الكلبي عن أبيه والشرقي بن القطامي قال :

مر المغيرة بن شعبة لما ولّاه معاوية الكوفة بدير هند، فتره ودخل على هند بنت النعمان بعد أن أستاذن عليها، فأذنت له وبسطت له مسجاً فجلس عليه، ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئتُ خاطباً؛ قالت : والصليب لو علمت أن في حصلة من جمال أو شباب رغبتي في لأجبتك، ولكنك أردت أن تقول في المواسم : ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت أخته، فبحق معبودك أهذا أردت ؟ قال : إي والله؛ قالت : فلا سبيل إليه؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها :

أدركت ما منيت نفسي خالياً لله درك يا أبنة النعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه إن الملوكة نقيّة الأذهان

وفي رواية أخرى : إن الملوكة بطيئة الإذعان

يا هندُ حسبك قد صدقتِ فأمسكي فالصدقُ خيرُ مقالةِ الإنسانِ

اول امرأة تعشق امرأة في العرب :

وقد روي عن ابن الكلبي غيرُ علي بن الصباح في هند أنها كانت تهوى زرقاء اليمامة، وأنها أول امرأة أحببت امرأة في العرب، فإن الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً؛ فغزا قوم من العرب اليمامة، فلما قرّبوا من مسافة نظرها قالوا: كيف لكم بالوصول، مع الزرقاء! فاجتمع رأيهم على أن يقتلعوا شجراً تستر كل شجرة منها الفارس إذا حملها؛ فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها؛ فأشرفت، كما كانت تفعل، فقال لها قومها: ما ترين يا زرقاء؟ وذلك في آخر النهار؛ قالت: أرى شجراً يسير؛ فقالوا: كذبت أو كذبتك عينك، واستهانوا بقولها؛ فلما أصبحوا صبحهم القوم، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا الزرقاء فقلعوا عينها فوجدوا فيها عروفاً سوداء، فسئلت عنها فقالت: إني كنت أديم الاحتفال بالأيام فلعل هذا منه، وماتت بعد ذلك بأيام؛ وبلغ هنداً خبرها فترهبت ولبست المسوح وبنت ديراً يعرف بدير هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت.

قبل انه اكره على طلاق هند :

وروى ابن حبيب عن ابن الاعرابي: أن النعمان لما حبس عدياً أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلقها. قال ابن حبيب: وذكر عدي بن زيد صهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوج أخته - هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة. وقالت رواة العرب: إنه كان زوج أبنته هند - فمن ذلك قوله في قصيدته التي أولها:

أبصرت عيني عشاء ضوء نار

فقال فيها :

أَجَلَ نَعْمَى رَبِّهَا أَوْلَكُمْ وَدُنُوِي كَانَ مِنْكُمْ وَأَصْطَهَارِي
نَحْنُ كُنَّا قَدْ عَلِمْتُمْ قَبْلَهَا عَمَدَ الْبَيْتِ وَأَوْتَادَ الْإِصَارِ

لماذا تنصر النعمان :

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا إبراهيم بن فهد قال حدثنا خليفة بن خياط شبيب المصفرى قال حدثنا هشام بن محمد قال حدثني يحيى بن أيوب البجلي قال حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي قال : سمعت جدي جرير بن عبد الله يقول ، وأخبرني به عمي قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبي أبو عبد الله قال حدثني معروف بن خربوذ عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة بن عمرو قال : سمعت جدي جرير بن عبد الله - ولفظ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم - قال :

كان سبب تنصر النعمان - وكان يعبد الاوثان قبل ذلك ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : النعمان بن المنذر الاكبر - أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدي بن زيد ، فرآ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ؛ فقال له عدي بن زيد : أبيت اللعن ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : فقال له تقول :

أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمَخْبُؤُ نَ عَلَى الْأَرْضِ الْمَجْدُونُ
فَكَمَا أَنْتُمْ كُنَّا دَكَا نَحْنُ تَكُونُونَ

وقال الصولي في خبره : فقال له تقول :

كُنَّا كَمَا كُنْتُمْ حِينًا فَعَيَّرْنَا دَهْرٌ فَسَوْفَ كَمَا صِرْنَا تَصِيرُونَ
قال : فانصرف وقد دخلته رقة ، فكث بعد ذلك يسيراً ؛ ثم خرج خروجة

أخرى فرّ على تلك المقابر ومعه عديّ، فقال له: أبيت اللعن، أتدري ما تقول
هذه المقابر؟ قال: لا؛ قال: فإنها تقول:

مَنْ رَأَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قَرْنٍ زَوَالٍ
وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِلَمَاءِ الزُّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُدُمٌ^(١) وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَرْدِي فِي الْجَلَالِ
عَمِرُوا دَهْرًا بَعِيشٍ حَسَنٍ آمَنِي دَهْرَهُمْ غَيْرَ عِجَالٍ
ثُمَّ أَضَحَوْا عَصْفَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرَّجَالِ
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يَرْمِي بِالْفَتَى فِي طَلَابِ الْعَيْشِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قال الصوليّ في خبره وهو الصحيح: فرجع النعمانُ فتنصّر؛ وقال أحمد بن
عبيد الله في خبره عن الزياتي الكلبّي: فرجع النعمانُ من وجهه وقال لعديّ:
اتّمت الليلة إذا هدأت الرّجل لتعلم حالي، فأثابه فوجده قد لیس المسوح وتنصّر
وترهب وخرج سائحاً على وجهه فلا يُدرى ما كانت حاله، فتنصّر ولده بعده،
وبنوا البيع والصوامع، وبنت هند بنت النعمان بن المنذر الدّير الذي بظهر الكوفة
ويقال له: «دير هند»، فلما حبس كسرى النعمان الأصغر أباهما ومات في حبسه
ترهّب هند وليست المسوح وأقامت في ديرها مترهبة حتى ماتت فدُفنت فيه.

رأي المؤلف في ذلك :

قال مؤلف هذا الكتاب: إنّا ذكرتُ الخبرَ الذي رواه الزياتي على ما فيه
من التخليط لأنّي إذا أتيتُ بالقصة ذكرتُ ما يُروى في معناها. وهو خبر مختلط،
لأنّ عديّ بن زيد إنّا كان صاحب النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر
لا يعرفه عديّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد،

(١) قُدُم: جمع قدام بفتح الفاء وكسرهما وهو ما يوضع في فم الأبريق لتصفية ما فيه من شراب.

(٢) تردي: تعدو وترجم الأرض بحوافرها.

وقد ذكرتُ نسبَ النعمانِ آنفاً ، ولعل هذا النعمانَ الذي ذكره عمُّ النعمانِ بنِ المنذرِ الاصغرِ بنِ المنذرِ الأكبرِ ، والمتنصرِ السائحِ على وجهه ليس عدي بن زيد أدخله في النصرانية ، وكيف يكون هو المدخلُ له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمانِ في شعره لما حبسه مع مَنْ ضربه مثلاً له من الملوكِ السالفة !

حدثنا بخبرِ ذلك الملكِ جعفرُ بن محمد الفرياني وأحمدُ بن عبد العزيز بن الجعدِ الوشاءَ قالا : حدثنا إسحاق بن البهلول الأنباري قال حدثني أبي البهلولُ ابن حسان التتوخي قال حدثني إسحاق بن زياد من بني سامة بن لؤي عن شبيب بن شينة عن خالد بن صفوان بن الأهم قال :

أوفدني يوسف بن عمرو إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق قال : فقدمتُ عليه وقد خرج بقرابته وحشيه وغاشيته وجلسائه ، فنزل في أرض قاع صصح^١ منيف أفيح^٢ ، في عامٍ قد بكر وسمية^٣ ، وتتابع وليه ، واخذت الأرض فيه زيتتها على اختلاف ألوان نبيتها من نور ربيع موزق فهو في أحسن منظر^٤ ، وأحسن مختبر^٥ ، وأحسن مستنظر^٦ ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ؛ قال : وقد ضرب له سراق^٧ من حبرة^٨ كان يوسف بن عمرو صنعه له باليمن ، فيه فسطاط^٩ فيه أربعة أفرشة من خمر أحمر مثلها مرافقها^{١٠} ، وعليه دراعة من خمر أحمر مثلها عمامتها ، وقد أخذ الناس مجالسهم ، قال : فأخرجت رأسي من ناحية السباط^{١١} فنظر إلي شبه المستنطق لي فقلت : أتم الله عليك يا أمير

(١) غاشية الرجل : من يتنابه من زواره وأصدقائه .

(٢) الصصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صفار .

(٣) الأفصح : الواسع .

(٤) الوسمي : مطر الربيع الأول . والولي : المطر الذي يلي الوسمي .

(٥) الحبرة والخبرة : ضرب من منسوج اليمن منسج (فيه نقط سود) .

(٦) الفسطاط : بيت من شعر .

(٧) المرفق : ما انتفعت به .

(٨) السباط : جمع سبط وهو الصف من الناس وغيرهم .

المؤمنين نَعْمَهُ ، وجعل ما قلّدتك من هذا الامر رُشْداً ، وعاقبة ما يؤول اليه حمداً ، وأخلصه لك بالتقى ، وكثره لك بالنّاء ، ولا كدر عليك منه ما صفاً ؛ ولا خالط سروره بالرّدى ، فلقد اصبحت للمؤمنين ثِقَّةً ومُستراحاً ، اليك يقصدون في مَظالمهم ، ويفرعون في أمورهم ، وما أجْدُ شيئاً يا امير المؤمنين هو ابلغُ في قضاء حقك ، وتوقير مجلسك ، وما من الله جلّ وعزّ عليّ به من مجالستك من أن أذكركَ نَعَمَ الله عليك ، وأنّيهك لشكرها ، وما أجْدُ في ذلك شيئاً هو ابلغُ من حديث مَنْ سلف قبلك من الملوك ، فإن أذنَ أمير المؤمنين أخبرته به ؛ قال : فاستوى جالساً وكان مُتَكِناً ثم قال : هاتِ يا ابن الآثَمِ ، قال : قلت يا امير المؤمنين إنّ ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا الى الخورنق والسدير في عامٍ قد بكر وسميه ، وتابع ولّيه ، وأخذت الارضُ فيه زينتها على اختلاف الوان نبتتها في ربيع مُونقه ، وهو في أحسن مَنظر ، وأحسن مَحْتَبَر ، بصعيد كأن ترابّه قطع الكافور ، وقد كان أُعطيَ قَتاء السنّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظرَ ثم قال جلسائه : لمنٍ مثلُ هذا ، هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ! وهل أُعطيَ أحدٌ مثلَ ما أُعطيْتُ ! قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الحُجّة ، والمضيّ على أدب الحقّ ومنهاجه ، قال : ولم تحُلُ الارضُ من قائمٍ لله بحجّة في عباده ؛ فقال : ليها الملكُ إنك سألت عن امرئٍ أفتأذنُ في الجواب عنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أرايتَ هذا الذي أنتَ فيه ، أشي ؟ لم ترلُ فيه ، أم شيء ؟ صار اليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك ؟ قال : كذلك هو ؛ قال : فلا أراك إلا عَجِبْتَ بشيء يسير تكون فيه قليلاً وتغيبُ عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرْتَهناً ؛ قال : ويحك ! فأين المهربُ وأين المطلبُ ؟ قال : إما أن تُقيمَ في ملكك فتعملَ فيه بطاعة الله ربّك على ما ساءك وسرك ، وأمّا وأرمضك ، وإما أن تضع تاجك ، وتحلّع أطارك ، وتلبسَ أمساحك ، وتعبدَ ربك حتى يأتيك أجلك ؛ قال : فإذا كان السّحرُ فأقرعُ عليّ باي فإني مختارٌ أحدَ الرأيين ، وربما قال إحدى المترتين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتُ وزيراً لا يُعصى ، وإن اخترتُ فُلواتِ الارض وقفرَ البلاد كنتُ رقيقاً لا يُخالَفُ ؛

قال : ففرع عليه عند السحر بابه فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أظفاره ، ولبس أماسحه ، وتبها للسياحة ، فازما والله الجبل حتى اتاهما أجلهما ، وهو حيث يقول عدي بن زيد أخو بني تميم :

أثيا الشامتُ المعبرُ بالدهرِ أنتَ المبرأُ الموفورُ
أم لديك العهد الوثيقُ من الأيامِ بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنونَ خلدنَ أم من ذا عليه من أن يضامَ خفيرُ
أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشرُ وان أم أين قبله سابورُ
وبنو الاصفر الكرامُ ملوكُ الرومِ لم يبق منهم مذكورُ
وأخو الخضر إذ بناه وإذ دجَّله تُجبي إليه والخابورُ
شاده مرمراً وجلَّله كلساً فللطير في ذراه وُكورُ
لم يهبه ريبُ المنونِ فبادَ ألسنكُ عنه فبابه مهجورُ
وتذكرو ربَّ الخورنقِ إذ أشرفَ يوماً وللهدى تفكيرُ
سره ماله وكثرة ما يملكُ والبحرُ مُعريضاً والسيدي
فأرعوى قلبه فقال وما غبطةٌ حيي إلى الماتِ يصيرُ
ثم بعد الفلاح والملك والإمة وارثهم هناك القبورُ
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفَّ فالوت به الصبا والدبورُ

قال : فبكى والله هشامٌ حتى أخضل لحيتَه ، وبلَّ عمامته ، وأمرَ بترع أبنيتَه ، وبنقلان قرابته واهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ، ولزم قصره ، فأقبلت الموالى والحشمُ على خالد بن صفوان فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ! أفسدتَ عليه لذته ، ونغصتَ عليه مآذُبته ، فقال : اليكم عني فأني عاهدتُ اللهَ عزَّ وجلَّ ألا أخلوَ بملكٍ إلا ذكَّرتُه اللهَ عزَّ وجلَّ .

(١) الخابور : اسم نهر بين رأس عين والفرات .

(٢) الامة : النعمة .

قصرا الحضرة والخورنق :

فأما خبرُ الحضرة وصاحبه ، والخورنق وصاحبه ، فإني أذكر خبرهما هاهنا
لأنه مما يحسنُ ذكره بعقب هذه الاخبار ولا يُستغنى عنه ، والشئ يتبع الشئ .

أخبرني بحبره ابراهيم بن السري عن ابيه عن شعيب عن سيف ، وأخبرني
به الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي ،
وأخبرني به علي بن سليمان الاخفش في كتاب المغتالين عن الشكري عن محمد بن
حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل بن سلمة الضبي ، وهشام بن الكلبي عن
أبيه ، وإسحاق بن الجصاص عن الكوفيين :

أن الحضرة كان قصراً بخیال تكويت بين درجّة والفوات ، وأن أخا الحضرة
الذي ذكره عدي بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجرام بن
عمرو بن النخع بن سليح بن بني تريد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن
قضاعه ، وأمه جبهة امرأة من بني تريد بن حلوان أخي سليح بن حلوان ،
وكان لا يُعرف إلا بأمه هذه ، وكان ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة ،
وكان معه من بني الاجرام وسائر قبائل قضاعه ما لا يُحصى ، وكان ملكه قد
بلغ الشام . فأغار الضيزن فأصاب أختاً لسابور ذي الاكتاف وفتح مدينة نهر
شير وفتك فيهم ، فقال في ذلك عمرو بن السليح بن حدي بن الدهان بن غنم بن
حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعه :

لَقِينَاهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْحَيْلِ الصَّلَادِمَةِ الذُّكُورِ
فَلَاقَتْ فَارِسٌ مَنَا نَكَالًا وَقَتَلْنَا هَرَابِذَ شَهْرَزُورِ
دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِجَمْعٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ كَالسَّعِيرِ

قالوا : ثم إن سابور ذا الاكتاف جمع لهم وسار اليهم ، فأقام على الحضرة أربع
سنين لا يستعمل منهم شيئاً . ثم إن النضيرة بنت الضيزن عرّكت - أي

حاضت - فأخرجت إلى الربض^(١)، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، وعشقها وعشقته، فأرسلت إليه: ما تجعل لي إن دلتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أتي؟ قال: أحكمك وأرفعك على نسائي، وأخصك بنفسي دونهن، قالت: عليك بحمامة مطوقة ورقاء، فأكتب في رجلها بجيضم جارية بكر تكون زرقاء، ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فتدأعي المدينة، وكان ذلك طلسمها لا يهدمها إلا هو، ففعل وتأهب لهم، وقالت له: أنا اسقي الحرس الخمر، فإذا صرعوا فأقتلهم وأدخل المدينة، ففعل فتدأعت المدينة، وفتحها سابور عنوة، فقتل الضيزن يومئذ، وأباد بني العييد، وأفنى قضاة الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق منهم باق، يعرف إلى اليوم، وأصيبت قبائل حلوان وانقرضوا ودرجوا، فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضيزن:

ألم يحزنك والأنباء تنمي^(٢) بما لاقت سرّة بني العييد
ومصرع ضيزن وبني أبيه وأحلاس الكتائب من تريد
أتأثم بالقبول مجلات وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسي الحضر صخرًا كان ثقالة زبر^(٣) الحديد

قال: فأخرب سابور المدينة واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين^(٤)

(١) الربض: ما حول المدينة من خارج.

(٢) طلسمها: سرها المكتوم.

(٣) تنمي أي تشيع، وأصله من غي الشيء ينمي إذا ارتفع وزاد.

(٤) أحلاس الكتائب: الشجعان اللازمون لها، يقال: فلان من أحلاس الخيل أي هو في الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس.

(٥) جمع آسية وهي ما أسس من بنيان فاحكم أصله من سارية وغيرها.

(٦) زبر: قطع.

(٧) عين النمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة.

التمر، فلم تزل ليلتها تتصور من خشانة في فُرُشها وهي من حرير محشو بالقز،
فالتبس ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آس ملتصقة بعكنته من عكنتها قد أثرت
فيها. قال: وكان يُنظر إلى مُخِها من بين بشرتها. فقال لها سابور: ويحك!
بأي شيء كان ابوك يُغذيك؟ قالت: بالزبد والمخ وشهد الأبقار من النحل
وصفوة الحمر. فقال: وأبيك لانا أحدث عهداً بمعرفتِك، وآثرُ لك من أبيك
الذي غداك بما تذكرين! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وصَفَرَ غداؤها بذنبه،
ثم استركضه فقطعها قطعاً، فذلك قول الشاعر:

أَفَرَ الْحَضْرُ مِنْ نَضِيرَةٍ فَالِمُرُ بَاعُ مِنْهَا لُجَانِبُ الثَّرَارِ

قالوا: وكان الضَّيْرُ صاحبُ الحضر يُلقَّبُ السَّاطِرُونَ، وقال غيرهم: بل
السَّاطِرُونَ صاحبُ الحضر كان رجلاً من اهل باجرمى والله أعلم أي ذلك كان.
هذا خبر صاحب الحضر الذي ذكره عدي.

وأما صاحب الحورنق فهو النعمان بن الشقيقة، وهو الذي ساح على وجهه
فلم يُعرف له خبر، والشقيقة أمه بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شنيان. وهو
النعمان بن أمية القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الضخم اللخمي،
وهو صاحب الحورنق، فذكر ابن الكلبي في خبره الذي قدّمنا ذكره ورواية
علي بن الصباح إياه عنه: أنه كان سبب بنائه الحورنق أن يزدجرد بن سابور
كان لا يبتغي له ولد، فسأل عن منزل مريء صحيح من الأدوية والاسقام، فدلَّ
على ظهر الحيرة، فدفع ابنه بهرام جور بن يزدجرد إلى النعمان بن الشقيقة،
وكان عامله على أرض العرب، وأمره بأن يبني الحورنق مسكناً له ولابنه ويُزله
إياه معه، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب، وكان الذي بنى الحورنق رجلاً يقال له

(١) تتصور: تتلوى، يقال: تصور أي تلوى وأظهر الضر.

(٢) الثرار: وادي عظيم بين سنجار وتكريت كان في القديم منازل بكر بن وائل، وأختص
بأكثري بنو تغلب منهم، ويمر بمدينة الحضر ثم يصب في دجلة أسفل تكريت.

(٣) باجرمى: قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة.

«سِنِمَارُ» فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال: لو علمت أنكم تُوفوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحيه، لبنيتُه بناءً يدورُ مع الشمس حيثما دارت، فقالوا وإنك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنيه! ثم أمر به فطُرح من أعلى الجَوْسِقِ^(١). وقال: في بعض الروايات أنه قال له: إني لأعرفُ في هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدمَ تداعى القصرُ أجمعُ، فقال له: أما والله لا تدلُّ عليه أحداً أبداً، ثم رُمي به من أعلى القصر، فقالت الشعراء في ذلك اشعاراً كثيرة منها قول أبي الطَّمَحانِ القَيْنِيّ:

جزاء سِنِمَارٍ جَزَوْهَا ورَبِهَا وباللَّاتِ والعُزَّى جزاء المكفَّرِ
ومنها قول سَلِيطِ بنِ سَعْدٍ:

جَزَى بنوه أبا الغِيلانِ عن كَبِيرٍ وحسنِ فِعْلٍ كما يُجْزَى سِنِمَارُ

وقال عبد العزى بن أرمي القيس الكلبي - وكان أهدى إلى الخارث بن مارية الغساني أفراساً، ووَفَدَ إليه فأعجبَ به وأختَصَّهُ، وكان للملك ابنُ مُسْتَوَضِعٍ في بني عبد ودٍّ من كلبٍ فنهَشَتْهُ حَيَّةٌ، فظنَّ الملكُ أنهم أعتالوه، فقال لعبد العزى: جئني بهؤلاء القوم، فقال: هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولا فعلٍ، فقال: لتَأْتِيَنِي بهم أو لَأَفْعَلَنَّ وأَفْعَلَنَّ، فقال له: رَجَوْنَا من حَبَائِكَ أمراً حال دونهُ عِقَابُكَ، ودعا أبنيه شراحيلَ وعبدَ الخارث - فكتب معها إلى قومه:

جَزَانِي جزاءُ اللهُ شَرَّ جزائِهِ جزاءُ سِنِمَارٍ وما كان ذا ذَنْبٍ
سوى رِضَى البَنِيانِ عِشْرِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عليه بالقَرَامِيدِ والسَّكْبِ^(٢)

وهي أبيات، قال: فقتله النعمان، وكان أمره قد عظم وجعل معه كسرى

(١) الجَوْسِقُ: القصر، فارسيّ معرَّب.

(٢) السَّكْبُ: النحاس أو الرصاص.

كتيبتين : إحداهما يقال لها : « دَوَسِر » وهي لِسُخ ، والأخرى : « الشَّهْبَاء » وهي للفرس ، وكانتا أيضاً تُسَمَّيانِ القبيلتين ، وكان يغزو بهما بلاد الشام ، وكلُّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب . فجلس يوماً يُشْرِفُ من الحُورِ نَقْرٍ فأعجبه ما رأى من مُلكه . ثم ذكر باقي خبره مثل ما ذكره خالد بن صفوان لهشام . من مخاطبة الواعظِ وجوابه وما كان من اختياره السباحة وتركه مُلكه .

النابعة الذبياني يرثي النعمان :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدثني عبد الله ابن عمرو قال ذكر ابنُ حمزة عن مشايخه :

أن النعمان بن المنذر لما نُعيَ إلى النابعة الذبيانيّ وُحِدَتْ بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثَّلَ :

مَنْ يَطْلُبُ الدهرَ تَدْرِكُهُ مَخَالِبُهُ	والدهرُ بالوَرْتِ ناجٍ غيرُ مطلوبٍ
ما من أناسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ	إلا يَشْدُ عليهم شِدَّةُ الذَّيْبِ
حتى يُبَيِّدَ على عَمْدٍ سَرَائِهِمْ	بالنافذاتِ من التُّبُلِ المَصَائِبِ
إني وجدتُ سِهَامَ الموتِ مُعْرِضَةً	بكلِّ حَتَفٍ من الآجالِ مكتوبٍ

الفناء في شعر عدي :

وفي سائر قصائد عديّ بن زيد التي كتب بها الى النعمان يستعطفه ويمتدحها اليه أغان .

منها :

صوت

لم أرَ مثلَ الغتيانِ في غنِّ الأيامِ يَنسَوْنَ ما عواقِبُها
يَنسَوْنَ إخوانَهُمْ ومصرَعَهُمْ وكيف تَعْتاقُهُمْ مَخالِبُها
ماذا تُرْجِي النفوسُ من طلبِ الخيرِ وحبِّ الحياةِ كارِبُها
تظنَّ أن لن يصيبها عَنَتُ الدهرِ وريبُ المنونِ صائِبُها

ويروى 'عقب' الدهر - يقول: الأيام تَغْنِيُ الناسَ فتخدُّعُهُمْ وتحتِلُهُمْ مثلَ
الغنِّ في البيعِ. وتَعْتاقُهُمْ: تَحْبِسُهُمْ، يقال: أَعْتاقه وأَعْتَقاهُ. وكاربها هاهنا:
غائِبها، وهو في موضع آخر القريبُ منها، يقال كَرَبَهُ الأمرُ وكرَّهه وبهَضه وغَنَظله
إذا غَمَّه.

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحَرِّز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه .
وفيها رمل بالنصر، نسبه حَبَشٌ ودانيرٌ إلى حُثَيْنٍ، ونسبه الهِشَامِيُّ وابن المكي
إلى الهَذَلِيِّ.

ومنها:

صوت

يا لَبْنِي أوقدي النَّارَ إنَّ مَنْ تَهَوَّنَ قد حارا
رُبَّ نارٍ رُبَّتْ أَرْمَقُها تَقْضِمُ الهنديَّ والغارا
عندها ظيُّ يورثها عاقِدٌ في الجيدرِ تقصارا

(١) عقب: جمع عقبية وهي الشدة، يقال: لقي منه عقبية أي شدة.

(٢) اعتقاه: احتبسه.

عروضه من المديد - حار يحير هنا : ضلّ، وحار في موضع آخر : رجع .
والغار : شجر طيب الريح، والغار أيضاً : شجر السوس، والغار : الغيرة . ويؤرثها :
يوقدّها ويكثر حطبها . والتقصار : المَخْنَقَة .

الغناء لخنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه
خفيف رمل يقال إنه لعريب .

أخبرني محمد بن مزيريد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق، وأخبرنا به
يحيى بن عليّ عن داود بن محمد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن
يونس النحوي قال :

مات رجل من جند أهل الشام عظيم القدر، له فيهم عزّ وعدد؛ فحضر
الحجّاج جنازته وصلى عليه وجلس على قبره وقال : لِيُنْزِلَ إِلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ ،
فَنَزَلَ نَفَرٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ يُسَوِّي عَلَيْهِ : رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا قَتَان ، إِنْ كُنْتَ
مَا عَلِمْتُ تُجِيدُ الْغَنَاءَ ، وَتُسْرِعُ رَدَّ الْكَأْسِ ، وَلَقَدْ وَقَعْتَ فِي مَوْضِعٍ سُوءٍ لَا
تَخْرُجُ مِنْهُ وَاللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ : فَمَا تَأْلَكَ الْحَجَّاجُ أَنْ ضَحِكَ ، وَكَانَ لَا
يَكْثُرُ الضَّحْكَ فِي جِدِّ وَلَا هَزَلٍ . فَقَالَ لَهُ : أَهَذَا مَوْضِعٌ هَذَا لَا أُمَّ لَكَ !
فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، فَرُسُهُ حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَوْ سَمِعَهُ الْأَمِيرُ وَهُوَ يُغَيِّي :

يَا لَبِئْسَ أَوْقَدِي النَّارَا إِنْ مَنْ تَهَوَّنَ قَدْ حَارَا

لانتشر الأمير على سعة ، وكان الميت يلقب بسعة ، فقال : إنا لله أخرجوه
من القبر ! ما أرين حجة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام ! قال : وكان
سعة هذا الميت من أوحش خلق الله كلهم صورة ، وأذمهم قامة . فلم يبق
أحد حضر القبر إلا أستفرغ ضحكاً .

ومنها من قصيدته التي أولها :

لَمَنْ الدَّارُ تَعَفَّتْ بِخَيْمٍ

(١) خيم : اسم جبل من عمارة على يسار الطريق الى اليمن .

صوت

وثلاث كالحمامات بها بين مجنأهن توشيم الحتم
أسأل الدار وقد أنكرتها عن حبيبي فإذا فيها صتم

— وروى : توشيم العجم . والتوشيم أراد به آثار الوقود صار فيها كالوشم .
والثلاث يعني الأثافي التي تُنصب عليها القدر .

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكي .
وفيه لحكم لحن من كتاب إبراهيم غير مجئس . وهذه القصيدة التي أولها :

لمن الدار تعفت بحجم أصبحت غيرها طول القدم
ما تبين العين من آياتها غير نوي مثل خط بالقلم

وبعده :

وثلاث كالحمامات بها بين مجنأهن توشيم الحتم

وعلى هذا خفيض قوله : وثلاث كالحمامات .

ومنها قوله :

كني غير الأيام للمرأة وازعا

صوت

بنات كرام لم ير بن بصره دمي شرقات بالعبير روادعا

(١) الحتم : جمع حمة وهي الفعم والرماد وكل ما احترق بنار .

(٢) النوي : حفرة تجعل حول الحباء لئلا يدخله ماء المطر .

(٣) لم ير بن : لم يسأن .

(٤) شرقات : ممتلئات ، يقال : شرق الجسد بالطيب : امتلأ .

(٥) روادعا : جمع رادع ، والرادع : ما فيه أثر الردع وهو الطيب .

يُسَارِقْنَ مِ الْأَسْتَارِ طَرَفًا مُقَتَّرًا وَيُبْرِزْنَ مِنْ فَتْحِ الْخُدُورِ الْأَصَابِعَا

بنات كرام موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله :

وَأَصْبِي ظَبَاءً فِي الدِّمَقْسِ^(١) خَوَاضِعَا

بنات كرام هكذا في القصيدة على تواليها، وقد يجوز رفعه على الابتداء .
ويروى : بَضْرَةٌ وَبَضْرَةٌ جَمِيعًا بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ . وَالْذُمَى : الصُّورُ ، وَاحِدُهَا ذُمِيَّةٌ .

الفناء في هذين البيتين لابن قندح ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ
أَنَّهُ لِحَمْدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ بَزِيعٍ ، وَذَكَرَ حَبَشٌ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ .

ومنها :

صوت

أَرِقْتُ لِمَكْفَهَرٍ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شَيْبٍ
تَرُوحُ الْمَشْرِقِيَّةُ فِي ذُرَاهُ وَيَجْلُو صَفْحَةُ الذَّيْلِ الْقَشِيبِ

وَالْمَكْفَهَرُ وَالْمَكْرَهْفُ : السَّحَابُ الْمُتَوَالِي الْمَتْرَاكِبُ . وَالشَّيْبُ : السَّحَابُ
الَّتِي فِيهَا سَوَادٌ وَبَيَاضٌ شَبَّهَا بِالرُّؤُوسِ الشَّيْبِ ، وَقَالَ قَوْمٌ : بِلِ شَيْبٍ : جَبَلٍ
مَعْرُوفٍ . شَبَّهَ الْبَرْقَ فِي السَّحَابِ بِلَتَعَانِ الشُّيُوفِ . وَرَوَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

وَيَجْلُو صَفْحَ دَخْدَارٍ قَشِيبٍ

وَقَالَ : الدَّخْدَارُ : الثَّوبُ الْمَصُونُ ، وَهُوَ أَعْجَمِيٌّ مَعْرَبٌ أَصْلُهُ تَحْتَ دَارٍ .
وَالْقَشِيبُ : الْجَدِيدُ . الْفَنَاءُ لَعَرِيبٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ .

ومنها من قصيدته التي أولها :

أَلَا يَا طَالَ لَيْلِي وَالنَّهَارُ

(١) الدمقس : الديباج وقيل هو الحرير .

صوت

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ النِّعَمَانِ عَنِّي عَلَانِيَةً فَقَدْ ذَهَبَ السِّرَارُ
بَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يُخْلَقْ حَدِيدًا وَلَا هَضْبًا تَوَقَّاهُ الْوَبَارُ
وَلَكِنْ كَالشَّهَابِ فَتَمَّ يَنْجَبُو وَحَادِي الْمَوْتِ عَنْهُ مَا يَحَارُ
فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا وَهَلْ بِالْمَوْتِ يَا لِلنَّاسِ عَارُ

الْهَضْبُ: الْجَبَلُ. وَالْوَبَارُ: جَمْعُ وَبَرٍ. وَالشَّهَابُ: السَّرَاجُ. وَيَنْجَبُو: يَطْلُقُوا.
الغناء لبأبويه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ وَالْهَشَامِيِّ.
ومنها:

صوت

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ النِّعَمَانِ عَنِّي فَبَيْنَا الْمَرْءَ أَغْرَبَ إِذْ أَرَا حَا
أَطْلَعْتَ بَنِي بُقَيْلَةَ فِي وَثَاقِي وَكُنَّا فِي حُلُوقِهِمْ ذُبَا حَا
مَنْحَتَهُمُ الْفُرَاتَ وَجَانِبِيهِ وَتَسْقِينَا الْأَوَاجِنَ وَالْمِلَاحَا

الغناء لَحْنَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ.
ومنها:

(١) الوبر بالتسكين: دويبة على قدر السور غبراء أو بيضاء من دواب الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء تكون بالغور.

(٢) أغرب: من الاغراب وهو كثرة المال وحسن الحال.

(٣) أراح: مات، يقال أراح الرجل إذا مات كأنه استراح.

(٤) الذباح: وجع في الحلق.

(٥) الاواجن: جمع آجن وهو الماء المتغير الطعم واللون.

صوت

مَنْ لِقَلْبِ دَنْفِرٍ أَوْ مُعْتَمِدٍ قَدْ عَصَى كُلَّ نَصِيحٍ وَمُقَدِّ
لَسْتُ إِنْ سَلِمَى نَأْتِي دَارُهَا سَامِعاً فِيهَا إِلَى قَوْلِ أَحَدٍ

المُعْتَمِدُ : الذي عَمِدَهُ الْوَجَعُ يَعْمِدُهُ عَمْدًا .

غَنَاهُ أَبُو مَحْرُزٍ وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .
وَفِيهِ لِمَالِكٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ آخِرٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِيهِ لِمَالِكٍ لَحْنًا ،
وَلِسَانًا الْكَاتِبِ لَحْنًا ، وَهُوَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبِشَ .

ومنها :

صوت

أَرْوَاحُ مُوَدَّعٍ أَمْ بُكُورُ لَكَ فَأَعْمِدُ لَأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ
وَيَقُولُ الْعُدَاةُ أَوْدَى عَدِي وَعَدِي بِسُخْطِ رَبِّ أَسِيرُ
أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعْبَرُ بِالْدَّهْرِ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ

يريد : أَرْوَاحُ نُوْدِْعِكَ فِيهِ أَمْ بُكُورُ ؟ أَيُّهُمَا تُرِيدُ ؟ فَأَعْمِدُ لِلَّذِي تَصِيرُ
إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ . وَالْمَوْفُورُ : الَّذِي لَمْ تُصِبْهُ نَوَائِبُ الدَّهْرِ .

الغناء لِخُنَيْنٍ مِنْ كِتَابِ يُونُسَ وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَتَهُ ، وَذَكَرَ حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ
أَبِيهِ أَنَّ حُنَيْنًا غَنَاهُ خَالِدًا الْقُسْرِيَّ أَيَّامَ حَرَمِ الْغَنَاءِ ، فَرَقَّ لَهُ وَقَالَ : غَنَّى وَلَا
تُعَارِشُ سَفِيهَا وَلَا مُعَرَّبِدًا . وَالْخَبَرُ يُذَكِّرُ فِي أَخْبَارِ حُنَيْنَ .

وَمَا يُغْنِي فِيهِ أَيْضًا مِنْ شَعْرِ عَدِي :

صوت

ألا يا ربِّما عَزَّ خَليلي فتهاونْتُ
ولو شئتُ على مَقْدُ رَقَةٍ مِنِّي لعاقبتُ
ولكن سَرَّني أن يَعْلَمُوا قَدْرِي فأقلعتُ
ألا لا فأسألوا الفتيَّةَ ما قالوا وقد قتُ

الفناء لسياطِ رمل عن الهشامي . وفيه ليحيي المكي خفيفٌ ثقيلٌ نسبه
إلى مالك وليس له . ولعريب في البيتين الأولين ثقيل أول . وبعدهما بيتٌ ليس
من الشعر وهو :

ولكن حبيبي جلّ عندي فتغافلتُ

ومما يُغْنَى فيه من شعره :

صوت

تَعْرِفُ أَمْسٍ مِنْ لَيْسَ الطَّلَلُ مَثَلُ الْكِتَابِ الدَّارِسِ الْأَحْوَلُ

الذي قد درس فلا يُقرأ .

أَنِعِمُّ صَبَاحاً عَلَّمَهُ بَنَ عَدِ يَ أَثَوَيْتَ الْيَوْمَ أَمْ تَرَحَّلُ
قَدْ رَحَلَ الْقَتِيَانُ عَيْرُهُمُ وَاللَّحْمُ بِالْعِيطَانِ لَمْ يُنْشَلْ
إِذَا هِيَ تَسِي النَّاظِرِينَ وَتَجَاوِ وَاضِحاً كَالْأَقْحَوَانِ رَتَلْ
الرَّتَلُ : المستوي البنية .

(١) جمع غائط وهو المظلم الواسع من الأرض ، وقيل : المظلم المنبت .

(٢) ينشل : ينزع من القدر ، يقال : نشلت اللحم من القدر وأنشله وأنشله نَشْلًا إذا انتزعته منها .

(٣) ثغر رَتَل ورَتَل : حسن التنضيد مستوي النبات .

عذباً كما ذقتُ الجنيَّ من التفاح مَسْقِيّاً ببرِدِ الطَّلِّ
هكذا يُغْنَى . والذي قاله عديّ : يَسْقِيهِ بَرْدُ الطَّلِّ . الغناء لحنين رمل
بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ أن عمرو بن
أمرئ القيس المكنى بابي سريح وعلقمة بن عديّ - وقيل علقم بن عديّ بن
كعب - وعمرو بن هند خرجوا إلى الصيد فأتوا قصرَ ابنِ مُقاتِل فكشوا فيه
يتصيدون ، فرموا أن علقمة بن عديّ تَبَعَ حماراً فصرعه والشمس لم تَطْلُع ، ثم
لحق آخر فطعنهُ فانقصف الرمحُ فيه ومرَّ به فرسه يركض ، فجأل به العيرُ فضربه
فاصاب صدره فقتله ، وقيل : أن الرمحَ المنقصفَ دخل في صدره فقتله ، وذلك
في أيام الربيع ، وكان عديّ بن زيد معهم واليه قصدوا ، وكان نازلاً في قصر بن
مقاتِل ، فقال عديّ هذه القصيدة يرثيه بها :

صوت من المائة المختارة

عفا منْ سُلَيْمى مُسْخَلانُ خَافِرُهُ تَمَشَّى به ظُلُمَانُهُ وَجَادِرُهُ
بِمَسْتَأْسِدِ الثُّرَيَّانِ عَافِ نَبَاتُهُ فَنَوَّارُهُ مِيلٌ إلى الشمسِ زَاهِرُهُ
رَأَتْ عَارِضاً جَوْنًا فَقَامَتْ غَرِيرُهُ بِيَسْنَحَاتِهَا قَبْلَ الظَّالِمِ تَبَادِرُهُ
فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى أَتَى المَاءُ دُونَهَا وَسُدَّتْ نَوَاحِيَهُ وَرَفَعَ دَائِرُهُ

عروضه من الطويل . عفا : درس . مُسْخَلانُ : موضع . وخافِرُهُ : موضع
أضافه إلى مُسْخَلان . والظُّلُمَانُ : ذكور النعام واحدُها ظليم . والجَادِرُ : أولادُ
البقر واحدُها جَوْدَرٌ وجَوْدَرٌ بضم الذال وفتحها . وَتَمَشَّى : تَكَثَّرَ المشي . والثُّرَيَّانُ :
مجارى الماء إلى الرِّياضِ واحدُها قَرِي . والمَسْتَأْسِدُ : ما أَتَفَّ منها وطال .
والنَّوَّارُ يقال : إنه يكون أبداً حِيالَ الشمسِ يستقبلُها بوجهه ، فيقول : إن نَوَّارَ

هذه الروضة يميلُ زاهرُه حيالَ الشمس . والعارضُ : السحابُ . والجون : الاسود .
والغريزة : الناعمة التي لم تجرّب الامور ، يقول : لما رأت هذه المرأة السحابة
السوداء قامت بمسحاتها تُصلحُ النوى حواكي بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الارض
المستوية . وقوله : رَفَعَ دابرُه أي مؤخره الذي يلي الماء من النوى . الشعرُ للحطيثة
يهجو الزَّبرقانَ بنَ بَدْر . والغناء لابن عائشة ولحنه المختارُ خفيفُ رملٍ بإطلاق
الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر حبش أن له فيه لحناً آخر من الثقيل
الثاني .

فهر الخطيئة ونسبه

والسبب الذي من اجله هجا الزبرقان بن بدر

نسبه :

الخطيئة لقب لقب به، واسمه بَرْوَل بن أَوْس بن مالك بن جُوَيْة بن
مُخْزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفَان
ابن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلَان بن مُضَرَّ بن زَرَار. وهو من خول الشعراء
ومتقدميهم وفصحائهم، متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر
والنسيب، مجيد في ذلك أجمع، وكان ذا شرٍّ وسَفَهٍ، ونسبه مُتَدَافِعٌ بين
قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غَضِبَ على الآخرين.

المسلم المرتد :

وهو مُحْضَرَمٌ أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم ثم أرتد وقال في ذلك :
أطعنا رسول الله اذ كان بيننا فإنا لِعِبَادِ الله ما لِأَيِّ بَكْرٍ
أَيُورُثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ وتلك لعمرُ الله قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

لماذا لقب بالخطيئة :

ويُكْنَى الخطيئة أبا مُلَيْكَة، وقيل : إن الخطيئة غَلَبَ عليه وَلَقِبَ به
لِقَصْرِهِ وقُربِهِ إلى الارض. وقال حمَّادُ الراوية قال أبو نصر الاعرابي : سَمِيَ
الخطيئة لأنه ضَرَطَ ضَرَطَةً بين قوم، فقليل له : ما هذا؟ فقال : إنما هي
حُطْيئة، فسَمِيَ الخطيئة. وقال المدائني قال أبو اليقظان : كان الخطيئة يدعى

أنه ابن عمرو بن علقمة أحد بني الحارث بن سدوس ، قال : وسَمِيَ الخطيئة لقربه من الارض .

كان ينتمي الى بني ذهل :

أخبرني الفضل بن الحباب الجُمَحِيّ أبو خليفة في كتابه إليّ بإجازته لي يذكر عن محمد بن سَلَام : أنَّ الخطيئة كان ينتمي الى بني ذُهل بن ثعلبة فقال :

إِنَّ الْيَامَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقَرْيَةِ مِنْ بَنِي ذُهل

قال : والقَرْيَةُ : منازلهم ، ولم يثبت الخطيئة في هؤلاء .

تلونه في نسبه :

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال : سمعتُ خِراشَ بنَ إسماعيلَ وخالدَ بنَ سَعِيدٍ يقولان : كان الخطيئة إذا غضب على بني عَبَسَ يقول : أنا من بني ذُهل ، وإذا غضبَ على بني ذُهل قال : أنا من بني عَبَس .

الخطيئة ولد زنا :

أخبرني الحسين بن يحيى المرْدَاسِيّ قال قال حماد بن إسحاق قال أبي قال ابن الكلبي : كان الخطيئة مغموز النسب ، وكان من اولاد الزنا الذين شرّفوا . قال إسحاق وقال الأصمعي : كان الخطيئة يضربُ بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك :

قومي بنو عَوْفٍ بن عمرو إن أراد العلمَ عالم
قومٌ إذا ذهبَتْ خَصَا رِمٌ منهمْ خَلَقَتْ خَضَارِمُ
لا يَفْشَلُونَ ولا تَبَيَّتْ على أنوفهمْ الخَطَا طَمُ

(١) الخضارم : جمع خضرم وهو الجواد الكثير العطية وقيل السيد الجمول .

(٢) جمع مخطم ، والمخطم : موضع الخطام من الأنف .

قال الأصمعي : وَقَدِمَ الحَظِيثَةُ الكُوفَةَ فَتَزَلَّ فِي بَنِي عَوْفٍ بَنِ عَامِرٍ بَنِ
ذُهِلٍ يَسْأَلُهُمْ وَكَانَ يَزْعَمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

سِيرِي أُمَامَ فَإِنَّ الْمَالَ يَجْمَعُهُ سَيْبُ الْإِلَهِ وَإِقْبَالِي وَإِدْبَارِي
إِلَى مَعَاشَرَ مِنْهُمْ يَا أُمَامَ أَلِي مِنْ آلِ عَوْفٍ بُدُوهُ غَيْرِ أَشْرَارِ
نَمَشِي عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْأَنَ لَنَا مَا ضَوَّتْ لَيْلَةُ الْقَمَرَاءِ لِلْسَّارِي

قصته مع أخويه :

وقال ابنُ دُرَيْدٍ فِي خَبَرِهِ عَنْ عَمِّهِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، وَحَمْدُ بْنُ
إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ أَوْسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُوَيْيَّةَ
ابْنَ مَخْزُومٍ بَنِ مَالِكِ بْنِ غَالِبِ بْنِ قُطَيْعَةَ بْنِ عَبْسٍ تَرْوَجُ بِنْتُ رِيَّاحِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
عَوْفٍ بَنِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسَ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ذُهِلٍ بَنِ ثَعْلَبَةَ ، وَكَانَ لَهُ أُمَةٌ
يُقَالُ لَهَا الضَّرَاءُ فَأَعْلَقَهَا بِالْحَظِيثَةِ وَرَحَلَ عَنْهَا . وَكَانَ لِبِنْتِ رِيَّاحَ أَخٌ يُقَالُ لَهُ :
الْأَقْمُ ، وَكَانَ طَوِيلًا أَقْمًا ، صَغِيرَ الْعَيْنَيْنِ ، مَضْغُوطَ اللَّحْيَيْنِ ، فَوَلَدَتْ الضَّرَاءُ
الْحَظِيثَةَ خَفَاءَتْ بِهِ شَبِيهَا بِالْأَقْمِ ، فَقَالَتْ لَهَا مَوْلَاتُهَا : مَنْ أَيْنَ هَذَا الصَّبِيُّ ؟ فَقَالَتْ
لَهَا : مِنْ أَخِيكَ ، وَهَابَتْ أَنْ تَقُولَ لَهَا مِنْ زَوْجِكَ ، فَشَبَّهَتْه بِأَخِيهَا ، فَقَالَتْ لَهَا :
صَدَقْتَ . ثُمَّ مَاتَ أَوْسُ وَتَرَكَ ابْنَيْنِ مِنَ الْحُرَّةِ ، وَتَرْوَجُ الضَّرَاءُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
عَبْسٍ فَوَلَدَتْ لَهُ رَجُلَيْنِ فَكَانَا أَخَوَيْ الْحَظِيثَةِ مِنْ أُمِّهِ . فَأَعْتَقَتْ بِنْتُ رِيَّاحِ الْحَظِيثَةَ
وَرَبَّتَهُ فَكَانَ كَأَنَّهُ أَحَدُهُمَا . وَتَرَكَ الْأَقْمُ نَحْلًا بِالْيَامَةِ . فَأَتَى الْحَظِيثَةَ أَخُوهُ مِنْ
أَوْسِ بْنِ مَالِكٍ وَقَدْ كَانَتْ أُمُّهُ لَمَّا أَعْتَقَتْهَا بِنْتُ رِيَّاحَ اعْتَرَفَتْ أَنَّهَا أَعْتَلَقَتْ مِنْ
أَوْسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَفَرُدُوا إِلَيَّ مِنْ مَالِكُمْ قِطْعَةً فَقَالَا : لَا ، وَلَكِنْ
أَقِمْ مَعَنَا فَنَحْنُ نُؤَاسِيكَ فَقَالَ :

أَأْمَرْتُمَانِي أَنْ أَقِمَ عَلَيْكُمَا كَلَّا لَعَمْرُؤُ أَبْيَكُمَا الْحَبَاقُ

(١) البدوء : جمع بدو وهو السيد ، وقيل : الشاب المستجد الرأي المستشار .

(٢) الأقم من القم ، والقم في الغم : أن تدخل الأسنان العليا ، وقيل : أن يخرج أسفل
اللسان ويدخل أعلاه ، ويقال لكل معوج : أقم .

عبدان خيرُهما يُشَلُّ بضِيعِهِ شَلَّ الاجير قلائصَ الورَّاقِ^(١)

الخطيئة يخرج امه بالسؤال عن ابيه :

قال : وسأل الخطيئةُ امه : مَنْ أبوه خَلَطْتُ عليه فقال :

تقول لي الضراءُ : لستَ لواحدٍ ولا اثنين فأَنْظِرْ كيفَ شَرَكُ أولئكَ
وأنتَ أمرؤُ تَبْغِي أباً قد ضَلَلْتَهُ هَبْتِ أَلماً تَسْتَفِقُ مِنْ ضَلَالِكَا

خبره مع اخوته من بني الاقم :

قال : وغَضِبَ عليها فلحقَ بِاخوته بني الاقم فقال :

سِيري أُمَامَ فَإِنَّ المَالَ يَجْمَعُهُ سَيْبُ^(٢) الإله وإِقبالي وإِدباري

قال : فلم يَدْفَعُوهُ ولم يَقْبَلُوهُ فقال :

إِنَّ اليَامَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ القُرَيْيَةِ مِنْ بني ذُهَلِ

وسألهم ميراثه من الاقم فأعطوه نَخْلَاتٍ مِنْ نَخْلِ أبيهم تُدْعَى نَخْلَاتُ أُمِ
مُليكةَ ، وأُمِ مليكةَ : أَمْرَأَةُ الخطيئة ، فقال :

لِيَهْنِي تَرَاثِي لَامَرِي غَيْرَ ذِلَّةٍ صَنَابِيرُ^(٣) أَحْدَانٍ لَهْنٍ خَفِيفٍ

قال : ثم لم تُقْنِعْهُ النَخْلَاتُ ، وقد أَقَامَ فِيهِمْ زَمَاناً فسألهم ميراثه كاملاً من
الاقم فلم يُعْطُوهُ شيئاً وضربوه ، فغَضِبَ عليهم وقال :

تَمَنَيْتُ بَكراً أَنْ يَكُونُوا عِمَارَتِي^(٤) وَقَوْمِي وَبَكَرُ شَرُّ تِلْكَ الْقَبَائِلِ

(١) يشَلُّ : يطرد . والضِيعُ : وسط العضد بلحمه . والورَّاق : صاحب الورق : المال من إبل
ودراهم وغيرها .

(٢) سَيْبُ : عطاء .

(٣) صَنَابِيرُ أَحْدَانٍ : سهام دفاق لا نظير لها .

(٤) العبارة بكسر العين وفتحها : أصغر من القبيلة ، وترتيبها هكذا : الشعب أكثر من القبيلة ثم
القبيلة ثم العبارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط .

إذا قلتُ بَكْرِي نَبَوْتُمْ^(١) بِحَاجَتِي فَيَالَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ

فعاد الى بني عيس وانتسب إلى أوس بن مالك . وقال الأصمعي في خبره :
لما أتى أهلُ القرية ، وهم بنو ذهل ، يطلبُ ميراثه من الاقتم مدحهم فقال :

إنَّ اليامةَ خيرُ ساكنها أهلُ القرية من بني ذهل
الضامنون لمال جارهم حتى يتم نواهضُ البقلِ
قوم إذا انتسبوا ففرعهم فرعِي وأثبت أصلهم أصلي

قال : فلم يُعطوه شيئاً ، فقال يهجوهم :

إنَّ اليامةَ شرُّ ساكنها أهلُ القرية من بني ذهل

الخطيئة يهجو أمه :

وقال أبو اليقظان في خبره : كان الرجل الذي تزوج أم الخطيئة ايضاً ولدَ زناً
أسمه الكلب بن كُنَيْس بن جابر بن قطن بن نَهْشَل ، وكان كُنَيْس زنى بأمه
لزُرارة يقال لها رُشِيَّة ، فولدت له الكلبَ ويَرْبوعاً ، فطلبهم من زُرارة فنعه
منهم ، فلما مات طلبهم من أبيه لَقِيَطٍ فنعهم ؛ وقال لَقِيَطُ في ذلك :

أني نصف شهر ما صَبَرْتُمْ لَحِقْنَا ونحن صبرنا قبل ذلك سِنِيناً

وهي أبيات . فتزوج الكلبُ الضراء أم الخطيئة ؛ فهجاء الخطيئة وهجاء
أمه فقال :

ولقد رأيتُكَ في النساءِ فسُوتَنِي وأبا بنيكَ فسَاءَ نِي في المجلسِ
إنَّ الذليلَ لمن تَرَوَّرَ رِكَابُهُ رَهْطَ ابْنِ جَحْشٍ في الخطوبِ الحَوْسِ^(٢)

(١) نبوتهم : تجافيتهم وتباعدتم .

(٢) نواهض البقل : ما استوى منه ، يقال : نهض البنت إذا استوى .

(٣) الحَوْس : الأمور الشداد التي تنزل بالقوم وتغشاهم .

قَحَّحَ الْإِلَهُ قَبِيلَهُ لَمْ يَمْنَعُوا يَوْمَ الْمَجِيمِ جَارَهُمْ مِنْ قَقَسٍ
أَبْلَغَ بَنِي جَحْشٍ بَأْنَ نَجَارَهُمْ لَوْمْ وَأَنَّ أَبَاهُمْ كَالْهَجْرِسِ

وقال الخطيئة يهجو أمه :

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَ
فَقَدْ مَلِكْتَ أَمْرَ بَنِيكَ حَتَّى تَرَكْتَهُمْ أَذَقَ مِنَ الطَّحِينَ
فَإِنْ تُخَلِّي وَأَمْرُكَ لَا تَصُولِي بِمَشْتَدِّ قَوَاهُ وَلَا مَتِينِ
لِسَانُكَ مَبْدُودٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَدَرُّكَ دَرٌّ جَاذِبَةٌ دَهِينِ

وقال يهجو أمه أيضاً :

تَنْخِي فَأَجْلِسِي مَنِي بَعِيداً أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ
أَغْرَبَالاً إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرّاً وَكَانُوا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ
حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةً سَوْءَ وَمَوْتُكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَ

الخطيئة يهجو نفسه :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي
عن عمه قال :

كان الخطيئة جشعاً سؤو ولا ملحفاً، دنيء النفس، كثير الشر، قليل الخير،

(١) المجيمر : جبل بأعلى مُبْهَلٍ وقيل المجيمر : أرض لبني فزارة .

(٢) ققس : حي من بني أسد .

(٣) النجار : الحب والأصل .

(٤) الهجريس : ولد التعلب أو القرد، وقد يوصف به الثيم .

(٥) الجاذبة : الناقة التي جذبت لبنها من ضرعها فذهب صاعداً . والذهين من الإبل : الناقة
البكيثة القليلة اللبن التي يمرى ضرعها فلا يدر قطرة .

(٦) الغربال : النلم .

(٧) الكانون : الثقيل الوخم من الناس .

بجيلة، قبيح المنظر، رث الهيئة، مغموز النسب، فاسد الدين، وما نشاء أن تقول
في شعر شاعر من عيب إلا وجدته، وقلنا تجد ذلك في شعره .

أخبرني ابن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : 'بجلاء العرب
أربعة' : الحطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان .

أخبرنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة : كان الحطيئة بذيئاً
هجاءً، فالتمس ذات يوم إنساناً يهجوهُ فلم يجده، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول :
أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّمًا بَشَرًا فَأُدْرِي لِمَنِ أَنَا قَائِلُهُ

وجعل يُدهورُ هذا البيت في أشداقه ولا يرى إنساناً، إذ أُطلع في ركمي^(١)
أو حوض فرأى وجهه فقال :

أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهُ اللَّهُ خَلْقَهُ فَتَجَّحَّ مِنْ وَجْهِهِ وَتَجَّحَّ حَامِلُهُ

كانت تجمع له العطايا خوفاً من شره :

نسختُ من كتاب الحرمي بن أبي العلاء : حدثنا الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ قال
حدثني عمي قال :

قدم الحطيئة المدينة فأرصدت^(٢) قريش^(٣) له العطايا خوفاً من شره، فقام في
المسجد فصاح : مَنْ يَحْمِلُنِي عَلَى بَغْلَيْنِ .

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلَامٍ وأخبرني الحسين بن يحيى المرْدَاسِيّ
قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائني ومُصَعب :

كان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت^(٢) له قريش^(٣) العطايا،

(١) الركمي : البئر .

(٢) أرصدت : أعدت .

والناسُ في سَنَةِ مُجْدِرَبَةٍ وَسَخَطَةٍ من خليفة، فشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضهم إلى بعض، فقالوا: قد قَدِمَ علينا هذا الرجلُ وهو شاعر، والشاعرُ يَظُنُّ فيُحَقِّقُ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جَهْدَ نَفْسِهِ يَهْرَها، وإن حرَمه هجاء، فأُجِمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعَدّاً يجمعونه بينهم له، فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً، حتى جمعوا له أربعائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنَوْه، فأتَوْه فقالوا له: هذه صلة آلِ فلانٍ وهذه صلة آلِ فلانٍ، وهذه صلة آلِ فلانٍ، فأخذها؛ فظنوا أنهم قد كَفُّوه عن المسئلة، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام مائلاً ينادي: مَنْ يَحْمِلُنِي على بغلين وقاه الله كَبَّةً جَهَنَّمَ.

كان متين الشعر :

ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلام شعراً الخطيئة فجمعت متفرقاً ما وصفاه به في هذا الخبر، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام وابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالوا :

دنيء النفس :

كان الخطيئة متين الشعر، شُروداً القافية، وكان دنيء النفس، وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعناً، وما أقل ما تجد ذلك في شعره . قالوا : فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير - وكان الخطيئة راوية زهير وآل زهير - فقال له : قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك! - وقال أبو عبيدة : تبدأ بنفسك فيه ثم تُتني بي - فإن الناس لأشعاركم أروى واليها أسرع ! فقال كعب :

(١) أي كلف نفسه فوق طاقتها .

(٢) كبة : صدمة .

(٣) يقال : قافية شرود : سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير .

فمن للقوافي شأنها من يحو كها إذا ما ثوى كعب وفوز جزل
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تنحل منها مثل ما تنحل
نقول فلا نعيأ بشيء نقوله ومن قائلها من يسيء ويحيل
تثقفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل

قال : فأعرضه مُزَرَّدُ بنِ ضرارٍ ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّخ ، وكان عريضاً
أي شديد العارضة كثيرها ، فقال :

باستك إذ خلقتني خلفَ شاعرٍ من الناس لم أكني^١ ولم أتخل
فإن تحشبا^٢ أخشب وإن تنحلا^٣ وإن كنت أفتى منكما أتخل
فلست كحسن الحسام ابن ثابت ولست كشاخ ولا كالمجبل

أنشد عمر هجاء له :

نسخت من كتاب الحرَمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال
حدثني محمد بن الضحَّاك قال :

أنشد الخطيئة^٤ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة نال فيها من قومه ومدح
إبله فقال :

مَهاريس^٥ يزوي رسلها ضيف أهلها إذا الريح أبدت أوجه الخفريات

(١) شأنها : جاء بها شائنة أي معيبة . وثوى : مات وكذا فوز .

(٢) يقال تنحلت الشيء : تغيرته واستقصيت أفضله .

(٣) العريض : الذي يتعرض للناس بالشر .

(٤) من الأكفاء المدود في عيوب الشعر وهو الخالفة بين حركات الروي رفعا ونصباً وجراً ،
وله تعاريف أخرى . والتحل : أن يدعي الشعر لنفسه وهو لغيره .

(٥) يقال : خشب الشعر يخشبه خشباً أي يمرّه كما يحينه ولم يتأنق فيه ولا تعمل له ، وهو
يخشب الكلام والعمل إذا لم يحكمه ولم يحوّه .

(٦) المهاريس من الابل : التي تقضم العيدان إذا قلّ الكلأ وأجذبت البلاد ، كأنها تهرسها
بأفواهها أي تدقها .

يُزِيلُ الْقَتَادَ جَذِبَهَا بِأَصُولِهِ إِذَا أَصْبَحَتْ مُقَوَّرَةً^(١) خَرَصَاتٍ^(٢)

تكريم الناس له :

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني عن التَّوْزِي عن أبي عُبَيْدَةَ قال : بينا سعيد ابن العاص يُعَيِّثِي النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ وَالنَّاسُ يُخْرَجُونَ أَوَّلًا أَوَّلًا ، إِذْ نُظِرَ عَلَى بَسَاطِهِ إِلَى رَجُلٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ ، رَثِّ الْهَيْئَةِ ، جَالِسٍ مَعَ أَصْحَابِ سَمَرِهِ ، فَذَهَبَ الشَّرْطُ يُقِيمُونَهُ فَأَبَى أَنْ يَقُومَ ، وَحَانَتْ مِنْ سَعِيدِ الْبَغَاةِ فَقَالَ : دُعُوا الرَّجُلَ ، فَتَرَكُوهُ ، وَخَاضُوا فِي أَحَادِيثِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا مَلِيًّا ؛ فَقَالَ لَهُمُ الْحَطِثَةُ : وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُ جَيِّدَ الشَّعْرِ وَلَا شَاعِرَ الْعَرَبِ ؛ فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : أَتَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَمَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عَدَمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنَ قَدْ رُزِئْتُهُ الْإِعْدَامُ

وَأَنْشَدَهَا حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا ؛ فَقَالَ لَهُ : مَنْ يَقُولُهَا ؟ قَالَ : أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِي ؛ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

أَقْلَحُ بِمَا شَنْتَ فَقَدْ يُدْرِكُ بِالْجَهْلِ وَقَدْ يُخَدِّعُ الْأَرِيبُ

ثُمَّ أَنْشَدَهَا حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا ؛ قَالَ : وَمَنْ يَقُولُهَا ؟ قَالَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ؛ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَحَسْبُكَ بِي عِنْدَ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ إِذَا رَفَعْتُ إِحْدَى رَجُلِي عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ عَوَيْتَ فِي أَثَرِ الْقَوَافِي عَوَاءَ الْفَصِيلِ الصَّادِي ؛ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : الْحَطِثَةُ ؛ قَالَ : فَرَحَّبَ بِهِ سَعِيدٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَسَأْتَ بِكُمَا نَفْسَكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ ؛ وَوَصَلَهُ وَكَسَاهُ . وَمَضَى لَوَجْهِهِ إِلَى عُتَيْبَةَ بْنِ النَّهَّاسِ الْعِجْلِيِّ فَسَأَلَهُ ؛ فَقَالَ : مَا أَنَا عَلَى عَمَلٍ فَأَعْطَيْكَ مِنْ عَدَرِهِ ، وَلَا فِي مَالِي فَضْلٌ عَنْ قَوْمِي ؛ قَالَ لَهُ : فَلَا عَلَيْكَ ، وَانصرف . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ قَوْمِهِ : لَقَدْ عَرَضْتَنَا وَنَفْسَكَ لِلشَّرِّ ! قَالَ : وَكَيْفَ ! قَالُوا :

(١) المقوَّرة هنا : المهازيل ، ويقال أيضاً على السبان ، فهو من أسماء الاضداد .

(٢) الخرصه : الجامعة المقروورة .

هذا الخطيئة هو هاجينا أخبت هجاء ؛ فقال : رُدَّوه ، فردَّوه اليه ، فقال له : لم
كسبتنا نفسك كأنك كنت تطلب العِلَّ علينا ! إجلسْ فلك عندنا ما يسرك ؛
فجلس فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ

فقال له عتية : إنَّ هذا من مقدمات أفاعيك ؛ ثم قال لو كيَّله : اذهب معه
إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له ؛ فجعل يعرضُ عليه الحرَّ ورقيق الثياب
فلا يريدُها ويؤمى إلى الكرايس^(٢) والأكسية الغلاظ فيشتريها له حتى قضى أربه
ثم مضى ؛ فلما جلس عتية في نادي قومه أقبل الخطيئة^(٣) ، فلما رآه عتية قال : هذا
مقامُ العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ؛ قال : قد كنت قلتُ بيتين
فأستغفهما ثم أنشأ يقول :

سُئِلْتُ فَلَمْ تَجْعَلْ وَلَمْ تُعْطِ طَائِلًا فَيَأْنِ لَا ذِمُّ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدُ
وَأَنْتَ أَمَرُوا لَا الْجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ فَتُعْطِي وَلَا يُعْدي عَلَى النَّائِلِ الْوُجْدُ^(٤)

ثم ركض فرسه فذهب .

لا مطعن في شعره :

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد البوشنجي^(٥) قالاً حدثنا حماد بن إسحاق
قال حدثني محمد بن عمرو الجرجرائي^(٦) عن أبي صفوان الاحوزي قال :

ما من أحد إلا لو أشاء أن أجِدَ في شعره مطعناً لوجدته إلا الخطيئة .

(١) يفره : يتمه ولا ينقصه .

(٢) الكرايس : جمع كرباس وهو ثوب من القطن الأبيض ، فارسيّ معرَّب .

(٣) الوجد : اليسار والسمة .

(٤) نسبة إلى بوشنج : بلدة تزهة خصيبة في وادي مشجر من نواحي كهرة بينهما عشرة فراسخ .

(٥) نسبة إلى جرجرايا : بلدة من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد .

اشعر الشعراء بعد زهير :

قال حماد : وسمعتُ أبي يقول وقد أنشدَ قولَ الخطيئة :

وفتيانِ صدقٍ من عديّ عليهمُ صفائحُ بُضرى عُلِّقتُ بالعواقِرِ
إذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهمُ ولم يمسكوا فوقَ القلوبِ الخوافِرِ
وطاروا إلى الجُرذِ العتاقِ فألجموا وشدُّوا على أوساطهم بالمناطقِ
أولئك آباءُ العريبِ وغائَةُ الصَّريخِ ومأوى المُرِّملين الدَّرادِقِ
أحلُّوا حياضَ الموتِ فوقَ جباههم مكانَ النَّواصي من وجوه السَّوابِقِ

ويروى : إذا استلجِموا وإذا ركبوا لم ينظروا عن شملهم .

ويروى : أولئك أبناءُ العَريفِ - ثم قال : أما إني ما أزعِمُ أن أحداً بعد زهير أشعرُ من الخطيئة .

ابن ميادة والخطيئة :

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغني أنه لما قال ابنُ ميادة :

تمتَّى به ظلمانه وجاذِرُهُ

قيل له : قد سبقك الخطيئةُ إلى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أنَّ الخطيئةَ قال هذا قطّ ، والآن علمتُ والله أني شاعرٌ حين واطأتُ الخطيئةَ .

(١) الدرادق : الصبيان الصغار ، واحده دردق .

(٢) استلجِموا : نشبوا في الحرب ودخلوا في غمارها .

(٣) العريب : الصوت له دويّ ومنه عريف الرعد لدويه وعريف الريح لما يسمع من دويها وعريف القوس تصويتها .

افسد شعره الهجاء :

قال حماد : قال أبي : وقال لي الاصمعي وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة :
أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .

سئل من أشعر الناس فاخرج لسانه يعني نفسه :

قال حماد : قال أبي : وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال : لقيت
الحطيئة بذات عرق^(١) فقلت له : يا أبا مليكة ، من أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه
كأنه لسان الحية ثم قال : هذا اذا طمع .

سمع الحطيئة شعر حسان :

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال حدثني
يحيى بن محمد بن طلحة وكان قد قارب ثمانين سنة قال :

أخبرني بعض أشياخنا أن اعرابياً وقف على حسان بن ثابت وهو يُنشد ، فقال
له حسان : كيف تسمع يا أعرابي ؟ قال : ما أسمع بأساً . قال حسان : أما
تسمعون إلى الأعرابي ! ما كنتك أيها الرجل ؟ قال : أبو مليكة . قال : ما
كنت قط أهون علي منك حين اكنيت بأمرأة ، فما أسمك ؟ قال : الحطيئة ،
فأطرق حسان ثم قال له : امض بسلام .

البخيل الذي يطرد الضيوف :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال :
مرّ ابن الحماة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته ، فقال : السلام عليكم ؛ فقال :
قلت ما لا يُنكر ؛ قال : إني خرجت من أهلي بغير زاد ؛ فقال : ما ضمنت
لأهلك قراك ؛ قال : أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتقيأ به ؟ قال : دونك
الجليل بني ؛ عليك ؛ قال : أنا ابن الحماة ؛ قال : انصرف وكن ابن أي طائر شئت .

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

وأخبرنا بهذا الخبر يزيد بن أبي الحرّاز عن المدائني حكى ما ذكرناه من قول الحطيثة عن أبي الأسود الدؤلي .

وأخبرني الحسين بن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائني قالا :
أتى رجل الحطيثة وهو في غم له فقال له : يا صاحب الغم ، فرفع الحطيثة العصا وقال : إنها عجرا^١ من سلم فقال الرجل : إني ضيف ؛ فقال : للضيفان أعددت^٢ها ، فانصرف عنه . قال إسحاق : وقال غيرهما : إن الرجل قال له : السلام عليكم ، فقال له : عجرا^١ من سلم ؛ فقال : السلام عليكم ؛ فقال : أعددت^٢ها للطراق ؛ فأعاد السلام فقال له : إن شئت قتلت^٣ بها إليك ؛ فانصرف الرجل عنه .

أنا حسب موضوع :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال : زعم الجاحظ^٤ أن الحطيثة كان يقول : إنما أنا حسب^٥ موضوع ؛ فسمع عمرو بن عبيد رجلا يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صديقة ، فقال عمرو : كذب ترّحه^٦ الله إنما ذلك التقوى .

عندما تهاجى مع ضيفه :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعي^٧ : لم ينزل ضيف قط^٨ بالحطيثة إلا هجاه ، فنزل به رجل من بني أسد لم يسمه الأصمعي ، وذكر أبو عبيدة أنه صخر بن أعبي الأسدي أحد بني أعبي بن طريف بن عمرو ابن قعين ، فسقاه شربة من لبن ، فلما شربها قال :

لما رأيت أن من يبتغي القرى وأن ابن أعبي لا محالة فاضحي
شدت^٩ حيازيم ابن أعبي بشربة على ظمأ سدت^{١٠} أصول الجوانح
وروى الأصمعي شدت^{١١} بالشين المعجمة .

(١) العجرا : العصا التي فيها عقد . والسلم : شجر معروف .

(٢) ترّحه : أحزنه .

ولم ألكُ مثلَ الكاهليِّ وعِرسه بَغَى الوُدَّ من مَطْرَوفَةِ العَيْنِ طامح
غداً باغياً يَبْغِي رضاها وودَّها وغابَتْ له غَيْبَ أَمْرٍ غَيْرِ ناصح
دَعَتْ رَهاً أَلَا يَزَالُ بفاقةٍ ولا يَعْتَدِي إِلَّا على حَدِّ بارِح
قال فأجابه صخرُ بنُ أعبي فقال :

أَلَا قَبَحَ اللهُ الحُطَيْثَةَ إِنَّه على كُلِّ ضَيْفٍ ضافه هو سالحُ
دُفِعْتُ إليه وهو يُخْنَقُ كُلُّه أَلَا كُلَّ كَلْبٍ لَا أَبَا لَكَ نَابِحُ
بَكَيْتَ على مَذَقٍ خَيْثَ قَرْنَيْتِه أَلَا كُلُّ عَبْسِيٍّ على الزَادِ شائِحُ
قال أبو عبيدة وهجا الحُطَيْثَةَ أيضاً رجلاً من أضيافه فقال :

وسَلَّمَ مرَّتَيْنِ فقلتُ مهلاً كَفَتَكَ المرَّةُ الأولى السَّلاماً
ونَقَنَقَ بطنُه ودعا رؤاساً يا قَدْ نالَ من شَبَعٍ وناماً

فقد ناقة فقال شعرا :

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس أن الحُطَيْثَةَ خرج في سفر له
ومعه أمراته أمانة وأبنته مُلَيْكَةُ، فَنَزَلَ منزلاً وسرحَ ذَوْدًا له ثلاثاً، فلما قام
للرَّواحِ فَقَدَّ إحداها فقال :

أَذْنَبُ الْفَقْرِ أَمْ ذَنْبُ أَنْيسُ أَصَابَ الْبَكْرَ أَمْ حَدَثُ اللَّيَالِي
ونَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُ ذَوْدٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمانُ على عِيَالِي

لا يذهب العرف بين الله والناس :

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالاً حدثنا حماد عن أبيه قال

- (١) مَذَقُ : بمعنى ممذوق ، يقال : لَبِنَ مَذَقَ أَي عَطَوهُ بِالماء .
- (٢) شائِح : حذر .
- (٣) نَقَنَقَ : فَرَقَر .
- (٤) رُوَّاس : من بني كلاب ، يقول : حين شَبَعَ أَشْرَ ونادى : يا لبني رُوَّاس .
- (٥) الْبَكْرُ من الابل بمنزلة الْفَتَى من الناس ، يقال على الذكر والائى . والْبَكْرُ أيضاً : الناقة التي ولدت بطناً واحداً .
- (٦) الذود : الثلاث من الابل الى العشر ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها .

قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العربُ بيتاً قطُّ أصدق من بيت الخطيئة :
 مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 فقل له : فقول طرفة :

سُبْدِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدِ
 فقال : من يأتيك بها بمن زوّدت أكثر ، وليس بيت مما قالته الشعراء إلا وفيه
 مطعنٌ إلا قول الخطيئة :

لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

قال إسحاق قال المدائني قال سلم بن قتيبة : ما أعلم قافية تستغني عن صدرها
 وتدلّ عليه وإن لم يُنشَدْ مثل قول الخطيئة :

لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

الأصمعي يكتب له :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا الرّياشي قال سمعتُ الأصمعي
 يقول : كتبتُ للخطيئة في ليلة أربعين قصيدة .

لا يذهب العرف مكتوب في التوراة :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال :

بلغني أنّ هذا البيت في التوراة ، ذكره غير واحد عن أبي بن كعب . يعني
 قول الخطيئة :

لا يذهب العرف بين الله والناس

(١) جوازيه : جمع جازية اسم مصدر للجزاء كالغاية .

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيوب بن عثمان الدمشقي عن عثمان
ابن أبي عائشة قال : سمع كعب الخير رجلاً يُنشد بيت الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فقال : والذي نفسي بيده إن هذا البيت لمكتوب في التوراة . قال إسحاق
قال العمري : والذي صح عندنا في التوراة « لا يذهب العرف بين الله والعباد » .

علموا شعره الاطفال :

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال قال أبو عدنان : لما حضرت عبيد الله
ابن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له : يا بني أرى داعي الموت لا
يُقلع ، وبحق أن من مضى لا يرجع ، ومن بقي فإليه يترع . يا بني ، ليكن
أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية ، والشكر لله ، وصدق الحديث
والنية ، فإن للشكر مزيداً ، والتقوى خير زاد ، كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله لا تقي مزيد
وما لا بد أن يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد

مدحه في أبي موسى الأشعري :

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال :
قدم حماد الراوية البصرة على ربال بن أبي بردة وهو عليها ؛ فقال له : ما
أطرفتني شيئاً يا حماد ؛ قال : بلى ، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى
الأشعري مدحه :

جمعت من عامر فيه ومن جشم ومن تميم ومن حاء ومن حام

مُسْتَحْقَبَاتٍ رَوَايَاهَا جَعَا فِلْهَا^١ يَسْمُو بِهَا أَشْعَرِي طَرَفُهُ سَامِي

فقال له بلال : وَيَحْكُ ! أَيْدَحُ الحُطَيْثَةُ أبا موسى الأشعري وأنا أروي شعرَ الحُطَيْثَةِ كُلَّهُ فلا أعرفُها ! ولكن أَسْعُها تَذَهَبُ في الناس .

وذكر المدائني أَنَّ الحُطَيْثَةَ قال هذه القصيدة في أبي موسى ، وأنها صحيحة . قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده :

جَمَعَتَ مِنْ عَامِرٍ فِيهِ وَمِنْ أَسَدٍ

وَذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ وَبَيْنَهُمَا هَذَا الْبَيْتُ وَهُوَ :

فَمَا رَضِيَتْهُمْ^٢ حَتَّى رَفَدَتْهُمْ^٣ بَوَائِلُ رَهْطِ ذِي الْجَدَيْنِ بِسَطَامٍ^٤

فوصله أبو موسى ؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يأومه على ذلك ؛ فكتب إليه : إني أشتريت عرضي منه بها ؛ فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت . ولما وليَ بلالُ بن أبي بُرْدَةَ أنشده إياها حمادُ الراوية فوصله أيضاً .

كذب الحطيثة :

ونسخت من كتاب حماد بن إسحاق حدثني به أبي وأخبرني به عتي عن الكُراني عن الرِّياشي قال حدثني محمد بن الطُّفَيْل عن أبي بكر بن عِيَّاش عن الحارس بن عبد الرحمن عن مكحول قال :

(١) مستحقيات : من استحقب الشيء إذا احتمله من خلف .

(٢) الروايا : الأبل التي تحمل ازوادهم واثقالهم .

(٣) جعافها : جمع جحفلة . وهي من الحيل والحميز والبغال والحافر بمنزلة الشفة للإنسان والمشفّر للبعير .

(٤) بسطام هو بسطام بن قيس بن مسعود ويسمى ذا الجدین . والامرام : البيوت المبنية ، يقال للقطعة منها صرم .

سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ كَفَجْنَا عَلَى رَكْبَتَيْهِ وَقَالَ :
 « إِنَّهُ لَبَحْرٌ » ؛ قَالَ عُمَرُ : كَذَبَ الْخَطِيئَةُ حَيْثُ يَقُولُ :
 وَإِنَّ جِيَادَ الْحَيْلِ لَا تَسْتَفْرِئُنَا وَلَا جَاعَلَاتُ الرِّيطِ فَوْقَ الْمَعَاصِمِ .
 لَوْ تَرَكَ هَذَا أَحَدُ لَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رَقَّةُ قَلْبِ الْخَطِيئَةِ :

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ سَمَاءَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ الْخَطِيئَةَ أَرَادَ
 سَفَرًا فَأَتَتْهُ امْرَأَتُهُ وَقَدْ قُدِّمَتْ رَاحِلَتُهُ لِيَرْكَبَ ، فَقَالَتْ :
 أَذْكَرُ تَحْتَنُنًا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَأَذْكَرُ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ
 فَقَالَ : حُطُّوا ، لَا رَحَلْتُ لِسَفَرٍ أَبَدًا .

الْجَنَّتِي صَاحِبَةُ الْخَطِيئَةِ :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ
 الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
 قَالَ رَجُلٌ رَضَعْتُ قَوْمًا فِي سَفَرٍ وَقَدْ ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ ، فَبَاءُونِي بِطَعَامٍ أَجْدُ
 طَعْمَهُ فِي فَمِي وَثَقَلَهُ فِي بَطْنِي ، ثُمَّ قَالَ شَيْخٌ مِنْهُمْ لَشَابَرٍ : أَنْشُدْ عَمَّكَ ؛ فَأَنْشَدَنِي :
 عَفَا مِنْ سُلَيْمَى مُسْخَلَانُ خَافِرُهُ تَمَّتْ بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَادِرُهُ
 فَقُلْتُ لَهُ : أَلَيْسَ هَذَا لِلْخَطِيئَةِ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، وَأَنَا صَاحِبُهُ مِنَ الْجَنِّ .

(١) أَيِ وَاسِعِ الْجَرِيِّ .

(٢) الرِّيطُ : جَمْعُ رِيطَةٍ وَهِيَ كُلُّ مَلَاةٍ غَيْرِ ذَاتِ لَفْقَيْنِ كُلَّهَا نَسْجٌ وَاحِدٌ ، أَوْ كُلُّ ثَوْبٍ لَيْنٍ رَقِيقٍ .

(٣) أَيِ تَزَلَّتْ عَلَيْهِمْ ضَيْفًا .

جودة شعره :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال :

قال ابن عيينة : سمعت ابن شبرمة يقول : أنا والله أعلم بجيد الشعر ، لقد أحسن الحطيثة حيث يقول :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وإن قال مولاهم على جل حادث من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

قال : وقال الأصمعي وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت : ما واحد البنى ، قال : بنية ؛ فقال له : أتجتمع فغلة على فعل ؟ قال : نعم مثل ريشة ورشي ورجوة ورجي .

الغناء رقية الزنا :

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال حدثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباري قال حدثنا ابن الأعرابي عن المفضل :

أن الحطيثة أقحمته السنة^(١) ، فزل بيني مقلد بن يربوع ، فشى بعضهم الى بعض وقالوا : إن هذا الرجل لا يسلم أحد من لسانه ، فتعالوا حتى نسأله عما يجب فنفعله وعما يكره فنجتبه ؛ فأتوه فقالوا له : يا أبا مليكة ، إنك اخترتنا على سائر العرب . ووجب حثك علينا ، فمرنا بما تحب أن نفعله وبما تحب أن تنتهي عنه ؛ فقال : لا تكثرُوا زيارتي فتملؤني ، ولا تقطعوها فتوحشوني ، ولا تجعلوا فناء بيتي مجلساً لكم ، ولا تسمعوا بناقي غناء شبانكم ، فإن الغناء رقية الزنا . قال : فأقام عندهم . وجمع كل رجل منهم ولده وقال : أمكم الطلاق ، لئن تقني

(١) أقحمته : أوقعت في شدة ومشقة . والسنة : الجذب .

احد منكم والحطيئة مقيم بين أظهرنا لأضربنه ضربة بسيني أخذت منه ما
أخذت. فلم يزل مقيماً فيها يرضى حتى أنجلت عنه السنة، فارتحل وهو يقول :
جاورت آل مقلد فحمدتهم إذ ليس كل أخي جوار يحمد
أيام من يرد الصنعة يضطنع فينا ومن يرد الزهادة يزهد

مع الزبرقان :

فأما خبره مع الزبرقان بن بدر والسبب في هجائه إياه ، فأخبرني به أبو
خليفة عن محمد بن سلام ولم يتجاوز به ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن
أبيه عن محمد بن سلام عن يونس ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي
حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرني الزبيدي عن عمه عبيد الله عن أبي حبيب عن ابن
الأعرابي وقد جمعت رواياتهم وضمنت بعضها الى بعض :

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ولي الزبرقان بن بدر بن أسرى القيس
ابن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم عملاً ،
وذكر مثل ذلك الاصمعي ، وقال لي الزبرقان : القمر ، والزبرقان : الرجل الخفيف
اللحية . قال : وأقره أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم على
عمله ، ثم قدم على عمر في سنة مجذبة ليؤدي صدقات قومه ، فلقاه الحطيئة بقرقرى^(١)
ومعه ابنه أوس وسواده وبناته وامراته ؛ فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم
يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطمتنا هذه السنة ؛ قال : وتصنع
ماذا ؟ قال وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي
أبدأ ؛ فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسعك لبناً وتمراً ويجاورك
أحسن جوار واكرمه ؟ فقال له الحطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو
هذا كله ؛ قال : فقد أصبته ؛ قال : عند من ؟ قال : عندي ؛ قال : ومن أنت ؟

(١) قرقرى : ارض باليامة فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة .

(٢) أصفيه : أخلصه .

قال : الزُّبْرَقَانُ بن بدر ؛ قال وأين محلك ؟ قال : اركب هذه الإبل ، واستقبل مَطْلِعَ الشمس ، وَاَسْلُ عن القمر حتى تأتي منزلي . قال يونس : وكان اسم الزُّبْرَقَانِ الحَصِينُ بن بدر ، وإنما سمي الزُّبْرَقَانُ لحسنه ، شُيْبه بالقمر . وقيل : بل لبس عمامة مَرْبُوقَةً بالزُّعْفَرَانِ فسَمِيَ الزُّبْرَقَانُ لذلك . وقال أبو عبيدة في خبره : فقال له : سر إلى أم شذرة وهي أم الزُّبْرَقَانِ وهي أيضاً عمّة الفرزدق ، وكتب إليها أن أحسني إليه ، وأكثر لي من التمر واللبن . وقال آخرون : بل وكله إلى زوجته . فلحق الحطيثة بزوجته على رواية ابن سلام ، وهي بنت صَعْصَعَةَ بن نَاجِيَةَ الْحِجَاشِيَّةِ ، واسمها هُنَيْدَة ، وعلى رواية أبي عبيدة : أنها أمه ، وذلك في عام صُغْبٍ مُجْدِبٍ ، فأكرمتها المرأة وأحسنّت إليه ؛ فبلغ ذلك بَغِيضَ بن عامر ابن شَمَّاسَ بن لَآئِي بن جعفر وهو أنف الناقة بن قُرَيْع بن عَوْف بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وبلغ أخوته وبني عمه فاعتنموها . وفي خبر اليزيدي عن عمه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي : وكانوا يغضبون من أنف الناقة ، وإنما سمي جعفر أنف الناقة لأن أباه قُرَيْعاً نحو ناقة فقسها بين نسائه ، فبعثت جعفرأ هذا أمه ، وهي السَّمُوسُ من وائل ثم من سعد هذيم ، فألقى أباه ولم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها ، فقال : شأنك بهذا ، فأدخل يده في أنفها وجر ما أعطاه ، فسَمِيَ أنف الناقة . وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيثة ، فقال :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذبأ

فصار بعد ذلك خفراً لهم ومدحاً ، وكانوا ينازعون الزُّبْرَقَانِ الشرف - يعني بَغِيضاً وإخوته وأهله - وكانوا أشرف من الزُّبْرَقَانِ ، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه . وقال أبو عبيدة في خبره : كان الحطيثة دميماً سَيِّئَ الخلق ، لا تأخذه العين ، ومعه عيال كذلك ، فلما رأت أم شذرة حاله هان عليها وقصرت به ، ونظر بَغِيضٌ وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة ، فأرسلوا إليه : أن أثقنا ،

(١) مَرْبُوقَة : مصبوغة . يقال : زبرق ثوبه إذا صبغه بجمرة أو صفرة .

(٢) قصرت به : لم تبلغه ما يرضيه ، لم تكرمه .

فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغفلة ، ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها . فلما ألح عليه بنو أنف الناقة ، وكان رسولهم اليه شمس بن لائي وعلقمة بن هوذة وبغيض بن شمس والمخبل الشاعر ، قال لهم : لست بجامل على الرجل ذنب غيره ، فإن تركت وجفيت تحولت اليكم ؛ فأطعموه ووعدوه وعداً عظيماً . وقال ابن سلام في خبره : فلما لم يجيبهم دسوا إلى هنيذة زوجة الزبرقان أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته مليكة ؛ وكانت جميلة كاملة ، فظهرت من المرأة للخطيئة جفوة وهي في ذلك تداريه . ثم ارادوا النجعة ، قال أبو عبيدة : فقالت له أم شذرة - وقال ابن سلام : فقالت له هنيذة - : قد حضرت النجعة فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا ، ثم اردذه الينا حتى نلحقك فإنه لا يسعنا جميعاً ؛ فأرسل اليها : بل تقدمي أنت فأنت أحق بذلك ؛ ففعلت وتثاقلت عن ردها اليه وتركته يومين أو ثلاثة ، وألح بنو أنف الناقة عليه وقالوا له : قد تركت بضیعة . وكان أشدهم في ذلك قولاً بغيض بن شمس وعلقمة بن هوذة ، وكان الزبرقان قد قال في علقمة :

لي إن عم لا يزا ليعيبي ويعين عائب
وأعينه في النائبات ولا يعين على النوائب
كسري عقاربهم إلهي ولا تدب له عقارب
لام ابن عمك لا يخاف المخزونات من العواقب

قال : فكان علقمة ممتلئاً غيظاً عليه . فلما ألخوا على الخطيئة أجايبهم وقال : أما الآن فنعم ، أنا صائر معكم . فتحمل معهم ، فضربوا له قبة ، وربطوا بكل طنب من أطناها جلة هجرية ، وأراحوا عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر

(١) النجعة : طلب الكل في موضعه .

(٢) لاه : بمعنى لله .

(٣) الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكثر فيها .

(٤) إراحة الابل : ردها في العشي .

واللبن، وأعطوه إلقاحاً وكُسوة. قال: فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته، فنادى في بني بَهْدَلَةَ بن عَوْف، وهم لَأَمَ دون قُرَيْع، أُمهم السَّعَاء بنت غَنَم ابن قُتَيْبَة من بَاهِلَة. فركب الزبرقان فرسه، وأخذ راحته، وسار حتى وقف على نادي بني شَمَاس القُرَيْعِيَّين، فقال: رُدُّوا عليّ جاري؛ فقالوا: ما هو لك بجارٍ وقد أطرحتَه وضِيعَتَه؛ فألمَّ أن يكونَ بينَ الحَيِّينَ حربٌ، فحضرَهم أهلُ الحِجَابِ من قومهم، فلاموا بَغِيضاً وقالوا: اِرْءُذْ على الرجلِ جَارَه؛ فقال لستُ مُخْرِجُه وقد آوَيْتُه، وهو رجلٌ حرٌّ مالِكٌ لَأَمْرُه، فخيَّروه فإنِ اختارني لم أُخْرِجْهُ، وإنِ اختاره لم أَكْرِهْهُ. فخيَّرُوا الخطيئةَ فاختارَ بَغِيضاً ورَهطَه؛ فجاء الزبرقانُ ووقف عليه وقال له: أبا مُلَيْكَة، أفارقتَ جوارِي عن سُخْطٍ وذَمٍّ؟ قال: لا؛ فانصرف وتركه. هذه رواية ابن سَلَام، وأما أبو عُبَيْدَة فإنه ذكر أنه كان بين الزبرقان ومن معه من القُرَيْعِيَّين تَلَاحٌ وَتَشَاحٌ. وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدي عمر بن الخطَّاب على بَغِيضٍ، فحكم عمرُ بأن يُخْرَجَ الخطيئةُ حتى يُقامَ في موضع خالٍ بينَ الحَيِّينَ وحدَه ويُخْلَى سبيلُه، ويكونَ جَارَ أَيُّهَا اختارَ ففعلَ ذلك به، فاختارَ القُرَيْعِيَّين. قال: وجعل الخطيئةُ يدعهم من غير أن يَهْجُوَ الزبرقان، وهم يحضونه على ذلك ويَحْرَضُونَه فيأبى ويقول: لا ذَنْبَ للرجلِ عندي؛ حتى أرسلَ الزبرقان إلى رجلٍ من التَّيْمَرِ بنِ قَاسِطٍ يقال له دِرْبَار بن سَئِيَان، فهِجَا بَغِيضاً فقال:

أرى إيلي بحُوفِ الماءِ حَلَّتْ وأعوذها به الماءُ الرِّوَاءُ
وقد وردتْ مِيَاهُ بني قُرَيْعٍ فما وصلوا القَرَابَةَ مذُ أَسَاءُوا
تُحَلَّلُ يَوْمَ وِرْدِ النَّاسِ إيلي وتصدُرُ وهي مُحْنَقَةٌ ظِلَاءُ
ألم أكُ جَارَ شَمَاسِ بنِ لَأيٍ فأُسلني وقد تزلُ البَلَاءُ

(١) اللقاح: جمع لقوح وهي الناقة الخلوب.

(٢) ألم: قرب، يقال: ألم أن يذهب بصره أي قرب أن يذهب.

(٣) تلاح: تنازع.

(٤) تحلا: تمتع، يقال: حلاه عن الماء غليظاً ومغثلة: طرده ومنعه.

(٥) محنقة: ضامرة.

فقلتُ تحوُّلي يا أمَّ بَكْرٍ إلى حيثُ المكارمُ والعلاءُ
وجدنا بيتَ هَندَلَةَ بنِ عَوْفٍ تعالى سَنَكُهُ ودَحَا الفناءُ
وما أَضحى لشمسِ بنِ لَأيٍ قديمٌ في الفَعَالِ ولا رَبَاءُ
سوى أن الحطيئةَ قال قولاً فهذا من مقاتله جزاءُ

فحينئذٍ قال الحطيئة يَهجو الزُّبرقان ويناضل عن بغيضه قصيدته التي
يقول فيها :

والله ما مَعشَرٌ لأموا أمراً جُنُباً في آلِ لَأيٍ بنِ شَمْسٍ بأَكْيَاسٍ
ما كان ذنبُ بَغيضه لا أباً لكم في بائسٍ جاء يَحْدُو آخرَ الناسِ
لقد مَرَّ بَيتُكم لو أن درَّتكم يوماً يَجيءُ بها مَسْحِي وإِسَاسِي
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم كيا يكون لكم مَسْحِي وإِمْرَاسِي
لما بدا لي منكم غيبُ أنفُسِكُم ولم يكن لجراحي فيكم آسِي
أزمتُ يأساً مُبيناً من نَوَالِكُم ولن يُرى طارداً للغورِ كَأَيَّاسِ
جارٌ لقومٍ أَطالوا هُونَ منزلِهِ وغادرُوهُ مَقِيماً بينَ أَرْمَاسِ
مَلُّوا قِرَاهَ وَهَرَّتْهُ كَلَاهِمُ وَجَرَّ حَوهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ
دَعَرَ المكارمَ لا ترحلُ لِبُغْيَتِهَا وأَقْعُدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِ
مَنْ يَفْعَلُ الخَيْرَ لا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لا يذهبُ العُرفُ بينَ الله والناسِ
ما كان ذنبي أن فَلَنتُ مَعَاوِلَكُم من آلِ لَأيٍ صَفَاءُ أَصْلُهَا رَاسِي
قد ناضوكَ فَسَلُّوا من كَنَائِهِمْ مجداً تَلِيداً وَنَبَلاً غَيْرَ أَنْكَاسِ

الجُنُبُ : الغريب . والإِسَاسُ : أن يُسَكِّنَهَا عند الحَلَب . والمَاتِحُ : المستقي

(١) دحا الفناء : طال واتسع .

(٢) الفَعَالُ بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٣) الرَبَاءُ بالفتح : الطول والمنة والفضل .

(٤) مَرَّ بَيتُكم من مرى الناقة بمرها أي مسح ضرعها .

(٥) الدرة : اللبن .

(٦) أَنْكَاسُ : جمع نكس وهو أضعف السهام .

الذي يجذب الدلو من فوق . والامراس : ان يقع الجبل في جانب البكرة فيخرجه - فاستغدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، فرفعه عمر اليه واستنشه فأنشده ؛ فقال عمر لحسان : أترأه هجاه ؟ قال : نعم ، وسلح عليه ، فحبسه عمر .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن أبي عبد الرحمن الطائي عن عبد الله ابن عبيد الله عن الشعبي قال :

شهدت زياداً وأتاه عامر بن مسعود بأبي علاتة التميمي ، فقال : إنه هجاني ؛ قال : وما قال لك ؟ قال قال :

وكيف أرتجي ثروها وغناها وقد سار فيها خضية الكلب عامر

فقال أبو علاتة : ليس هكذا قلت ؛ قال : فكيف قلت ؟ قال قلت :

وإني لأرجو ثروها وغناها وقد سار فيها ناجذ الحق عامر

قال زياد : قاتل الله الشاعر ، ينقل لسانه كيف شاء ، والله لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك ! فقام قيس بن فهد الأنصاري فقال : أصلح الله الأمير ، ما أدري من الرجل ، فإن شئت حدثتك عن عمر بما سمعت منه - قال : وكان زياد يعجبه الحديث عن عمر رضي الله عنه - قال : هايت ، قال شهدته وأتاه الزبرقان بن بدر بالخطيئة فقال : إنه هجاني ؛ قال وما قال لك ؟ قال قال لي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر : ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ؛ فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس ! فقال عمر : علي بحسان ، فجي به فسأله : فقال : لم يهجه ولكن سلح عليه - قال ويقال : إنه سأل لبيداً عن ذلك فقال : ما

يسرني أنه خلقتني من هذا الشعر ما خلقه وأن لي حُرَّ النعم - فأمر به عمر فُجِّلَ في نَقِيرٍ في بئر ثم أُلِيَ عليه شيء، فقال :

ماذا تقول لأفراخِ بذي مَرَخٍ زُغِبَ الحواصِلَ لا ماء ولا شَجَرُ
أَلقيتَ كاسِبَهُم في قعرِ مُظْلِمَةٍ فأغفرُ عليكَ سلامُ الله يا عمرُ
أنتَ الإمامُ الذي من بعدِ صاحبه أُلِيَ اليكَ مقاليدُ النُهي البَشَرُ
لم يُؤثِرْوكَ بها إذ قدَّموكَ لها لكن لأنفسِهِم كانت بك الأثرُ

فأخرجه وقال له : إياك وهجاء الناس ؛ قال : إذن يموت عيالي جوعاً ، هذا مكسبي ومنه معاشي ؛ قال : فإياك والمُتَدَرِّع من القول ؛ قال وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقول : فلان خيرٌ من فلان ، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ قال : فأنت والله أهجى مني . ثم قال : والله لولا أن تكونُ سُنَّةً لقطعْتُ لسانك ، ولكن أذهب فأنت له ، خذه يا زَبْرَقان ؛ فألِيَ الزَبْرَقانُ في عنقه عمامةً فاقتاده بها ؛ وعارضته غَطْلَفانُ فقالوا له : يا أبا سُذْرَةَ ، إخوانُك وبنو عَمِكَ ، هَبْه لنا ؛ فوهبه لهم . فقال زيادُ لعامر بن مسعود : قد سمعتَ ما رُويَ عن عمر ، وإنا هي السُنَنُ ، فأذهب به فهو لك ؛ فألِيَ في عنقه جبلاً أو عمامة ، وعارضته بَكْرُ بن وائل فقالوا له : أخوالك وجيرانك ؛ فوهبه لهم .

الخطيئة وعمر :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة :

أن الخطيئة لما حبسه عمر وهو أول ما قاله :

أَعُوذُ بِجَدِّكَ إِنِّي أَمْرُو سَقَتْنِي الأَعادي اليك السَّجَلا
فإنك خيرٌ من الزَّبْرَقان أشدُّ نكالا وأرجى نوالا

(١) النقيير : ما نقر من حجر أو خشب ونحوهما .

(٢) واد بالحجاز .

تَحْنُ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لَكَ مَقَامَ مَقَالَا
وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الْوُشَاةِ فَإِنَّ لَكَ زَمَانِ رَجَالَا
فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا فَسَيَقُتُّ إِلَيْكَ نَسَائِي رَجَالَا
حَوَاسِرَ لَا يَشْتَكِينُ الْوَجَا يُخَفِّضُنَّ آلا وَيَرْفَعُنَّ آلا

فلم يلتفت عمرُ إليه حتى قال أبياته التي أولها :

ماذا تقول لأفراخٍ بذِي مَرَخٍ

أخبرني الْحَرَمِيُّ بن أَبِي الْعَلَاءِ ومحمد بن الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِي وعمر بن عبد العزيز
أَبْنُ أَحْمَدَ وطاهر بن عبد الله الْهَشَامِيُّ قالوا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قال حَدَّثَنِي
محمد بن الضَّحَّاكُ بن عُمَانَ الْخَزَامِيُّ قال حَدَّثَنِي عبد الله بن مُصْعَبٍ عن ربيعة بن
عُمَانَ عن زيد بن أَسْلَمٍ عن أبيه قال :

أرسل عمر إلى الحطيثة وأنا جالس عنده وقد كلفه فيه عمرو بن العاص وغيره
فأخرجه من السجن فأنشده قوله :

ماذا تقول لأفراخٍ بذِي مَرَخٍ زَغَبِ الْخَوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرُ
أَلْقَيْتَ كَأْسَهُمْ فِي قَعَرٍ مَظْلَمَةٍ فَأَغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبُشْرِ
لَمْ يُوْثِرْوكَ بِهَا إِذْ قَدَمُوكَ لَهَا لَكِنْ لَأَنْفُسَهُمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرُ
فَأَمْنٌ عَلَى صَبِيَةٍ بِالرَّمْلِ مَسْكُنُهُمْ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ تَغْشَاهُمْ بِهَا الْقَرَرُ
أَهْلِي فِدَاؤِكَ كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرَضِ دَاوِيَةَ تَغْمِي بِهَا الْخُبْرُ
- قال فبكى حين قال :

(١) جمع رجلة : أي راجلة .

(٢) الوجا : الخفا .

(٣) القرر : جمع قررة بالكسر وهي البرد .

(٤) الداوية والدويّة : الدلاة الواسعة .

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

فقال عمرو بن العاص : ما أَظَلَّتِ الحُضْرَاءُ ولا أَقَلَّتِ العَبْرَاءُ أَعْدَلَ من رجلٍ يبيكي على تركه الحُطَيْيئةَ - فقال عمر : عليّ بالكُرْسِيِّ ، فأُتِيَ به ، جَلَسَ عليه ثم قال : أشيروا عليّ في الشاعر ، فإنه يقول الهَجْرَ وينسبُ بالحَرَمِ ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم ، ما أُراني إلا قاطعاً لسانه ، ثم قال : عليّ بالطُّسْتِ ، فأُتِيَ بها ، ثم قال : عليّ بالمُخَصَفِ^(١) ، عليّ بالسَّكِينِ^(٢) ، لا بل عليّ بالموسى ، فهو أَوْحَى^(٣) ؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين ، فأشاروا إليه أن قلْ لا أعود ؛ فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ؛ فقال له : النِّجاء . قال : فلماً ولَّى قال له عمر : يا حُطَيْيئة ، كأنني بك عند فتى من قريش ، قد بسط لك نُمرُقةً^(٤) وكسر لك أخرى وقال : غنينا يا حُطَيْيئة ، فطَفِئَتْ تَغْيِيهِ بأعراض الناس . قال ابن أسلم : فما أنقضت الدنيا حتى رأيتُ الحُطَيْيئةَ عند عبيد الله بن عمر قد بسط له نُمرُقةً وكسر له أخرى وقال : غنينا يا حُطَيْيئة ، فجعل يغتِيهِ ، فقلتُ له : يا حُطَيْيئة ، أتذكر قولَ عمر ؟ ففرع وقال : يرحم الله ذلك المرء ، أما إنه لو كان حياً ما فعلتُ . قال : وقلت لعبيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل .

الحطية يبيع اعراض المسلمين :

وروي عن عبد الله بن المبارك أن عمر رضي الله عنه لما أطلق الحُطَيْيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فأشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال الحُطَيْيئةُ في ذلك :

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ شَيْئاً يَضُرُّ وَلَا مَدِيحاً يَنْفَعُ
وَحَمِيَّتِي عَرَضَ اللَّئِيمِ فَلَمْ يَخْفُ ذِمِّي وَأَصْبَحَ آمِناً لَا يَفْرَعُ

(١) الخصف : محرز الاسكافي .

(٢) أوحى : أسرع .

(٣) النمرقة : الوسادة .

الخطيئة وابن عوف :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن نافع بن أبي نعيم :

أن عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمرو بن الخطاب وكلمه في أمر الخطيئة حتى أخرجه من السجن . قال حماد وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أن عمر رضي الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النعمري الذي كان الزبير كان حمله على هجاء بغيض :

دَعَانِي الْأَتْبَجَانُ ^(١) أَبْنَا بَغِيضٍ	وَأَهْلِي بِالْعَلَاةِ ^(٢) فَتَنِّيَانِي
وَقَالُوا سِرْ بِأَهْلِكَ فَأَتَيْنَا	إِلَى حَبْرٍ وَأَنْعَامٍ سِمَانٍ
فَسَرْتُ إِلَيْهِمْ عَشْرِينَ شَهْرًا	وَأَرْبَعَةً فَذَلِكَ حِجَّتَانِ
فَلَمَّا أَنْ أَتَيْتُ أَبْنِي بَغِيضٍ	وَأَسْلَمَنِي بِدَائِي الدَّاعِيَانِ
يَبَيْتُ الذَّنْبُ وَالْعَنَاءُ ^(٣) ضَيْفًا ^(٤)	لَنَا بِاللَّيْلِ بَنَسَ الضَّائِفَانِ
أُمَارِسُ مِنْهَا لَيْلًا طَوِيلًا	أَهْجُجُ ^(٥) عَنْ بَنِي وَيَعْرُوَانِ
تَقُولُ حَلِيلَتِي لَمَّا أَشْتَكِينَا	سَيِّدِرْ كُنَّا بَنُو الْقَرَمِ الْهَجَانِ ^(٦)
سَيِّدِرْ كُنَّا بَنُو الْقَمَرِ بَنُ بَدْرٍ	سَرَّاجِ اللَّيْلِ لِلشَّمْسِ الْحَصَانِ
فَقُلْتُ أَدْعِي وَأَدْعُوْا إِنْ أُنْدَى	لصوتٍ أَنْ يَنَادِي دَاعِيَانِ
فَمِنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي	أَنَا النَّعْمَرِيُّ جَارُ الزَّبْرِقَانِ
طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَطَرِيدُ حَرْبٍ	بِمَا أَجْرَمْتُ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي

(١) الأتبعان : منى أثبج وهو الاحدب .

(٢) العلاة : جبل في ديار النعم بن قاسط .

(٣) العنواء : الضيع .

(٤) الضيف : يكون للواحد والجمع كعدل وخضم .

(٥) يقال : هجج السبع وهجج به إذا صاح به وزجره ليكف .

(٦) الهجان : الرجل الحبيب .

كَأَنِّي إِذْ تَزَلْتُ بِهِ طَرِيداً تَزَلْتُ عَلَى الْمَنَعِ مِنْ أَبَانٍ
أَتَيْتُ الزَّبْرَقَانَ فَلَمْ يُضِغْنِي وَضِغْنِي يَتَرْتِمٍ مَنْ دَعَانِي

بنو قريع والخطيئة :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال :

لم يزل الخطيئة في بني قريع يمدحهم حتى إذا أحيوا قال لبغيض : فإني بما كنت تَضَمَّنْتَ ؛ فأني بغيضٌ علقمة بن هوذة فقال له : قد جاء الله بالحيا ، فإني بما قلت -- وكان قد ضمن له مائة بعير - وأبرئني مما تَضَمَّنْتَ عهدتي ؛ فقال : نعم ، سَلْ في بني قريع ففها فضل بعد عطائهم أن يُتَمَّ مائة أتمته ، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً ، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين ؛ قال : فأتته علقمة له مائة وراعين فدفعته إليه . فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمته السيئة وأستعدى الزبرقان عليه عمر رضي الله عنه . فلما رحل عنهم قال :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِذْ وَدَعْتُ أَرْضَهُمْ أَخِي بَغِيضاً وَلَكِنْ غَيْرُهُ بُعِدَا
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ مَنْ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَمَنْ يُحِبُّ الْجَلِيلَ وَمَا أَكْدَى وَلَا نَكِدَا
وَمَنْ تَلَاقِيهِ بِالْمَعْرُوفِ مَبْتَهَجاً إِذَا أَجْرَهُدُّ صَفَاً لِمَذْمُومٍ أَوْ صَلَدَا
لَا قِيَّتُهُ تَلَجاً تَنْدَى أَنَامِلُهُ إِنْ يُعْطَى الْيَوْمَ لَا يَمْنَعُكَ ذَاكَ غَدَا
إِنِّي لَرَاغِدُهُ وَدَرِي وَمَنْصَرَّتِي وَحَافِظُ غَيْبِهِ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا

(١) أبان : جبل . والمنع : العالي الذي يمتنع من أن يبلغه أحد .

(٢) تريم بكسر أوّله وفتح الياء : اسم واد بين المضايق ووادي ينبع .

(٣) أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .

(٤) يقال : أجرهدت الأرض إذا لم يوجد فيها نبات ولا مرعى . والصفاء : جمع صفاء وهي الصخرة المساء .

(٦) تلجأ : فرحاً مبتهجاً .

رأي النبي في الهجاء :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن مرسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دأب عن عبد الله بن عبيّش المكنوف قال :

بينما ابن عباس جالس في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفّ بصره وحولّه ناس من قريش ، إذ أقبل أعرابيٌّ يُخَطِرُ وعليه مطرفٌ وُجبةٌ وعمامةٌ خزّيةٌ ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام ، فقال : يا ابن عمّ رسول الله ، أفتني ؛ قال : في ماذا ؟ قال اتخاف عليّ جناحاً إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمته وقصر بي فقصرتُ به ؟ فقال : العفو خير ، ومن أنتصر فلا جناح عليه ؛ فقال : يا ابن عمّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرايت أمراً أتاني فوعدني وغرّني ومَنّاني ثم أخلفني وأستخف بجرّمتي أيسعني أن أهجوه ؟ قال : لا يصلح الهجاء ، لانه لا بدّ لك من أن تهجوّ غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك ، وتشتّم من لم يشتّمك ، وتبغى على من لم يبيع عليك ، والبغى مَرْتَعٌ وخيم ، وفي العفو ما قد علمت من الفضل ؛ قال : صدقت وبررت ؛ فلم ينشب أن أقبل عبد الرحمن بن سيحان المحاربيّ حليف قريش ، فلما رأى الأعرابيّ أجله وأعظمه وألطف في مسئلته ، وقال : قرب الله دارك يا أبا مليكة ، فقال ابن عباس : أجروا ؟ قال : جروا ؛ فإذا هو الحطيثة ، فقال ابن عباس : لله أنت ! أيّ مردى قذاف ، وذائدٍ عن عشيرة ، ومثني بعارفة تؤتاها أنت يا أبا مليكة ! والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزّبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتمت من لم يشتّمك ؛ قال : إني والله بهم يا أبا العباس لعالم ؛ قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك ؛ قال : بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

(١) الردى : حجر يرمى .

(٢) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله .

أنا ابنُ مُجَدِّتِهِمْ^(١) علماً وتجربةً فسَلْ بسعدٍ تجدني أعلم الناسِ
سعدُ بنُ زَيْدٍ كثيرٌ إنْ عدَدْتَهُمْ^(٢) ورأسُ سعدٍ بنِ زَيْدٍ آلُ شَمَّاسٍ
والزُّبْرَقَانُ ذُنَابَاهُمْ^(٣) وشرُّهم ليس الذُّنَابِيُّ أبا العباس كالرأسِ

فقال ابن عباس : أقسمتُ عليك ألا تقول إلا خيراً ، قال : أفعل . ثم قال
ابن عباس : يا أبا مُلَيْكَةَ ، من أشعرُ الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟
قال : من الماضين ؛ قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دون عَرَضِهِ يَفِرُّهُ ومن لا يَتَّقِرُ الشَّمَّ يُشْتَمُّ

وما بدونه الذي يقول :

ولستَ بمسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُزُهُ على شَعَثٍ ، أَيُّ الرجال المَهْدَبُ

ولكن الضراعةَ أفسدته كما أفسدتْ جِرْوَلَا - يعني نفسه - والله يَأْبَنُ
عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأما الباقون فلا
تَشْكُ أَنِّي أشعرهم وأَصْرَدُهُمْ^(٣) سهماً إذا رميتُ .

رَأْيِي عمر بن مَيْمَنٍ مَاءَهُ عن غيره :

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار قال : رُوِيَ لنا عن أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَهْلَيْهِمْ بن
عَدِيٍّ وغيرهما :

أَنَّ عبد الله بن أَبِي رَيْبَعَةَ لما قَدِمَ من البحرين نَزَلَ على الزُّبْرَقَانِ بن بدر بجائِهِ
خَلَّاهُ وهو الماء الذي يقال له بُنْيَانٌ ، فنَزَلَ على بني أَنْفِ الناقةِ بِجَائِهِمْ وهو الذي
يقال له وَشِيعٌ ، فأَكْرَمُوهُ وَذَبَحُوا لَهُ شاةً وقالوا : لو كانت إبْلَانَا مِنَّا قَرِيبَةً لَنَحْرَنَا
لَكَ ؛ فراح من عندهم يَتَغَنَّى فيهم بقوله :

(١) البجدة : دخلة الامر وباطنه . ومن الامثال « انا ابن مجدتها » يقال للعالم بالشيء المتقن له .

(٢) ذنابهم : ذنبهم .

(٣) أصردهم : أنفذهم .

وما الزبرقان يوم يمنع ماءه بمُحْتَسِبِ التَّقْوَى ولا متوَكِّلٍ
مقيمٌ على بُنْيَانٍ يمنع ماءه وماء ورشيع ماء ظمآنٍ مُرْمِلٍ

قال : فركب الزبرقان إلى عمر رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال :
إنه هجاني يا أمير المؤمنين ؛ فسأل عمر عن ذلك عبد الله ؛ فقال له : يا أمير
المؤمنين ، إني نزلت على مائه فخلاًثني عنه ؛ فقال عمر رضوان الله عليه : يا زبرقان ،
أمنع ماءك من ابن السبيل ! قال : يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماء حفر آبائي مجاريه
ومستقره وحفرته أنا بيدي ! فقال عمر : والذي نفسي بيده ، إن بلغني أنك منعت
ماءك من أبناء السبيل لا ساكتني بنجد أبداً ! فقال بعض بني أنف الناقة يُعَيِّرُ
الزبرقان ما فعله :

أُتَدْرِي مَنْ مَنَعَتْ وَرُودَ حَوْضٍ سَلِيلَ خَضَارِهِ مَنَعُوا الْبَطَاحَا
أَزَادَ الرِّكْبِ تَمَنَعَ أَمْ هَشَاماً وَذَا الرُّمَحِينَ أَمَنَعَهُمْ سِلَاحَا
عَمُ مَنَعُوا الْإِبَاطِحَ دُونَ فِهْرٍ وَمَنْ بِالْخَيْفِ وَالْبُدْنَ اللَّقَاحَا
بَضْرِبِ دُونَ بَيْضَتِهِمْ طَلْعُفٍ إِذِ الْمَلْهَوفُ لَازِبُهُمْ وَصَاحَا
وَمَا تَذْرِي بِأَيِّهِمْ تُلَاقِي صَدُورَ الْمَشْرِفَةِ وَالرِّمَاحَا

وصية الخطيئة عند موته :

وللخطيئة وصيةٌ ظريفةٌ يأتي كلُّ فريقٍ من الرواة ببعضها ، وقد جمعتُ ما
وقع إليَّ منها في موضع واحد وصدرتُ بأسانيدها .

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال حدثنا
عُيَيْنَةُ بنِ الْمُنْهَالِ عن الأصمعي ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال
حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، ونسختها من كتاب

(١) ييضتهم : حوذتهم وساحتهم .

(٢) طلغف : شديد .

محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبدى عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الحتراعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قالوا :

لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا : يا أبا مليكة : أوص فقال : ويل للشعر من راوية السوء ؛ قالوا : أوص رحمك الله يا حطي ؛ قال : من الذي يقول :

إذا أنبض الزامون عنها ترنمت ترنم ككلى أوجعها الجنات ؟

قالوا : الشناخ ؛ قال : أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب ؛ قالوا : ويحك ! أهذه وصية ! أوص بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل ضابى أنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير أننى رأيت جديد الموت غير للذيد

قالوا : أوص ويحك بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهل أمرى القيس أنه أشعر العرب حيث يقول :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل

قالوا : اتق الله ودع عنك هذا ؛ قال : أبلغوا الانصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقيبل

قالوا : هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه ؛ فقال :

(١) أنبض الفوس وأنضها : جذب وترها لتصوت .

(٢) هو ضابى بن الحارث البرجمي ثم اليربوعي الشاعر من بني تميم .

(٣) مغار القتل : محكمه ، وهو اسم مفعول من أغار الجبل إغارة وغارة : شد قتله . ويذبل :

جبل لباهلة .

الشَّعْرُ صَغْبٌ وطويلٌ سُلْمُهُ إذا أرتقى فيه الذي لا يَعْلَمُهُ
زَلْتُ به إلى الخُضِيِّ قَدَمُهُ يريد أن يعربه فَيُعْجِمُهُ

قالوا : هذا مثلُ الذي كنتَ فيه ؛ فقال :

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتمدِ وكنتُ ذا غَرَبٍ على الخُصْمِ أَلَدُ
فَوَرَدَتْ نفسي وما كادت تَرُدُ

قالوا : يا أبا مُلَيْكَةَ، أَلَك حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكن أجزع على المديح
الجيد يُمدح به من ليس له أهلاً . قالوا : فمن اشعرُ الناس ؟ فأوماً بيده الى فيه
وقال : هذا الجحير إذا طمعَ في خير (يعني فَمَهُ) وأستعبرَ باكياً ؛ فقالوا له :
قل لا إله إلا الله ؛ فقال :

قالتُ وفيها حَيْدَةٌ وذُعرٌ عَوْدٌ يرَّي ونُكْمٌ وحُجْرٌ

فقالوا له : ما تقول في عبيدك وإمائك ؟ فقال : هم عبيدٌ قنٌ ما عاقبَ
الليلُ النهارَ ؛ قالوا : فأوصِرِ للفقراءِ بشيء ؛ قال : أوصيهم بالإلحاح في المسئلة
فإنها تجارةٌ لا تبورُ ، وأستُ المسؤولِ أضيقُ .

قالوا : فما تقولُ في مالك ؟ قال : للأُنثى من ولدي مثلُ حَظِّ الذَّكَرِ ؛ قالوا :
ليس هكذا قضى الله جلَّ وعزَّ لهنَّ ؛ قال : لكني هكذا قَضَيْتُ .

قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كلوا أموالهم وانكحوا أمهاتهم ؛ قالوا :
فهل شيء تعهدُ فيه غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، تحماونني على أثنانٍ وتتركونني راكبها

(١) الغرب : الحد ومنه غرب السيف : حدة .

(٢) يقال : ورد فلان بلد كذا وماء كذا إذا أشرف عليه وإن لم يدخله . ولعله يريد من الورود
الاشراف على الموت .

(٣) حيدة : من حاد عن الشيء إذا صدَّ عنه أو نفر خوفاً منه .

(٤) حجر ، أي دفع ومنع ، والغرب تقول عند الامر تنكره : حجراً له بالضم ، أي دفعا .

(٥) هذا كناية عن العجز ، يقال للرجل يستضعف : استك أضيق من أن تفعل كذا .

حتى أموتَ فإنَّ الكريمَ لا يموتُ على فراشه ، والاتانُ مرَّكبٌ لم يمت عليه
كريمٌ قطَّ ؛ فخلَّوه على أتانٍ وجعلوا يذهبون به ويحيثون عليها حتى مات
وهو يقول :

لا أحدُ الأُمِّ من حُطَّيْهِ هجا بَنِيهِ وهجا المُرِّيَّةُ
من لُؤْمِهِ ماتَ على فُرِّيَّةِ

والفُرِّيَّةُ : الاتان .

ما غني من شعره :

ذكر ما غنيَ فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئة بغيضاً وقومه
وهجا الزبرقان وقومه

منها :

صوت

ألا طَرَقْتَنَا بعدَ ما هَجَّعُوا هِنْدُ وقد حُزِنَ غَوْرًا وأَسْتَبَانَ لَنَا نَجْدُ
وإنَّ التي نَكَبَتْهَا عن مَعَاشِرِ عَلَيَّ غَضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كَمَا صَدُّوا

الغناء لعلوِّيه ثَقِيلٌ أوَّلُ بالوسطى عن عمرو ، وهذه القصيدة التي يقول فيها :

أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بِنِ لَأَيٍّ وَإِنَّمَا أَنَا هُمُ بِهَا الْإِحْلَامُ وَالْحَسَبُ الْعِدُّ
فإنَّ الشَّقِيَّ مَنْ تُعَادِي صَدُورُهُمْ وَذُو الْجِدِّ مَنْ لَازُوا إِلَيْهِ وَمَنْ وَدُّوا
يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا فَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيزَةُ وَالْجِدُّ
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ اللُّومِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أولئك قومٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

(١) نكب الشيء : نخَّاه ، مال به .

(٢) العد : القديم .

وإن كانت النعمى عليهم جزواها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
 وإن قال مولا نعم على جُلِّ حادثٍ من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
 مطاعين في أهيجا مكاشيف للذجي بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
 ومنها :

صوت

وأدماء حر جوج^(١) تعاللت^(٢) موهنا بسوطي فارمدت^(٣) نجاء^(٤) الحفيد
 إذا آنست وقعا من السوط عارضت^(٥) به الجوز حتى يستقيم^(٦) ضحى القدر
 وتشرب بالقعب الصغير وإن تُقد^(٧) بمشقرها يوماً الى الخوض تنقد

الموهن : وقت من الليل بعد مضي صدر منه . وأرمدت : نجت ، والأرمداد :
 النجاء^(٨) . والحفيد : الظليم .

الفناء : لأن محرز خفيف رمل بالسبابة في مجرى ينصر عن إسحاق . وذكر
 الهشامي : أن فيه لإبراهيم خفيف رمل آخر ، وهو في جامع إبراهيم غير
 مجنس . وفيه خفيف ثقيل مجهول ، وذكر حبش : أنه لمعد ؛ ويشبه أن يكون
 ليحيى المكي .

الخطيئة اشعر الناس :

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني
 إبراهيم بن المنذر عن ابن عباية عن محمد بن مسلم الجوسق عن رجل من كعب قال :

(١) حرجوج : الناقة .

(٢) تعاللت : استخرجت بقية سيرها .

(٣) التدح الضخم الغليظ الجافي .

(٤) النجاء : السرعة في السير .

(٥) الحفيد : الحفيف .

جثتُ سوق الظَّهْرُ إِذَا بَكُتِيرٌ، وإِذَا النَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ^(١) عَلَيْهِ، فَتَخَلَّصْتُ^(٢) حَتَّى
دَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ : أبا صَخْرَ ؛ قَالَ : مَا تَشَاءُ ؟ قُلْتُ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ :
الَّذِي يَقُولُ :

وَأَثَرْتُ إِدْلَاجِي عَلَى لَيْلٍ حُرَّةٍ هَضِيمِ الْحِشَا حُسَانَةً^(٣) الْمُتَجَرِّدِ
تُفَرِّقُ بِالْمَدْرَى أَثِيثًا^(٤) نَبَاتَهُ عَلَى وَاضِحِ الذِّقْرِ أَسِيلِ^(٥) الْمُقْلَدِ^(٦)
قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الْخَطِيئَةُ ؟ قَالَ : هُوَ ذَلِكَ .

الخطيئة وعمر ايضاً :

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَارِثٍ
الْحَرَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ :

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْشَدَ قَوْلَ الْخَطِيئَةِ :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشَوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ

فَقَالَ عُمَرُ : كَذَبٌ، بَلْ تِلْكَ نَارُ مُوسَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَهْلَيْهِمْ عَنْ عَدِيِّ عَنْ حَمَّادٍ
الرَّوِيَّةُ .

أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى الْخَطِيئَةِ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَإِلَى جَانِبِهِ سَوْدَاءُ قَدْ

(١) الظَّهْرُ : الْإِبِلُ .

(٢) مُتَقَصِّفُونَ : مُزْدَحْمُونَ .

(٣) حُسَانَةٌ : شَدِيدَةُ الْحَسَنِ .

(٤) أَيُّ شَعْرًا كَثِيفًا .

(٥) الذِّقْرَى : عَظْمُ خَلْفِ الْأُذُنِ . وَالْأَسِيلُ : الطُّوَيْلُ . وَالْمُقْلَدُ : الْعَنْقُ .

(٦) تَعَشَوْا : تَقَصَّدُوا فِي الظُّلَامِ .

أخرجت رَجُلَهَا من تحت الكساء ، فقال له : ويحك ! أفي رجلك خُفٌ ؟ قال :
لا والله ولكنها رَجُلٌ سوداء ، أتدري مَنْ هي ؟ قال : لا ؛ قال : هي والله التي
أقول فيها :

وآثرتُ إدلاجي على ليلٍ حُرَّةٍ

- وذكر البيتين - والله لو رأيتهَا يابن أخي لما شَرِبْتَ الماء من يدها ؛
قال : فجعلتُ تسبُّه أقبحَ سَبٍّ وهو يضحك .
ومنها :

صوت

ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لَكُمْ في بئسِ جاء يحدو أَيْنَقًا شُرْبًا
طافتُ أُمَامَةُ بالرُّكبانِ آوَنَةً يا حُسْنَهَا من خيالٍ زارَ مُنْتَقِبًا
إذ تَسْتَبِيكَ بِمَقُولٍ عَوَارِضُهُ حَمَشُ اللَّيْثَاتِ تَرى في مائه سَنَبًا
قد أخلقتُ عهدَهَا من بعدِ جِدَّتِهِ وكذَّبتُ حُبَّ مَلْهوفٍ وما كذَّبَا
الغناء لأَبْنِ سُرَيْجٍ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة .

ومنها :

صوت

جَزَى الله خيراً - والجزاء بكِفِّهِ - بأحسنِ ما يَجْزِي الرجالَ بَغِيضًا
فلو شاءَ إذ جِئناه صَدًّا فلمْ يُلَمِّمْ وصادَفَ مَنَائِي في البلادِ عَرِيضًا
الغناء للهذليّ ثَقِيلٌ أوَّلُ بالبصرة عن الهشاميّ .

(١) شزبا : جمع شازبة وهي الضامرة .

(٢) العوارض : التنايا : وهي ما يظهر عند الضحك . وقيل : هي أربع أسنان تلي الاثني عشر
الاضراس تلي العوارض وقيل : العوارض ما يبدو عند الضحك .

(٣) حمش اللثات : دقيقتها في حسن .

(٤) المنأى : اسم مكان من التأني وهو البعد .

اخبار ابن عائشة ونسبه

نسبه :

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر، ولم يكن يُعرف له أبٌ فكان ينسب الى أمه ، ويلقبه من عاداه أو اراد سبه « بن عاهة الدار » . وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر ؛ وليس يُعرف ذلك . وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش . وقيل : إنها مولاة لآل المطلب بن ابي وداعة السهمي ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلام . وحكى ابن الكلبي القول الاول ، وقال إسحاق : هو الصحيح ، يعني قول ابن الكلبي . وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه : إنَّ محمد بن معن الغفاري ذكر له عن أبي السائب المخزومي أن ابن عائشة مولى المطلب بن أبي وداعة السهمي وأنه كان لغير رشدة^(١) ، فأدركت المشيخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا : أحسن ابن المرأة . قال إسحاق وقال عمران بن هند الأرقمي : بل كان مولى لكثير بن الصلت .

منسوب لأمه :

قال إسحاق : قال عبيد الله بن محمد بن عائشة : قال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، أليغة أنت ؟ قال : كانت أمي يا امير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاماً ، فكانت إذا دخلت الى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة ؛ فغلبت على نسي .

(١) لغير رشدة : لغير نكاح صحيح . يقال : فلان ولد لرشدة ، أي لنكاح صحيح . وشدّه غية ، فيقال : ولد لغية ، أي لزنية .

كان يفتن الناس :

قال إسحاق : وكان ابنُ عائشة يفتن كلَّ من سَمِعَهُ ، وكان فتيان من المدينة قد فسَدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته . وقد أخذ عن مَعْبُد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما وأَعترافه بفضلهما .

احسن المغنين :

وقد قيل : إنه كان ضارباً ولم يكن بالخبير الضرب ؛ وقيل : بل كان مُرتجلاً لم يضرب قط .

وأبتدأوه بالغناء كان يُضرب به المثل ، فيقال للابتداء الحسن كائنًا ما كان من قراءة قرآن ، أو إنشاد شعر ، أو غناء يُبدأ به فيستحسن : كأنه ابتداء ابن عائشة . قال إسحاق : وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون : ابنُ عائشة أحسنُ الناس ابتداءً ، وأنا أقول : إنه أحسنُ الناس ابتداءً وتوسطاً وقطعاً بعد أبي عباد مَعْبُد ، وقد سمعتُ مَنْ يقول : إنَّ ابنَ عائشة مثله ؛ وأما أنا فلا أَجُور على أن أقول ذلك .

وكان ابنُ عائشة غير جيد اليدين فكان أكثرُ ما يُغَنِّي مُرتجلاً . وكان أطيبَ الناس صوتاً .

قال إسحاق وحدثني محمد بن سلام قال قال لي جرير : لا تتحدثن عن أبي جعفر محمد بن عائشة ، فإلّا صُلِفُ كان فيه لَمَّا كان بعد أبي عباد مثله .

أخبرني أحمد بن جعفر جَعْفَلَة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه عن جده قال : ثلاثة من المغنين كانوا أحسنَ الناسُ حُلُوقاً : ابنُ عائشة وابن تَيْرَن وابنُ أبي الكَنَنَت .

ابن عائشة مزامير داود :

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثنا أحمد بن زهير
قال حدثني مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيّ عن أبيه قال :

رأى ابنُ أبي عَتِيقٍ حَلَقَ ابنَ عائشة مُخَدَّشاً فقال : مَنْ فَعَلَ هذا بك ؟ قال :
فلان ، فمضى فَتَزَعَّ ثِيابه وجلس للرجل على بابه ، فلما خرج أخذ بِتَلْيِيهِ وجعل
يضره ضرباً شديداً والرجل يقول له : ما لك تَضْرِبُنِي ! أي شيء صنعت ! وهو
لا يجيبه حتى بلغ منه ؛ ثم خلاه وأقبل على مَنْ حَضَرَ فقال : هذا أراد أن
يكسر مزامير داود : شَدَّ على ابنِ عائشة خَنْقَهُ وَخَدَشَ حَلَقَهُ .

احسن الناس ابتداء :

قال إسحاق في خبره : وحدثني أبي عن سِياطِرٍ عن يونسَ الكاتب قال : ما
عرَفْنَا بالمدينة أحسنَ ابتداء من ابنِ عائشة إِذَا غَنَّى ، ولو كان آخرُ غَنَائِهِ
مثلَ أولِهِ لَقَدَّمْتُهُ على ابنِ سُرَيْجٍ . قال إبراهيم : هو كذلك عندي ، وقال إسحاق
مثلَ قولها . قال : وقال يونس : كان ابنُ عائشة يضرب بالعود ولم يكن مُجِيداً
وكان غناؤه أحسنَ من ضربه ، فكان لا يكاد يمسُّ العودَ إِلَّا أن تجتمع جماعة
من الضُّرَّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويُغَنِّي ، فنهايك به حَسناً ! .

نديم الملوك والخلفاء :

أخبرني الحسن بن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسن
أنه ذكر يوماً للمغنين بالمدينة ، فقال : لم يكن بها أحدٌ بعد طويس أعلم من ابن
عائشة ولا أظرف مجلساً ولا أكثر طيباً ؛ وكان يصلح أن يكون نديم خليفة

(١) جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه عند صدره وقبض عليه بحزمه .

أو سمير ملك . قال إسحاق : فأذكرني هذا القول قول جميلة له : وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح ان تكون .

اخلاقه :

قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال : كان ابن عائشة ثائلاً سيئ الخلق ، فإن قال له إنسان : تعن ، قال : ألمثلي يقال : هذا ! وإن قال له إنسان : وقد ابتداء بغناء : أحسنت ، قال : ألمثلي يقال أحسنت ! ثم يسكت ، فكان قليلاً ما ينتفع به . فسأل العقيق مرة فدخل عروسة سعيد بن العاصي الماء حتى ملأها ، فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج ، فجلس على قرن البئر ، فبينما هم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، على بغلة وخلفه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين ، فقال لهما : امضيا رؤيدا حتى تقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة ، فخرجا حتى فعلا ذلك . ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة ؟ قال : بخير ، فذاك أبي وأمي ، قال : انظر من إلى جنبك ، فنظر فإذا العبدان ، فقال له : أتعرفهما ؟ قال : نعم ، قال : فهما حران لئن لم تغني مائة صوت لأمرنهما بطرحك في البئر ، وهما حران لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما ، فاندفع ابن عائشة فكان أول ما ابتداء به صوتاً له وهو :

ألا لله درك من فتي قوم إذا رهبوا

ثم لم يسكت حتى غنى مائة صوت ، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوا في ذلك اليوم ، وكان آخر ما غنى :

صوت

قل المنازل بالظهران^١ قد حانا أن تنظني فتبيني القول تنيانا

(١) الظهران : وادٍ قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ تضاف الى هذا الوادي فيقال مرّ الظهران .

قال جرير : فما رُئي يومُ أحسنُ منه ، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثله ، وما بلغني أن أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء ، ولا انصرف أحد لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ . ولقد تبادر الناس من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه ، فيقال : إنه ما رُئي جمعٌ في ذلك الموضع مثل ذلك الجمع ، ولقد رفع الناس أصواتهم يقولون له : أحسنت والله ، أحسنت والله ، ثم انصرفوا حوله يرفقونه إلى المدينة زفاً .

نسبة ما في هذا الخبر من الاغاني

منها :

صوت

ألا لله درك من فتى قوم إذا رهبوا
وقالوا من فتى للحر ب يرقبنا ويرتقب
فكنت فتاهم فيها إذا تدعى لها تيب
ذكرت أخي فعاودني رداع السقم والوصب
كما يعتاد ذات البو بعد سلوها الطرب
على عبد بن زهرة بست طول الليل أنتحب

الشعر لأبي العيال الهذلي . والغناء لتعبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقيل
أولُ بالحنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق يُبدأ فيه بقوله :

ذكرت أخي فعاودني رداع السقم والوصب

والآخر خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيه لابن عائشة خفيف

(١) الرداع : النكس .

(٢) الطرب هنا : الحزن .

رَمَلْهُ آخِرُ، وَقِيلَ بَلْ هُوَ لَعْنٌ مَعْبُدٌ. وَذَكَرَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ خَفِيفَ الرَّمَلِ لِمَالِكٍ.
الْبَوُّ: جِلْدٌ يُخْشَى تَبْنًا وَيَجُفُّ لَكَيْلًا تَحْبُثُ رَاخَتُهُ، وَيُذْنِي إِلَى النَّاقَةِ الَّتِي قَدْ
نُحِرَ فَصِيلُهَا أَوْ مَاتَ لَلشَّيْءِ فَتَدِرُّ عَلَيْهِ.

ومنها:

صوت

قُلْ لِلنَّازِلِ بِالظُّهْرَانِ قَدْ حَانَ أَنْ تَنْطِقِي فُتُبِي الْقَوْلِ تَبِيَانَا
قَالَتْ وَمَنْ أَنْتَ قُلْ لِي قُلْتُ ذُو شَعْفٍ هَجَّتْ لَهُ مِنْ دَوَاعِي الْحَبِّ أَخْرَانَا
الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن عائشة خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى
عن الهشاميّ وحَبَشَ .

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير :

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني عبد الرحمن بن سليمان عن عليّ
ابن الجهم الشاعر قال حدثني رجل :

أَنْ ابْنَ عَائِشَةَ كَانَ وَاقِفًا بِالمُوسِمِ مَتَحَبِّرًا، فَرَّ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ : مَا
يُقِيمُكَ هَا هُنَا ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَعْرِفُ رَجُلًا لَوْ تَكَلَّمْتُ لِحَبْسِ النَّاسِ هَا هُنَا فَلَمْ يَذْهَبْ
أَحَدٌ وَلَمْ يَجِيءْ ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ أَنَا ، ثُمَّ انْدَفَعَ يَغْتَنِي :
جَرَتْ سُنْحًا فَقُلْتُ هَا أَجِيزِي نَوَى مَشْمُولَةً فَتَى اللِّقَاءِ

قال : فَحَبَسَ النَّاسُ ، وَاضْطَرَبَتِ الْحَامِلُ ، وَمَدَّتِ الْإِبِلُ أَعْنَاقَهَا ، وَكَادَتْ
الْقَتَنَةُ أَنْ تَقَعَ . فَأَتَى بِهِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَرَدْتَ أَنْ
تَغْتَنِيَ النَّاسَ ! قَالَ : فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَكَانَ تَيَّاهَا ، فَقَالَ لَهُ هِشَامُ : أَرَفُقُ بِبَيْتِكَ ،
فَقَالَ : حَقٌّ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ مَقْدَرَتُهُ عَلَى الْقُلُوبِ أَنْ يَكُونَ تَيَّاهَا ، فَضَحِكَ مِنْهُ
وَحَلَّى سَبِيلَهُ .

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت

جرتْ سُنْحًا فقلتُ لها أجزِي نَوَى مشولةً فتي اللقاء
بنفسي مَنْ تذكُّره سقامٌ أعانيه ومطلبه عناء

السانح : ما أقبل من شمالك يريد يمينك ، والبارح ضده . وقال أبو عبيدة :
سمعت يونس بن حبيب يسأل رُوْبَةَ عن السانح والبارح ، فقال : السانح : ما ولَّاك
ميامنه ، والبارح : ما ولَّاك مشائمه . وقوله : أجزِي أي انقضي . قال الأصمعي :
يقال : أجزت الوادي إذا قطعتَه وخلقتَه ، وجزته أي سرت فيه فتجاوزته ،
وجاوزته مثله : قال أوس بن مخرم :

ولا يرمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجزوا آل صوفانا

ومشولة^١ : سريعة الانكشاف . أخذته من السحابة المشولة ، وهي التي
تصيبها الشمال فتكشفها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب ، واستعارها هاهنا في
التوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم ، وأجرى ذلك مجرى الزم للسانح لأنه
يتشام به . البيت الأول من الشعر لزهير بن أبي سلمى ، والثاني محدث أخقه
المغنون به لا أعرف قائله . والغناء لابن عائشة ، ولحنه خفيف ثقيل أول بالبصر .

الوليد يقبل على ابن عائشة ويترك معبدًا :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق وأخبرني به
محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن
عدي عن حماد الراوية قال :

(١) فسر في اللسان في مادة سنح وشمل بأنه أخذ بها ذات الشمال .

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أمّا بعد ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فسرح إليّ حمّاداً الراويةَ على ما أحبّ من دوابّ البريد ، واعطه عشرة آلاف درهم يتهمياً بها . قال : فأتاه الكتاب وأنا عنده فنَبَذَهُ إليّ ، فقلتُ : السمعُ والطاعة ؛ فقال : يا دُكَيْن ، مُرْ شجرةَ يعطيه عشرة آلاف درهم ، فأخذتها . فلما كان اليومُ الذي أردتُ الخروجَ فيه أتيتُ يوسف بن عمر ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفته من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائِكَ ؛ فقلتُ : أصلح الله الأمير « إنَّ العوانَ لا تُعَلَّمُ الحُمرة » وسيلغُكُ قولي وثنائي . فخرجتُ حتى انتهيتُ إلى الوليد وهو بالبُخراء ، فاستأذنتُ عليه فأذنَ لي : فإذا هو على سرير مَهْد ، وعليه ثوبان أصفران : إزارٌ ورداء يقينان الزعفران قيناً ، وإذا عنده مَعْبُدٌ ومالك بن أبي السَّمْح وأبو كامل مولاة ، فتركني حتى سَكَنَ جأشي ، ثم قال أنشدني :

أَمِنَ المَنونَ ورَئِيها تَتَوَجَّعُ

فأنشدته حتى أتيتُ على آخرها ؛ فقال لساقيه : يا سَبْرَةَ أسقِه ، فسقاني ثلاثة أكؤس خَثْرُنْ^(١) ما بين الذُّؤابة والنعل . ثم قال يا مالك ، غَنِّي :

أَلا هَلْ هاجَكَ الاظْلا نُ إِذْ جاوزنَ مُطَلَّحا

ففعل . ثم قال له : غَنِّي :

جَلا أُميَّةُ عني كُلَّ مَظْلَمَةٍ سَهْلَ الحِجابِ وأوفى بالذي وَعَدا

(١) العوان من النساء : التي قد كان لها زوج ، وقيل هي النصف في سنّها أو هي الثيب . والحُمرة : الهيئة من الاختار أي لبس الحمار . وهذا مثل يضرب للجرب الذي يعرف أمره ولا يحتاج إلى أن يعلم كيف يفعل .

(٢) هي أرض بالشام كما في معجم ما استعجم للبكري . وقال ياقوت في معجم البلدان : هي مائة منته على ميلين من القليعة في طرف الحجاز ، وذكر قصة يستفاد منها أن الوليد بن يزيد قتل وهو نازل بالبُخراء .

(٣) خَثْرُن : جعلته خائراً فاتراً منكسراً .

ف فعل . ثم قال له : غَيْتِي :

أَتَسَى إِذْ تُودِعُنَا سُلَيْمَى بَقَرَعِ بِشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ

ف فعل . ثم قال : يا سبرة ، او يا ابا سبرة ، اسقني بزُبِّ فِرْعَوْنَ ؛ فاتاه بقدرح معْوَجٍ فسقاه به عشرين ، ثم اتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجل الذي طلبت بالباب ؛ قال : أدخله ، فدخل شابٌ لم أرَ شاباً أحسنَ وجهاً منه ، في رجله بعضُ القَدْعِ ؛ فقال : يا سبرة اسقه ، فسقاه كأساً ؛ ثم قال له : غَيْتِي :

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِثْرَرٌ وَلَهَا يَتُ جَوَارٍ مِنْ لَعْبٍ

فغنائها فنبتد اليه الثوين . ثم قال له : غَيْتِي :

طَافَ الْخِيَالُ فَرُحْبَا أَلْفَا بَرُوءَةَ زَيْنَبَا

فغضب معبد وقال : يا امير المؤمنين ، إنا مقياون عليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنك تركتنا بمنزجر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبي ! فقال : والله يا ابا عبَّاد ، ما جهلتُ قدرَكَ ولا سنَّكَ ، ولكنَّ هذا الغلام طرحني في مثل الطَّنَاجِيرِ من حرارة غنائه . قال حمَّاد الراوية : فسألتُ عن الغلام فقيل لي هو ابنُ عائشة .

(١) بشامة : واحدة البشام ، وهو شجر طيب الريح والطعم يستاك به ، والمعنى أنها أشارت بسواكها تودعه ولم تتكلم خيفة الرقاء .

(٢) القدع : عوج وميل في المفاصل خلقة أو داء ، وأكثر ما يكون في الرسغ من اليد والقدم .

(٣) الطَّنَاجِيرُ : جمع طنجير ، والطنجير ذكره صاحب القاموس ولم يبين معناه ، وإنما قال : إنه معرَّبٌ فارسيته باتيله ، ويؤخذ من كلام شارحه أنه يقال على القدر من النحاس حيث قال : والطنجير كناية عن الجبان والشم ، هكذا تستعمله العرب في زماننا وكأنهم يعنون به الحضري الملازم أكَّله في قدور النحاس وصحونه . وفي أقرب الموارد : والطنجرة : قدر من نحاس دخيلة والطنجير وعاء يعمل فيه الخبيص ، معرَّب . وفي إحدى النسخ : « الطياجين » جمع طيجن وهو الطاجن (المقل) وهو بالفارسية تابه .

نسبة ما في هذا الخبر من الاغاني

صوت

جلا أمية عني كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا
إذا حلت بأرض لا أراك بها ضاقت علي ولم أعرف بها احدا

الغناء لابن عبّاد الكاتب خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن
إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أنه لعمرو الوادي . وذكر حبش أن فيه لمالك لحناً
من خفيف الثقيل الأول بالوسطى .

ومنها :

صوت

أتسى إذ تودعنا سليمي بفرع بشامة سقي البشام
متى كان الحيام بذي طلوح سقيت الغيث أيتها الحيام
أتمضون الحيام ولم نسلم كلامكم علي إذا حرام
بنفسي من تجنّبه عزيز علي ومن زيارته يلام

(١) ذو طلوح : موضع بين اليمامة ومكة كما في القاموس وشرحه . وقال ياقوت في معجمه : هو
اسم موضع للضباب اليوم في شاذلة حمى ضريبة وهو في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد ، ثم أنشد
بيت جرير هذا .

(٢) جاء هذا البيت في ديوان جرير الذي هو رواية محمد بن حبيب تابعاً لبيت قبله والبيتان هكذا :

أقول لصحبتي لما ارتحلنا ودمع العين منهمر سجام
أتمضون الرسوم ولا تخيا كلامكم علي إذا حرام

وجاء في التعليق على هذا البيت من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، أي تتركون
يقال : مضيت فلانا إذا جاوزته ولم تسلم عليه وكذلك مضيت المنزل . وجاء هذا الشطر في بعض كتب
الشواهد من علم النحو هكذا : « تمرون الديار ولم تعوجوا » ونقل المبرد عن عمارة بن بلال بن
جرير أنه قال : إنما قال جدي : « مررت بالديار ولم تعوجوا » .

ومن أُمسي وأصبح لا أراه وَيَطْرُقُنِي إِذَا رَقَدَ النَّيَّامُ

الشعر لجرير . والغناء لابن سُرَيْح ، وله في هذه الابيات ثلاثة أُلحان :
أحدها في الاول والرابع ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاق . والآخر
في الثاني ثم الاول ثاني ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو ، والآخر في الثالث وما بعده رَمَلٌ
بِالْبَنْصَرِ عَنْ الْهَشَامِيِّ وَحَبَشٍ . وللدُّلَالِ فِي الثَّانِي والثالث ثاني ثَقِيلٌ بِالسَّبَّابَةِ
فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ وَالْمَكِّي . وللغريض في الاول والثاني والثالث
خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو . وفيها لِمَالِكٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ الْهَشَامِيِّ .
ولابن جَامِعٍ فِي الْاَوَّلِ والثاني والرابع والخامس هَزَجٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ . وفيها لابن
جُنْدَبٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ .

ومنها الصوت الذي أَوَّلَهُ فِي الْخَبَرِ :

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِثْرَرٌ

وأَوَّلَهُ :

صوت

عَهْدَتْنِي نَاشِئًا ذَا غِرَّةٍ رَجُلًا الْجُمَّةَ ذَا بَطْنٍ أَقْبَ
أَتَّبَعُ الْوَلْدَانَ أُرْخِي مِثْرَرِي إِبْنَ عَشْرٍ ذَا قَوْطِرٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِثْرَرٌ وَلَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لُغَبٍ

الشعر لامرئ القيس ، ويقال : إنه أَوَّلُ شعرٍ شَبَّبَ فِيهِ بِالنِّسَاءِ . والغناء لابن

(١) رجل الجمة ، أي أن جنته ما بين البوطة والجمودة . والجمة : شعر الرأس الساقط على
المنكبين . وفي صفته صلى الله عليه وسلم : كان شعره رجلاً . أي لم يكن شديد الجمودة ولا شديد
البوطة بل بينهما .

(٢) أَقْبَ : ضامر .

(٣) الْوَلْدَانَ (بكسر الواو) : جمع وليد وهو الغلام والجارية إذا استوصفا قبل ان يحتلما .

عائشة ثاني ثقیل بالبصر عن الهشامي ودنانير^١ وحماد بن إسحاق . وفيه خفيف^٢
ثقیل بالبصر ذكر حماد في أخبار جميلة أنه لها ، وذكر حبش والهشامي أنه لابن
سريع^٣ ، وقيل إنه لغيرهما .

ومنها :

صوت

ألا هل هاجك الاظعا ن إذ جاوزن مطلقا
نعم ولو شك بينهم^٤ جرى لك طائر^٥ سنا
أخذن الماء من ركك^٦ وضوء الفجر قد وضعا
يقلن مقلنا قرن^٧ نباكر^٨ ماءه صبا
تبعنهم بطرف العين^٩ حتى قيل لي افتضا
يودع بعضنا بعضا^{١٠} وكل بالهوى جرحا
فمن يفرح^{١١} بينهم^{١٢} فغيري إذ غدوا فرحا

الشعر ترويه الرواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكار فإنه
رواه عن عمه وأهله لجعفر بن الزبير بن العوام ، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره
المذكورة في آخر الكتاب . ورواه الزبير إذ جاوزن من طلحا وقال : ليس على
وجه الأرض موضع يقال له : مطلق . والغناء لمالك وله فيه لحنان : ثقیل^{١٣} أول^{١٤}
بالبصر عن إسحاق ، وخفيف^{١٥} ثقیل^{١٦} بالوسطى عن عمرو . وفيه لمبعد ثقیل^{١٧} أول^{١٨}
بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سريع^{١٩} في الخامس - وهو
تبعنهم بطرف العين إلى آخر الابيات - ثقیل^{٢٠} أول^{٢١} مطلق في مجرى البصر عن
إسحاق . وفيها للغريض ثاني ثقیل^{٢٢} بالوسطى عن الهشامي ، قال : وهو الذي فيه
استهلال^{٢٣} . وذكر ابن المكّي أن الثقیل الثاني لمالك ، وخفيف الثقیل للغريض .

(١) دنانير معروفة برواية الغناء ، وقد ذكرت في مواضع كثيرة من الاغاني .

ومنها :

صوت

طَرَقَ الحَيَالُ فَرَحًا أَلْفًا بِرُؤْيَا زَيْنَبَا
أَنِّي اهْتَدَيْتَ لِقِيَّتِهِ سَلَكَوا السَّلِيلَ فَعُلَيْبَا

غناء ابن عائشة يطلق الناس من مسجد رسول الله :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن سلام قال
حدثني جرير قال :

أخذ بعضُ وُلاةِ المدينة المغنِّينَ والمُخَنَّمِينَ والشُّفَهَا، بلزوم مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان في المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جعفر مولى لابن
عياش بن أبي ربيعة المخزومي يُقْرَأُ الناس القرآن ، وكان ابن عائشة يلزمه ،
فخلا لابن عائشة يوماً الموضعُ مع أبي جعفر فقرأ له فطربَ ورَجَّع ، فسمع الشيخ
صوتاً لم يسمع مثله قطُّ ، فقال له : يَا بَنَ أَخِي ، أَفَسَدْتَ نَفْسَكَ وَضَيَّعْتَها ، فإِذَا
أَنْتَ لَزِمْتَ المسجدَ وتعلَّمتَ القرآنَ لَأَقْتَّ للناس في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شهر رمضان ، ولَأَصْبَتَ بذلك من الولاية خيراً ، فوالله ما دخل
أذني قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك ؛ فقال ابن عائشة : فكيف لو سمعتَ يا أبا
جعفر صوتي في الامر الذي صُنِعَ له ! قال : وما هو ؟ قال : انطلق معي حتى

(١) السليل : اسم لوادي بعينه ، كما نقله ياقوت عن العمراني . وذكر صاحب القاموس للسليل معاني
منها أنه واد واسع غامض ينبت السلم .

(٢) عليب : وادي لهذيل بتهامة ، وقيل : قرية بين مكة وتبالة . قال الرُّمَيْسِيُّ فيها حكاه عنه
العمراني : أظن أن قوماً كانوا في هذا الموضع تزولوا ، فقال بعضهم لايه : عل يا أب ، فسمي به
المكان . وقال المرزوني : كأنه فصيل من العلب وهو الاثر ، والوادي لا يخلو من الغمام وحزن .

(٣) وفي رواية : «لأمت الناس» .

أُسمِّكه ، فخرج معه إلى مِيضَاةٍ بِبَيْعِ الْفَرْقَدِ عِنْدَ دَارِ الْمُغِيرَةِ بْنِ سُفْيَةَ ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَتَوَضَّأُ عِنْدَهَا كُلَّ يَوْمٍ ، فَانْدَفَعَ ابْنُ عَائِشَةَ يَغْنَى :

الآنَ أَبْصَرْتُ الْهَدَى وَعَلَا الْمَشِيبُ مَفَارِقِي

فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْخِ كُلِّ مَبْلَغٍ ، وَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، هَذَا حَسَنٌ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ أَسْمِعَهُ ، وَلَكِنْ لَا أَطْلُبُهُ وَلَا أَمْشِي إِلَيْهِ ؛ قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : فَعَلِيَ أَنْ أُسْمِعَكَ ؛ فَكَانَ يَرْتُضُّهُ ، فَإِذَا خَرَجَ أَبُو جَعْفَرٍ يَتَوَضَّأُ خَرَجَ ابْنُ عَائِشَةَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى يَقِفَ خَلْفَ جِدَارِ الْمِيضَاةِ بِحَيْثُ يَسْمَعُ غَنَاءَهُ ، فَيَغْنِيهِ أَصْوَاتًا حَتَّى يَفْرُغَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ وَضُوئِهِ . فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى أُطْلِقُوا مِنْ لُزُومِ الْمَسْجِدِ .

نسبة هذا الصوت

صوت

طَرَقَ الْخِيَالُ الْمُغْتَرِي وَهَنَا فَوَادُ الْعَاشِقِ
طَنَفُ أَلَمٍ فَهَاجَنِي لِلْبَيْنِ أُمَّ مُسَاحِقِ
الآنَ أَبْصَرْتُ الْهَدَى وَعَلَا الْمَشِيبُ مَفَارِقِي
وَتَرَكْتُ أَمْرَ غَوَايَتِي وَسَلَكْتُ قَصْدَ طَرَائِقِي
وَلَقَدْ رَضِيتُ بَعِيشَنَا إِذْ نَحْنُ بَيْنَ حَدَائِقِ
وَرَكَائِبُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الدُّرُوبِ فِدَائِقِ

الشعر للوليد بن يزيد ، ويقال إنه لابن رُهَيْمَةَ . والغناء لابن عائشة رَمَلَهُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو ، وَذَكَرَهُ يُونُسُ أَيْضًا لَهُ فِي كِتَابِهِ . وَفِيهِ لِأَبِي زَكَرِيَّا الْأَعْمَى

(١) المِيضَاةُ (بالقصر وقد تمد) : مطهرة كبيرة يتوضأ منها .

(٢) بَيْعِ الْفَرْقَدِ : مقبرة أهل المدينة المنورة .

(٣) دَابِقُ بِكسر الباء - ويروى بفتحها - : قرية على أربعة فراسخ من حلب بها قبة سليمان ابن عبد الملك بن مروان ، وقد كان سليمان عسكر بها وعزم الا يرجع حتى يفتح القسطنطينية أو تؤذي الجزية ، فأت ودفن بها .

خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي . وذكر ابن خردادب أنه لأبي
زكّار الأعمى وهو قديم ، وأنه وجد ذلك في كتاب يونس . وفيه لحكم الوادي
لحن في كتاب يونس غير مجنس ، ولا أدري أيها هو . وفي هذه الأبيات خفيف
ثقيل متنازع فيه نسب إلى معبد وإلى مالك ، ولم أجده لهما عن ثقة ، وأظنه
لحن حكم .

يوم البغيغة :

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر البوشنجي والحسين بن يحيى الأعور
المرداسي قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال :

كان الحسن بن الحسن مكرماً لابن عائشة محباً له ، وكان ابن عائشة منقطعاً
إليه ، وكان من آتية خلق الله وأشدّه ذهاباً بنفسه ، فسأله الحسن أن يخرج معه
إلى البغيغة فامتنع ابن عائشة من ذلك ؛ فأقسم عليه فأبى ؛ فدعا بغلمان له حبشان
وقال : نفيت من أبي لئن لم تيسر معي طائعاً لتسيرن كارهاً ، ونفيت من أبي
لئن لم ينفذوا أمري فيك لأقطعن أيديهم . فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن
علم أنه لا بد من الذهاب ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، أنا أمضي معك طائعاً لا
كارهاً . فأمر الحسن بإصلاح ما يحتاج إليه وركب ، وأمر لابن عائشة ببغلة
فركبها ومضيا ، حتى صارا إلى البغيغة فترلا الشغب ، وجاءهم ما أعدوا فأكلوا ؛
ثم أمر الحسن بأمره وقال يا محمد ؛ فقال له : لبّيك يا سيدي ؛ قال : غنّني ؛
فاندفع فغنّاه :

(١) البغيغة : ضيعة بالمدينة كانت لآل جعفر ذي الجناحين رضي الله عنه ، قاله الخليل . ونقل
البيث والأزهري أنها عين غزيرة الماء كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم . كذا في
القاموس وشرحه مادة « بغيغ » . وذكر المبرد في الكامل ص ٥٥٦ طبع أوروبا أن علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه وقف عين أبي نيروز والبغيغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، لستين من خلافته ،
وأورد نص ما كتبه الإمام علي في وقف هذين الموضعين .

(٢) وهو مسيل الماء في بطن من الأرض له حرفان مشرفان وعرضه بطعة رجل إذا انبطح .

صوت

يدعو النبي بعينه فيجيبه يا خير من يدعو النبي جلالاً
 ذهب الرجال فلا أحسن رجالاً وأرى الإقامة بالعراق ضلالاً
 وأرى المرجي للعراق وأهله ظمآن هاجرة يؤمل آلاً
 وطربت إذ ذكر المدينة ذاكر يوم الخميس فهاج لي بلبالاً
 فظلللت أنظر في السماء كأنني أبغي بناحية السماء هلالاً

- الشعر لابن المولى من قصيدة طويلة قالها وقد قدم الى العراق لبعض أمره
 فطال مقامه بها وأشتاق إلى بلده . وقد ذكر خبره في موضعه من هذا الكتاب .
 والغناء لابن عائشة ثقیل أول بالنصر عن حماد والهشامي وحش . وقال الهشامي
 خاصة : فيه لحن لقراريط - فقال له الحسن : أحسنت والله يا ابن عائشة ! فقال
 ابن عائشة : والله لا غنيتك في يومي هذا شيئاً ؛ فقال الحسن : فوالله لا برحت
 البغيعة ثلاثة أيام ! فاغتم ابن عائشة ليمينه وندم وعلم أنه لا حيلة له إلا المقام ،
 فأقاموا . فلما كان اليوم الثاني قال له الحسن : هات ما عندك فقد برت يمينك ،
 وكانوا جالوساً على شيء مرتفع ، فنظروا الى ناقة تقدم جماعة إبل ، فاندفع ابن
 عائشة فغنى :

تمر كجندلة المنجنيق يرمى بها السور يوم القتال
 فإذا تحطرف من قلة ومن حدب وإكامل توالي
 ومن سيرها العنق المسبط والعجرفية بعد الكلال

(١) الآل : السراب ، وقيل : الآل من الضحى الى زوال الشمس . والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر .

(٢) البلبال : شدة الهم .

(٣) جندلة : صخرة عظيمة والمنجنيق آلة حربية كانوا يرمون بها الحجارة .

فقال له الحسن : وَيْلَكَ يَا مُحَمَّد ! لقد أحسنت الصنعة ؛ فسكت ابن عائشة ؛
ثم قال له : غَنَّنِي ، فغَنَّنَاهُ :

إِذَا مَا انْتَشَيْتُ طَرَحْتُ اللَّجَا مَ فِي شِدْقٍ مُنْجَرِدٍ سَلَهَبٍ
يُبْدُ الْجِيَادَ بِتَقْرِيبِهِ وَيَأْوِي إِلَى حُضْرٍ مُلْهَبٍ
كُمَيْتٌ كَانَ عَلَى مَتْنِهِ سِبَائِكَ مِنْ قِطْعِ الْمَذْهَبِ
كَأَنَّ الْقَرْنُفَلَ وَالزَّنَجِيلَ يُعَلِّ عَلَى رِيْقِهَا الْأَطِيبِ

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد ، فقال له ابن عائشة : لكنك ، بأبي أنت
وأُمِّي ، قد أُلْجَمْتَنِي بِحَجَرٍ فَمَا أَطِيقُ الْكَلَامَ . فَأَقَامُوا بَاقِيَ يَوْمِهِمْ يَتَحَدَّثُونَ ؛ فَلَمَّا كَانَ
اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيامك يا محمد ؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه
إِنْ غَنَّاكَ إِلَّا صَوْتًا وَاحِدًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، وعليه وعليه إِنْ حَلَقْتَ إِلَّا بِرَّ قَسَمِكَ وَلَوْ
فِي ذَهَابِ رُوحِهِ ! فقال له الحسن : فلك الأمان على محبَّتِكَ ؛ فاندفع فغَنَّنَاهُ :

صوت

أَنْعَمَ اللَّهُ لِي بِذَا الْوَجْهِ عَيْنًا وَبِهِ مَرْجَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا
حِينَ قَالَتْ لَا تَذْكُرْنَ حَدِيثِي يَا بِنَ عَمِي أَقْسَمْتُ قُلْتُ أَجَلَ لَا
لَا أَخُونِ الصَّدِيقَ فِي السَّرِّ حَتَّى يُنْقَلَ الْبَحْرُ بِالْفَرَائِيلِ نَقْلًا

قال : ثم انصرف القوم ، فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها .

(١) المنجرد من الجياد : القصير الشعر . والسهب : الطويل .

(٢) يبذ : يغلب ويسبق .

(٣) التقريب : أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا . ويقال : قرَّبَ الفرس تقريبا إذا عدا
عدوا دون الاسراع .

(٤) الحضر (بالضم وحرك هنا للضرورة) : العدو . وملهب : مثير لهب لشده . والهب : الثبار
الساطع كالمدخان المرتفع من النار .

(٥) المذهب : كل ما طلي بالذهب . ويستعمل المذهب وصفا للفرس ، فيقال : كُمَيْتٌ مذهب ، أي
تعلو حمرة صفرة .

نسبة الغناء في الشعر الذي غنى به ابن عائشة ذلك اليوم :

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الاصوات

منها :

صوت

تمرَّ كَجَنْدَلَة الْمَنْجَنِيْقِ يُرْمَى بِهَا السُّورُ يَوْمَ الْقِتَالِ
فَإِذَا تُخَطِّفُ مِنْ قُلَّةٍ وَمِنْ حَدَبٍ وَإِكَامٍ تَوَالِي
وَمِنْ سِيرِهَا الْعَنْقُ الْمُسْبِطُ وَالْعَجْرَفِيُّ بَعْدَ الْكَلَالِ
أَلَا يَا لَقَوْمٍ لَطِيفِ الْخِيَالِ لِي أَرْقُ مِنْ نَازِحٍ ذِي دَلَالِ
يُنْتَبِي التَّحِيَّةَ بَعْدَ السَّلَامِ ثُمَّ يُفْقِدُنِي بَعْمٍ وَخَالِ
خِيَالُ لَسَلَمَى فَقَدْ عَادَ لِي بِنُكْسَرٍ مِنَ الْحَبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنه قال : يمر بالياء لأنه وصف به حماراً وحشياً ، ولكنَّ المغنَّين جميعاً يغنون به بالتاء على لفظ المؤنث ، وقد وصّف في هذه القصيدة الناقة ولم يذكر من صفتها إلا قوله :

وَمِنْ سِيرِهَا الْعَنْقُ الْمُسْبِطُ

ولكنَّ المغنَّين أخذوا من صفة العير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوها وغنَّوا فيها . وقوله :

فَإِذَا تُخَطِّفُ مِنْ قُلَّةٍ

يعني أنه يمرّ بالموضع المرتفع فيطفره^١ . وروى الأصمعي :

فَإِذَا تُخَطِّفُ مِنْ حَالِقٍ وَمِنْ قُلَّةٍ وَحِجَابٍ وَجَالِ

(١) يطفره : يشبه ، يقال : طفر الحائط أي وثبه إلى ما وراءه .

فالخائق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض .
والجال : حَرْفُ الشيء ، يقال له : جالٌ وجُولٌ . والعَنَقُ المُسَبَّطُ : المُسْتَرَسِلُ
السهل . والعجرفية : التعسف والإسراع . يقول : إذا كَلَّتْ وتعبتْ تعجرفت في
السير من بقية نفسها ورشدتها . وروى الأصمعي فيها :

خيالٌ لَجَعْدَةٍ قد هاج لي نكاساً من الحب بعد اندمال

يقال نُكَسَ ونُكِسَ بمعنى واحد وهو عَوْدُ المرض بعد الصحة . والاندمال :
الانفاقة من العلة ، واندمال الجرح : بُرْؤُهُ . فأماً الأبيات التي يصف بها الناقة
فقوله :

فسلّ الهمومَ بعَيْرَانَةٍ مُوَاشِكَةٍ الرَّجْعِ بعد انتقال
ذُمُولٍ تَرَفَّ زَفِيفَ الظَّلِيمِ شَعَرٍ بالتَّغْفِ وَسَطَ الرِّثَالِ
وَتَرَمَدٍ هَمَلَجَةٍ زَعَزَعَا كما انخرط الجبلُ فوق المحالِ

(١) ولعله محرف عن جرف وهو ما أكلته السيول أو جانب النهر الذي يسقط كل ساعة
جزء منه .

(٢) العيرانة : الناقة الناجية في نشاط .

(٣) مواشكة الرجع : سريته ، والرجع : ردّها إليها في السير . وقوله : بعد انتقال ، رواية في
البيت وقد اجتمعت عليها جميع النسخ . وفي أشعار الهذليين « بعد النقال » وقال شارحها : النقال
والمناقلة : ضرب من السير .

(٤) الذُمُولُ : وصف الناقة ، من الذميل وهو ضرب من سير الابل ، قيل : هو السير اللين ،
وقيل : هو فوق العنق . قال أبو عبيد : إذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزبد ، فإذا ارتفع عن
ذلك فهو الذميل ثم الرسم ، والزفيف : الإسراع ومقاربة الخطو .

(٥) شمر : جدّ مسرعاً ، والتغف : ما انحدر من حزوثة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي .

(٦) الرثال : جمع رأل وهو ولد النعام .

(٧) ترمدٌ : تسرع في العدو ، يقال : أرمدت إذا مضى على وجهه وأسرع .

(٨) الهملجة كلهملاج : حسن سير الدابة في سرعة .

(٩) زعزعا : شديداً ، يقال : سير زعزع أي شديد .

(١٠) المحال والمحالة : البكرة العظيمة التي يستقى عليها ، وانما سميت محالة لأنها تدور فتقل من
حالة الى حالة .

ومن سيرها العنق المُسَبِّطُ والعَجْرِيَّةُ بعد الكلالِ
كأنِّي ورحلي إذا رُعْتُهَا على جَمَزَيٍّ جازيٍّ بالرمالِ
وأما صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الآن :

فظلَّ يُسَوِّفُ أبوالها ويوفيَّ زيازيَّ حُدْبَ التَّلَالِ
فطافَ بتعشيرِهِ وانتحى جِوَالِهَا وهو كالمُسْتَجَالِ
تَهَادَى حوافرُهَا جَنْدَلًا زواهِقُ ضَرْبِ قُلَاتٍ يُقَالُ
رَمَى بِالْجَرَامِيزِ "عُرِضَ الْوَجِينِ" وارمدَ في الجري بعد انقِطَالِ
بشأوٍ "له كَضْرِيمِ الْحَرِيقِ أَوْشَقُ" البرق في عُرْضِ خَالٍ
يَمُرُّ كَجَنْدَلَةِ الْمُنْجَنِيقِ يُرْمَى بِهَا السُّورُ يَوْمَ الْقِتَالِ
فإذا تَحَطَّرَفَ مِنْ حَالِقٍ وَمِنْ حُدْبٍ وَحِجَابٍ وَجَالِ

- (١) جزى : وثاب سريع ، وهو وصف لحمار وحش شبه به ناقته . جازي : مكثف بالرمط
عن الماء .
- (٢) يسوف : يشم .
- (٣) يوفي : يشرف ويعلو ، وغير ميقاه على الاكلم اذا كان من عادته ان يوفي عليها ويعلوها .
- (٤) زيازي : جمع زرامة وهي الأرض الغليظة . وحذب التلال : صاعبها ، جمع حداب . وهي الصعبة .
- (٥) التعشير : التهيق ، يقال : عشر الحمار اذا تابع التهيق عشر نهقات ، فهو معشر ، ثم قيل
لتهيق : تعشير . وانتحى : اعتمد وفقد .
- (٦) فسرهُ أبو سعيد السكري بقوله : وانتحى أي اعتمد جوائلها أي ما جال منها حين حمل
كالمستجال المستخف استجاله شيء فجال : ثم قال : والمستجال كأنما أصاب فرعاً فاستجال .
- (٧) معنى تهادى الحوافر الجندل : أن تقذفه هذه الى هذه أي ترمي به اليد الى الرجل والرجل
الى اليد .
- (٨) زواهِق : سابقات متقدّمات .
- (٩) تشبيه بحال لعبة من ألعاب العرب ؛ والقلات : جمع قلة وهي الحشبة الصغيرة التي تنصب
وقدورها ذراع ، وهذه الحشبة تضرب بعود كبير يقال له : القال والمقل .
- (١٠) جراميز الوحش : قوائمه وجسده .
- (١١) الوجين : الغليظ من الأرض .
- (١٢) الشأو : الشوط .
- (١٣) شقة البرق : لمع منه .
- (١٤) الخال : السحاب المنتهي للقطر .

الشعر لأمية بن أبي عائذ الهزلي. والغناء لأبن عائشة. ولحن أبن عائشة مشكوك فيه : أي الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو، فيقال : إنه خفيف الرمل، ويقال : إنه هو الثقيل الأول، ويقال : إنه الرمل. فأماً خفيف الرمل فهو بالخنصر في مجرى الوسطى، وذكره إسحاق في موضع فتوقف عنه ولم ينسبه، ونسبه في موضع آخر إلى ابن أبي يزن المكي. ونسبه عمرو بن بانه إلى معبد وقال : فيه خفيف رمل آخر مالمك. وذكره يونس في أماني ابن أبي يزن المكي ونسبه ولم يحسبه. وذكر ابن خرداذبه والهشامي أن فيه لهشام بن المرية لحناً من الثقيل الأول، ورأيت ذلك أيضاً في بعض الكتب بخط علي بن يحيى المنجم كما ذكرنا. وذكر إسحاق أن الرمل مطلق في مجرى الوسطى وأنه لأبن عائشة. وذكر أحمد ابن المكي أنه لأبيه، وذكر غيره أنه غلط وأن لحن أبيه هو الثقيل الأول والرمل لأبن عائشة. وقال حبش : فيه لأبن سريج هزج خفيف بالوسطى. ومنها - وقد مضى تفسيره في الخبر واقتصر على البيت الأول منه - :

صوت

إذا ما انتشيت طرحت اللجا م في شدة منجرد سلهب
الشعر للتأبغة الجعدي. والغناء لأبن عائشة : خفيف ثقيل بالوسطى عن
الهشامي وحماد.

ومنها الصوت الذي أوله :

أنعم الله لي بهذا الوجه عيناً

وقد جمع مع سائر ما يُغنى فيه من القصيدة، وهو :

أتل جودي على المتيم أثلاً لا تردي فؤاده أتل خبلاً
أتل إني والراقصات بجمع يتبارين في الأزيمة قتلاً

(١) أي السرعات في سيرها يقال : رقص البعير يرقص رقصاً إذا أسرع في سيره.

(٢) يعني يجمع المزدلفة بذلك لاجتماع الناس فيها.

(٣) القتل جمع قتلاء وهي الناقة التي في ذراعيها قتل وهو اندماج في مرفق الناقة.

ساجاتٍ يقطعن من عرفاتٍ بين أيدي المطي حزنًا وسهلاً
والأكف المطهرات على الركن لشعث سعوًا إلى البيت رجلاً
لا أخون الصديق في السر حتى يُنقل البحر بالغراييل ثقلاً
أو تمور الجبال موز سحاب مرتق قد وعى من الماء ثقلاً
أنعم الله لي بهذا الوجه عيناً وبه مرحباً وأهلاً وسهلاً
حين قالت لا تفشين حديثي يا بن عمي أقست قلت أجل لا
فأتني الله وأقبلي العذر مني وتجاني عن بعض ما كان زلاً
إن أكن سؤتكم به فلك العشي لدينا وحق ذلك وقلاً
لم أرحب بأن سخطت ولكن مرحباً أن رضيت عنا وأهلاً
إن شخصاً رأيته ليلة البد ر عليه أبتى الجمال وحلاً
جعل الله كل أنثى فداء لك بل خدّها لرجليك نعلاً
وجهك الوجه لو سألت به المرن من الحسن والجمال استهلاً

الشعر للحارث بن خالد المخزومي . والغناء لمبعد في الأربعة الأبيات الأول :
خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة . ولأبن هوثر في الأول والثاني
ثقلٌ أولٌ عن إسحاق . ولأبن سريج في الأول والثاني والخامس ثقلٌ أول ،
وآخرٌ بالبنصر أوله استهلال . وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيفٌ
ثقلٌ بالوسطى . ولدحمان في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيفٌ ثقيلٌ أول
بالبنصر . ومالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن من كتاب يونس ولم يقع إلي من
يحيى . ولأبن سريج فيها بعينها رمل بالوسطى عن الهشامي . وفيها أيضاً للغريض
خفيفٌ رمل بالبنصر . ولأبن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حماد عن
أبيه ولم يحيى .

(١) شعث : جمع أشعث وهو متليد الشعر مفبره .

(٢) رجلاً اسم جمع لراجل وهو خلاف الراكب .

غنى الوليد بن يزيد فطرب وقبل كل اعضائه :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن نصر المهلبى قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن سلام ، وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه عن شيخ من تنوخ ، ولم يقل عمر بن شبة في خبره : محمد بن سلام عن أبيه ، ورواه عن محمد عن شيخ من تنوخ قال :

كنتُ صاحبَ ستر الوليد بن يزيد ، فرأيتُ ابنَ عائشة عنده وقد غنَّاه :

صوت

إني رأيتُ صبيحةَ النَّفَرِ حُوراً نَفَيْنَ غزيرةَ الصبرِ
مثلَ الكواكبِ في مطالعها بعد العشاءِ أطفنَ بالبدرِ
وخرجتُ أبغى الأجرِ مُحْتَسِباً فرجعتُ موفوراً من الوزرِ

— قال إسحاق في خبره : والشعر لرجل من قریش ، والغناء لمالك . هكذا في خبر إسحاق . وما وجدته ذكره لمالك في جامع أغانيه . ووجدته في غناء ابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي — قال : فطرب الوليد حتى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، اسقنا بالسما الرابعة ، وكان الغناء يعمل فيه عملاً ضل عنه من بعده ، ثم قال : أحسنت والله يا أميري ! أعد بحق عبد شمس ، فأعاد ؛ ثم قال : أحسنت والله يا أميري ! أعد بحق أمية فأعاد ؛ ثم قال : أعد بحق فلان ، أعد بحق فلان ، حتى بلغ من الملوك نفسه ، فقال : أعد بجياقي ، فأعاد . قال : فقام اليه فأكب عليه فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله وأهوى إلى هنيه ؛ فجعل ابن عائشة يضم فخذه عليه ؛ فقال : والله العظيم لا تریم حتى أقتله ، فأبداه له فقبل رأسه ،

ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقى مجرداً الى أن أتوه بمثلها ، ووهب له الف دينار وحمله على بغلة وقال : أركبها - بأبي أنت - وانصرف ، فقد تركتني على مثل المقل من حرارة غنائك ؛ فركبها على بساطه وانصرف .

محتاج يفضل صوت ابن عائشة على المال :

وأخبرني اسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحسن النخعي قال حدثني محمد بن الحارث بن كليب بن زيد الرُّبَيعي قال :

خرج ابن عائشة المدني من عند الوليد بن يزيد وقد غناه :

أبعدك مَعْقِلاً أرجو وِحْصاً قَدْ أَعَيْتَنِي الْمَعَاقِلُ وَالْحُصُونُ

- وهي اربعة أبيات، هكذا في الخبر، ولم يذكّر غير هذا البيت منها - قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار كُسوة . فبينما ابن عائشة يسير إذ نظر اليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ ، فدنا من غلامه وقال : مَنْ هذا الراكب ؟ قال : ابن عائشة المغني ؛ فدنا منه وقال : 'جِعلتُ فداءك' ، أنت ابن عائشة أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، أنا موالي لقريش وعائشة أمي وحسبك هذا فلا عليك أن تكثر ؛ قال : وما هذا الذي اراه بين يديك من المال والكُسوة ؟ قال : غنيت أمير المؤمنين صوتاً فأطربته فكفّر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكُسوة ؛ قال : 'جِعلتُ فداءك' ، فهل تمنّ عليّ بأن تُسمعني ما أسمعته إياه ؟ فقال له : ويلك ! أمثلي يُكلّم بمثل هذا في الطريق ! قال فما أصنع ؟ قال ألحقني بالباب . وحرّك ابن عائشة بغلة شقراء كانت تحته لينقطع عنه ؛ فعدا معه حتى وافيا الباب كفّرتسي رهان ، ودخل ابن عائشة فكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف ، فلم يفعل ؛ فلما

(١) كارة القصار : الثياب التي يجمعها ويحملها ، وُسِمت كارة لان القصار يكوّر الثياب في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

أعياءه قال لعلامه : أدخله ؛ فلما دخل قال له : ويلك ! من أين صَبَّكَ الله علي ! قال : أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء ؛ فقال له : هل لك فيما هو أنفع لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلِكَ ؛ فقال له : 'جِعلتُ فداءك' ، والله إن لي لُبْنَةً ما في أذنِها - علم الله - حَلَقَةٌ من الورق فضلاً عن الذهب ، وإن لي لزوجة ما عليها - يشهد الله - قيصٌ ، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الحَلَّةِ والفقر اللذين عرَفْتُكهما وأضعفت لي ذلك ، لكان الصوتُ أعجبَ إلي - وكان ابن عائشة تائباً لا يغني إلا خَلِيفَةً أو لذي قدرٍ جليل من إخوانه - فتعجب ابن عائشة منه ورحمه ، ودعا بالدَّوَاةِ وكان يغني مُرتَجِلاً ، فغناه الصوتُ فطرب له طرباً شديداً ، وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عُنُقَهُ سينقص ، ثم خرج من عنده ولم يَرزَأْهُ شيئاً ، وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد فسأل ابنَ عائشة عنه ، فجعل يغيبُ عن الحديث . ثم جدَّ الوليد به فصدقه عنه ، وأمر بطلب الرجل فطلب حتى أحضر ، ووصله رِصْلَةً سَنِيَّةً ، وجعله في ندمائه ووَكَّلَهُ بالسَّيِّ ، فلم يزل معه حتى مات .

يُوَثِّي الحِكْمَةَ من يشاء :

أخبرني الحسن بن عليّ الخُفَّاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا محمد بن سَلَام قال حدثني عمر بن أبي خَلِيفَةَ قال :

كان الشَّعْبِيُّ مع أبي في أعلى الدار ، فسمعنا تحتنا غناءً حسناً ، فقال له أبي : هل ترى شيئاً ؟ قال : لا ، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السن يَتَغَنَّى :

قالت 'عَبِيدُ تَجْرُمًا' في القول فعل المازح

فما سمعتُ غناءً كان أحسن منه ، فإذا هو ابن عائشة ، فجعل الشَّعْبِيُّ يتعجب من غنائه ويقول : يُوَثِّي الحِكْمَةَ من يشاء .

(١) الحَلَّة : الحاجة والحِصَاصَة .

(٢) لعلها معرفة عن الاداة : آلة من آلات الغناء ، أو لعله دعا بدواة لينقر عليها في توقيعه .

(٣) أي تجنيا يقال : تجرم عليه أي أدعى عليه ذنباً لم يفعله .

نسبة هذا الصوت

صوت

قالتُ 'عبيدُ' تجرُّماً في القول فعلَ المازحِ
 أنجزَ بعمرك وعدنا فأظنَّ حبَّك فاضحي
 فأجبتُها لو تعلَّيْنِ بما تُجنُّ جواحي
 فيا أرى لرحمتي من حملِ 'حبِّ' فادحِ
 ما في البرية لي هوَى فاسمعْ مَقالةً ناصحِ
 أشكو إليه جفاءكم إلا سلامٌ مُصالحِ

زعم حبش أن الغناء لأبن عائشة خفيفٌ ثقيل بالبنصر .

كان يغضب اذا سئل ان يعني :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض أهل المدينة قال : حدثني من رأى أبن عائشة حاجاً وقد دعاه فتيةٌ من بني هاشم فأجابهم ، قال : وكنت فيهم ، فلما دخلنا جعلوا صدرَ المجلس لأبن عائشة فجلس فتحدثوا حتى حضرَ الطعام ، فلما طعموا دعا بشراب فشرَبوا ، وكان أبن عائشة اذا سئل أن يعني أبن ذلك وغضب ، فإذا تحدَّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غني فيه ابتداءً هو فغنَّاه ، فكان من فطن له يفعل ذلك به ، فقال رجل منهم : حدثني اليوم رجل من الاعراب من كان يصاحبُ جَميلاً بحديث عجيب ، فقال القوم : وما هو ؟ فقال : حدثني أن جَميلاً بينا هو يُحدثه كما كان يحدثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يرى ، فثار نافرأ ، مُقشعرَ الشعر ، مُتغيَّر اللون ، إلى ناقة له بمَجْتَمعةٍ قرييةٍ من الارض ، مؤثقةٌ الخلق ؛ فشدَّ عليها رَحْلَه ثم

(١) أي شديدة قوية .

(٢) ناقة مؤثقة الخلق : أي بحكمة قوية وفي باقي الاصول « مؤثقة » أي معجبة ان رآها لحسن منظرها . تقول : آثقتني الشيء ، إيثاقاً أي أعجبني .

أَتَاهَا بِمُخْلَبٍ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبَتْهُ ، ثُمَّ ثَنَى فَشَرِبَتْ حَتَّى رَوَيْتُ ، ثُمَّ قَالَ : أَشَدُّ أَدَاةَ رَحْلِكَ وَأَشْرَبَ وَأَسْقَرَ جَمْلِكَ ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ بِكَ إِلَى بَعْضِ مَذَاهِبِي ، فَفَعَلْتُ ، فَجَالَ فِي ظَهْرِ نَاقَتِهِ وَرَكِبْتُ نَاقَتِي ، فَمَرْنَا بِيَاضَ يَوْمِنَا وَسَوَادَ لَيْلَتِنَا ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا فَمَرْنَا يَوْمَنَا لَا وَاللَّهِ مَا تَزَلْنَا إِلَّا لِلصَّلَاةِ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ دَفَعْنَا إِلَى نِسْوَةٍ قَالَتِ الْيَهُنَّ فَوَجَدْنَا الرِّجَالَ خُلُوفًا ، وَإِذَا قَدَرُ لَبَأٍ ، وَقَدْ جُهِدْتُ جَوْعًا وَعَطَشًا ، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَدَرَ اقْتَحَمْتُ عَنْ بَعِيرِي وَتَرَكْتُهُمْ جَانِبًا ، ثُمَّ أَدَخَلْتُ رَأْسِي فِي الْقَدَرِ مَا يَثْنِي حَرْهَا حَتَّى رَوَيْتُ ، فَذَهَبْتُ أَخْرَجُ رَأْسِي مِنَ الْقَدَرِ فَضَاقَتْ عَلَيَّ وَإِذَا هِيَ عَلَى رَأْسِي قَلَنْسُوءَةٌ ، فَضَحَكَنِي مَنِي وَغَسَلَنِي مَا أَصَابَنِي . وَأَتَيْتُ جَمِيلَ بَقَرَى فَوَاللَّهِ مَا التَفْتُ إِلَيْهِ ؛ فَبَيْنَا هُوَ يُحَدِّثُنِي إِذَا رَوَاعِي الْإِبِلُ ، وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ أَحْلَى لَهُمْ دَمَهُ إِنْ وَجَدُوهُ فِي بِلَادِهِمْ ، وَجَاءَ النَّاسُ قَتْلًا : وَيَحْكَ ! أَنْجُ وَتَقَدَّمْ ، فَوَاللَّهِ مَا اكْبَرَهُمْ ذَلِكَ الْإِكْبَارُ ، فَإِذَا بِهِمْ يَرْمُونَهُ وَيَطْرُدُونَهُ ، فَإِذَا غَشَوْهُ قَاتَلَهُمْ وَرَمَوْهُ فِيهِمْ ، وَقَامَ بِي جَمْلِي ، فَقَالَ لِي : يَيْسَرُ لِنَفْسِكَ مَرَكِبًا خَلَنِي ، فَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ ، لَا وَاللَّهِ مَا انْكَسَرَ وَلَا انْخَلَّ عَنْ فُرْصَتِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَقَدْ سَارَ سِتُّ لَيَالٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ وَمَا التَفْتُ إِلَى الطَّعَامِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

إِنَّ الْمَنَازِلَ هَيَجَتْ أَطْرَابِي وَأَسْتَعْجَلَتْ آيَاتُهَا بِجَوَابِي

وهي قصيدة طويلة . وقال أيضاً :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِي وَأَبْجَحُ عَيْشَتِي إِذَا هَيَجَ بِي يَوْمًا وَهُنَّ قَعُودُ

قال فقال ابن عائشة : أفلا أغني لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله ، فاندفع فغناه ، فما سمع السامعون شيئاً أحسن من ذلك ، وبقي أصحابنا يتعجبون من الحديث وحسنه والغناء وطيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إننا مستأذنوك ، فإن أذنت

(١) جاء وذهب على ظهر ناقته ليطمئن عليها ويستقر .

(٢) خلوفاً : غائبين عن الحمي .

(٣) اللبأ : أول اللبن في النتاج .

(٤) أي بادرت بالتزول عنه .

لنا سألناك ، وإن كرهت تركناك ؛ فقال : سألوا ، فقالوا : نحب أن نعتينا في مجلسنا هذا ما نشطت هذا الصوت فقط ؛ فقال لهم : نعم ونعمة عين وكرامة ، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسبة هذا الغناء

صوت

إن المنازل هيجت أطراي وأستعجمت آياتها بجوابي
قفر تلوح بذي اللجين كأنها أنضاء وشم أو سطور كتاب
لما وقفت بها القلوس تبادرت مني الدموع لفرقة الأحباب
وذكرت عصراً يا بئينة شاقني إذ فأتني وذكرت شرخ شبالي

الشعر لجميل . والغناء للهذلي ثاني ثقل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر
عن إسحاق .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن يحيى
المكي عن أبيه قال حدثني عمرو بن أبي الكنت الحسبي قال حدثني يونس
الكاتب قال :

كنّا يوماً مُتَزَهِّينَ بالعقيق أنا وجماعة من قريش ، فبينما نحن على حالنا إذ
أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكئ على يده ، فلما رأى
جماعتنا وسمعي أغني جاءنا فسلم وجلس إلينا وتحدث معنا ، وكانت الجماعة تعرف

(١) الانضاء : جمع نضو وأصله البعير المهزول أو المهزول من جميع الدواب ويطلق على ما بقي
من الرسم لفته وأخذه في الذهاب ، كما أطلق على ما بقي من الثبات في قول الشاعر :
ترعى أناس من حرير الحمض

فأناس هنا جمع أنضاء الذي هو جمع نضو .

(٢) شرخ الشباب : أوله ونضارته وقوته .

سوءُ خُلُقِهِ وَغَضَبُهُ إِذَا سئِلَ أَنْ يُغَيِّرَ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَحَدَّثُونَ بِأَحَادِيثٍ
كَثِيرٍ وَجَمِيلٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الشَّعْرَاءِ، يَسْتَجِرُّونَ بِذَلِكَ أَنْ يَطْرَبَ فَيُغَيِّرَ، فَلَمْ
يَجِدُوا عِنْدَهُ مَا ارَادُوا فَقُلْتُ لَهُمْ أَنَا: لَقَدْ حَدَّثَنِي الْيَوْمَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ حَدِيثًا
يَأْكُلُ الْإِحَادِيثَ، فَإِنْ شِئْتُمْ حَدَّثْتُكُمْ إِيَّاهُ؛ قَالُوا: هَاتِ؛ قُلْتُ: حَدَّثَنِي هَذَا
الرَّجُلُ أَنَّهُ مَرَّ بِنَاحِيَةِ الرَّبْذَةِ^(١) فَإِذَا رِصِيَانٌ يَتَغَاطِسُونَ فِي غَدِيرٍ، وَإِذَا شَابٌ
جَمِيلٌ مِنْهُوَكُ الْجِسْمِ عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِلَّةِ^(٢)، وَالنَّحُولُ فِي جِسْمِهِ بَيِّنٌ، وَهُوَ جَالِسٌ يَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَقَالَ: مَنْ أَتَى وَضَحَّ^(٣) الرَّاكِبُ؟ قُلْتُ:
مِنْ الْجَمَى؛ قَالَ: وَمَتَى عَهْدُكَ بِهِ؟ قُلْتُ: رَاغِمًا؛ قَالَ: وَأَيْنَ كَانَ مَبِيتُكَ؟
قُلْتُ: بَيْنِي فَلَانٍ؛ فَقَالَ: أَوَّهْ! وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى ظَهْرِهِ وَتَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ تَنَفُّسًا
قُلْتُ إِنَّهُ قَدْ خَرَقَ حِجَابَ قَلْبِهِ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

صوت

سَقَى بِلْدًا أُمَسْتُ سُلَيْمَى تَحُلُّهُ مِنْ الْمُرَنِ مَا يَزُودُ بِهِ وَبِسِيمٍ^(١)
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ قَاطِنِيهِ فَإِنَّهُ يَحُلُّ بِهِ شَخْصٌ عَلَيَّ كَرِيمٍ^(٢)
أَلَا حَبْدًا مَنْ لَيْسَ يَغْدِلُ قُرْبَهُ لَدَيَّ وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ نَعِيمٍ^(٣)
وَمَنْ لَا مَنِي فِيهِ حَمِيمٍ وَصَاحِبٌ فَرُدُّ بَغِيْظٍ صَاحِبٌ وَحَمِيمٍ

ثُمَّ سَكَنَ كَالْمَغْشَى عَلَيْهِ، فَصَحَّتْ بِالْضَّيْبَةِ، فَأَتَوْا بِمَا فَصَّبَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ،
فَأَفَاقَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا الصَّبُّ الْغَرِيبُ رَأَى خُشُوعِي وَأَنْفَاسِي تَرَيْنَ بِالْخُشُوعِ
وَلِي عَيْنٌ أَضْرَّ بِهَا التَّنْفَاقِي إِلَى الْأَجْزَاعِ مُطْلَقَةَ الدَّمُوعِ

(١) الربذة: قرية على ثلاثة أميال من المدينة وبها قبر أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه.

(٢) أي من أين بدا وطلع.

(٣) يقال: سامت الأبل إذا رعت وأسامها صاحبها، أي أراعها، ولعله يريد بقوله: «وبسيم»
أن يكون صالحًا للإسامة بما يكون فيه من خصب وكلاء.

إلى الخَلوات يَأْنَسُ فيكَ قلبي كما أُنْسَ الغريبُ إلى الجميعِ

فقلتُ له : ألا أنزلُ فأساعدُكَ ، أو أكرُّ عَوْدِي على بَدَنِي إلى الحِمَى في حاجةٍ إن كانت لك حاجةٌ أو رسالةٌ ؟ فقال : جُزيتَ خيراً وصَحبتَكَ السلامةُ ! امضِ لِطِيبَتِكَ^(١) ، فلو أَنِي علمتُ أَنَّكَ تُغْنِي عني شيئاً لَكنتُ مَوْضِعاً للرغبةِ وحقيقاً بِإِسْعافِ المسئلةِ ، ولكنكَ أدركتني في 'صَبَابَةٍ من حَيَاتِي يسيرةٍ ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمِسي لَيْلَتُهُ إِلَّا مَيِّتاً ؛ فقال القومُ : ما أعجَبَ هذا الحديثُ ! وأنْذَفَعِ ابْنُ عائِشةِ فَتَغَنَّى في الشعرين جميعاً وطَرِبَ وشَرِبَ بقيةَ يومه ، ولم يزل يُغَنِّينَا إلى أنْ انصرفنا .

فأما نسبة هذين الصوتين فإنَّ في الأول منها لَحْناً من خفيف الرَّمَلِ الثقيلِ المطلقِ في مجرى الوُسْطَى ، نَسَبَهُ يَحْيَى المَكِّي إلى مَعْبَدٍ ، وذكر الهشامِيُّ أَنه مَنحُول . وفي هذا الخبر : أَنَّ ابْنَ عائِشةِ غَنَّاهُ ، وهو يُغَنِّي في البيتِ الأول والثاني من الأبيات . وفيهِ لِلضَّيْرَتِيِّ الملقبِ بَنَيْكَةِ لَحْنٌ جَيِّدٌ من الثقيلِ الأول . وكان نَيْكَةِ هذا من حُذَاقِ المغنِّينَ وكبارهم ، وقد خَدَمَ المُعْتَمِدَ ثُمَّ شَخْصَ إلى مصر فخدمَ خُمَارَوَيْهَ بنَ أحمدَ ، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ في أيامِ المَقْتَدِرِ ، ورَأَيْنَاهُ وشاهدناه ، وكانت في يده 'صَبَابَةٌ قَوِيَّةٌ' من إِفْضَالِ ابْنِ طُولُونٍ وأَسْتغْنَى بها حتى مات ، وله صنعةٌ جَيِّدَةٌ قد ذَكَرْتُ ما وَقَعَ إِلَيَّ منها في المَجْرَدِ^(٢) . وَذَكَرْتُ بما وَقَعَ إِلَيَّ له في هذا الكتابِ لَحْناً جَيِّداً في شعرٍ سَعَدَ ذُلْفَاءُ ، وهو :

وَلَمَّا وَقَفْنَا دُونَ سَرَحَةِ مَالِكٍ

في موضعه من أخباره .

وَأَمَّا الشعرُ الثاني الذي ذَكَرْتُ في هذا الخبرِ الماضي : أَنَّ ابْنَ عائِشةِ غَنَّاهُ فما

(١) أي لوجهتك ، يقال : مضى لطيفته ، أي لوجهه الذي يريدُه ولطيفته التي انتواها .

(٢) اسم كتاب لابي الفرج الاصبهاني .

رَأَيْتُ لَهُ نِسْبَةً فِي كِتَابٍ وَلَا سَمِعْتُ فِيهِ صَنْعَةً مِنْ أَحَدٍ ، وَلَعَلَّهُ مِمَّا أَنْطَوَى عَنِّي
أَوْ لَمْ يَشْتَهَرْ فَسَقَطَ عَنِ النَّاسِ .

كَانَ عَلَى سَطْحٍ فَرَأَى نِسْوَةً فَنَشَى إِلَيْهِنَّ فَسَقَطَ فَمَاتَ :

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ
عَلِيٍّ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الرَّيَّاتِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ طَلْحَةَ
الَلَّيْثِيِّ عَنْ بَعْضِ مَشَائِخِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَالَ :

أَقْبَلَ ابْنُ عَائِشَةَ مِنَ الشَّامِ حَتَّى تَزَلَ قَصْرَ ذِي خُشْبٍ ، وَمَعَهُ مَالٌ وَطِيبٌ
وَكُسًا فَنَشِرَبَ فِيهِ ، ثُمَّ تَطَرَّقُوا إِلَى ظَهْرِ الْقَصْرِ فَصَعِدُوا ، ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا نِسْوَةٌ
يَتَمَشَّيْنَ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ لَكُمْ فِيهِنَّ ؟ قَالُوا : وَكَيْفَ
لَنَا بِهِنَّ ؟ فَتَهَضَّ فَلَيْسَ مُلَامَةً مَدْلُوكَةً ، ثُمَّ قَامَ عَلَى شُرْفَةٍ مِنْ شُرُفَاتِ
الْقَصْرِ فَتَغَنَّى :

وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهِ فَطَرِبَ وَاسْتَدَارَ حَتَّى سَقَطَ مِنَ السَّطْحِ ؛ وَهَذَا الْخَبَرُ يُذَكِّرُ
عَلَى شَرْحِهِ فِي خَبَرِ وَفَاتِهِ .

كَانَ يَعْشَقُ شَعْرَ الْخَطِيبَةِ :

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ حَمَّادٌ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ
جَرِيرِ أَبِي الْحَصَنِ قَالَ :

(١) ذُو خُشْبٍ : وَادٍ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي طَرِيقِ الشَّامِ .

(٢) كَسَا بِالْفَمِ : جَمَعَ كَسَوَةً .

(٣) تَطَرَّقُوا : ابْتَغَوْا إِلَيْهِ طَرِيقًا .

(٤) الْمُلَامَةُ : الْمَلْحَفَةُ ، وَمَدْلُوكَةٌ : مَصْقُولَةٌ رَقِيقَةٌ .

(٥) الشَّرْفَةُ : مَا يَبْنِي عَلَى الْحَائِطِ مُتَفَصِّلًا بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ عَلَى هَيْئَةٍ مَعْرُوفَةٍ .

كان ابنُ عائشة إذا غنَّى في صَوْتٍ له من شعر الحطيئة وهو :
عَفَا من سُلَيْمَى مُسْخَلَانُ فَاِمْرُهُ

نظر الى أعطافه في كلِّ رَنَّةٍ ، فسئل يوماً - وقد دَبَّ فيه الشرابُ - عن ذلك ، فقال : أنا عاشقٌ لهذا الصوت ، وعاشقٌ لحديثه ، وعاشقٌ لغريبه ، وعاشقٌ لقول الحطيئة ، إن الغناء رُقِيَّةٌ من رُقَى النِّيك ، ويعجبني فهمُ الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحبِ غناء ، وكيف لا أعجبُ به ومحلُّه مني هذا المحلُّ ! وكان لا يسأله أحدٌ إِيَّاهُ إِلَّا غَنَّاهُ ، فمن فَطِنَ له أكثرُ سؤَالِهِ إِيَّاهُ . وكان جرير يقول : إنه أحسنُ صوتٍ له وأرقُّه وأجوده .

وفاة ابن عائشة

توفي في خلافة الوليد بن يزيد :

وتُوفِّيَ ابنُ عائشة فيما قيل في أيام هشام بن عبد الملك ، وقيل في أيام الوليد . وما أظنَّ الصحيح إِلَّا أنه تُوفِّيَ في أيام الوليد ، لأنه أقدمه إليه . وذكر مَنْ زعم أنه تُوفِّيَ في خلافة هشام : أنه إنما وقَّع على الوليد وهو وليّ عهد .

يقال ان ابن يزيد رماه من السطح :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال :

ذكر عمران بن هند : أن العُمَرُ بن يزيد خرج الى الشام ، فلما تَزَلَّ قَصْرَ ذي خُشْبٍ شرب على سطحه ، فغنَّى ابنُ عائشة صوتاً طَرِبَ له العُمَرُ ، فقال : أرُدُّدْهُ ، فأبى ، وكان لا يَرُدُّ صوتاً لسوء خُلُقِهِ ، فأمرَ به ، فطُرِحَ من أعلى السطح فأت . ويقال : بل قام من الليل وهو سَكْرانٌ لَيُّبُولٍ فسقط من السطح فأت .

(١) وفي بعض النسخ « يردد » وهو من التردد الذي هو كثرة الرد .

حكايات اخرى :

قال إسحاق فحدثني المدائني قال حدثني بعض اهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازته وأحسن اليه فجاء بما لم يأت به أحد من عنده ، فلما قُرب من المدينة نزل بذي خُشب على اربعة فراسخ من المدينة ، وكان واليها إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، ولأه هشام وهو خاله ، وكان في قصر هناك ، فقبل له : أصلح الله الأمير ، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألتُه أن يقيم عندنا اليوم فيُطربنا وينصرف من غد ! فدعا به فسأله المقام عنده فأجابه الى ذلك ، فلما أخذوا في سُربهم أخرج المخزومي جوارية ، فنظر إلى ابن عائشة وهو يَغِيرُ جاريةً منهم ، فقال لخدمه : إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فأرْمِ به ، وكانوا يشربون فوق سطح ليس له إفريز ولا سُرفات ، وهو يُشرف على بُستان ، فلما قام ليبول رَمَى به الخادم من فوق السطح فمات ، فقبره معروف هناك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرني به الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة اللبثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال :

أقبل ابن عائشة من الشام حتى نزل بقصر ذي خُشب ومعه مال وطيب وكساء ، فشرب فيه ، ثم تطرَّقوا إلى ظهر القصر فصعدوا ، ثم نظر فإذا بنسوة يتسَّين في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن ؟ قالوا : وكيف لنا بهن ؟ فنهض فلبس مُلاءة مدلوكة ، ثم قام على سُرفة من سُرف القصر فتغنى في شعر ابن أذينة :

وقد قالت لا تراب لها زُهر تلاقينا

تعالين فقد طاب لنا العيشُ تعالينا

فأقبلن إليه ، وطرب فاستدار فسقط فمات . قال : وقال قوم : بل قديم المدينة فمات بها .

بكى عليه اشعب فاضحك الناس :

قال ولما مات قال أشعبُ : قد قلتُ لكم ، ولكنه لا يُغني حذرُ من قَدَرُ : زوجوا ابنَ عائشة ربيحة الشَّامِية تخرج لكم بينها مزاميرُ داود فلم تفعلوا ، وجعل ييكي والناس يضحكون منه .

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت

سَلِمَى أَرْمَعَتْ بَيْنَا فَأَيْنَ بِقَوْلِهَا أَيْنَا
وقد قالت لأترابٍ لها زُهرٌ تَلَاقِينَا
تعالين فقد طاب لنا العيشُ تعالينا
وغاب البرمُ الليلة والعينُ فلا عَيْنَا
فأقبلن إليها مَسْرَعَاتٍ يَتَهَادَيْنَا
إلى مثلِ مَهَاةِ الرَّمْلِ تَكْسُو المَجْلِسَ الرُّيْنَا
إلى خَوْدٍ مَنَعَةٍ حَفَقْنَ بِهَا وَفَدَيْنَا
تَمْنَيْنَ مُنَاهِنَ فَكُنَّا مَا تَمْنَيْنَا

الشعر لعروة بن أذينة . والغناء لابن عائشة لحنان أحدهما رملٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبش .

من بالمدينة يكره الغناء ؟

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

سمعت إبراهيم بن سعد يخلف للرشيد وقد سأله عن بالمدينة يكره الغناء ، فقال : من قنعه الله بخزيه مالك بن أنس ، ثم حلف له إنه سمع مالكا يُعني :
سليبي أزمعت بينا فأين بقولها أينا

في عرس رجل عن أهل المدينة يكنى أبا حنظلة .

وما نيل المطالب بالتمني :

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال :
مرأ ابن عائشة بآبن أذينة فقال له : قل أبياتا هزجا أغنر فيها ؛ فقال له :
اجلس فجلس ؛ فقال :

سليبي أزمعت بينا

الآيات . قال أبو غسان : فحدثت أن ابن عائشة رواها ، ثم ضحك لما سمع قوله :

تمنين مناهن فكنا ما تمنينا

ثم قال له : يا أبا عامر ، تمنيتك لما أقبل بجرك ، وأدبر ذفرك ، ووهنت قواك ! فجعل يشبهه . هذا لفظ إسماعيل بن يونس .

(١) قنعه : غطاه ، ومنه الحديث « أناه رجل مقنع بالحديد » أي مغطى بالسلاح .

(٢) الذفر : خبث الريح . قال ابن الاعراب : الذفر : النتن ولا يقال في شيء من الطيب ذفر إلا المسك . وخص الحياني به رائحة الابطين المنتن . وقيل : ان الذفر يقع على الطيب والكربة ، ويفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به . والمراد هنا الرائحة الطيبة .

أخبرني الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني
أبو غسان قال فحدثني حماد الحشبي قال :

ذكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز، فقال : نعم الرجل أبو عامر، على
أنه الذي يقول :

وقد قالت لأتراب لها زهر تلاقينا

هذا ولي عهد المسلمين !

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا حدثنا حماد عن أبيه عن المدائني
عن إسحاق بن أيوب القرشي قال :

كان هشام بن عبد الملك مكرماً للوليد بن يزيد، وكان عبد الصمد بن
عبد الأعلى مؤدباً للوليد، وكان، فيما يقال، زنديقاً، فحمل الوليد على الشراب
والاستخفاف بدينه، فاتخذ ندماء وشرب وتهتك، فأراد هشام قطعهم عنه،
فولاه المورسم في سنة عشر ومائة، فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً بدينه،
وأمر مولاة عيسى فضلى بالناس، وبعث إلى المغنين فغنّوه وفيهم ابن عائشة فغنّاه :
سليسي أجمعت يينا

فغنى الوليد نغمة أذن لها أهل مكة . وأمر لابن عائشة بألف دينار،
وخلع عليه عدة خلع، وحمله . فخرج ابن عائشة من عنده بأمر أنكره الناس،
وأمر للمغنين بدون ذلك، فتكلم أهل الحجاز وقالوا : هذا ولي عهد المسلمين !
وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلع، وأراد على ذلك فأبى ؛ وتكره هشام للوليد،
وتأدى الوليد في الشرب واللذات فأفرط، وبعث هشام بالوليد وخاتمه ومواليه،

(١) نعر : صاح وصوت بخشومه .

(٢) أذن أي استمع .

(٣) حمله : أعطى له ما يركبه .

فَنَزَلَ بِالْأَزْرَقِ بَيْنَ أَرْضِ بَلْقَيْنَ وَقَرَارَةَ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْإِغْدَقُ، حَتَّى مَاتَ هِشَامٌ .

غناؤه في صوت من المائة الصوت المختارة :

ومما في المائة الصوت المختارة من أغاني ابن عائشة

صوت

من رواية علي بن يحيى :

حَنَنْتُ إِلَى بَرْقٍ فَقَلْتُ لَهَا قِرِّي بَعْضَ الْحَيْنِ فَإِنْ شَجَوَكِ شَانِي
بِأَبِي الْوَلِيدُ وَأَمَرَ نَفْسِي كُلَّهَا بَدَتْ النُّجُومُ وَذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ
أَثْوَى فَأَكْرَمَ فِي الثَّوَاءِ وَقُضِيَتْ حَاجَاتُنَا مِنْ عِنْدِ أَرْوَعٍ بِإِسْقِر
لَا تَبْعَدَنَّ إِدَاوَةَ مَطْرُوحَةٍ كَانَتْ حَدِيثًا لِلشَّرَابِ الْعَاتِقِ

ويروى : بالشرب العاتق . عروضه من الكامل . حننت ، يعني ناقته . وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو :

فَالِى الْوَلِيدِ الْيَوْمَ حَنَنْتُ نَاقَتِي تَهْوِي مُبْغِبَرِ الْمُتُونِ سَمَاتِقِ

وبعده « حننت إلى برق . . . » . وقوله : « قري » من الوقار ، كأنها لما حننت أسرع ونازعت إلى الوطن أو المقصد ، فقال مخاطبها : قري . وذراً قرنُ الشارق : طلع قرن الشمس ؛ يريد بأبي الوليد وأمي في كل ليل ونهار ابداً . وأثوى : أنزل . والثواء : الإقامة ؛ قال الأعشى :

لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلِ ثَوَاءِ ثَوِيَّتِهِ تُقَضَّى لُبَانَاتُ وَيَسَامُ سَامُ

(١) يريد أنها كانت إلى عهد قريب معدة للشرب .

(٢) السائق : جمع سائق وهي الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر بها . وانما وصف مغبر المتون وهو مفرد بالسائق وهو جمع لانه اراد مغبرات المتون فوضع الواحد موضع الجمع ووصفه بالجمع ، ويموز أن يكون أراد سائقاً فجمع سائق كأن كل جزء منه سائق .

والباسق : الطويل ؛ قال الله عز وجل : (وَالتَّخْلَ بِاسْقَاتٍ) أي طوالاً .
ويروى :

لَا تَبْعَدَنَّ إِدَاوَةً مَطْرُوحَةً

الشعر لعبد الرحمن بن أرطاة المحاربي . والغناء لابن عائشة . ولحنه المختار ثقیل
أولُ بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه للهدلي لحن آخر من الثقيل
الأول عن الهشامي وابن المكي . فأولُ لحن الهدلي استهلال في :

حننت إلى برق فقلت لها قري

وأول لحن ابن عائشة :

بأبي الوليد وأمر نفسي كلما بدت النجوم وذَرَّ قرنُ الشارقِ



اخبار ابن ارطاة ونسبه

نسبه :

هو عبد الرحمن بن أرطاة، وقيل : عبد الرحمن بن سَيْحان بن أرطاة بن سَيْحان بن عمرو بن نُجَيْد بن سَعْد بن لَاحِب بن ربيعة بن سُكْم بن عبد الله بن عَوْف بن زيد بن بكر بن ثَمِير بن علي بن جَسْر بن مُحارب بن خَصْفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نَزَار. وأمّ جَسْر بن مُحارب كَأْس بنت لُكَيْز بن أَفْصَى بن عبد القيس، وأمّ علي بن جَسْر مَأْوِيَة بنت علي بن بكر بن وائل، هذه رواية أبي عمرو الشيباني أخبرني بها عمي والصوليّ عن الْحَزَنبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال : وسُكْم بن عبد الله أول مُحَارِبِي سَادَ قَوْمِهِ وَأَبْدَاهُمْ رَأْسًا بِنَفْسِهِ، وَكَانُوا جِيرَانًا فِي هَوَازَنَ؛ وَآلُ سَيْحَانَ حُلَفَاءَ حَرْبِ بَنِي أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَبِغَزَلَةٍ بَعْضُهُمْ عِنْدَهُمْ خَاصَّةٌ وَعِنْدَ سَائِرِ بَنِي أُمَيَّةَ عَامَّةٌ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عَمْرٍو قال :

بَنُو سَيْحَانَ مِنْ بَنِي جَسْرٍ بنِ مُحَارِبٍ، وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ تُقَوِّي حِلْفَهُمْ، وَهُمْ عِنْدِي أَعْرَازُهُمْ وَلَيْسُوا بِأَحْلَافِهِمْ.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غَسَّان قال :

لَمَّا قَتَلَ هِشَامُ بنَ الْوَلِيدِ أَبَا أَزْيَهْرٍ، بَعَثَ قُرَيْشُ أَرطَاةَ بنَ سَيْحَانَ حَلِيفَ حَرْبِ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى الشَّرَاءِ يُخَذِّرُ مَنْ فِيهَا مِنْ تَجَارِ قُرَيْشٍ، وَخَرَجَ حَاجِزُ الْأَزْدِيِّ لِيُخَيِّرَ قَوْمَهُ، فَسَبَقَهُ أَرطَاةُ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ وَقَدْ حَذَّرَهُمْ فَتَجَوَّأَ :

(١) الشراء : صقع بالشام بين دمشق والمدينة المنورة.

مثلُ الحليفِ يَشْدُ عُرْوَتَهُ يَثْنِي العِناجَ لها مع الكَرْبِ
 زَلَمَ إِذَا يَسْرُوا به يُسْرُ ومناضلٌ يَحْمِي عن الحَسْبِ
 هل تَشْكُرُنْ فِهْرُ وتاجرُها دَابَّ الشَّرَى بالليلِ والحَبِّ
 حتى جَلَوْتُ لهم يَقيَنَهُم بَيَّان لا أَلْسِ ولا كَذِبِ

شاعر اسلامي ليس من الفحول :

وكان عبد الرحمن شاعراً مُقلِّاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول في الشراب والغزل والفخر ومدح احواله من بني أمية ، وهو أحدُ المعاقرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بني أمية كواحدٍ منهم إلا أن اختصاصه بآل ابي سُفيان وآل عثمان خاصة كان أكثر ، وخصُوصه بالوليد بن عثمان ومُؤانسته إياه أزيدُ من خصُوصه بسائرهم ، لأنها كانتا يتنادمان على الشراب .

وهذه الابيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان ، وقيل : بل في الوليد بن عُتبَة . وخبرُه في ذلك يُذكر بعد هذا .

(١) قال في اللسان : العاج : خيط أو سير يشد في أسفل الدلو ثم يشد في عرونها أو في عرقوتها ، (وعرقوتها الدلو : خشبتان تعرضان عليها كالصليب) . وقيل العناج : عروة في أسفل القرب من باطن تشد بوفاق الى أعلى القرب فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع في البئر ، وكل ذلك اذا كانت الدلو خفيفة واذا كان في دلو ثقيلة حبل أو بطن يشد تحتها ثم يشد الى العراقي فيكون عوناً للوذه فإذا انقطعت الاودام أمسكها العناج . قال الخطيب يمدح قوماً عقدوا لجارهم عهداً فوفوا به ولم يخفروه :

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

(٢) القرب : الحبل الذي يشد على الدلو بعد المنين وهو الحبل الاول فإذا انقطع المنين بقي القرب . وقال ابن سيده : القرب الحبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى ثم يثلك .

(٣) الزلم (بالتحريك ، وبضم ففتح) : أصله القدح الذي لا ريش فيه ، ويقال على القدح يستقسم به في الجاهلية ، ويشبه به الرجل القصير الخفيف الظريف والعلام الشديد الخفيف ، ومنه : بات يقاسيها غلام كألّم

(٤) يسروا : لعبوا اليسر .

(٥) الالسى : الحيانة والكذب .

كيف كانوا يداونون الممهور :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال قال عتبة بن المنهال المهلبى حدثني غير واحد من اهل الحجاز قالوا :

كان ابن سيحان حليفاً لقريش يزل بالمدينة ، وكان نديماً للوليد بن عثمان ، فأصابه ذات يوم 'خمار' فذهب لسانه وسكنت أطرافه وصرخ أهله عليه ، فأقبل الوليد اليه فرعاً ، فلما رآه قال : أخي مَمْهُور ورب الكعبة ، ثم أمر غلاماً له فأتاه بَشْرَابٍ من منزله في إداوة فأمر به فأسخن ثم سقاه إياه وقيّاه ؛ وصنع له حِساءً وجعل على رأسه دُهنًا وجعل رجله في ماء سَخِنَ ، فما لبث أن انطلق وذهب ما كان به . ومات الوليد بعد ذلك . فبينما ابن سيحان يوماً جالس وبعض متاعه يُنْقَلُ من بيت إلى بيت ، إذ مرت الخادم بإداوة الوليد التي كان داواه بما فيها من الشراب وقد يَبَسَتْ وتَقَبَّضَتْ ، فانتحب وقال :

لا تَبْعَدَنَّ إداوة مطروحة كانت حديثاً للشراب العاتق

وذكر باقي الايات .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال :

كان الوليد بن عثمان بن عفان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يُخْمَرُ فأصابه من ذلك شيء شديد حتى خيف عليه وشق النساء عليه الجيوب ، فدُعِيَ له ابن سيحان ، فلما رآه قال : آخر جن عني وعن أخي ،

(١) الخمار : ما يصيب الرجل من ألم الخمر وصداعها وأذاها .

(٢) الحساء : طيبخ يتخذ من دقيق وماء ودهن وقد يحلى ويكون رقيقاً يمسى .

(٣) أي مشى بطنه . ولم نجد في كتب اللغة إلا استطلق بطنه وأطلقه الدواء .

(٤) إداوة : إناء من جلد .

(٥) يخمر : يصاب بالخمار .

غُرْجَنَ ، فقال له : الصُّبُوحَ أبا عبد الله ، فجلس مُفِيقاً ؛ فذلك حيثُ يقول
أَبْنُ سَيْحَانَ :

بأبي الوليدُ وأمرَ نفسي كلَّما بدتِ النجومُ وذرتُ قَرْنُ الشارقِ
أثوى فأكرمَ في التَّوَاهِ وَقُضِيَتْ حاجاتنا من عند أَرُوعَ بِاسِقِ
كم عنده من نائلٍ وساحيةٍ وفضائلٍ معدودةٍ وخلائقِ
وساحيةٍ للمُعْتَفِينَ إذا أَعْتَقُوا في ماله حقاً وقولٍ صادقِ
لا تَبْعَدَنَّ إِداوَةَ مطروحةٍ كانتُ حديثاً للشرابِ العاتِقِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان الوليدُ بنُ عُثْمَانَ يُكْنَى أبا الجهم ، وكان لأَبْنِ سَيْحَانَ صديقاً وندياً ،
وكان صاحبَ شرابٍ ، ففرض فعادَهُ الوليدُ وقال : ما تشتهي ؟ قال : شراباً ،
فبعثَ فجاءه بشرابٍ في إِداوَةِ . ثم ذكر باقي الخبر نحو الذي قبله .

كان من ندماء الوليد بن عثمان ومادحيه :

أخبرني محمد بن خلف وكيعة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب
أَبْنِ عَبَّادَةَ قال :

كان الوليدُ بنُ عُثْمَانَ ذا غَلَّةٍ في الحجاز يخرجُ إليها في زمان التَّمْرِ بَنَقَرٍ من
قومه يَجْنُونَ له وَيُعَاوَنُونَهُ ، فكان إذا حضر خروجهم دَفَعَ إليهم نفقاتَ لأهلهم
إلى رَجْعَتِهِمْ ، فخرجَ بهم مرةً كما كان يخرجُ وفيهم ابنُ سَيْحَانَ ، فألقى ابنُ
سَيْحَانَ كتاباً من أهله يسألونه القُدُومَ حاجةٍ لا بدَّ منها ، فاستأذنه فأذنَ له ،
فقال له أَبْنُ سَيْحَانَ : زَوِّدُونِي من شرابكم هذا ، فزَوَّدوه إِداوَةَ مَلَأَهَا له من
شرابهم ، فكان يَشْرِبُها في طريقه حتى قَدِمَ على أهله ، فألقاها في جانب بيته

فارغة، فكث زماناً لا يذكرها، ثم كدسوا البيت فرآها مُلقاةً في الكُناسة فقال :

لا تَبْعَدَنَّ إِدَاوَةَ مطروحةً كانت حَديثاً للشرابِ العاتِقِ
 إن تُصِيحِي لا شَيْءَ فَيْكِ فَرَجاً أترَعَتِ من كأسٍ تَلْدُ لذائقِ
 بأبي الوليدُ وأمرَ نفسي كلَّها بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ
 كم عنده من نائلٍ وسَاحَةِ وشَمائلٍ مَيْمونَةٍ وخلائِقِ
 وكرامةٍ للمُعْتَفِينَ إِذَا أُعْتَقُوا في ماله حقاً وقَوْلٍ صادقِ
 أَثْوَى فَأَكْرَمَ في الثَّوَاءِ وَقُضِيَتْ حاجَتُنَا من عِنْدِ أَرْوَعٍ بِاسِقِ
 لَمَّا أَتَيْنَاهُ أَتَيْنَا مَاجِدَ الْأَخْلَاقِ سَبَاقاً لِقَرْمٍ سَابِقِ
 قال الوليدُ يَدِي لَكُمْ رَهْنٌ بَمَا حاولْتُم من صامتٍ أو ناطِقِ
 فإِلى الوليدِ اليومَ حَنَّتْ نَاقَتِي تَهْوِي بِمُغَبَّرِ الْمُتُونِ سَمَائِقِ
 حَنَّتْ إِلَى بَرْقٍ فَقَلْتُ لَهَا قِرِي بَغْضِ الْحَيْنِ فَإِنَّ شَجْوَكُ شَائِقِ

عندما ضرب ثمانين سوطاً:

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله التميمي الأصبهاني المعروف بالخرنبل
 قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المرדاسي
 قال قال حماد بن إسحاق : قرأتُ على أبي ، قالاً جميعاً :

كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيام كان معاوية
 يُعَارِبُ بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحرمين ، وأنكر عليه أشياء بلغته
 فغاضته : من مدحه سعيداً وانقطاعه إليه وسروره بولايته ، فرصده حتى وجده
 خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحدَّ ثمانين سوطاً . وقدم
 البريدُ من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها ، حتى انتهى
 به الحديثُ إلى ابن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحدَّ ثمانين : فغضب معاوية

وقال : والله لو كان حليف أبي العاص لما ضربه ولكنه ضربه لانه حليف حرب ،
أليس هو الذي يقول :

وإني أمرؤ حلف إلى أفضل الوري عديدا إذا أرفضت عصا المتخلف^(١)

كذب والله مروان ، لا يضربه في نبذ أهل المدينة وشكهم وحقهم ، ثم
قال لكتابه : أكتب الى مروان : فليبطل الحد^(٢) عن ابن سيحان ، وليخطب
بذلك على المنبر ، وليقل إنه كان ضربه على شبهة ثم بان له أنه لم يشرب مسكرا ،
وليعطه الفدي درهم . فلما ورد الكتاب على مروان عظم ذلك عليه ، ودعا بابنه
عبد الملك فقراه عليه وشاوره فيه ؛ فقال له عبد الملك : راجعه ولا تكذب
نفسك ، ولا تبطل حكمتك ؛ فقال مروان : أنا اعلم بماوية إذا عزم على شيء
او أراد ، لا والله لا أراجعه . فلما كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة قال : وابن
سيحان فإنما كشفنا أمره فإذا هو لم يشرب مسكرا ، وإذا نحن قد عجلنا عليه ،
وقد أبطلت عنه الحد . ثم نزل فأرسل اليه بالني درهم .

رني سكران فشنعوا به وجلدوه :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني
أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال :

كان عبد الرحمن بن سيحان المحاربي شاعرا ، وكان حلو الأحاديث ، عنده
أحاديث حسنة غريبة من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ، وكان على ذلك يصيب
من الشراب ، فكان كل من قدم من ولادة بني أمية وأحداثهم ممن يصيب
الشراب يدعوه ويناديه ، فلما ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وغزل مروان وجد^(٣)

(١) أرفضت : انشقت وتفرقت . والمصا يراد بها الجماعة ، يقال : شق فلان عصا المسلمين إذا
فرق جماعتهم .

(٢) المتخلف : مصدر سمي بمعنى المخالفة .

(٣) وجد موجلة : غضب .

مروان في نفسه وكان قد سبَّه^(١)، فحقد ذلك عليه مروان وأضطغته، وكان الوليد يُصيب من الشراب ويبيث إلى ابن سيحان فيشرب معه، وابن سيحان لا يظن أن مروان يفعل به الذي فعله، وقد كان مدحه ابن سيحان ووصله مروان، ولكن مروان أراد فضيحة الوليد، فوصده ليلة في المسجد، وكان ابن سيحان يخرج في السحر من عند الوليد ثملاً فيسمر في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زقاق عاصم، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلي، وكذلك عبد الله بن حنظلة وغيرهما من القراء يبيتون في المسجد يتهجّدون، فلما خرج ابن سيحان ثملاً من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه، ثم دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حنظلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أم القرآن فلم يقرأها، فدفعه إلى صاحب شرطته فحبسه؛ فلما أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلم أن مروان إنما أراد أن يفضحه، وأنه لو لقي ابن سيحان ثملاً خارجاً من عند غيره لم يعرض له، فقال الوليد: لا يُبرئني من هذا عند أهل المدينة إلا ضرب ابن سيحان، فأمر صاحب شرطته فضربه الحدّ ثم أرسله، فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرج حياً من الناس، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له: ما يجلسك في بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس؛ قال: اخرج أيها الرجل، وكان عبد الرحمن قد حمل له معه كسوة، فقال له: ألبسها وروح معنا إلى المسجد فهذا أخرى أن يكذب به مكذب، ثم ترحل إلى أمير المؤمنين فتخبره بما صنع بك الوليد فإنه يصلحك ويبطل هذا الحدّ عنك؛ فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسطاً لهم حتى دخل المسجد فصلى ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأسطوانة فقال يقول: لم يضرب، وقائل يقول: أنا رأيته يضرب، وقائل يقول: غرّ أسواطاً.

حب معاوية له :

فكث أياماً ثم رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشرب معه، وكلم يزيد

(١) سبّه : طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح .

(٢) الأسطوانة : السارية والعمود .

أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصته وما صنعه به مروان ، فقال : قُبِحَ الله الوليد ما أضعف عقله ! أما أستحيا من ضربك فيما شرب ! وأما مروان فإني كنت لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودتك له ، ولكنه أراد أن يضع الوليد عندي ولم يصب ، وقد صير نفسه في حذر كئنا نتره عنه .

إبطاله الحد عنه :

صار شُرطيا ! ثم قال لكتابه : اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » من عبد الله معاوية أمير المؤمنين الى الوليد بن عُتبة . أما بعد ، فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه ، ما زدت على أن عرفت أهل المدينة ما كنت تشربه مما حرّم عليك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان ، وطف به في حلق المسجد وأخبرهم أن صاحب شُرطك تعدى عليه وظلمه ، وأن أمير المؤمنين قد أبطل ذلك عنه ، أليس ابن سيحان الذي يقول :

وَإِنِّي أَمْرٌ أَنْمَى إِلَى أَفْضَلِ الْوَرَى عَدِيداً إِذَا أَرَفَضْتُ عَصَا الْمُتَحَلِّفِ
إِلَى نَضْدٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ كَأَنَّهُمْ هَضَابُ أَجَا أَرَكَنُهَا لَمْ تَقْصِفِ
مِيَامِينَ يَرْضُونَ الْكِفَايَةَ إِنْ كَفُّوا وَيَكْفُونَ مَا وُلُّوا بِغَيْرِ تَكْلُفِ
غَطَارِفُهُ سَاسُوا الْبِلَادَ فَأَحْسَنُوا سِيَاسَتَهَا حَتَّى أَقَرَّتْ لِمُرْدِفِ
فَمِنْ يَكُ مِنْهُمْ مُوسِراً يُفْشِرُ فَضْلَهُ وَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُعْسِراً يُتَعَفِّفِ
وَإِنْ تَبَسَّطَ النَّعْمَى لَهُمْ يَنْسُطُوا بِهَا أَكْفَأُ سِبَاطاً نَفْعُهَا غَيْرُ مُقْرِفِ

(١) النضد : الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف .

(٢) أجا أصله أجا بالهمز فأبدل الهمزة قلبها حرف علة للضرورة كما في قوله : مثل خناذيد أجا وصخره . وأجا أحد جبلي طلي ، والآخر يقال له سلمى .

(٣) جمع غطريف ، والغطريف : السيد الشريف السخي الكثير الخير .

(٤) اسم فاعل من أردف بمعنى تبع .

(٥) سباطاً جمع سبط وهو السمع ، يقال : فلان سبط الكفين أي سمعها قال حسان :

رب خال لي لو أبصرته سبط الكفين في اليوم الخصر

(٦) غير مقرف أي غير مشوب بما يشينه .

وإن تَرَوْ عَنْهُمْ لَا يَضِجُوا وَتُلْفِيهِمْ قلبي التشكي عندها والتكلف
إذا أنصرفوا للحق يوماً تصرفوا إذا الجاهل الخيران لم يتصرف
سموا فعملوا فوق البرية كلها بنيان عالٍ من مُنيفٍ ومُشرف

قال : وكتب له بأن يُعطى أربعائة شاةٍ وثلاثين لُقْحَةً^(١) مما يُوطنُ السَّيَالَةَ^(٢) وأعطاه هو خمسمائة دينار ؛ وأعطاه يزيدُ مائتي دينار . ثم قديم بكتاب معاوية الى الوليد ، فطاف به في المسجد ، وأبطل ذلك الحدّ عنه ، وأعطاه ما كتب به له معاوية . وكتب معاوية إلى مروان يلوّمه فيما فعله بأبن سَيحان ، وما أراد به بذلك . ودعا الوليدُ عبدَ الرحمن بن سَيحان الى أن يعود للشرب معه ؛ فقال : والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً .

معاوية وأرطاة ايضاً :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثنا أبو مسلم الغفاري قال حدّثني موسى بن عبد العزيز قال :

أخذ ابنُ سَيحانَ الجُسرِيَّ - هكذا قال وهو غلط - في شراب في إمارة مروان ، وكان حليفاً لأبي سُفيان بن حَرْب ، فضربه مروان ثمانين سوطاً على رؤوس الناس ، فكتب إلى معاوية يشكوه ، فكتب اليه معاوية : أما بعد فإنك أخذت حليف حَرْب فضربته ثمانين على رؤوس الناس ، والله لتُبطلنّها عنه ، أو لأُقيدنّه منك ؛ فقال مروان لأبنه عبد الملك : ما ترى ؟ قال أرى والله ألا تفعل ؛ قال : ويحك ! أنا اعلم بعزّمت معاوية منك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنا كنّا ضربنا ابنَ سَيحان بشهادة رجل من الحرس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضاً ، فأشهدوا أنني قد أبطلتُ ذلك الحدّ عنه .

(١) لُقْحَة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٢) السَّيَالَة : ارض يطوّها طريق الحاج ، قيل هي أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة . قال ابن الكلبي : مرّ تبع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسمّاها « السَّيَالَة » .

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز
ابن عمران قال :

ضرب مروان عبد الرحمن بن سيعان في الحمر ثمانين سوطاً ، فكتب إليه
معاوية : أما بعد ، فإنك ضربت عبد الرحمن في نبيذ أهل الشام الذي يستعملونه
وليس بجرام ، وإنما ضربته حيث كان حلفه إلى أبي سفيان بن حرب ، وأيم الله
لو كان حليفاً للحكم ما ضربته ، فأبطل عنه الحد قبل أن أضرب من أخذ معه :
أخاك عبد الرحمن بن الحكم ؛ فأبطل مروان عنه الحد ؛ فقال ابن سيعان في
ذلك يذكر حلفه :

إني أمروء عهدي إلى أفضل الوري عديداً إذا أرفضت عصا المتخلف

وقال الطوسي : كان عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان يشرب مع ابن
سيعان ، فلما ضربه مروان الحد كتب إليه معاوية : والله لتبطلنه عنه أو لأبعثن إلى
أخيك من يضرب ظهره بالسوط في السوق ، أليس ابن سيعان الذي يقول :

سموت مجلني للطلوال من الرئي ولم تلقني قنأ لدى مبرك الجرب
إذا ما حليف الذل أقنأ شخصه ودب كما دب الحسير على نقب
وهضت الحصى لا أخنس الأنف قابعا إذا أنا راخي لي خناقي بنو حرب

(١) أقنأ : صغر وذلل .

(٢) الحسير : المعيب .

(٣) النقب : رقة الاخفاف وهو من باب فرح يقال : نقب خف البعير نقباً إذا حفي حتى
يتخرق فرسنه ، وتسكين القاف هنا لضرورة الوزن .

(٤) وهضت : دقت وكسرت .

(٥) لا أخنس من الخنس وهو اغتفاض القصة وعرض الارنية .

(٦) أي مستخفياً ، من القبوع وهو أن يدخل الإنسان رأسه في قبضه . ويسمى القنفذ القبع
لأنه يقبع رأسه بين شوكة أي يخبؤه ، ويقال : فلان يقبع قبوع القنفذ إذا توارى .

كان مع سعيد بن عثمان حين قتله وهرب عنه ثم رثاه :

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء وأحمد بن سليمان الطوسي قالا حدثنا الزبير بن
بَكَّار قال حدثني عَمِي مُصْعَب وغيره قالوا :

قديم سعيد بن عثمان المدينة فقتله غلمان جاء بهم من الصُغد ، وكان معه
عبد الرحمن بن أَرْطاة بن سَيْحان حليفُ بني حرب بن أمية ، فهرب عنه لما قتلوه ،
فقال خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط يرثي سعيد بن عثمان - وعثمان أخوه لأمه - :

يا عينُ جودي بدمع منك تَهْتَانَا وأبكي سعيد بن عثمان بن عَفَّانَا
إنَّ ابنَ زينة لم تصدق مودَّتَه وفرَّ عنه ابنُ أَرْطاة بن سَيْحانَا

فقال ابن سَيْحان يعتذر من ذلك :

يقول رجالٌ قد دعاكَ فلم تُجِبْ وذلك من تلقاء مثلك رائعُ
فإن كان نادى دعوةً فسمِعْتُها فسلَّتُ يدي وأستكَّ مني المسمعُ
وإلا فكانت بالذي قال باطلاً ودارت عليه الدائراتُ القوارعُ
ياوموني أن كنتُ في الدار حاسراً وقد فرَّ عنه خالدٌ وهو دارعُ

فقال بعض الشعراء يجيبه :

فإنك لم تسمعَ ولكن رأيتَه بعينيك إذ مجرَّك في الدار واسعُ
وأسلمتَه للصُغد تَدْمَى كَأُومَه وفارقتَه والصوتُ في الدار شائعُ
وما كان فيها خالدٌ بَعْدَرُ سواء عليه صَمٌّ أو هو سامعُ

(١) الصغد : ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار مؤنقة الرياض تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس
على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال اشجارها وقصبتها « سمرقند » .

(٢) أي صمت وضائق ، ومنه قول النابغة :

أتاني أبيت اللعن أنك لمنني وتلك التي تستك منها المسمعُ

(٣) الدارع : لابس الدرع .

(٤) المعذر : الذي لم يثبت له عذر .

فلا زلنا في غلر سوء رعبرة ودارت عليكم بالشّات القوارع

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العمري عن العُثبي قال :

لما قُتل سعيد بن عثمان بن عفان قالت أمه : أشتي أن يرثيه شاعر كما في نفسي حتى أعطيه ما يحتكم ؛ فقال ابن سيجان :

إن كنت باكية فتي فأبكي هيلت^(١) على سعيد :
فارت أهلك بغة وجلبت^(٢) حنقك من بعيد
أذري دموعك والدماء على الشهيد ابن الشهيد

فقلت : هكذا كنت أشتي أن يقال فيه ، ووصلت ابن سيجان . وكانت تندبه بهذا الشعر .

وقال أبو عمرو في روايته التي ذكرتها عن عمي عن الحرزبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال :

جلس ابن سيجان وخالد بن عتبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدثان ، فخرى ذكره فبكيا جميعاً عليه ، فقال ابن سيجان يرثيه :

ألا إن خير الناس إن كنت سائلاً سعيد بن عثمان القليل بلا دحل^(١)
تداعت عليه عضة^(٢) فارسية فأضى سعيد لا يمر ولا يخلي

وقال خالد بن عتبة :

ألا إن خير الناس نفساً والداً سعيد بن عثمان قليل الأعاجم^(١)
بكت عين من لم يبك وسط يثرب مدى الدهر منه بالدموع السواجم^(٢)
فإن تكن الأيام أردت صروفها سعيداً فمن هذا عليها بسالم

(١) هيلت : ثكلت ، يقال هيلته أمه هيلاً أي ثكلته .

(٢) الدحل : النار .

قال الخَزَنَبَلُ: أَنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لأبن سَيْحَانَ قال عَمِي
وَأَنشدني السُّكْرِيُّ عن ابن حَبِيبٍ والطُّوسِيَّ لَهُ :

صوت

رَحِمَ اللهُ صَاحِبِيَّ أَبْنِيَّ الحَا رِثْ إِذْ يَنْهَيَانِي أَنْ أَبْوَحا
بِالْتِي تَيْتُ فَوَادِي وَأَنْ أَذْ رِي دَمُوعِي عَلَى رِدَائِي سُفُوحَا
فِي مَغَانِي مَنَازِلٍ مِنْ حَبِيبٍ بَاشَرْتُ بَعْدَهُ قَطَارَاً وَرِيحَا
وَلَقَدْ قُلْتُ لِلْفَوَادِ وَلَكِنْ كَانَ قِدْمَاً إِلَى هَوَاهُ جُوحَا
قُلْتُ أَقْصِرْ عَنْ بَعْضِ حَيِّكَ أَرَوْى إِنْ بَعْضُ الْجَبَابِ كَانَ فُضُوحَا
فَعَصَانِي، فَلَيْسَ يَسْمَعُ قَوْلَا مِنْ حَمَامٍ عَلَى الْأَرَاكِ، جُوحَا
أَمْ يَحْيَى تَقْبَلُ اللهُ يَحْيَى يَقْبُولُ كَمَا تَقْبَلُ نُوحَا
أَمْ يَحْيَى لَوْلَا طِلَابُكَ قَدْ سَخَسْتُ مَعَ الْوَحْشِ أَوْ لَيْسْتُ الْمُسُوحَا
وَلَقَدْ قُلْتُ لَا أُحَدِّثُ سِرًّا سِرًّا أُخْرَى مَا دَمْتُ أَمْشِي صَحِيحَا

الغناء لمعبد خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ وَيُونُسَ .
وفيه للْعَرِيضِ ثَقِيلٌ أولٌ عَنْ الْهَشَامِيِّ . وفيه لِرُزَيْقِ رَمَلٌ .

قال أبو عمرو : وَأَبْنُ سَيْحَانَ الَّذِي يَقُولُ :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْلَمَا نْ إِذْ جَاوَزْنَ مُطْلَحَا

عندما هجا بني مطيع :

وَالنَّاسَ يَرُؤُونَهُ لَعْمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ لَغَلَبَتْهُ عَلَى أَهْلِ الْحِجَازِ جَمِيعَا . وَقَالَ أَبُو

(١) سَفَحَ الدَّمْعَ سُفُوحَا : صَبَّهُ .

(٢) قَطَارَاً : جَمْعُ قَطَرٍ وَهُوَ الطَّر .

(٣) الْجَبَابُ : الْغَابَةُ وَالْمَوَادَّةُ وَالْحُبُّ ، قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ :

قُلْتُ لِقُلَيْبٍ يَا لَكَ الْخَيْرِ إِنَّمَا يَدْلِيكَ لِلْخَيْرِ الْجَدِيدِ حَبَابَا

(٤) الْمُسُوحُ : جَمْعُ مَسْحٍ وَهُوَ الْكُفَاءُ مِنَ الشَّعْرِ .

عمرو في خبره : كان ابنُ سيحان يحدث قال : كنت آلفُ من قريش أهلَ بيتين سوى من كنت منقطعاً إليه من بني أمية : بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وبني مُطيع ، فلما ضربني مروانُ الحدَّ جثتُ جلستُ إلى بني مُطيع كما كنت أجلس ، فلما رأوني عرفتُ الكراهةَ في وجوههم ، والله ما أقبلوا عليّ بجديهم ولا وسَّعوا لي ، فأنصرفتُ ورُحتُ إلى بني عبد الرحمن ، فلما رأوني أقبلوا بوجوههم عليّ وحيَّوا ورحَّبوا وسَّهَّلوا ووسَّعوا ، ورفعوني إلى حيثُ لم أكنُ أجلس ، وأقبلوا عليّ بوجوههم يحدثونني وقالوا : لعلَّك خشعتُ للذي لِحَقَّكَ ، أما والله لقد علم الناسُ أنك مظلومٌ ، وظلموا مروانَ في فعله ، ورأوا أنه قد أساء وأخطأ في شأنك ، وقالوا : ما ضرَّكَ ذلك ولا نقصك ولا زادك إلا خيراً ، ولم يزالوا حتى بسطوني ، فقلتُ أمدحهم وأذمُ بني مُطيع .

لقد حرَّمتُ ودَّ بني مُطيع . حرامُ الدهنِ للرجل الحرامِ .
وإن جنَّفُ الزمانُ مددتُ حبلاً مَتِيناً من جبالِ بني هشامِ .
رَطِيبُ عودهم أبداً وريقُ إذا ما أغبرَّ عيدانُ اللثامِ .

عندما لامته امرأته على مبيته خارج المنزل :

وقال أبو عمرو في خبره : كان عبد الرحمن بن سيحان يُنادِم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سكرانُ فيُحدَّ ، فقالت له امرأته : قد صرتَ لا تبيتُ في منزلك وأظنَّكَ قد تروَّجتُ ، وإلا فما مَبيَّتُكَ عن أهلك ! فقال لها :

لا تَعْدِميني نديماً ما جِداً أنفأ لا قائلًا قاذِفاً خَلَقاً بَهْتَانِ
أغرَّ راووقهُ مَلانُ صافيةٍ تنني القذى عن جبينٍ غيرِ خزيانِ

(١) ظلموه : نسبوه إلى الظلم .

(٢) الحرام : المحرم بحج أو عمرة .

(٣) جنف : جار ومال .

(٤) الراووق : ناجود الشراب الذي يروِّق به فيصلى . والشراب يتروِّق منه من غير عصر .

سَيِّئَةٌ مِنْ قُرَى يَبْرُوتَ صَافِيَةً عَذْرَاءُ أَوْ سُيْنَتْ مِنْ أَرْضِ بَيْسَانَ
إِنَّا لَنَشْرِبُهَا حَتَّى تَمِيلَ بِنَا كَمَا تَمِيلُ وَسَنَانُ بَوْسَنَانَ

كان يقول لمن يشرب الزبيب اشرب الخمر فالوزر واحد :

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن
عاصم بن الحذعان قال :

كان ابن سيحان صاحب شراب، فدخل على ابن عم له يقال له الحارث بن
سريع فوجده يشرب نبيذ زبيب، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر، وقال له :
يا ابن سريع، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلال فإنك أحق، وإن كنت
تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فأشرب أجوده فإن الوزر
واحد، ثم قال :

دَعِ ابْنَ سَرِيعٍ شَرِبَ مَا مَاتَ مَرَّةً وَخُذْهَا سُلَافًا حَيَّةً مُرَّةً الطَّعْمِ
تَدْعُكَ عَلَى مُلْكِ ابْنِ سَاسَانَ قَادِرًا إِذَا حَرَمْتَ قُرَاؤَنَا حَلَبَ الْكَرْمِ
فَشَتَّانَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ فَأَعَزَّمُ عَلَى مُرَّةٍ صَفْرَاءَ رَاوُوقَهَا يَهْمِي
فَإِنْ سَرِيعًا كَانَ أَوْصَى بِجَبَّتِهَا بَنِيهِ وَعَمِّي جَاوَزَ اللَّهُ عَنْ عَمِّي
وَيَا رَبِّ يَوْمٍ قَدْ شَهِدْتُ بَنِي أَبِي عَلَيْهَا إِلَى أَنْ غَابَ تَالِيَةُ النُّجْمِ
حَسَوُهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ حَيَّةً تُدَارُ عَلَيْهِمُ بِالصَّغِيرِ وَبِالضَّخْمِ
فَاتُوا وَعَاشُوا وَالْمَدَامَةُ بَيْنَهُمْ مُشْعَعَةً كَالنَّجْمِ تُوصَفُ بِالْوَهْمِ

(١) سيئة أي مسبوقة من قولهم : سبأ الخمر أي اشتراها ليشربها كما في الصحاح أو اشتراها
ليحملها إلى بلد آخر كما في غيره .

(٢) بيسان : مدينة بالأردن وهي بين حوران وفلسطين، قال ياقوت في معجم البلدان : واليهما
فيما أحسب ينسب الخمر .

(٣) الوسان : النائم الذي ليس بمستغرق في النوم .

(٤) توالي كل شيء آخره وتاليات النجوم أخرها .

(٥) مشععة : ممزوجة، يقال : شعشع الشراب : مزجه بالماء .

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن عاصم بن الحذان قال :
كان ابن سيحان حليف حرب بن أمية ينادى الوليد بن عقبة بن أبي معيط
ويشرب معه الخمر ، وهو القائل :

إصيح نديك من صهباء صافية حتى يروح كريماً ناعم البال
وأشرب هديت أبا وهب مجاهرة وأختل فإنك من قوم أولي خال
أنت الجواد أبا وهب إذا جمدت أيدي الرجال بما تحويه من مال
لولا رجاؤك قد شئت موتحلاً غساً تعاقب تخويداً يارقال
لما تواصوا بقتلي قت معتزماً حتى حميت من الأعداء أوصالي
عم الوليد بمعروف عشيرته والأبعدون حظوا منه بإفضال

بات الوليد يعاطيني مشعشة :

قال وكان ابن سيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم
عليه يئنة ، فتأمر به القوم ومنع منه ابن خال له منهم ؛ وخاف الوليد بن عقبة أن
يرجع الى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جانيته عليهم فيفارقوه وينقطع عنه ، فدعاهم
وأرضاهم وأعطاهم دية صاحبهم . فلم يزل عند الوليد حتى عزل وهو نديمه وصفيته .
وهو القائل في الوليد - وفيه غناء - :

(١) أي أسقه صبوخاً ، قال طرفة :

مى تأتني أصبحك كأساً روية

(٢) الحال : الخلاء والكبر .

(٣) العنس في الأصل : الصخرة ، ويقال على الناقة القوية تشبهاً لها بالصخرة لصلابتها .

(٤) التخويد : ضرب من السير ، يقال : خوّد البعير : أسرع وزج بقوائمه ، وقيل : هو ان يهتز
كأنه يضطرب .

(٥) الإرقال : ضرب من السير فوق الحجب .

صوت

بات الوليدُ يعطيني مُشعَّةً حتى هَوَيْتُ صريعاً بين أصحابي

في الغناء بات الكريم يعطيني .

لا أستطيع نهوضاً إن هَمَمْتُ به وما أَتَهَنَّهُ من حَسْرٍ وكَشْرَابٍ
حتى إذا الصبحُ لاحَتْ لي جوانبه وَلَيْتُ أُسْحَبُ نحوَ القومِ أثوابي
كَأَنِّي من حُمَيَّا كَأْسِهِ جَمَلٌ صَعَتْ قوائمه من بعد أَوْصَابِ

ويروى :

كَأَنِّي من حُمَيَّا كَأْسِهِ ظَلَعٌ

الغناء لِيَحْيَى الْمَكِّي - ورُوي ضَلَعٌ - خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بالبصرة عن الهشامي
وَبَذَلُ . قال قالت بَذَلُ : وفيه لحنٌ آخرٌ ليحيى ؛ ولم تذكر طريقته .

قصة تبرئه لسعيد ابن العاص من الشرب وما قاله في ذلك :

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حدثني أبو فُهَيْرَةَ قال :

دخل عبد الرحمن بن أَرْطَاة على سَعِيد بن العاص وهو أمير المدينة ؛ فقال له :
أَلَسْتَ الْقَائِلَ :

إِنَّا لَنَشْرِبُهَا حَتَّى تَمِيلَ بِنَا كَمَا تَمِيلُ وَسَنَانُ بُونَسَانِ

فقال له عبد الرحمن : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَشْرَبَهَا وَأَنْعَمَهَا ، وَلَكِنِّي الَّذِي أَقُولُ :

سَمَوْتُ بِجَلْنِي لِلطُّوَالِ مِنَ الذَّرَى وَلَمْ تَلْقَنِي كَالنَّسْرِ فِي مَلْتَقَى جَدْبٍ

(١) نِهْنَه عن الشيء : زجره وكفه .

(٢) الضلع وصف من الضلع وهو كالظلع بالطاء : الميل في المشي .

أجارتنا إن الخطوب تنوبُ وإني مُقيمٌ ما أقام عسيبُ

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية ، وتمثل به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب ، فنقله ابن ميادة نقلاً . وزجع إلى باقي شعر ابن ميادة :

جَري بأنبتاتِ الحبل من أم جَحدَرٍ طلباءَ وطيرٍ بالفراق نَعوبُ
نظرتُ فلم أَعَفْ وعافتُ فبيئتُ لها الطيرُ قبلي واللييبُ ليبُ
فقلتُ حرامٌ أنْ نَرى بعد هذه جميعينِ إلا أنْ يُلمَّ غريبُ
أجارتنا صبراً فيا ربَّ هالكٍ تقطعُ من وجَدٍ عليه قلوبُ

رحل الى الشام ليراها فردته :

قال : ثم انحدرتُ في طلبها ، وطِيعتُ في كلمتها : « إلا أن نجتمع في بلد غير هذا البلد » . قال : جئتُ فدُرتُ الشام زماناً فتلقتُني زوجها فقال : ما لك لا تغسل ثيابك هذه ! أرسلُ الى الدار تُغسل ، فأرسلتُ بها ؛ ثم إني وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب ، فقالت أم جَحدَرٍ لجاريتها : إذا جاء فأعلميني ؛ فلما جئتُ إذا أم جَحدَرٍ وراء الباب فقالت : وَيْحَكَ يا رمّاح ! قد كنت أحسب أن لك عقلاً ! أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسنا عنه ؟ أنصرفُ إلى عشيرتك فإني أستحيي لك من هذا المقام ؛ فانصرفُ وأنا أقول :

صوت

عسى إن حَجَجْنَا أن نَرى أم جَحدَرٍ ويجمعنا من نَحَلَّتَيْنِ طريقُ
وتَصْطَلُكَ أَعْضادُ المِطِيِّ وبيننا حديثُ مُسرٍّ دونَ كل رَفِيقٍ
في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثاني ذكر الهشامي أنه للحَجَجِي .

(١) النخلتان : واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله ، ويقال لها النخلة اليابية والنخلة الشامية .

(٢) في هذين البيتين إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

شعره فيها :

وقال حين خرج الى الشام - هذه رواية ابن شبيب - :

ألا حَيًّا رَمًا بذِي العَشْرِ مُقْفِرَا وربعاً بذِي المَدُورِ مُسْتَعِجِمَا قَفْرَا
فَأَعْجَبُ دَارِ دَارُهَا غَيْرَ أَنِّي إِذَا مَا أَتَيْتُ الدَّارَ تَرَجُّعُنِي صَفْرَا
عَشِيَّةَ أَتْنِي بِالرِّدَاءِ عَلَى الْحَشَى كَأَنَّ الْحَشَى مِنْ دُونِهِ أُسْعِرَتْ جَمْرَا
يَمِيلُ بِنَا شَحْطُ التَّوَى ثُمَّ نَلْتَقِي عِدَادَ الثَّرِيَّا صَادَفْتُ لَيْلَةَ بَدْرَا
وَبِالْعَمْرِ قَدْ جَازَتْ وَجَازَ مَطِيَّهَا فَاسْتَقَى الْقَوَادِي بَطْنُ نَيَّانَ فَالْعَمْرَا
خَلِيلِي مِنْ غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَلَّغَا رَسَائِلَ مِنِّي لَا تَزِيدُ كَمَا وَقُرَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ جَحْدَرٍ سَبِيلٌ ، فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرَا
فَإِنْ يَكُ نَذْرٌ رَاجِعًا أُمِّ جَحْدَرٍ عَلَيَّ لَقَدْ أَوْذَمْتُ فِي عُتْقِي نَذْرَا
وَإِنِّي لَا أَسْتَنْشِي الْحَدِيثَ مِنْ أَجْلِهَا لَا أَسْمَعُ مِنْهَا وَهِيَ نَازِحَةٌ ذِكْرَا
وَإِنِّي لَا أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى إِذَا غَدَرَ الْخُلَّانُ أَنْوِي لَهَا غَدْرَا

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لأبن ميادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكنت :

(١) الصفر (مثلث الصاد) : الشيء الخالي ، يقال : بيت صفر من المتاع أي خال ، ورجل صفر اليدن أي ليس فيها شيء . وهو مأخوذ من الصغير وهو الصوت الخالي عن الحروف .

(٢) العرب تقول : ما يأتينا فلان إلا عداد القمر الثريا وإلا قران القمر الثريا أي ما يأتينا في السنة إلا مرة واحدة ، أنشد أبو الهيثم لأسيد بن الخلاجل :

إذا ما قران القمر الثريا لتالفة فقد ذهب الشتاء

قال أبو الهيثم : وإنما يقران القمر الثريا ليلة ثالثة من الهلال وذلك أول الربيع وآخر الشتاء . وقيل هي ليلة في كل شهر تلتقي فيها الثريا والقمر .

(٣) أودمت : أوجبت ، يقال : أودم على نفسه حبا أو سفرا أي أوجبه .

(٤) استنشي الحديث : أتعرفه وأبحث عنه ، ومنه المستنشية للكهانة ، لأنها كانت تستنشي الاخبار أي تبحث عنها .

ألم تر أن الصارديّة^(١) جاورت ليالي بالمندور غير كثير
ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده بسهتين من كحل دعت بهجير
بأصهب^(٢) يرمي للزمام برأسه كأن على ذفره^(٣) نضج^(٤) عبير
جلت إذ جلّت عن أهل نجد حميدة جلاء غني لا جلاء فقير
وقالت وما زادت على أن تبسّمت عذيرك^(٥) من ذي شية وعذيري
عدمت الهوى ما يبرح الدهر مقصداً^(٦) لقلبي بسهم في اليدين طوير^(٧)
وقد كان قلبي مات للوجد مودة فقد هم قلبي بعدها بنشور

قال : فقلت : ما أضحكك ؟ فقال : كذب ابن ميادة ، والله ما جلّت إلا على حمار وهو يذكر بعيراً ويصفه وأنها جلّت جلاء غني لا جلاء فقير ، فأنطقه الشيطان بهذا كله كما سمعت .

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني موسى بن زهير قال : مكثت أم جحدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجها عنها ومات ولدها منه فقدمت نجداً على إختها وقد مات أبوها .

كيف روى خبره مع ام جحدر :

أخبرني سيّار بن نجيح المزني قال : لقيت ابن ميادة وهو يبكي فقلت له :

- (١) الصارديّة : نسبة الى بني صار و هم حي من بني مرة بن عوف بن غطفان ، ومنهم الشاعر حنّ بن قراد الصاردي .
- (٢) الصهبه في لون الابل : ان يعلو الشعر حمرة واصوله سود فاذا دهن خيل اليك انه أسود . وقيل : هي أن يعمّر الشعر كله .
- (٣) الذفرى : الموضع الذي يعرق من البعير خلف الاذن .
- (٤) يقال : نضجت الثوب نضجاً (من باني طرب ونفع) اذا بللته ، كالنضج بالخاء . وقد اختلف في ايها أكثر ، والاكثر أن النضج بالمعجمة أقل من النضج بالمهمله . و فرق الاسمي بينهما فقال في النضج : إنه لا يتصرف فلا يرد منه فعل ولا فاعل فلا يقال الا أصابني نضج من كذا .
- (٥) يقال : عذيرك من فلان بالنصب أي هات من يعذرك منه اذا جازيته بضمنه .
- (٦) مقصداً : مصيباً قاتلاً ، تقول : أقصدت الرجل اذا رميته أو طعنته بسهم فلم تخطئ .
- (٧) السهم الطوير : المجدد .

وَنَحْكَ ! مالِك ؟ قال : أخرجتني أم جحدر وآلت ميمناً ألا تكلمني ، فانطلق فاشفع لي عندها ؛ فخرجت حتى غشيت رواق بيتها فوجدتها وهي تقدمك جرياً لها بين الصلابة والمدق تريد أن تحطم به بعيراً تحج عليه ؛ فقالت : إن كنت جنت شفيعاً لابن ميادة فبيتي حرام عليك أن تُلقي فيه قدمك . قال : فحجّت ، ولا والله ما كلّمته ولا رآها ولا رأته . قال موسى قال سيّار : فقلت له : اذكر لي يوماً رأيته منها ؛ فقال لي : أما والله لأخبرنك يا سيّار بذلك : بعثت اليها عجوزاً منهم فقلت : هل ترين من رجال ؟ فقالت : لا والله ، ما رأيته من رجل ؛ فألقيت رجلي على ناقتي ثم أرسلتها حتى ألتحها بين أطناب بيتهم ؛ ثم جعلت أقيد الناقة ، فما كان إلا ذاك حتى دخلت وقد ألت لي فراشاً مرقوماً مطبوماً ، وطرحت لي وسادتين على عجز الفراش وأخريين على مقدمته ؛ قال : ثم تحدّثنا ساعة وكأنا تلعّثني بجديتها الربّ من حلاوته ، ثم إذا هي تصب في عس مخضوب بالحناء والزعفران من ألبان اللقاح ، فأخذت منها ذلك العس وكأنه قناة فراوحت بين يدي ، ما ألقمته في ولا دريت أنه معي حتى قالت لي عجوز : ألا تصلي يا ابن ميادة لا صلى الله عليك فقد أظلك صدر النهار ! ولا أحسب إلا أنني في أول البكرة ؛ قال : فكان ذلك اليوم آخر يوم كلّمها فيه حتى زوجها أبوها ؛ وهو أظرف ما كان بيني وبينها .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني حَكَمُ بْنُ طَلْحَةَ الْقَرَارِيُّ ثُمَّ الْمَنْظُورِيُّ قَالَ :

قال ابن ميادة : إني لأعلم أقصر يوم مرّ بي من الدهر ، قيل له : وأيُّ يوم هو يا أبا الشرحبيل ؟ قال : يومُ جئت فيه أم جحدر باكراً فجلست بفناء بيتها

(١) تدمك : ترفق وتلين . والجري : جبل من آدم ملين يحطم به البعير .

(٢) الصلابة : كل جعر عريض يدق عليه عطر أو حنظل .

(٣) الرب بالفم : دبس الرطب إذا طبع .

(٤) العس القدح الضخم يروي الثلاثة والأربعة والعدّة . وفي الحديث أنه « كان يغتسل في عس جزر ثمانية أرحال أو تسعة » .

فدعت لي بعس من ابن فأتيت به وهي تحدثني ، فوضعت على يدي وكرهت
أن أقطع حديثها إن شربت ، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتتني
صلاة الظهر وما شربت .

قال الزبير : وحدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا ، وزاد في خبره :
وقال ابن ميادة فيها أيضاً :

ألم تر أن الصارديّة جاورت ليالي بالممدور غير كثير
ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده بسهين من كحل دعت بهجير
بأحمر ذيال العسيب مفرجاً كأنّ على ذفره نضج عبير
حلفت برب الرافضات إلى منى زفيف القطا يقطعن بطن هبير
لقد كاد حب الصارديّة بعد ما علا في سواد الرأس نبذ قبير
يكون سفاهاً أو يكون ضماناً على ما مضى من نعمة وعصور
علمت الهوى لا يبرح الدهر مقصداً قلبي بسهم في الفؤاد طرير
وقد كان قلبي مات للحب موتاً فقد همّ قلبي بعدها بنشور
جئت إذ جلت عن أهل نجد حميدة جلاء غني لا جلاء فقير
ومما يغني فيه من أشعار ابن ميادة في النسيب بأمّ جحدر قوله :

صوت

ألا يا لقومي للهوى والتذكر وعين قذى إنسانها أمّ جحدر

(١) الذيال : طويل الذيل . والعسيب : عظم الذنب ، وقيل منبت الشعر منه . والمفرج : ما بان مرقفه عن إبطه .

(٢) الهبير : رمل زرود في طريق مكة .

(٣) القنير : المشيب . وأصل القنير رؤوس مسامير حلق الدروع تلوح فيها ، شبه بها الشيب إذا نقب في سواد الشعر . ونبذ القنير : الشيء القليل منه ، يقال : في اللحية نبذ من شيب ، أي قليل .

(٤) الضانة : البلاء .

(٥) لعل المراد أن أمّ جحدر سبب جريان دموعه كما أن القذى يقع في العين فتسيل دموعها .

فلم تر عيني مثل قلبي لم يطر ولا كضاور فوقه لم تكسر
الغناء لاسحاق ثقيلاً أول بالوسطى .

جاءه سيار في حمالة فرأى جاريته وسمع شعره فيها :

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا حكيم
ابن طلحة الفراري عن رجل من كلب قال :

جنيتُ جنايةً فغرمتُ فيها ، فنهضتُ إلى أخوالي بني مُرّة فاستعنتهم فأعانوني ،
فاتيتُ سيار بن نجيع أحد بني سلمى بن ظالم فأعاني ، ثم قال : انهض بنا إلى الرماح
أبن أبرد - يعني أبن ميادة - حتى يُعينك ، فدفعنا إلى بيتين له ، فسألنا عنه
فقال : ذهب أمس ؛ فقال سيار : ذهب إلى أمة لبني سهيل ، فخرجنا في طلبه
فوقعنا عليه في قرارة بيضاء بين حرتين ، وفي القرارة غنم من الضأن سود
وبيض ، وإذا حمار مُقيد مع الغنم وإذا به معنا ، فجلسنا فإذا شابة حلو صفراء
في درّاعة موروسة ، فسلمنا وجلسنا ؛ فقال : أنشدنيهم بما قلتُ فيك شيئاً ؛
فأنشدتنا :

يَمْنُونَنِي مِنْكَ اللّقاءُ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لا أَلْقَاكَ مِنْ دُونِ قَابِلٍ
إِلَى ذَاكَ مَا حَارَتْ أُمُورُكَ وَانْجَلَتْ غَيَابَةُ حُبِّكَ انْجَلَاءَ الْخَيْلِ

(١) دفع إلى كذا : انتهى إليه .

(٢) القرارة : المظلم من الأرض . وقال أبو حنيفة : القرارة : كل مظلم آندفع إليه الماء
فاستقر فيه .

(٣) الحرّة : الأرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .

(٤) موروسة : مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر يكون باليمن .

(٥) الغيابة : كل ما أظلك من سحاب أو غبرة أو نحوها . وفي الاصول : « غيابة » .

(٦) انجائل : جمع نخيلة وهي السحابة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة .

إذا حلَّ أهلي بالجناب وأهلها بحيث ألتقي الغلَّان من ذي أرائل
أقلُّ خلةً بأنْت وأذبر وصلها تقطَّع منها باقياتُ الحبائل
وحالتُ شهورُ الصيفِ بيني وبينها ورفعُ الأعادي كلَّ حقٍّ وباطل
أقولُ لغدائيَّ لما تقابلا عليَّ بلوْمٍ مثل طعنِ المعابِلِ
فلا تكثرنَّ عنها السؤالَ فإنها مُصلِّلةٌ من بعض تلك الصَّلاصِلِ
من الصُّغر لا ورهاءٍ سَمَجٌ دَلاها وليست من السُّودِ القصارِ الحوائِلِ
ولكنَّها ريحانةٌ طابَ نشرُها وردتُ عليها بالضحي والأصائلِ

ثم قال لها : قومي فأطرحي عنك درأعتك ، فقالت : لا حتى يقول لي سيَّار
ابن نجيح ذلك ، فأبى سيَّار ؛ فقال له ابن ميادة : لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما
فقال لها فقامتُ فطرحتها ، فما رأيتُ أحلى منها . فقال له سيَّار : فما لك يا أبا
الشَّرحبيل لا تشتريها ؟ فقال : إذن يفسد حبُّها .

ابن ميادة وابن الجعد الغضري :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزُّبير قال حدثتني مُغيرةُ بنتُ أبي عدي بن عبد
الجبار بن منظور بن زبَّان بن سيَّار الغزارية قالت أخبرني أبي قال :

(١) الجناب بكسر الجيم : أرض لفظتان كما نقل أبو حاتم عن الأصمعي ، وقيل أرض بين فزارة
وكلب ، وقيل أرض لفزارة وعذرة . ويدل على أن لعذرة فيه شركة قول جميل لبثينة : ما رأيت
عبد الله بن عمرو بن عثمان يمرّ على البلاط إلا غرت عليك وأنت بالجناب . وكان عبد الله هذا
فائق الجمال .

(٢) الغلان بالضم : منابت الطلح ، وهي اودية غامضة في الأرض ذات شجر واحد غال وغليل .

(٣) المعابل جمع معبلة ، والمعبلة : نصل طويل عريض ، وفي باقي الاصول « المعاول » .

(٤) مصلصلة : مصوكة .

(٥) قال الليث : الصاصل : طائر تسميه العجم الفاخنة ، ويقال : بل هو الذي يشبهها . وقال
الأزهري : الصلصلة والمكرمة والسعدانة : الجمامة .

(٦) ورهاء : خرقاء بالعمل ، من الورء وهو الحق .

(٧) السمج : الذي لا ملاحه فيه .

(٨) الحوائل : جمع حائلة وهي المتغيرة اللون ، يقال : رجل حائل اللون اذا كان اسود متغيراً
وحال لونه أي اسود .

جمعني وأبن ميادة وصخر بن الجعد الحضري مجلس، فأنشدنا ابن ميادة قوله :
يُتَمَوَّنِي مِنْكَ الْلِقَاءُ وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ لَا أَلَاكَ مِنْ دُونِ قَابِلٍ
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ صَخْرٌ فَقَالَ لَهُ : الْحَبُّ الْمَكْبُثُ يَرْجُو الْفَائِثَ وَيَغْمُ الطَّيْرَ ، وَأَرَاكَ
حَسَنَ الْعَرَاءِ يَا أَبَا الشَّرْحَبِيلِ ؛ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ابْنُ مِيَادَةَ . قَالَ أَبُو عَدِيٍّ فَقُلْتُ :
صَادَفَ دَرَّةُ السَّيْلِ سَيْلًا يَرْدُدُهُ بِهَضْبَةٍ تَرُدُّهُ وَتَدْفَعُهُ
- وَيُرْوَى : دَرَّةُ السَّيْلِ سَيْلٌ - فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَدِيٍّ ، وَاللَّهِ لَا أَتَلَطَّخُ
بِالْحَضَرِ مَرَّتَيْنِ وَقَدْ قَالَ أَخُو عُذْرَةَ :

هُوَ الْعَبْدُ أَقْصَى هَيْتِهِ أَنْ تَسْبُهُ وَكَانَ سَبَابُ الْحَرِّ أَقْصَى مَدَى الْعَبْدِ
قَالَ الزُّبَيْرُ : قَوْلُهُ يَغْمُ الطَّيْرَ يَقُولُ : إِذَا رَأَى طَيْرًا لَمْ يَزُجِرْهَا خِيفَةً أَنْ يَقَعَ
مَا يَكْرَهُ . قَالَ : فَلَمْ يُجِرْ إِلَيْهِ صَخْرُ بْنُ الْجَعْدِ جَوَابًا . يَعْنِي بِقَوْلِهِ : « لَا أَتَلَطَّخُ
بِالْحَضَرِ مَرَّتَيْنِ » مُهَاجَاتِهِ الْحَكَمَ الْحَضَرِيَّ ، وَكَانَا تَهَاجِيَا زَمَانًا ثُمَّ كَفَّ ابْنُ
مِيَادَةَ وَسَأَلَهُ الصَّلَحَ فَصَاحَهُ الْحَكَمَ .

ابن ميادة والحضري :

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو
مَسْلَمَةَ مَوْهوبُ بْنُ رَشِيدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَحْوَلِ التَّغْلَبِيِّ ثُمَّ الْحَوَّلَانِيِّ قَالَ :
كَانَ أَوَّلُ مَا بَدَأَ الْهَجَاءُ بَيْنَ ابْنِ مِيَادَةَ وَحَكَمِ بْنِ مَعْمَرِ الْحَضَرِيِّ أَنَّ ابْنَ
مِيَادَةَ مَرَّ بِالْحَكَمِ بْنِ مَعْمَرٍ وَهُوَ يُنْشِدُ فِي مَصَلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ قَوْلَهُ :

(١) يقال : درأ السيل درءاً إذا اندفع .

لمن الديار كأنها لم تُعمر بين الكناس^١ وبين بُرق^٢ مُحَجَّر^٣

حتى انتهى الى قوله :

يا صاحبي ألم تشيا بارقاً نُضِحَ الصُّرادُ^٤ به فهَضِبُ المنحَر^٥
قد بت أرقبه وبات مُصْعِداً نهَضَ المقيّد في الدهاس^٦ الموقر^٧

فقال ابن ميادة : أرفع اليّ رأسك أيها المنشد ، فرفع حكم اليه رأسه ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حكم بن معمر الحضري ؛ قال : فوالله ما أنت في بيت حسبر ، ولا في أرومة شمر ؛ فقال له حكم : وماذا عبت من شعري ؟ قال عبت أنك أدّهست وأوقرت ؛ قال له حكم : ومن أنت ؟ قال : أنا ابن ميادة ؛ قال : ويحك ! فلم رغبت عن أبيك وانتسبت إلى أمك ؟ قبح الله والدين خيرهما ميادة ، أما والله لو وجدت في أبيك خيراً ما أنتسبت إلى أمك راعية الضأن . وأما إدهاسي وإيقاري فإني لم آت خيبر إلا مُمتاراً لا مُتعاملاً ، وما عدوت أن حكيت حالك وحال قومك ، فلو سكت عن هذا لكان خيراً لك وأبقي عليك . فلم يفترقا إلا عن هجاء .

(١) الكناس : موضع من بلاد غني . وقال البكري في معجم ما استعجم : هو موضع ينسب اليه رمل الكناس في بلاد عبد الله بن كلاب .

(٢) البرق بضم ففتح (وسكنت الراء هنا للضرورة) : جمع برقة وهي أرض غليظة غنظلة بجارة ورمل . قال ابن شميل : الغالب على حجارتها البياض وفيها حجارة سود وجر وترابها ابيض واعفر وهو يبرق بلون حجارتها . ويحتمل ان يراد بالبرق واحده وهي البرقة فان برقة قد يذكرها الشاعر بلفظ بُرق .

(٣) محجر (بكسر الجيم المشددة وروي بفتحها) : اسم لموضع كثيرة ذكرها ياقوت في اسم الحجر .

(٤) اسم موضع « المزاد » .

(٥) هضب المنحر : هضاب جر في أرض بني ثعلبة .

(٦) الدهاس : المكان السهل اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين لا ينبت شجراً وتغيب فيه القوائم ويثقل فيه المشي . والموقر : المثقل وهو صفة للمقيّد .

(٧) يقال : تخامل أي تكلف الجمل بالأجرة ، ومنه الحديث : « كان اذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدها الى السوق فتعامل » . أي تكلف الجمل بالأجرة ليكسب ما يتصدق به .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الجعفي قال حدثني عمير بن ضمرة الحضري قال :

أول ما هاج الهجاء بين ابن ميادة وبين حكم بن معمر بن قنبر بن رجاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب - قال : والحضر ولد مالك بن طريف ، سئوا بذلك لأن مالكا كان شديد الأذمة ، وكذلك خرج ولده فسئوا الحضر - أن حكماً نزل بسير بن سلمة بن عوسجة بن أنس بن يزيد ابن معاوية بن ساعدة بن عمرو وهو خضيلة بن مرة . فأقبل ابن ميادة إلى حكم ليعرض عليه شعره وليسمع من شعره ، وكان حكم أسنهما ، فأنشدا جميعاً جماعة القوم ، ثم قال ابن ميادة : والله لقد أعجبني بيتان قلتها يا حكم ؛ قال : أو ما أعجبك من شعري إلا بيتان ! فقال : والله لقد أعجباني ، يرد ذلك مراراً لا يزيده عليه ؛ فقال له حكم : فأي بيتين هما ؟ قال : حين تساهم بين ثوبينها وتقول :

فوالله ما أدري أزيدت ملاحه^١ وحسناً على اللسان أم ليس لي عقل^٢
تساهم ثوبها^٣ في الدرع^٤ غادة^٥ وفي المرط^٦ لفاوان^٧ ردفها^٨ عبـل^٩

فقال له حكم : أو ما أعجبك غير هذين البيتين ؟ فقال له ابن ميادة : قد أعجباني ، فقال : أو ما في شعري ما أعجبك غيرهما ؟ فقال : لقد أعجباني ؛ فقال له حكم : فإني سوف أعيب عليك قولك :

ولا برح الممدور ريان^{١٠} مخصباً^{١١} وجيداً^{١٢} أعالي شعبة^{١٣} وأسافله^{١٤}

فأستسقيت^{١٥} لأعلاه وأسفله وتركت^{١٦} وسطه وهو خير موضع فيه ؛ فقال :

(١) تساهم ثوبها : تقارعا وتقاسما .

(٢) الدرع : الثوب الصغير تلبسه الجارية في بينها .

(٣) الغادة : الفتاة الناعمة اللينة .

(٤) المرط : كساء يؤتر به ، ولفاوان : تثنية لفاء وهي الفخذ الضخمة .

(٥) جيد : سقي مطراً جيداً أي غزيراً .

وأَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ! تَرَكْتُهُ لَا يَزَالُ رِيَّانٌ مُخَصَّبًا. وَتَهَاتَرَا فغَضِبَ حَكَمُ فَارْتَحَلَ
نَاقَتَهُ وَهَدَرَ^(١) ثُمَّ قَالَ :

فَإِنَّهُ يَوْمُ قَرِيضٍ وَرَجَزٍ^(٢)

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ لَأَبْنِ مِيَادَةَ : أَهْدِرْ كَمَا هَدَرَ يَا رَمَاحُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا
يَغِطُ^(٣) الْبَكْرُ . ثُمَّ قَالَ الرَّمَاحُ :

فَإِنَّهُ يَوْمُ قَرِيضٍ وَرَجَزٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ نَاكِرًا فَقَدْ نَكَرَ^(٤)
وَبَيْنَ الطَّرْفِ^(٥) النَّجِيبِ فَبَرَزَ^(٦)

قَالَ الزُّبَيْرُ : يَرِيدُ بِقَوْلِهِ نَاكِرًا : غَائِضًا قَدْ تَرَفَّ . قَالَ الزُّبَيْرُ : وَسَمِعْتُ رَجُلًا
مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يَتَزَعُ عَلَى إِبِلٍ لَهُ كَثِيرَةً مِنْ قَلِيبٍ وَيَرْتَجِزُ :

قَدْ نَكَرَتْ أَنْ لَمْ تَكُنْ خَسِيفًا^(٧) أَوْ يَكُنِ الْبَحْرُ لَهَا حَلِيفًا^(٨)

فَضَلْتُ أُمَّ جَعْدَرِ ابْنَ مِيَادَةَ عَلَى الْحَكَمِ وَعَمَلَسَ فَهَجَوَاهَا :

قَالَ الزُّبَيْرُ قَالَ الْجُمَحِيُّ قَالَ عُمَيْرُ بْنُ ضَمْرَةَ : فَهَذَا أَوَّلُ مَا هَاجَ التَّهَاجِيُّ
بَيْنَهُمَا . قَالَ الزُّبَيْرُ قَالَ الْجُمَحِيُّ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ضُبْعَانَ الْحَارِثِيُّ قَالَ :
كَانَ ابْنُ مِيَادَةَ وَحَكَمُ الْحَضْرِيُّ وَعَمَلَسُ بْنُ عَقِيلٍ بْنُ عُلْفَةَ مُتَجَاوِرِينَ مُتَحَالِينَ ،
وَكَانُوا جَمِيعًا يَتَحَدَّثُونَ إِلَى أُمِّ جَعْدَرِ بِنْتِ حَسَّانِ الْمُرَيْسَةِ ، وَكَانَتْ أُمُّهَا مَوْلَاةٌ ،
فَفَضَّلْتُ ابْنَ مِيَادَةَ عَلَى الْحَكَمِ وَعَمَلَسَ فغَضِبَا . وَكَانَ ابْنُ مِيَادَةَ قَالَ فِي أُمِّ جَعْدَرِ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ جَعْدَرِ سَبِيلٌ فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرًا
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَحْلُنُ أَهْلُهَا وَأَهْلُكَ رَوْضَاتِ بَيْطَرِ اللَّوَى خَضْرَا

(١) هدر الفعل : صوت في غير شقشقة . وفي الصحاح : ردّد صوته في حنجرته .

(٢) يغط : يهدر في شقشقته . والبكر : الغني من الإبل .

(٣) الخسيف : البئر التي تغفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة .

وقال فيها :

إذا ركدت شمسُ النهار ووضعت^١ طَنَافِسَهَا وَلَيْنَهَا الْآتَيْنَ الْحُرُزَا
الْأَيَاتِ؛ فقال عَمَلَسُ بْنُ عَقِيلٍ وَحَكَمُ الْحَضْرِيَّ يَهْجَوَانَهَا - وهي تُنسبُ إلى
حَكَمٍ - :

لا عُوفِيَتْ في قَبْرِهَا أُمَّ جَحْدَرٍ ولا لَقِيَتْ إِلَّا الْكَلَالِيْبَ وَالْجُمُرَا
كما حَدَّثَتْ عَبْدًا لَثِيْمًا وَخَلَّتْهُ مِنْ الزَّادِ إِلَّا حَشَوَ رِيْطَاتِهِ صَفْرَا
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ رَأَتْ أُمَّ جَحْدَرٍ أَكْثَلَكَ أَوْ ذَاقَتْ مَغَابِنَكَ الْقُشْرَا^٢
وَهَلْ أَبْصَرْتَ أَرْسَاغَ^٣ أَبْرَدَ أَوْ رَأَتْ قَفَا أُمِّ رَمَاحٍ إِذَا مَا اسْتَقَتْ دَفْرَا^٤
وَبِالْعَمْرِ قَدْ صَرَّتْ^٥ لِقَاحًا وَحَادَثَتْ عَبِيدًا فَسَلَّ عَنْ ذَاكَ نَيَّانَ فَالْعُمُرَا

وقال عَمَلَسُ بْنُ عَقِيلٍ بنُ عُلْفَةَ وَيُقَالُ : بَلْ قَالَهَا عُلْفَةُ بْنُ عَقِيلٍ :

فَلَا تَضَعَا عَنْهَا الطَّنَافِسَ إِنَّمَا يُقَصِّرُ بِالْمِرْمَاةِ^٦ مَنْ لَمْ يَكُنْ صَفْرَا

وزاد يحيى بن عليّ مع هذا البيت عن حمّاد عن أبيه عن جرير بن ربّاط وأبي
داود قال : يُعَرِّضُ بقوله : « مَنْ لَمْ يَكُنْ صَقْرَا » بَابِ مِيَّادَةٍ أَيِ إِنَّهُ هَجِيْنٌ لَيْسَ

(١) وضعت طَنَافِسَهَا : نَضَضْتُهَا وَنَظَّمْتُهَا .

(٢) الْكَلَالِيْبُ : جَمْعُ كَلْبٍ وَكَلَابٍ ، وَهُوَ هُنَا الْحَدِيْدَةُ الْمَعْلُوفَةُ كَالْخَطَافِ .

(٣) لَمْ يَهْتَدِ الْمُحَقِّقُونَ إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَقَدْ بَحَثُوا عَنْ هَذَا الشَّعْرِ فِي الْأَمَالِيِّ وَالْكَهَلِيِّ
وَالْمُفَضَّلِيَّاتِ وَشَرَحَ الْجُمَاةُ فَلَمْ يَجِدُوهُ وَيَقُولُ شَرَّاحُ طَبْعَةِ دَارِ الْكُتُبِ وَلَعَلَّهَا « كَتِيْنُكَ » . وَهُوَ الشَّعْرُ
الْكَتِيْفُ .

(٤) الْمَغَابِنُ : الْآبَاطُ وَالْأَرْفَاقُ وَهِيَ بَوَاطِنُ الْأَفْعَاذِ ، وَاحِدُهَا مَغْبَنٌ .

(٥) الْقُشْرُ : جَمْعُ أَقْشَرٍ وَهُوَ الشَّدِيدُ الْحُمْرَةِ أَوْ الْإِبْرَصِ .

(٦) الْأَرْسَاغُ : جَمْعُ رَسْغٍ وَهُوَ مَفْصَلٌ مَا بَيْنَ الْكَفِّ وَالذَّرَاعِ وَقِيلَ يَجْتَمِعُ السَّافِرِينَ وَالْقَدَمِينَ
وَقِيلَ هُوَ مَفْصَلٌ مَا بَيْنَ السَّاعِدِ وَالْكَفِّ وَالسَّاقِ وَالْقَدَمِ .

(٧) دَفْرَا : دَفْعًا ، يُقَالُ : دَفَرْتُهُ فِي قَفَاهُ دَفْرًا أَيِ دَفَعْتُهُ .

(٨) تَقُولُ صَرَرْتُ النَّاقَةَ أَيِ شَدَدْتُ عَلَيْهَا الصَّرَارَ وَهُوَ خِيْطٌ يَشْدُو فَوْقَ الْخَلْفِ لَتَلَا يَرْضَعُهَا وَلَدَهَا .

(٩) الْمِرْمَاةُ : سَهْمٌ يَتَعَلَّمُ بِهِ الرَّامِي .

من أبوين متشابهين كما الصقر . وبعده بيت آخر من رواية يحيى ولم يرؤه
الزبير معه :

مُنْعِمَةٌ لَمْ تَلَقَ بَوْسًا وَشِقْوَةً بَنَجِدٍ وَلَمْ يَكْشِفْ هَجِينٌ لَهَا سِتْرًا

قالوا جميعاً : فقال ابن ميادة يهجو عُلفَةَ :

أَعْلَفَ إِنِّ الصَّقْرَ لَيْسَ بِمُدْلِجٍ وَلَكِنَّهُ بِاللَّيْلِ مُتَّخِذٌ وَكْرًا
وَمُقْتَرِشٌ بَيْنَ الْجُنَاحَيْنِ سَلْحُهُ إِذَا اللَّيْلُ أَلَتْهُ فَوْقَ حُرْطُومِهِ كِسْرًا
فَإِنَّ يَكُ صَقْرًا بَعْدَ لَيْلَةٍ أَمَّهُ وَلَيْلَةٌ جَحَافٌ فَأَفَّ لَهُ صَقْرًا
كَشَدَتْ بِكَفَيْهَا عَلَى جِذْلٍ أَيْرِهِ إِذَا هِيَ خَافَتْ مِنْ مَطِيئَتِهَا نَفْرًا

يريد أن أم عُلفَةَ من بني أنمار ، وكان أبوه عَقِيلُ بْنُ عُلفَةَ ضَرْبًا ، فَأَرْسَلَتْ
إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَنْمَارٍ يَقَالُ لَهُ جَحَافٌ ، فَأَتَاهَا لَيْلًا فَاحْتَسَلَهَا عَلَى حِمْلِ فَذَهَبَ بِهَا .
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ خَاصَّةً فِي خَبَرِهِ عَنْ سَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ : إِنَّ جَحَافَ بْنَ
إِيَادٍ كَانَ رَجُلًا مِنْ بَنِي رِقْتَالِ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ غَيْظَ بْنِ مُرَّةٍ ، وَكَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَى أَمْرَأَةٍ
عَقِيلِ بْنِ عُلفَةَ - وَهِيَ أُمُّ ابْنِهِ عُلفَةَ بْنُ عَقِيلٍ - وَيُتِّهِمُ بِهَا ، وَهِيَ أَمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي
أَنْمَارٍ بَنُ بَغِيضَ بْنِ رَيْثَ بْنِ غَطَفَانَ يَقَالُ لَهَا سُلَافَةٌ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ،
وَكَانَ عَقِيلٌ مِنْ أَغْيَرِ النَّاسِ ، فَرَبَطَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ وَدَهَنَهَا بِإِهَالَةٍ ، وَجَعَلَهَا فِي
قَرْيَةٍ تَنْمَلُ ، فَمَرَّتْ بِهَا جَحَافُ بْنُ إِيَادٍ فَسَمِعَ أُنْيَيْنَهَا ، فَأَتَاهَا فَاحْتَسَلَهَا حَتَّى طَرَحَهَا بِفَذَكِ ،
فَاسْتَعْدَتْ وَابْتَلَاهَا عَلَى عَقِيلٍ . وَقَامَ عَقِيلٌ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَأَوْقَدَ عُشْوَةً وَنَظَرَهَا
فَلَمْ يَجِدْهَا وَوَجَدَ أَثَرَ جَحَافٍ فَعَرَفَهُ وَتَبِعَهُ حَتَّى صَبَحَ الْقَرْيَةَ ، وَخَنَسَ جَحَافٌ عَنْهَا ؛
فَأَتَى الْوَالِي فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ رَأَيْتَنِي قَدْ كَبُرْتُ وَذَهَبَ بِصُرِي فَاجْتَرَأْتُ عَلَيَّ ، وَكَانَ

(١) الكسر في الأصل : الشقة السفلى من الحباء ، ويراد هنا أن الليل غطاء وستره .

(٢) الإهالة : الشحم المذاب .

(٣) قرية النمل : يجمع النمل من التراب .

(٤) العشوة (بالضم والكسر) : النار يستضاء بها ، قال أبو زيد : ابغونا عشوة أي نارا نستضيء بها .

(٥) خنس عنها : نجاه أبعده .

عقيل رجلاً مهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صهر بني مروان . قال :
فغير ابن ميادة علفه بن عقيل بأمر جحاف هذا في قوله :

فإن يك صقراً بعد ليلة أمه وليلة جحاف فأف له صقرا

قال : ولج^١ الهجاء بينهما . وقال فيه ابن ميادة وفي حكم الحضري وقد
عاون^٢ علفه :

لقد ركب الحضري^٣ مني وترته على مركب من ناييات المراكب
وقال لعلفه :

يا بن عقيل لا تكن كذوباً أن شربت الخزر^٤ والخليليا
من شول^٥ زيد وسممت^٦ الطيباً جهلاً تجنيت لي الذنوبا

قال : ثم لم يلبثه ابن ميادة أن غلبه ، وهاج التهاجي بينه وبين حكم الحضري^٧
وانقطع عنه علفه مفضوحاً . قال : وماتت أم جحدر التي كان ينسب بها ابن ميادة
على تقيئة^٨ ما كان بينه وبين علفه من المهاجة ، ونعت له فلم يصدق حتى أتاه
رجل من بني رحل يقال له عمار فنعاها له ؛ فقال :

ما كنت أحسب أن القوم قد صدقوا حتى نعاها لي الرحلي^٩ عمار
وقال يرثيها :

خلت^{١٠} شعب الممدور لست بواجد به غير بال من عظام^{١١} وحرمل^{١٢}

(١) لج : تمادى واستمر .

(٢) والخزر من اللبن : ما كان فوق الحامض .

(٣) الشول : التوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من يوم
نتاجها ، فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن أي بقية منه مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان نتاجها ،
واحدتها شائلة وهو جمع على غير قياس .

(٤) على تقيئة : على حين ، يقال : أتيت على تقيئة ذلك أي على حينه وزمانه .

(٥) العظام والحرمل : نوعان من الشجر .

تَمَيَّتُ أَنْ تَلْقَى بِهِ أُمَّ جَعْدَرٍ وَمَاذَا تَقْنَى مِنْ صَدَى تَحْتَ جَنْدَلٍ
فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ وَلَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ عَنَاءٍ مُطَوَّلٍ

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة
ابن مرمي، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه :

أن ابن ميادة وحكما الحضري تواعدا المدينة ليتواقفا بها ، فتواقفا بها
وجاء نفر من قريش - أمهاتهم من مرة - الى ابن ميادة فنعموه من موافقة حكم ،
وقالوا : أتعرض له ولست بكفنه فيشتم أمهاتنا وأخوالنا وخالاتنا وهو رجل خبيث
اللسان ! - قال : وكان حكم يسجع سجعا كثيرا - فقال : والله لئن وافقته
لا تسجن به قبل المقارضة سجعا أفضحه به فلم يلقه . وذكر الزبير له سجعا طويلا
غثا لا فائدة فيه ، لأنه ليس برجز منظم ولا كلام فصيح ولا مسجع سجعا
مؤتلفا كائتلاف القوافي ، إلا أن من أسلمه قوله : والله لئن ساجعتني سجعا ،
لتجدني سجعا ، للجار منعا ، ولأجدنك هياعا ، للحسب مضياعا ، ولئن باطشتك
بطاشا ، لأدهشتك إدهاشا ، ولأدقن منك مشاشا ، حتى يجي بولك رشاشا .
وهذا من غث السجع ورذله ، وإنما ذكرته ليستدل به على ما هو دونه مما
ألغيت ذكره . قال : ورجز به فقال :

يا معدين اللوم وأنت جبلة وآخر اللوم وأنت أوله
جارت سباقا بعيدا مهله كان اذا جارى أباك يفشله
فكيف ترجوه وكيف تأمله وأنت شر رجل وأندله
ألامه في مازق وأجهله أدخله بيت الخازي مدخله

(١) التوافق كالواقفة : ان يقف معك وتقف معه في حرب أو خصومة .

(٢) هو صيغة مبالغة من هاع يبيع هيعا وهيوعا اذا جبن وفرغ : وقد ورد في كتب اللغة من
هذه المادة هاع وهاع .

(٣) المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرقنين والمنكبين

(٤) يفشله : يجعله فشلا أي ضعيفا ناكلا عن المجارة .

فَاللُّؤْمُ سِرْبَالٌ لَهُ يُسَرِّبُهُ ثَوْبًا إِذَا أَنَهَجَهُ يُبْدِلُهُ

فأجابه حَكَم :

يَا بَنَ الْتِي جِيدَانَهَا كَانَتْ تَضُرُّ وَتَنَعُّ الشَّوْلَ وَكَانَتْ تَمْتَصِرُ

كَيْفَ إِذَا مَارَسَتْ حُرًّا تَتَمَصَّرُ

ولها أراجيز كثيرة طويلة جداً أسقطتها لكثرتها وقلة فائدتها .

نوع من المبارزة :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عبد الله بن إبراهيم قال :

أخبرني بعض من لقيت من الحضر : أن حكماً الحضري خرج يريد لقاء ابن ميادة بالرقم من غير موعد فلم يلقه ، إماً لأنه تعيَّب عنه وإماً لأنه لم يصادفه ، فقال حَكَم :

فَرَّ ابْنُ مِيَادَةَ الرُّقْطَاءَ مِنْ حَكَمِ الصُّغْرِ مِثْلَ فِرَارِ الْأَعْدَى الدِّهَمِ
أَصْبَحَتْ فِي أَقْرِ تَعَاوَا طَاوِلَهُ تَقَرُّ مَنِيَّ وَقَدْ أَصْبَحَتْ بِالرَّقْمِ

(١) أَنَهَجَهُ : أَبْلَاهُ وَأَخْلَقَهُ .

(٢) فِي أَحَدَى النِّسَخِ : «يَا بَنَ الْتِي حَيَاتُهَا كَانَتْ تَضُرُّ» وَصَرَّ النَّاقَةُ رِبْطَ اخْلَافِهَا لِثَلَا يَرْضَعُهَا وَلِئِذَا .

(٣) الْاِمْتَصَارُ : حَلَبُ النَّاقَةِ أَوْ الشَّاةِ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ الثَّلَاثِ أَوْ بِالْإِبْهَامِ وَالسَّبَابَةِ .

(٤) الرَّقْمُ : جِبَالٌ دُونَ مَكَّةَ بِدِيَارِ غُظْفَانَ وَاسْمُ مَاءٍ عِنْدَهَا أَيْضاً ، كَذَا قَالَ يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِهِ فِي اسْمِ «رَقْمٍ» . وَقَالَ الْبَكْرِيُّ فِي مَعْجَمِهِ مَا اسْتَعْجَمَ ص ٤٢ : الرَّقْمُ مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ قَرِيبٌ مِنْ وَادِي الْقَرْيِ كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ لِنُظْفَانَ عَلَى عَامِرٍ .

(٥) الصُّغْرُ كَالصُّغَارِ : الذَّلُّ وَالْهَوَانُ .

(٦) الْأَعْقَدُ يُقَالُ عَلَى التَّبَسُّبِ الَّذِي فِي قَرْنِهِ أَوْ ذَنْبِهِ التَّوَاهُ . وَيُقَالُ : عَلَى الْكَلْبِ وَالذَّبِّ لِانْعِقَادِ ذَنْبِهِمَا وَكُلِّ مَلْتَوَى الذَّبِّ هُوَ الْأَعْقَدُ . وَالذَّمُّ لِمَنْ مَحْرَفٌ عَنْ (الزَّمِّ) وَهُوَ ذُو الرَّاشَةِ الْمُنْتَنَةِ .

(٧) أَقَرُّ (بِضْمَتَيْنِ) : وَادٍ لِبَنِي مَرَّةَ .

وقال إسحاق في روايته عن أصحابه : قال ابن ميادة يهجو حكماً وينسبُ
بأم جَحْدَرٍ :

يُتَمَوَّنِي مِنْكَ الْلِقَاءُ وَإِنِّي لَا أَلْمُ لَكَ مِنْ دُونِ قَابِلٍ

وقد مضى أكثر هذه الآيات متقدماً، فذكرتُها هنا منها ما لم يعض
وهو قوله !

فيا ليت رث الوصل من أم جَحْدَرٍ لنا يجديد من أولئك البدائل
ولم يبقَ مما كان بيني وبينها من الودِّ إلا مخفيات الرسائل
وإني إذا استنبهتُ من حُلُو رَقْدَةٍ رُميتُ بخيها كرمي المناضل

صوت

فما أنسَ من الأشياء لا أنسَ قولها وأدعُها يُذَرِّينَ حَشَوَ الْمَكَا حِلٍ
تَمَّعْ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الدَّهْوَرِ الْأَطْوَلِ

الغناء في هذين البيتين لعلِّي بن يحيى المنجَم، ولحنه من الثقيل الثاني .

وكنْتُ أَمْرًا أُرْمِي الزَّوَائِلَ مَرَّةً فَأَصْبَحْتُ قَدْ وَدَّعْتُ رَمِي الزَّوَائِلِ
وَعَطَّلْتُ قَوْسَ اللَّهِ مِنْ سَرْعَانِهَا وَعَادَتْ سِهَامِي بَيْنَ رَثٍ وَنَاصِلِ

السَّرْعَانِ وَتَرْتُّ يَعْمَلُ مِنْ عَقَبِ الْمَتْنِ، وهو أطول العقب .

إِذَا حَلَّ بَيْنِي بَيْنَ بَدْرِ وَمَازِنِ وَمَرَّةً نِلْتُ الشَّمْسَ وَاشْتَدَّ كَاهِلِي

(١) الزوائل هنا : النساء على التشبيه بالوحش . ويقال : فلان يرمي الزوائل إذا كان طبا
بإصبعه النساء إليه .

(٢) وفي بعض النسخ الشرعات وهي : الأوتار، واحدها شرعة .

(٣) الناصل : السهم الذي خرج منه النصل .

(٤) العقب (بالتحريك) : العصب الذي تعمل منه الأوتار، الواحدة عقبة . والعقب من كل
شيء : عصب المتين والساقيين والوظيفين .

يعني بدر بن عمرو بن جُوَيْة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان،
ومرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ومرّة بن فزارة، ومازّن بن فزارة . وهي طويلة .

قال أبو الفرج الأصبهاني : أخذ إسحاق الموصلي معنى بيت ابن ميادة في قوله :
« نلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلي » فقال :

عَطَسْتُ بِأَنْفِ شَامِخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثَّرِيَّ قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

ولعمري لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد .

وفي هذه القصيدة يقول :

فَضَّلْنَا قَرِيشًا غَيْرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِ بَنِي مَرْوَانَ أَهْلَ الْفَضَائِلِ

عندما ضربه إبراهيم بن هشام :

قال يحيى بن عليّ وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيوب عن مُصْعَبٍ ، وأخبرني به
الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مُصْعَبٍ قال :

قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميادة : أَنْتِ فَضَّلْتَ قَرِيشًا ! وَجَرَّدَهُ
فَضْرِبَهُ أَسْوَاطًا .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال :

لما قال ابن ميادة :

فَضَّلْنَا قُرَيْشًا غَيْرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِ بَنِي مَرْوَانَ أَهْلَ الْفَضَائِلِ

قال له الوليد بن يزيد : قَدَمْتَ آلَ مُحَمَّدٍ قَبْلَنَا ؛ فقال : مَا كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أُظَنُّهُ يُمْكِنُ غَيْرَ ذَلِكَ . قال : فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَدْ أَبْنَى مِيَادَةَ إِلَى
الْمَنْصُورِ وَمَدَحَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ لَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ : كَيْفَ قَالَ لَكَ الْوَلِيدُ ؟ فَأَخْبَرَهُ
بِمَا قَالَ ، فَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَعَجَّبُ .

ابن ميادة والحكم الخضري بعريحاء :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال :
حدثني العباس بن سُمرة بن عباد بن شَمَّاع بن سُمرة عن رِيحان بن سُويد
الخضري ، وكان راوية حَكَم بن معمر الخضري ، قال :

تواعد حَكَمُ وأَبْنُ ميادة عَرِيحَاءَ - وهي ماءة^١ - يتواقفان عليها ، فخرج كل واحد منهما في نفر من قومه ؛ وأقبل صَخْر بن الجعد الخضري يَوْمُ حَكَمٍ ، وهو يومئذ عدو حَكَمٍ لِمَا كَانَ فَرَطَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْهَجَاءِ فِي أَرْكَوبٍ^٢ مِنْ بَنِي مَازَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ خَلْفِ بْنِ مُحَارِبٍ ؛ فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ لَهُ : يَا حَكَمُ ، أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَضْتَ لِلْمَوْتِ ! وَهَمَّ وَجْهُ قَوْمِكَ ! فَوَاللَّهِ مَا دَمَاؤُهُمْ عَلَى بَنِي مُرَّةٍ إِلَّا كَدَمَاءِ جَدَايَةٍ^٣ ؛ فَعَرَفَ حَكَمُ أَنَّ قَوْلَ صَخْرٍ هُوَ الْحَقُّ فَردَّ قَوْمَهُ ، وَقَالَ لَصَخْرٍ : قَدْ وَعَدَنِي أَبْنُ مِيَادَةَ أَنْ يُوَاقِفَنِي غَدًا بِعَرِيحَاءَ ، لِأَنْ أَنَا شَدَّه ؛ فَقَالَ لَهُ صَخْرُ : أَنَا كَثِيرُ الْإِبِلِ - وَكَانَ حَكَمٌ مُقَلًّا - فَإِذَا وَرَدَتْ إِبِلِي فَارْتَجِزْ^٤ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا يَشْجَعُونَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ وَحْدَكَ ، فَإِنَّ لَقِيْتَ الرَّجُلَ نَحَرَ وَأَطْعَمَ فَأَنْحَرْ وَأَطْعَمَ وَإِنْ أَتَيْتَ عَلَى مَالِي كُلِّهِ . قَالَ رِيحَانُ رَاوِيَتُهُ : فَوَرَدَ يَوْمَئِذٍ عَرِيحَاءَ وَلَمْ يَلْقَ رَمَاحًا وَلَمْ يُوَافِ لِمَوْعَدِهِ ، وَظَلَّ يُنْشِدُ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَمْسَى ، ثُمَّ صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَى صَخْرٍ وَرَدَّهَا . وَبَلَغَ الْخَبْرَ أَبْنُ مِيَادَةَ وَمُوَافَاةُ حَكَمٍ لِمَوْعَدِهِ ، فَأَصْبَحَ عَلَى الْمَاءِ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

أَنَا أَبْنُ مِيَادَةَ عَقَّارُ الْجُزُرِ كُلِّ صَفِيٍّ ذَاتِ نَابٍ مُنْقَطِرٍ

صلحها :

وظَلَّ عَلَى الْمَاءِ فَتَحَرَ وَأَطْعَمَ . فَلَمَّا بَلَغَ حَكَمًا مَا صَنَعَ أَبْنُ مِيَادَةَ مِنْ نَحْوِهِ

(١) عريحاء : ماءة معروفة بمعنى ضربة وقد أقطعها ابن ميادة المرّي من بني ذبيان .

(٢) الأركوب : كالركب والركبان .

(٣) في بعض النسخ : « أهؤلاء الذين عرضت للموت من أجلهم وهم وجوه قومك الخ » .

(٤) الجداية : الظبية .

(٥) يقال : ناقة صفي أي غزيرة اللبن ، والجمع صفايا .

وإطعامه شقاً عليه مشقة شديدة . ثم إنها بعد توافيا بحمي ضرية . قال ريمان :
 ابن سويد : وكان ذلك العام عام جدب وسنة إلاً بقية كلاً بصرية . قال :
 فسبقنا ابن ميادة يومئذ فنزلنا على مولاة لمكاشة بن مصعب بن الزبير ذات
 مال ومنزلة من السلطان . قال : وكان حكم كريماً على الولاة هناك يُتَّقَى لسانه .
 قال ريمان : فبينما نحن عند المولاة وقد حططنا براذع دوابنا إذا راكبان قد
 أقبلا ، وإذا نحن برماح وأخيه ثوبان - ولم يكن لثوبان ضريب في الشجاعة والجمال -
 فأقبلا يتسايران ، فلما رآهما حكم عرفهما ، فقال : يا ريمان ، هذان أبنا أبرد ، فما
 رأيك ؟ أتكفيني ثوبان أم لا ؟ قال : فأقبلا نخونا ورمأح يتضاحك حتى قبض على
 يد حكم وقال : مرحباً برجل سكت عنه ولم يسكت عني ، وأصبحت الغداة
 أطلب سلمه يسوقني الذئب والسنة ، وأرجو أن أرمي الحمى بجأه وبركته ؛ ثم
 جلس إلى جنب حكم وجاء ثوبان فقعده إلى جنبي ؛ فقال له حكم : أما ورب المرسلين
 يا رمأح لولا أبيات جعلت تعتصم بهن وترجع اليهن - يعني أبيات ابن ظالم -
 لاستوسقت كما استوسق من كان قبلك . قال ريمان : وأخذنا في حديث أسمع
 بعضه ويخني علي بعضه ، فظللنا عند المرأة وذبح لنا وهما في ذلك يتعادثن ، مقبل
 كل واحد منهما على صاحبه لا ينظران شدة ، حتى كان العشاء فشددنا للرواح
 نؤم أهلنا ؛ فقال رمأح لحكم : يا أبا منيع - وكانت كنية حكم - : قد قضيت
 حاجتك وحاجة من طلبت له من هذا العامل ، وإن لنا إليه حاجة في أن يُرْعِينَا ؛
 فقال له حكم : قد والله قضيت حاجتي منه وإني لأكره الرجوع إليه ، وما من
 حاجتك بُد ؛ ثم رجع معه إلى العامل ، فقال له بعد الحديث معه : إن هذا الرجل
 من قد عرفت ما بيني وبينه ، وقد سألت الصلح وأتاب إليه ، فأجبت أن يكون
 ذلك على يدك وبمحضرك . قال : فدعا به عامل ضرية وقال : هل لك حاجة غير
 ذلك ؟ قال : لا والله ، ونسي حاجة رمأح ، فأذكرته إياها ، فرجع فطلبها واعتذر

(١) في أساس البلاغة مادة ذاب : وأكلتهم الضبع وأكلتهم الذئب أي السنة ، وأصابته سنة
 ضبع وسنة ذئب على الوصف .

(٢) لاستوسقت : لأطعت وأنقدت .

بالنسيان . فقال العامل لابن ميادة : ما حاجتك ؟ فقال : تُرعىني عريجا لا يعرض لي فيها أحد ، فأرعاها إياها . فأقبل رماح على حكم فقال : جزاك الله خيراً يا أبا منيع ، فوالله لقد كان ورائي من قومي من يتسنى أن يرعى عريجا بنصف ماله . قال فلما غزما على الانصراف ودع كل واحد منهما صاحبه وانصرفا راضين . وانصرف ابن ميادة الى قومه فوجد بعضهم قد ركب الى ابن هشام فأستغضبه على حكم قوله : وما ولدت مريّة ذات ليلة من الدهر إلا زاد لؤماً جنيها

طرده السلطان فرحل الى الشام فمات هناك :

فأطرده^١ وأقسم : لئن ظفر به لئسرجنه وليخيلن عليه أحدهم . فقال رماح - وساء ما صنعوا - : عمدتم الى رجل قد صلح ما بيني وبينه وأرعى بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطراده ! وبلغ الحكم الخبر فطار الى الشام فلم يبرحها حتى مات .

قال العباس بن سمره : مات بالشام غرقاً ، وكان لا يحسن العوم فمات في بعض أنهارها . قال : وهو وجهه الذي مدح فيه أسود بن بلال الحارثي ثم السوائي في قصيدته التي يقول فيها :

وأستيقنت أن لا برّاح من الشرى حتى تنأخ بأسود بن بلال
قرم إذا تزل الوفود ببابه سمت العيون إلى أشم طوال

مناقضات حكم وابن ميادة :

ولحكم الخضري وابن ميادة مناقضات كثيرة وأراجيز طوال طويت ذكر أكثرها وأغنيته ، وذكرت منها لعماء من جيد ما قاله لئلا يخلو هذا الكتاب من

(١) أي امر باخراجه وطرده .

(٢) أي رحلته وسفره .

ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائرهُ فيطول . فما قاله حكم في ابن ميادة قوله :

خَلِيلِي عُوجًا حَيًّا الدَّارَ بِالْجَفْرِ^(١) وَقُولَا لَهَا سَقِيًّا لَعَصْرِكَ مِنْ عَصْرِ
وماذا تُحَيِّي مِنْ رُسُومٍ تَلَاعَبْتُ^(٢) بِهَا حَرْجَفٌ^(٣) تَذْرِي بِأَذْيَالِهَا الْكَدْرَ

ومن جيّد قوله فيها يقتخر :

إِذَا يَبَسَتْ عِيدَانُ قَوْمٍ وَجَدْنَا وَعِيدَانَا تُغْشَى عَلَى الْوَرَقِ الْخَضِرِ
إِذَا النَّاسُ جَاءُوا بِالْقُرُومِ أَتَيْتُهُمْ^(٤) بِقَرْمٍ يُسَاوِي رَأْسَهُ غُرَّةَ الْبَدْرِ
لَنَا الْعَوْرُ وَالْأَنْجَادُ وَالْحَيْلُ وَالْقَنَا عَلَيْكُمْ وَأَيُّمُ الْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ

ومن جيّد هجائه قوله :

فِيَا مُرَّ قَدْ أَخْرَاكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنْ اللَّؤْمِ خَلَّتْ يَزْدَنَ عَلَى الْعَشْرِ
فَمَنْهُنَّ أَنَّ الْعَبْدَ حَامِي ذِمَارِكُمْ^(٥) وَبَنَسَ الْحَامِي الْعَبْدُ عَنْ حَوْزَةِ الثَّغْرِ
وَمَنْهُنَّ أَنْ لَمْ تَمْسَحُوا وَجْهَ سَابِقٍ^(٦) جَوَادٍ وَلَمْ تَأْتُوا حَصَانًا عَلَى طَهْرِ
وَمَنْهُنَّ أَنْ الْمَيْتَ يُدْفَنُ مِنْكُمْ^(٧) فَيَقْسُو عَلَى دَفْنِهِ وَهُوَ فِي الْقَبْرِ
وَمَنْهُنَّ أَنْ الْجَارَ يَسْكُنُ وَسَطَكُمْ^(٨) بَرِيئًا فَيُلْقَى بِالْخِيَانَةِ وَالْقَدْرِ
وَمَنْهُنَّ أَنْ عُذَّتُمْ بِأَرْقَطٍ كَوْدَنٍ^(٩) وَبَنَسَ الْحَامِي أَنْتِ يَا ضَرْطَةَ الْجَفْرِ
وَمَنْهُنَّ أَنْ الشَّيْخَ يَوْجَدُ مِنْكُمْ^(١٠) يَدِبُّ إِلَى الْجَارَاتِ مُحْدَوِّبَ الظَّهْرِ
تَبَيَّتْ ضَبَابُ الصِّغَنِ تَحْشَى احْتِرَاشَهَا^(١١) وَإِنْ هِيَ أَمَسَتْ دُونَهَا سَاحِلُ الْبَحْرِ

(١) الجفر : موضع بناحية ضربة من نواحي المدينة .

(٢) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .

(٣) الكودن : البرذون الهجين . يريد انساناً كالبرذون .

(٤) الجفر : ولد المعزى إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي والمعزى يضرب بها في ذلك المثل فيقال : « أضرط من عثر » .

(٥) الضباب : الأحقاد ، يقال : في قلبه ضب ، أي غل داخل كالضب الممعن في جحره .

(٦) احترش الضب : أتى قفا جحره فقعقع بمصاه عليه واتلج طرفها في جحره فإذا سمع الصوت حسب دابة تريد أن تدخل عليه فجاء يزحل على رجله وعجزه مقاتلاً ويضرب بذنبه فهازه الرجل (بأدره) فأخذ بذنبه فضب عليه (شد القبض) فلم يقدر أن يفلت منه .

فأجابه ابن ميادة بقصيدة طويلة ، منها قوله مجيباً عن هذه الخصال التي سبهم بها :

لقد سبقت بالمخزيات محاربٌ وفازت بجلاتٍ على قورٍها عشرٌ
فنهني أن لم تغفروا ذات ذروةٍ لحقٍ إذا ما أحتيج يوماً إلى العفرِ
ومنهن أن لم تمسحوا عريئةً من الخيل يوماً تحت جلدٍ على مهرِ
ومنهن أن لم تضربوا بسيوفكم حجاجهم إلا فيشل القرع الحمرِ
ومنهن أن كانت شيوخ محاربٍ كما قد علمت لا ترش ولا تبزي
ومنهن أخرى سوءة لو ذكرتها لكنتم عبيداً تخدمون بني وبرِ
ومنهن أن الضأن كانت نساءكم إذا أخضر أطراف الثلم من القطرِ
ومنهن أن كانت عجوز محاربٍ تريغ الصبا تحت الصفيح من القبرِ
ومنهن أن لو كان في البحر بعضكم لحبب ضاحي جلده حومة البحرِ

وبما قال ابن ميادة في حكم قوله من قصيدة أولها :

ألا حياء الأطلال طالَت سنينها بحيث التقت ربد الجنب وعينها
ويقول فيها :

فلما أتاني ما تقول محاربٌ تغت شياطيني وجن جنونها

(١) الغيشة : طرف الذكر .

(٢) أي لا تضر ولا تدفع .

(٣) الثلم : نبت ضعيف .

(٤) تريغ : تطلب ، يقال : ماذا تريغ ، أي ما تريد وما تطلب .

(٥) ضاحي جلده : ظاهره .

(٦) حومة البحر : أكثر موضع في البحر ماء واغزره .

(٧) ربد : جمع أربد أو ربداء ، وصف من الربد ، وهو في النعام سواد مختلط ، وقيل هو أن يكون لونها كله اسود . وعن الليثاني : ظلم أربد ونعامة ربداء ، أي لونها كلون الرماد .

(٨) الجنب : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى ، وقيل هو من منازل بني مازن . وقال نصر : الجنب من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد .

(٩) عين : جمع عيناء وهي واسعة العين .

ألم ترَ أَنَّ اللهَ غَشَى مُحَارِبًا إذا اجتمعَ الأقوامُ لونا يَشِينُهَا
 ترى بوجوه الخضرِ خضرَ مُحَارِبٍ طوابعَ لؤمٍ ليسَ يَنْفَتُ طِينُهَا
 لقد ساهمتناكم سليمٌ وعامرٌ فضمناهم إنا كذاك ندينها
 فصارت لنا أهلُ الضَّيْنِ مُحَارِبٌ وصارت لهم جسرٌ وذلك تمينها
 إذا أخذتُ خضريَّةٌ قائمَ الرحي تحركَ قنباها فطارَ طحينها
 وما حملتُ خضريَّةٌ ذاتَ ليلةٍ من الدهرِ إلا أزدادَ لؤماً جنينها

فقال حَكَمٌ يحيبه عن هذه بقصيدته :

لأنتَ ابنُ أشبانيةٍ أدلجتُ به إلى اللؤمِ مقلاتٍ لئيمٍ جَينُهَا
 لجأتُ برِوَاثٍ كأنَّ جَينَه إذا ما صغا في خرقتها جَينُهَا
 فما حملتُ مَرِيَّةً قطُّ ليلةً من الدهرِ إلا أزدادَ لؤماً جَينُهَا
 وما حملتُ إلا لالأمَ من مَشَى ولا ذُكرتُ إلا بأمرٍ يَشِينُهَا
 تروجُ عشوانُ الضَّيْنِ وتبتغي بها الدرَّ لا دَرَّتْ بخيرٍ لبونها
 أظننتُ بنو عشوان أن لستُ شاقماً بشَّمي وبعضُ القومِ حمقى ظنُّونها
 مدانيسُ أبرام^{١٥} كأنَّ لحامهم على مُجْتَهَبَاتٍ طوالِ قرونها

قال الزُّبَيْرُ : خُذْتُني مَوْهوبُ بن رَشِيدٍ قال : فسمع هذه القصيدة أخذُ بني

(١) الانفتات : الانكار .

(٢) كذا في جميع الأصول، ولم يجد المحققون في كتب اللغة التي بأيدينا أن ساهم يتعدى لمفعولين، وهو بمعنى قارع، من القرعة .

(٣) الضَّيْن : الضأن وهو خلاف الماعز من الغنم واحده ضائن .

(٤) جسر : اسم حي .

(٥) تننية قنب وهو البظر، والبظر : ما بين الاسكتين وهما جانبا الحياء .

(٦) يظهر من سياق الشعر أنها قبيلة ولم نعرث عليها .

(٧) البون : الكثيرة اللبن .

(٨) جمع برم وهو الثقل الجافي .

(٩) هذا وصف للتيوس مأخوذ من الهباب وهو هياجها للسفاد ، يقال : هب التيس هباً وهباباً ،

أي هاج .

قَتَلَ بنُ مُرَّةٍ فَقَالَ : مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ يَهْجُو صَنِيتَنَا ! قَالَ وَهُمْ أَجْنَى قَوْمٍ غَضِبًا
لَصِيتِهِمْ وَقَدْ هَجَاهُمْ بَمَا هَجَاهُمْ بِهِ .

قَالَ : وَبَلَغَ إِبْرَاهِيمَ بنَ هِشَامٍ قَوْلُهُ فِي نِسَاءِ بَنِي مُرَّةٍ إِذْ يَقُولُ :
وَمَا سَحَلْتُ إِلَّا لِأَلَامٍ مَنْ مَشَى

فَغَضِبَ ثُمَّ نَذَرَ دَمَهُ ؛ فَهَرَبَ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ فَاتَتْ بِهَا .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ
ضُبَّانٍ الْحَضْرِيُّ قَالَ :

لَقِيَ ابْنُ مِيَادَةَ صَخْرَ بنَ الْجَعْدِ الْحَضْرِيَّ فَقَالَ لَهُ : يَا صَخْرُ ، أَأَعْنَتَ عَلَيَّ
ابْنَ عَمِّكَ الْحَكَمَ بنَ مَعْتَرٍ ! فَقَالَ لَهُ صَخْرُ : لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الشَّرْحَبِيلِ مَا أَعْنَتُهُ
عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ خَيْلُكَ مَا كَانَ يُخَيِّلُ إِلَيَّ ، وَلَقَدْ هَاجَيْتُهُ فَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ
شَجَرَ الْوَادِي يُعِينُهُ عَلَيَّ .

وَمَنْ جَيَّدَ قَوْلَ ابْنِ مِيَادَةَ فِي حَكْمِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا :

صوت

لَقَدْ سَبَقْتُكَ الْيَوْمَ عَيْنَاكَ سَبَقَةً وَأَبْكَأَكَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ مَلَاعِبُهُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْغَلِبُنِي الْهَوَى إِذَا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ
فَإِنْ أَسْتَطِيعُ أَغْلِبُ وَإِنْ يَغْلِبُ الْهَوَى فَمَثَلُ الَّذِي لَاقَيْتُ يُغْلِبُ صَاحِبُهُ

- فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ غِنَاءٌ يُنْسَبُ - يَقُولُ فِيهَا فِي هَجَاءِ حَكْمَ :

لَقَدْ طَالَ حَبْسُ الْوَقْدِ وَقَدْ مُحَارَبِ عَنْ الْمَجْدِ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ بَعْدُ حَاجِبُهُ
وَقَالَ لَهُمْ كَرُُّوا فَلَسْتُ بِأَذْنِ لَكُمْ أَبَدًا أَوْ يُجْصِي التُّرْبَ حَاسِبُهُ

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ .

كان يحسد على مكانه من الوليد :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جلال بن عبد العزيز المرِّي ثم الصاردي عن أبيه :

— قال جلال : وقد رأيتُ ابنَ ميادة في بيت أبي ، قال : قال لي ابنُ ميادة : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مولى من موالى خُرَشة يقال له سُقران يعيب ابنَ ميادة ويحسده على مكانه من الوليد ، فلما اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لسُقران : يا سُقران ، ما علمك في ابن ميادة ؟ قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنه :

لئيمٌ يُباري فيه أبردُ نَهْلاً لئيمٌ أتاه اللؤمُ من كلِّ جانبٍ

فقال الوليد : يا ابنَ ميادة ، ما علمك في سُقران ؟ قال : علمي يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خُرَشة كاتبته على أربعين درهماً ووعدتها — أو قال : وعدته — أن تُجيزه بعشرين درهماً فقَبَضَتْهُ إياها ، فأغنيه عني يا أمير المؤمنين ، فليس له أصلٌ فأحتقره ، ولا فرعٌ فأهتصره ؛ فقال له الوليد : اجتنبه يا سُقران فقد أبلغ اليك في الشَّيْبة ، فقَصَرَ سُقرانُ صاغراً ، ثم أنشدته ، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري ، وأمر لي بمائة لَحْحةٍ وخلفها وراعيها وجاريةٍ بكرٍ وفرسٍ عتيق ، فأختلت ذلك اليومَ وقلتُ :

أعطيتني مائةً صَفْراً مَدَامُهَا كالنخل زَيْنَ أَعْلَى نَبْتِ الشَّرَبِ

ويروى :

كأنها النخلُ رَوَى نَبْتُهَا الشَّرَبُ

(١) مدامها : ماقها وهي أطراف العين . ولعل مسایل الدمع من النافة تصفر إذا رعت ما يحفر من الشجر . وقد نقل صاحب اللسان في مادة « صفر » عن أبي حنيفة « أن الماشية تصفر إذا رعت ما يحفر من الشجر » .

(٢) جمع شربة وهي ما يحفر حول النخلة والشجرة كالحويض ويملاً ماء فتروى منه .

يَسُوقُهَا يَافِعُ جَعْدُ مَفَارِقُهُ مِثْلُ الْغَرَابِ غَذَاهُ الصَّرُّ وَالْحَلَبُ
وَذَا سَيْبٍ صَهْنِيًّا لَهُ عُرْفُ وَهَامَةٌ ذَاتُ فَرْقٍ نَائِيهَا صَخِبُ

لم يذكر الزبير في خبره غير هذه الايات الثلاثة، وهي من قصيدة للرمّاح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرت من مختارها ها هنا طرفاً، وأولها:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِالْعَلْيَاءِ غَيْرَهَا سَافِي الرِّيَّاحِ وَمُسْتَنًى لَهُ طُوبُ
دَارُ لَبِيضَاءِ مُسَوِّدٍ مَسَاحِهَا كَأَنَّهَا ظَيِّبَةٌ تَرْغَى وَتَتَنَصَّبُ

المسائح: ما بين الأذن الى الحاجب من الشعر. وتتصب: تقف إذا ارتفعت منتصباً تتوجس^١.

تَحْنُو لَا كَحَلِّ أَلْقَتُهُ بِضَيْعَةٍ فَقَلْبُهَا شَقَقَا مِنْ حَوْلِهِ يَجِبُ^٢
يقول فيها:

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رَيْقًا بَعْدَ هَجَعَتِهَا وَأَمْلَحَ النَّاسِ عَيْنًا حِينَ تَلْتَقِبُ^٣
لَيْسَتْ تَجُودُ بَنِيْلٍ حِينَ أَسَاحَا وَلَسْتُ عِنْدَ خَلَاءِ اللَّهِوَأَعْتَصِبُ^٤
فِي مَرْفَقَتِهَا إِذَا مَا عَوْنَقْتُ حَجْمَ^٥ عَلَى الضَّجِيعِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَبُ^٦
وَلَيْلَةٍ ذَاتِ أَهْوَالٍ كَوَاكِبُهَا مِثْلُ الْقَنَادِيلِ فِيهَا الزَّيْتُ وَالْعُطْبُ^٧
قَدْ جُبْتُهَا جُوبَ ذِي الْمَقْرَاضِ بِمَطَرَةٍ^٨ إِذَا أَسْتَوَى مُغْفَلَاتُ الْبَيْدِ وَالْحَدَبُ^٩

(١) السيب هنا: شعر الذنب والناصية.

(٢) يقال: استن المطر: أي انصب.

(٣) تتوجس: تسمع وهي خائفة.

(٤) يجب: يخفق ويضطرب.

(٥) الحجم: كثرة اللحم.

(٦) العطب بضمة وبضمين: القطن واحد عطبة، ويريد هنا ذبالة المصباح التي تتخذ من القطن

(٧) المقراض: المقص.

(٨) المطرة: ثوب من صوف يلبس في المطر يتوق به منه.

(٩) كتب مصحح اللسان على هذه الكلمة ما نصه: «قوله مغفلات كذا فيا بأيدينا من النسخ ولعله مغفلات جمع معقلة بفتح فسكون فضم وهي التي تمسك الماء».

(١٠) الحدب: الغليظ المرتفع من الأرض.

بَعَثَرَيْسُ^١ كَانَ الدَّيْرُ^٢ يَلْسَعُهَا إِذَا تَرَّيْمَ حَادٍ خَلَقَهَا طَرْبُ
إِلَى الْوَلِيدِ أَبِي الْعَبَّاسِ^٣ مَا عَجَلْتُ^٤ وَدَوْنَهُ الْمُعْطُ^٥ مِنْ لُبْنَانٍ^٥ وَالْكُتُبُ^٦

وبعد هذا البيت قوله :

أَعْطَيْتَنِي مَائَةً صَفْرًا مَدَامُهَا^٧ الْخُ.

لَمَّا أَتَيْتُكَ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ نَفَحَتْ لِي نَفْعَةً طَارَتْ بِهَا الْعَرَبُ^٨
إِنِّي أُرْوُ^٩ أَعْتَنِي^٩ الْحَاجَاتِ أَطْلُبُهَا^٩ كَمَا أَعْتَنِي^٩ سَنَقُ^٩ يُلْقَى لَهُ الْعُشْبُ^٩

السَّنَقُ : الذي قد شبع حتى بِشِمَ ، يقول : أطلب الحاجة بغير حرص ولا
كَلْبٍ ، كما يعتني هذا البعير البِشِمُ من غير شَرِه ولا شدة طلب .

وَلَا أُلِحُّ عَلَى الْخُلَانِ^{١٠} أَسْأَلُهُمْ كَمَا يُلِحُّ بِعَظْمِ الْغَارِبِ^{١١} الْقَتَبُ^{١٢}
وَلَا أَخَادِعُ نَذْمَانِي^{١٣} لِأَخْدَعِهِ^{١٣} عَنْ مَالِهِ حِينَ يَسْتَرْخِي بِهِ اللَّبَبُ^{١٤}
وَأَنْتَ وَأَبْنَاكَ لَمْ يَوْجِدْ لَكُمْ مَثَلُ^{١٥} ثَلَاثَةِ كَلَمِهِم بِالْتَّاجِ مُعْتَصِبُ^{١٦}
الطَّيِّبُونَ إِذَا طَابَتْ^{١٧} نَفُوسُهُمْ^{١٧} شُوسُ^{١٨} الْحَوَاجِبِ وَالْأَبْصَارِ إِنْ غَضِبُوا^{١٩}

(١) العنتريس : الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم .

(٢) الدير : الزناير، وقيل : النحل .

(٣) كنية الوليد بن يزيد وقد ورد في شعر بشار :

تقسم كسرى رهطه بسيفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم

(٤) المعط : جمع معطاء وهي الأرض التي لا نبات بها .

(٥) لبنان : جبل بالشام وفي معجم البلدان لياقوت في اسم لبنان هو جبل مظل على حمص يحمي
من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام فما كان بفلسطين فهو جبل الحجل وما كان بالأردن
فهو جبل الجليل وبدمشق سنير وبحلب وحماة وحمص لبنان .

(٦) أعتني : أطلب .

(٧) الغارب : الكاهل أو ما بين الظهر أو السنام والعنق . والقَتَبُ معناها رجل البعير .

(٨) الندمان : المنادم على الشراب وربما توسع فيه فاستعمل لكل رفيق ومصاحب .

(٩) اللبب : البال ، والمراد أنه صار في رخاء وسعة ، يقال : استرخت به الحال إذا صار في
حال حسنة بعد ضيق وشدة ، ويقال : فلان في بال رخى ولب رخى أي في سعة وخصب وأمن ،
وأصل اللب ما يشد على صدر الدابة أو الناقة يمنع الرجل أو السرج من الاستغفار .

(١٠) شوس : جمع أشوس من الشوس وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو تقيظاً .

قَسَنِي إِلَى سُعْرَاءِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَدْعُ الرُّوَاةَ إِذَا مَا غَبَّ مَا اجْتَلَبُوا^(١)
إِنِّي وَإِنْ قَالَ أَقْوَامٌ مَدِيحُهُمْ فَأَحْسِنُوهُ وَمَا حَابُوا وَمَا كَذَّبُوا^(٢)
أَجْرِي أَمَامَهُمْ جَرِيَّ أَمْرِي فَلَجْ^(٣) عَنَانُهُ حِينَ يَجْرِي لَيْسَ يَضْطَرِبُ

ابن ميادة وشقران :

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن - أظنّه المدائني - قال أخبرني أبو صالح القراريّ قال :

أقبل شقران مولى بني سلامان بن سعد هذيم أخى عذرة بن سعدا بن هذيم ، قال : وهذيم عبد حبشيّ كان حَضَنَ سعدا فغلبَ عليه ، وهو ابن زيد ابن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة من اليامة ومعه تمر قد أمتاره - فلقية ابن ميادة فقال له : ما هذا معك ؟ قال : تمر أمترته لأهلي يقال له : زُبُّ رُبَاح^(٤) ، فقال له ابن ميادة يُمازحه :

كَأَنَّكَ لَمْ تَقْفُلْ لِأَهْلِكَ تَمْرَةً إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْفُلْ بِزُبِّ رُبَاح^(٥)
فقال له شقران :

فإن كان هذا زُبُّهُ فانطلق به إِلَى نِسْوَةِ سُودِ الْوُجُوهِ رِبَاح^(٦)
فغضب ابن ميادة وَأَمْضَهُ^(٧) وَأَخَى عَلَيْهِ بالسوط فضربه ضربات وأنصرف مغضبا ؛ فكان ذلك سببَ إلهجاء بينهما .

(١) غب : فسد .

(٢) اجتلاب الشعر : استمداده من آخر وقد فسر ابن الاعرابي قول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الرَّاغِمُ إِنِّي اجْتَلَبُ

فقال : معناه اجتلب شعري من غيري أي أسوقه وأستمدّه .

(٣) الفلج : الظفر والفوز . والوصف منه فالج وفلج (بفتح الفاء وسكون اللام) وحركها هنا

للضرورة .

(٤) نوع من تمر البصرة .

(٥) أمضه : آله وأوجعه .

قال حماد عن أبيه وحدّثني أبو علي الكليّ قال :

اجتمع ابن ميادة وشقران مولى بني سلامان عند الوليد بن يزيد، فقال ابن ميادة : يا أمير المؤمنين ، أجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمثلي في حسبي ولا نسي ولا لساني ولا منصبي ! فقال شقران :

لعمري لئن كنت ابن شيخٍ عشيرتي هرقل وكسرى ما أراني مقصراً
وما أمتني أن أكون ابن زوّة^(١) تراها ابن أرض لم تجد متهدداً^(٢)
على حائل^(٣) قاي الصرار^(٤) بكفها فجاءت بخوار^(٥) إذا عض جرجراً^(٦)

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير بن بكار وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ عن زبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خلاد عن أبي أيوب بن عبد العزيز قال :

استأذن ابن ميادة على الوليد بن يزيد وعنده شقران مولى قضاة فأدخله في صندوق وأذن لابن ميادة ؛ فلما دخل أجلسه على الصندوق وأستنشه هجاء شقران فجعل ينشده ، ثم أمر بفتح الصندوق فخرج عليه شقران وجعل يهدر كما يهدر الفحل ويقول :

سأكعم^(٧) عن قضاة كلب قيس على حجر فينصت للكعام
أسير^(٨) أمام قيس كل يوم وما قيس بسائرة أمامي

(١) الزوّة: الوثبة عند السفاد، يقال: ترا الذكر على الأنثى نزا ونزواً إذا وثب عليها عند السفاد .

(٢) ابن الأرض: كناية عن الغريب والمسافر والضعيف والفقير .

(٣) المراد هنا: لم تجد من يمهّرها أو لم تجد مهراً .

(٤) الحائل: غير الحامل، يقال: حالت المرأة والناقة والنخلة وغيرهن إذا لم تحمل .

(٥) الصرار: خيط يشدّ فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها .

(٦) خوار: ضعيف .

(٧) جرجر: صوت .

(٨) الكعم: شدّ فم البعير لئلا يعض أو يأكل وشدّ فم الكلب لئلا ينبع، يقال: كعمه (من باب فتح) إذا شدّ فاه بالكعام . والكعام (وزان كتاب): ما يعكم به . يريد أنه سيلقمه بجرجر .

وعكم مثل كعم معنى ووزنه كضرب .

وقال أيضاً وهو يسمع :

إني إذا الشعراء لاقى بعضهم بعضاً ببلقة يريد نضالها
وقفوا المرئجز الهدير إذا دنت منه البكرة قطعت أبوالها
فتركتهم زمرأ ترمز باللحي منها عنافق قد خلقت سبالها

فقال له ابن ميادة : يا أمير المؤمنين أكف عني هذا الذي ليس له أصل
فأخبره ، ولا فرع فأهصره ؛ فقال الوليد : أشهد أنك قد جرت كما قال شقران :

جاءت بجوار إذا عض جرجرا

تفاخره بشعره :

قال يحيى في خبره : وأجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن
يزيد ، وكان عقال شديد الرأي في اليمن ، فغمز عقال ابن ميادة وأعتلاه ؛
فقال ابن ميادة :

فجرتنا ينابيع الكلام وبحره فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر إلا شعر قيس وخندف وقول سواهم كلفة وتلح

فقال عقال يحبيه :

ألا أبلغ الرماح نقض مقالة بها خطل الرماح أو كان يمزح

(١) الهدير : ترديد البعير صوته في حنجرته . والمرئجز : ما تسمع له صوتاً متتابعاً ، يقال :
ارئجز الرعد إذا سمع له صوت متتابع .

(٢) والبكرة كالبكار : جمع بكرة وهي الغتية من الإبل .

(٣) ترمز : تتحرك .

(٤) العناق : جمع عنقة وهي الشعرات التي بين النقن وطرف الشفة السفلى .

(٥) سبالها : جمع سبلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا ، وقيل : ما على الشارب
من الشعر ، وقيل : مجتمع الشاربين .

(٦) غمزه : عابه وصفر من شأنه .

(٧) تلح : تكلف الملاحه ، يقال : فلان يتظرف ويتلمح أي يتكلف الظرف والملاحه .

لئن كان في قيسٍ وخندفٍ ألسُنٌ طوالٌ وشعرٌ سائرٌ ليس يُقْدَحُ
لقد خرَّقَ الحَيُّ اليانونَ قبلَهُمُ بجورِ الكلامِ تُستَقَى وهي تَطْلُحُ
وَهُمُ عَلِمُوا مَنْ بَعْدَهُمُ فَتَعَلَّمُوا وَهُمْ أَعْرَبُوا هَذَا الْكَلَامَ وَأَوْضَحُوا
فَلِلسَابِقِينَ الْفَضْلُ لَا يُجْحَدُونَهُ وَلِيسَ لِلْمَخْلُوقِ عَلَيْهِمُ تَبَجُّحُ

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه
قال حدثني ابن ميادة قال :

حنينه الى وطنه وحواره مع الوليد :

قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأبائن - وهو موضع كان الوليد يَتَزَلَّهُ في
الربيع - :

لَعَمْرُكَ إِنِّي نَازِلٌ بِأَبَائِنِ لَصَوْرٍ مُشْتَاقٌ وَإِنْ كُنْتُ مُكْرَمًا
أَبَيْتُ كَأَنِّي أَرَمَدُ الْعَيْنِ سَاهِرٌ إِذَا بَاتَ أَصْحَابِي مِنَ اللَّيْلِ نُومًا

قال : فقال لي الوليد : يَا بَنَ مَيَّادَةَ كَأَنَّكَ غَرَضْتُ مِنْ قُرْبِنَا ؛ فَقُلْتُ : مَا
مِثْلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُغَرِّضُ مِنْ قَرْبِهِ ، وَلَكِنْ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَ لَيْلَةَ بِحَرَّةٍ لَيْلِي حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي

(١) لعله بمعنى يعاب .

(٢) تبجح : افتخار وتعظم .

(٣) صوهر : ماء لکلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة مما يلي الشام . ويوم صوهر من أيامهم
المشهورة .

(٤) غرضت : ضجرت ومللت .

(٥) الحرة ارض ذات حجارة سود . وفي ديار العرب حرّات كثيرة ، وأكثرها حوالي المدينة
الى الشام ، ومنها حرة ليلي هذه ، وهي في ديار بني مرة بن عوف من غطفان ، يطؤها الحاج في
طريقهم الى المدينة ، وقال السكري : حرة ليلي معروفة في بلاد بني كلاب ، وأورد قصة الوليد مع
ابن ميادة وهذه الأبيات .

(٦) ربنتي : فعل رباعي ، يقال : ربت الصبي تربتاً أي رباه تربية .

وهل أسمع الدهر أصوات هجّة^١ تطالع من هجل^٢ خصب إلى هجل
بلاد بها نيطت عليّ تمائي وقطن عني حين أدركني عثلي
فإن كنت عن تلك المواطن حابسي فأيسر عليّ الرزق وأجمع إذا شئلي

فقال : كم الهجّة ؟ قلت : مائة ؛ فقال : قد صدرت بها كلها عشراء^٣ .
قال ابن ميادة : فذكرت ولدانا لي بنجد إذا أستطعموا الله عز وجل أطعمهم
وأنا ، وإذا أسسقوه سقاهم الله وأنا ، وإذا أستكسوه كساهم الله وأنا ، فقال :
يا ابن ميادة ، ولم ولدانك ؟ فقلت : سبعة عشر ، منهم عشرة نقر وسبع
نسوة ، فذكرت ذلك منهم فأخذ بقلبي ؛ فقال : يا ابن ميادة ، قد أطعمهم الله
وأمر المؤمنين ، وسقاهم الله وأمر المؤمنين ، وكساهم الله وأمر المؤمنين ؛ أما
النساء فأربع حلل مختلفات الألوان ، وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان ،
وأما السقي فلا أرى مائة لقة إلا سترويهم ، فإن لم تروهم زدتهم عيّن من
الحجاز ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، لسنا بأصحاب عيون يأكلنا بها البعوض ، وتأخذنا
بها الحمايات ؛ قال : فقد أخلفها الله عليك ؛ كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك
العام : مائة لقة وفعلها وجارية بكر وفرس عتيق .

عارض ابن القتال وانتحل بيتا له :

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني شداد
ابن عتبة عن عبد السلام بن القتال قال :

عارضني ابن ميادة فقال : أنشدني يا ابن القتال ، فأنشدته :

(١) الهجّة : القطعة الضخمة من الإبل ، قيل أوتها الأربعون فما زادت ، وقيل هي ما بين
الثلاثين إلى المائة .

(٢) الهجل : المظمن من الأرض .

(٣) العشراء : الناقة التي أتي على حملها عشرة أشهر وجمعها عشار ، وليس في الكلام فعلاء يجمع
على فعال غير عشراء ونفساء .

ألا ليت شعري هل أبيّنت ليلةً بصحراء ما بين الثنوفة والرمّل
 وهل أزرجت العيس شاكية الوجى كما عسل السرحان بالبلد المخل
 وهل أسمعن الدهر صوت حمامة تغني حمامات علي فتني جثل
 وهل أشربن الدهر مزن سحابة على تمديد الأفعاة حاضره أهلي
 بلادها نيطت علي تانمي وقطعن عني حين أدركني عقي

قال : فأتاني الرواة بهذا البيت وقد أصطرفه ميادة وحده .

عندما اجازة الوليد :

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق
 ابن إبراهيم قال حدثني رجل من كلب وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن حماد
 عن أبيه عن أبي علي الكلبي قال :

أمر الوليد بن يزيد لابن ميادة بمائة من الإبل من صدقات بني كلب ، فلما
 أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد ، وهي الغرائب ، وأن يمسكوا
 التلاد ؛ فقال ابن ميادة :

- (١) التوفة : المغازة وقيل الغلاة التي لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة .
- (٢) الوجى : الحفا وقيل شدته .
- (٣) عسل : مضى مسرعاً وأضطرب في عدوه وهز رأسه ، والسرحان : الذئب .
- (٤) الفتن : الفصن ، والجثل : الضخم الكثير الورق .
- (٥) المزن : جمع مزنة وهي المطرة ، وتقال على السحابة البيضاء أو السحابة ذات الماء .
- (٦) التمد والتمد : الماء القليل .
- (٧) الموجود في أسماء الأماكن « أقمى » وقد ذكر في القاموس أنها هضبة لبني كلاب . وذكر
 البكري في معجم ما استعجم ص ٧١٨ أنها ماء في ناحية هضب الوراق لبني الطلاح من بني أسد . وقد
 يرد هذا الاسم في الشعر بالناء فيقال أفعاة . قال بعض الكلابيين :
 هل تعرف الدار بذوي النبات الى البريقات الى الأفعاة
 قال الصاغاني : أدخل الماء في الأفعاة لأنه رغب بها الى الهضبة .
- (٨) لعل أصله استطرفه أي اختاره أو عدّه طريقاً .
- (٩) التلاد : مال قديم ولد عندك أو نتج .

أَلَمْ يَلْبِغْكَ أَنْ الْحَمِيَّ كَلْبًا أَرَادُوا فِي عَطِيَّتِكَ أَرْتَدَادًا
وَقَالُوا إِنَّهَا صُهْبٌ وَوُرُقٌ وَقَدْ أُعْطِيَتْهَا دُهُمًا جَعَادًا
فَعَلِمُوا أَنَّ الشَّعْرَ سَيَلْبِغُ الْوَلِيدَ فَيُغْضِبُهُ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَنْطَلِقْ خُذْهَا صُفْرًا جَعَادًا .

شعره في رثاء الوليد :

وقال يحيى بن عليّ في روايته : لما قُتِلَ الوليد بن يزيد قال ابن ميادة يرثيه :
أَلَا يَا لَهْفَتِي عَلَى وَلِيدٍ غَدَاةً أَصَابَهُ الْقَدَرُ الْمُنْتَاحُ
أَلَا أَبْكِي الْوَلِيدَ فَتِي قُرَيْشٍ وَأَسْمَحُهَا إِذَا عُدَّ التَّيْمَانُ
وَأَجْبِرُهَا لَذِي عَظْمٍ مَهِيضٍ إِذَا ضَبَّتْ بِدَرَّتِهَا اللَّقَاحُ
لَقَدْ فَعَلْتُ بَنُو مَرْوَانَ فِعْلًا وَأَمْرًا مَا يَسُوعُ بِهِ الْقَرَّاحُ
قال يحيى : وغنيّ فيه عُمرُ الوادي ولم يذكر طريقة غنائه .

وغث قريش حيث كان ممين :

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال حدثنا محمد بن زُهَيْرٍ بن مُضَرَّسٍ
الْقَرَارِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

-
- (١) صهب : جمع أصهب أو صهباء ، والصهباء في الإبل : أن يكون في ظاهر الشعر حمرة وفي أصوله اسوداد .
(٢) ورق : جمع أورق أو ورقاء . والورقة : سواد في غبرة وقيل سواد في بياض . قال أبو نصر النعمانيّ : هجر بمجمر ، وآسر بورقاء وصبح القوم على صهباء ، قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن الحمراء أصبر على الهواجر ، والورقاء أصبر على طول السرى ، والصهباء أشهر وأحسن حين ينظر إليها ؛
(٣) الدم : جمع أدم أو دهماء ، والدهمة : السواد .
(٤) جماد : جمع جمعدة من الجمعدة وهي في الإبل التواء وبرها وتقبضه وتقيضها السبوطه وهي الانبساط والاسترسال .
(٥) المنتاح : المقدّر ، يقال : أتاح الله له خيراً أو شراً أي قدره .
(٦) المهيض : المكسور يقال : هاض العظم يهيضه هيضاً فانهاض أي كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينحبر فهو مهيض .
(٧) القراح : الماء الخالص الذي لم يخالطه شيء من سويق ولا غيره .

أَخْصَبَ جَنَابُ الْحِجَازِ الشَّامِيَّ فَالَتْ لَدَيْكَ الْخُصْبُ بَنُو قَزَارَةَ وَبَنُو مُرَّةَ ،
فَتَحَالُوا جَمِيعًا بِهِ . قَالَ : فَبَيْنَا ذَاتَ يَوْمٍ أَنَا وَأَبْنُ مِيَّادَةَ جَالِسَانِ عَلَى قَارَعَةِ الطَّرِيقِ
عِشَاءً إِذَا رَاكِبَانِ يُوجِفَانِ رَاحِلَتَيْنِ حَتَّى وَقَفَا عَلَيْنَا ، فَإِذَا أَحَدُهُمَا بِحَرِّ الرِّيحِ وَهُوَ
عُثْمَانُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ مَعَهُ مَوْكَلٌ لَهُ ، فَتَسَبَّنَا وَأَنْتَسَبَ لَنَا ، وَقَدْ كَانَ
أَبْنُ مِيَّادَةَ يُعَلِّلُنِي بِشَعْرِهِ ، فَلَمَّا أَنْقَضَى كَلَامُنَا مَعَ الْقُرَشِيِّ وَمَوْلَاهُ أَسْتَعَدْتُ أَبْنَ
مِيَّادَةَ مَا كُنَّا فِيهِ ، فَأَنْشَدَنِي غُرًّا لَهُ يَقُولُ فِيهِ :

وَعَلَى الْمُلَيْخَةِ مِنْ جَذِيمَةٍ فُتِيَّةٌ يَتَارِضُونَ تَمَارِضَ الْأُسْدِ
وَتَرَى الْمُلُوكَ الْغُرَّ تَحْتَ قِبَابِهِمْ يَمُشُونَ فِي الْحَلَقَاتِ وَالْقَدَرِ

قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ : كَذَبْتَ ؛ قَالَ أَبْنُ مِيَّادَةَ : أَفِي هَذَا وَحْدَهُ ! أَنَا وَاللَّهِ
فِي غَيْرِهِ أَكْذَبُ ؛ فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ : إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ فِي مَدِيحِكَ قُرَيْشًا فَقَدْ كَفَرْتَ
بِرَبِّكَ وَدَفَعْتَ قَوْلَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ : (لَا يَلَاغِي قُرَيْشٍ) حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ،
وَنَهَضَ هُوَ وَمَوْلَاهُ وَرَكِبَا رَاحِلَتَيْهِمَا ؛ فَلَمَّا فَاتَا أَبْصَارَنَا قَالَ أَبْنُ مِيَّادَةَ :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مَانِعٌ مِنْكَ نَفْسُهُ وَغَثُ قُرَيْشٍ حَيْثُ كَانَ سَمِينُ

هَجَاؤُهُ بَنِي حَمِيسَ :

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الْحَارِثِ الْمُرْتَبِيِّ قَالَ :
كَانَ أَبْنُ مِيَّادَةَ قَدْ هَاجَى رِسْنَانَ بْنَ جَابِرٍ أَحَدَ بَنِي حَمِيسَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ جُهَيْنَةَ
أَبْنِ زَيْدٍ بَنِ لَيْثٍ بَنِ سُودٍ بَنِ أَسْلَمَ ؛ فَقَالَ أَبْنُ مِيَّادَةَ لَهُ فِيمَا قَالَ مِنْ هَجَائِهِ :

- (١) تَحَالُوا فِي كَذَا أَيْ حَلُّوا مُتَجَاوِرِينَ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلزَّوْجَةِ حَلِيلَةٌ لِأَنَّهَا تَحَالُ زَوْجَهَا فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ .
- (٢) يُوْجِفَانِ : يَحْتَانِ .
- (٣) فَتَسَبَّنَا : سَأَلْنَا أَنْ نَنْتَسِبَ .
- (٤) يُعَلِّلُنِي : يَشْغَلُنِي وَيُلْهِمُنِي ، يُقَالُ : عَلَّلَهُ بِالْخَدِيثِ أَوْ بِالطَّعَامِ إِذَا شَغَلَهُ بِهِ .
- (٥) هِيَ مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَكَانَ بِهِ يَوْمَ بَيْنَ بَنِي يَرْبُوعَ وَبِسْطَامَ بْنِ قَيْسِ الشَّيْبَانِيِّ . وَمِلْحَةٌ .
- اسْمُ جَبَلٍ أَيْضًا فِي غَرْبِ سُلَيْمَى أَحَدِ جِبَلِي طَبِئٍ وَهُوَ آبَارُ كَثِيرَةٌ وَطَلْحٌ .
- (٦) التَّارِضُ : أَنْ يَرَى مِنْ نَفْسِهِ الْمَرَضَ وَلَيْسَ بِهِ .
- (٧) الْقَدَرُ (بِالْكَسْرِ) : سَيُورٌ تَقْدَرُ مِنْ جِلْدٍ فَظِيرٍ غَيْرِ مَدْبُوعٍ يَشُدُّ بِهِ الْأَسِيرَ .

لقد طالما عللتُ حجراً وأهله بأعراض قيس يا سنان بن جابر
أأهجو قريشاً ثم تكره ربيتي ويسر قني عريضي حميس بن عامر

قال : وقال فيهم أيضاً :

قصار الخطى فرق الخصى زمر اللحي كأنهم ظرني أهترشن على لحم
ذكرت حمام القنيط لما رأيتهم يمشون حولي في ثيابهم الدسم
وتبدي الحنسيات في كل زينة فروجا كأنار الصغار من البهم

قال : ثم إن ابن ميادة خرج ينبغي إبلأ له حتى ورد جباراً - وهو ماء حميس بن عامر - فألقى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنت ، فنشدها إبله فذكرتها له وقالت : بمن أنت ؟ قال : رجل من سليم بن منصور ؛ فأذنت له وقالت أدخل حتى نقرتيك وقد عرفته وهو لا يدري ؛ فلما قرأته قال ابن ميادة : وجدت ريح الطيب قد نفح علي من البيت ، فإذا بنت لها قد هتكت الستر ، ثم استقبلتني وعليها إزار أحمر وهي مؤثرة به ، فأطلقتها وقالت : انظر يا ابن ميادة الزانية ! أهذا كما نعت ! فلم أر امرأة أضخم قبلاً منها ؛ فقالت : أهذا كما قلت :

وتبدي الحنسيات في كل زينة فروجا كأنار الصغار من البهم

قال : قلت : لا والله يا سيدي ، ما هكذا قلت ولكن قلت :

(١) جمع أفرق، من الفرق وهو تباعد ما بين الحصيتين ويقال للشاة البعيدة ما بين الحصيتين فرقاء.

(٢) لعله بمعنى « مجتمعو اللحم » .

(٣) الظنن : جمع ظنربان وهي دويبة كالهرمة منقطة الراحمة . ويقال : إن أبا الطيب المتني لقي أبا علي الفارسي فقال له أبو علي : كم لنا من الجموع على فعلی (بالكسر) . فقال أبو الطيب بنسبة : حبلي وظرني ولا ثالث لهما . فما زال أبو علي يبحث هل يستدرك عليه ثالثاً فلم يمكن إلا ذلك . واهترشن : توائبن وتقاتلن .

(٤) يمشون لازم كيمشون .

(٥) الدسم : الوسخة .

(٦) جبار : ماء لبني حميس بن عامر بن ثعلبة بين المدينة وفيد .

وتبدي الحَمِيسَاتُ في كلِّ زينةٍ فُروجاً كآثارِ المُقَيَّرَةِ الدُّهَمِ.

وأنصرف يتشَبَّب بها ، فذلك حين يقول :

نَظَرْنَا فَهَا جَتْنَا عَلَى الشَّوْقِ وَالْهَوَى لَزِينَبَ نَارُ أَوْقَدَتْ بِجُبَارِ
كَأَنَّ سَنَاهَا لَاحَ لِي مِنْ خَصَاصَةٍ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَالْمَطِيَّ سَوَارِي
حَمِيسِيَّةٌ بِالْمِلَتَيْنِ مَحَلُّهَا تَمُدُّ بِجَلْفٍ بَيْنَنَا وَجَوَارِ

قال أبو داود : وكانت بنو حميس حلفاء لبني سهم بن مرة ، ثم للحصين بن الحُمام . وتمدَّت وتمَّت واحد .

رجع الى الشعر

تَجَاوَرُ مِنْ سَهْمِ بْنِ مُرَّةٍ نِسْوَةٌ بِمُجْتَمَعِ النَّقَبِينَ غَيْرَ عَوَارِي
نَوَاعِمَ أَبْكَارٍ كَأَنَّ عِيُونَهَا عِيُونُ ظَبَاءٍ أَوْ عِيُونُ صَوَارِ
كَأَنَّ زَاهَا وَهِيَ مَنَاءُ قَرِيبَةٍ عَلَى مَتْنِ عَصَاهُ الْيَدَيْنِ نَوَارِ
تَتَّبَعُ مِنْ حَجَرٍ ذُرًّا مُتَمَتِّعٍ لَهَا مَعْقِلٌ فِي رَأْسِ كُلِّ طَلَارِ
يَدُورُ بِهَا ذُو أَسْهَمٍ لَا يَنَالُهَا وَذَوِ كَلْبَاتٍ كَالْقَيْسِيَّ ضَوَارِي
كَأَنَّ عَلَى الْمَتْنَيْنِ مِنْهَا وَدَرِيَّةٌ سَقَّتْهَا السَّوَاكِي مِنْ وَدِيِّ دَوَارِ

(١) المقيسة : الإبل المسان ، يقال : هذه مقيسة بني فلان ، أي إبلم المسان .

(٢) الصوار هنا : القطيع من البقر ، ويقال أيضاً على وعاء المسك وقد جمع الشاعر بينها بقوله :

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا نفح الصوار

(٣) العصاه : ما يكون في ذراعها بياض من الظباء والوعول .

(٤) نوار : نفور .

(٥) اسم لمواقع منها جبل في بلاد غطفان .

(٦) الطلار : اسم المكان المرتفع ، يقال : أنصب عليهم فلان من طهار أي من مكان عال .

(٧) وصف للكلمات ، وهو جمع ضارية أي المتعومة الصيد ، يقال : ضرى الكلب بالصيد ضراوة

أي تعوّد وأضره صاحبه أي عوده وأغراه به .

(٨) الودية : واحد الودي وهو فسيل النخل وصغاره ، وهي هنا كناية عن الضغيرة من الشعر .

يَظَلُّ سَحِيقُ الْمِسْكِ يَقْطُرُ حَوْهَا إِذَا الْمَاشِطَاتُ أَحْتَفَنَهُ بَدَارِي
وما رَوْضَةُ خَضْرَاءُ يَضْرِبُهَا النَّدَى بِهَا قُنَّةٌ مِنْ حَنَوَةٍ وَعَرَارٍ
بَاطِيْبٌ مِنْ رِيحِ الْقَرَنْفُلِ سَاطِعًا بِمَا أَتَفَّ مِنْ دِرْعٍ لَهَا وَخَارٍ
وما ظَلِيْبَةٌ سَاقَتْ لَهَا الرِّيحُ نَفْعَةً عَلَى غَفْلَةٍ فَاسْتَسَمِعَتْ لِحَوَارٍ
بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَامَتْ فَأَتَلَعَتْ عَلَى شَرَكٍ مِنْ رَوْعَةٍ وَنِفَارٍ
فَلَيْتَكَ يَا حَسَنَاءُ يَا بَنَةَ مَالِكٍ يَبِيعُ لَنَا مِنْكَ الْمَوَدَّةَ شَارِي

ابن ميادة وزينب بنت مالك :

وأخبرني بهذا الخبر الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبو حرملة منظور
ابن أبي عدي القراري ثم المنطوري عن أبيه قال حدثني رماح بن أبرد قال :
خرجت قافلًا من السَّلْعِ إلى نجد حتى إذا كنت ببعض الأهضام الحرة (هكذا)
في نُسُخَتِي ، وأظنه هضاب الحرة (رُفِعَ لي بيت كالطراف العظيم ، وإذا بفنائنه
غنم لم تَسْرَحْ ، فقلت : بيت من بيوت بني مرة وبني من العينة إلى اللبن ما
ليس بأحد ، فقلت : آتيهم فأسلم عليهم وأشرب من لبنهم ، فلما كنت غير بعيد

(١) القنة : الجبل الصغير . والخنوة : نبات سهلي طيب الريح . والعرار : بهار ناعم أصفر
طيب الريح .

(٢) الحوار : صوت البقر والغنم والظباء .

(٣) أتلت : مدت عنقها متطاولة .

(٤) الشراك : حباله الصائد .

(٥) شاري أي بائع ، يقال : شراه إذا باعه .

(٦) عرف باسم « سلع » جبل بقرب المدينة .

(٧) الأهضام : جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المظعن من الأرض .

(٨) هذه العبارة المصورة بين قوسين واردة في أغلب النسخ ما عدا نسخة ح . والظاهر أنها
ليست من كلام أبي الفرج وإنما هي حاشية وجدت على بعض نسخ الأغاني فأدخلها الناسخ في أصل
الكتاب لأن صاحب الأغاني روى هذا الخبر عن الحرمي ولم يذكر أنه نقلها من كتاب .

(٩) الطراف بيت من آدم ليس له كفاء (ستره تكون في مؤخر البيت من أعلاه إلى أسفله)

وفي بعض النسخ : « الظرب » والظرب ككتف : الراية أو الجبل المنبسط .

(١٠) العيمة : شهوة اللبن ، يقال : عام الرجل إلى اللبن يعام ويعيم عيماً وعيمة إذا اشتهاه .

سَلَّمْتُ فَرَدَّتْ عَلَيَّ أَمْرًا بَرْزَةً بَفَنَاءِ الْبَيْتِ ، وَحَيَّتْ وَرَحَّبَتْ وَأَسْتَزَلَّتْنِي فَزَلْتُ ،
فَدَعَتْ بَلْبَنَ وَلِبْلَاءَ وَرَسَلًا مِنْ رَسَلِ تِلْكَ الْغَنَمِ ، ثُمَّ قَالَتْ : هَيَّا فَلَانَةُ أَلْبَسِي
شَفًّا وَأَخْرُجِي ، فَخَرَجْتُ عَلَيَّ جَارِيَةً كَأَنَّهَا شَمْعَةٌ مَا رَأَيْتُ فِي الْخَلْقِ لَهَا نَظِيرًا
قَبْلُ وَلَا بَعْدُ ، فَإِذَا شَفُّهَا ذَاكَ لَيْسَ يُوَارِي مِنْهَا شَيْئًا وَقَدْ نَبَا عَنْ رَكْبِهَا مَا
وَقَعَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوْبِ فَكَأَنَّهُ قَعْبٌ مُكْفَأٌ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا بَنَ مِيَادَةَ الْحَبِيثَةِ ،
أَأَنْتِ الْقَائِلُ :

وَتُبْدِي الْحَمِيسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُرُوجًا كَأَثَارِ الصَّغَارِ مِنَ الْبَهْمِ ؟

فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ يَا سَيِّدَتِي - مَا قُلْتُ هَذَا قَطْ ،
وَلِنَا قُلْتُ :

وَتُبْدِي الْحَمِيسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُرُوجًا كَأَثَارِ الْمُقَيْسِرَةِ الدُّهْمِ .

قَالَ : وَكَانَ يُقَالُ لِلْجَارِيَةِ الْحَمِيسِيَّةِ : زَيْنَبُ بِنْتُ مَالِكٍ ، وَفِيهَا قَالَ ابْنُ
مِيَادَةَ قَصِيدَتَهُ :

أَلِمَّا فَرُورًا الْيَوْمَ خَيْرَ مَزَارِ

اعطاء الوليد جارية فقال شعرا :

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
مُوْهَبُ بْنُ رَشِيدٍ الْكِلَابِيُّ قَالَ :

(١) البرزة : المرأة المتجاهرة تبرز للناس ويجلس اليها القوم وهي مع ذلك عفيفة عاقلة .

(٢) البأ : أول الابن عند التناج . والرسل : الابن .

(٣) الشف من الثياب : الرقيق ، يقال : شف الثوب عن المرأة يشف شفوفاً وشفيغاً فهو شف
أي رق حتى يرى ما خلفه .

(٤) الركب : ظاهر الفرج ، وقيل : هو الفرج نفسه .

(٥) القعب : القدح الضخم الغليظ الجاني ، وقيل قدح من خشب مقعر . والمكفأ : المقلوب يقال
أكفأ الشيء أي كبه وقلبه ككفأه .

أعطى الوليد بن يزيد ابن ميادة جارية طبرية أعجمية لا تُفصح، حسناء جميلة كاملة لولا العجمة، فعشقتها وقال فيها :

جزاك الله خيراً من أمير فقد أعطيت مبراداً سخوناً
بأهلي ما أذكرك عند نفسي لو أنك بالكلام تُعزينا
كانك ظبية مضعت أراكاً بوادي الجزع حين تبغميناً

ملاحاة ابن ميادة :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إسحاق بن شعيب بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة قال :

وردت على بني فزارة ساعياً ، فأتاني ابن ميادة مسلماً علي ، وجاءتني بنو فزارة ومعها رجل من بني جعفر بن كلاب كان لهم جاراً وكان مُحْطَطاً مَوْسوماً بجمل ، فلما رأيته أعجبني ، فأقبلت على بني فزارة وقلت لهم : أي أخوالي هذا ؟ فوالله إنه ليسرني أن أرى فيكم مثله ؛ فقالوا : هذا - أمتع الله بك - رجل من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جار . قال : فأصغى إلي ابن ميادة ، وكان قريباً مني ، وقال : لا يغرتك - بأبي أنت - ما ترى من جسمه فإنه أجوف لا عقل له ؛ فسمعه الجعفري فقال : أفي تقع يا ابن ميادة وأنت لا تقري ضيفك ؟ فقال له ابن ميادة : إن لم أقره قراه ابن عمي وأنت لا تقري ولا ابن عمك . قال ابن عمران : فضحكت مما شهد به ابن ميادة على نفسه .

كان بخيلاً لا يكرم اضيافه :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن

(١) نسبة الى طبرستان من بلاد الفرس وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم .

(٢) التبغيم : ترخيم الصوت .

(٣) ساعياً : جايئاً صدقاتهم .

(٤) مُحْطَطاً : جليلاً .

المعلّى بن نوح الفزاريّ قال حدثني خال لي كان شريفاً من سادات بني
فزارة قال :

ضفتُ ابن ميادة فأكرمني وتحفّى^(١) بي وفرّغ لي بيتاً فكننتُ فيه ليس معي
أحد ، ثم جاءني بقدرح ضخم من لبن إبله فشربته ثم ولى ، فلم ينسب أن جاءني
بآخر فتناولتُ منه شيئاً يسيراً ، فما لبثتُ حتى عاد بآخر فقلتُ : حسبك يارمّاح
فلا حاجة لي بشيء ؛ فقال : أشرب بأبي أنت ، فوالله لربما بات الضيفُ عندنا
مدحوراً^(٢) .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مُصعب عن جدّي عبد الله
ابن مُصعب قال :

أتينا ابن ميادة نتلّي منه الشعر ؛ فقال لنا : هل لكم في فضل شئتي^(٣) ؟
فظلناها تمراً ، فقلنا له : هات ، لنبسطة بذلك ، فإذا شئتي فيها فضلة من خمر قد
شرب بعضها وبقي بعض^(٤) ، فلما رأيناها قننا وتركناه .

وليمة يضرب فيها الناس بالسياط :

أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكثيري
قال حدثني نعمة الغفاريّ قال :

قديم ابن ميادة المدينة فدُعي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها
الوليمة حرساً يضربون الزلايين^(٥) بالسياط يمنعونهم من الدخول ، فرجع وهو يقول :

(١) تحفّى بي أي بالغ في برّي والسؤال عن حالي .

(٢) مدحوراً : مطروداً .

(٣) الشئتي : الخلق من كل آتية صنعت من جلد ، ويقال للسقاء شئتي ، وللقربة شئتي .

(٤) الزلايون : الطفيلون نقل ابن برّي عن ابن خالويه أن من أسماء الطفيلي الزلا .

ولما رأيتُ الأصبَحِيَّةَ قَنَعْتُ^(١) مفارقَ شُطْرٍ حيثُ تُلَوَّى العائِمُ
تركتُ دِفَاعَ البابِ عمَّا وراءه وقلتُ صحيحٌ من نَجَا وهو سالمٌ

من تركت عند نساك :

أخبرني يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال :

قال الوليد بن يزيد لابن ميادة في بعض وفاداته عليه : مَنْ تركت عند
نساك ؟ قال : رَقِيبَيْن لا يُخَالِفَانِي طَرْفَةَ عَيْنٍ : الْجُوعُ والعَرِي . وهذا القول
والجواب يُروى أَنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز وعقيل بن عُلفَةَ تَرَاجَعَا ، وقد ذُكِرَا
في أخبار عقيل .

مدحه لأبي جعفر المنصور :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ قال حدثني عمي
مُصْعَبُ وأخبرني محمد بن مزيد قال : حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْرِ
وأخبرنا يحيى بن عليّ قال : حدثنا أبو أيوب المدينيّ عن مُصْعَبِ :

أَنَّ ابْنَ مِيَادَةَ مَدَحَ أَبَا جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعَيْسُ بِالرَّمَّاحِ

ثم خرج من عند أهله يُريدُه ، فَوَّعَ على إبله فخلّبت له ناقةً من إبله ، وراح
عليه راعيه بلبنها فشربه ثم مَسَحَ على بطنه ثم قال : سبحان الله ! إِنَّ هَذَا هُوَ
الشَّرُّ ! يكفيني ابن بَكْرَةَ وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج واغترب في طلب المال !
ثم رَجَعَ فلم يخرج . وهذه القصيدة من جيّد شعر ابن ميادة ، أوّلها :

(١) الأصبَحِيَّة : السياط نسبة إلى ذي أصبح ملك من ملوك حمير .

(٢) قَنَعْتُ أي علت الرأس ، يقال : قنع فلان رأس الجبل أي علاه ، وقنعت فلاناً بالسيف
والسوط أي علوته به .

وكواعبٍ قد قلنَ يومَ تواعدٍ قولَ المِجْدَةِ وهنَّ كالْمُزَاحِ
يا ليتنا في غيرِ أمرٍ فادِحِ طَلَعَتْ عَلَيْنَا العِيسُ بِالرِّمَاحِ
يَئِنَّا كَذَاكَ رَأَيْتَنِي مُتَعَصِّباً بِالْخَرِّ فَوْقَ جُلَالَةِ سِرْدَاحِ
فِيهِنَّ صَفراءُ الْمَعاصِمِ طُفْلَةٌ بِيضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ الثُّغَاخِ
فَنظُرْنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ بِأَعْيُنِ مَرْضَى مُخَاظِطِهَا السَّقَامُ صَحَاخِ
وَأَرْتَشْنَ حِينَ أَرْدُنَ أَنْ يَرْمِيَنِي نَبَلًا بِلَا رِيَشٍ وَلَا بِقِدَاخِ

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم :

فَلْتُنْ بَقِيْتُ لِأَلْحَقْنَ بِأَبْخَرِ يَنْبِيْنَ لَا قُطْعَ وَلَا أَتْزَاحِ
وَلَا تَيْنَ بَنِي عَلِيٍّ إِنْهُمْ مَنْ يَأْتِهِمْ يُتَلَقَّ بِالْإِفْلَاحِ
قَوْمٌ إِذَا جَلِبَ الثَّنَاءُ إِلَيْهِمْ يَبْعُ الثَّنَاءَ هُنَاكَ بِالْأَرْبَاحِ
وَلَا جِلْسَنَ إِلَى الْخُلَيْفَةِ إِنَّهُ رَحْبُ الْقِنَاءِ بَوَاسِعَ بَعْجَاحِ

وهي قصيدة طويلة .

نزل مطر شديد وصواعق فانشد :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحاق بن أيوب بن سلمة قال :
اعتمرت^٨ في رجب سنة خمس ومائة ، فصادفني ابن ميادة بمكة وقديما معتمرا ،

(١) الجلالة : الناقة العظيمة . والسرداح : الناقة الطويلة ، وقيل : الكثيرة الله .

(٢) الطفلة (بالفتح) : الجارية الرقيقة البشرة الناعمة .

(٣) الغريضة : الطرية .

(٤) ارتشن نبلا : آخذن لها ريشا .

(٥) لا قطع : جمع أقطع وهو الذي انقطع ماؤه .

(٦) أتراح : جمع ترح وهو ما ترح أكثر مائه ، وهو أيضا الماء الكدر .

(٧) كتب في هامش إحدى النسخ على هذا البيت (يعني علي بن عبد الله بن العباس ا هـ) وهو أصغر أولاد عبد الله بن عباس ولكنه تقدمهم لظرفه ونبله وقد أتره عبد الملك بن مروان الحميمة ببلاد الشام فلبث فيها حتى مات .

(٨) اعتمرت : حججت .

فأصابنا مطر شديد تهدمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق ، فجلس إليّ ابن ميادة
 الغد من ذلك اليوم ، فجعل يأتيني قوم من قومي وغيرهم فاستخبرهم عن ذلك الغيث
 فيقولون : صَيعَ فلان وأنهدم منزل فلان؛ فقال ابن ميادة : هذا الغيث لا الغيث ؛
 فقلت : فما الغيث عندك ؟ فقال :

سحائبُ لا مِن صَيِّبٍ ذِي صَوَاعِقٍ ولا مُحَرِّقَاتٍ ماؤُهُنَّ حَمِيمٌ
 إِذَا ما هَبَطْنَ الأرضَ قد ماتَ عودُها بَكَيْنَ بها حتى يَعِيشَ هَشِيمٌ

كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني موسى بن زهير عن أبيه قال :
 جلست أنا وعيسى بن عُمَيْلَةَ وابن ميادة ذات يوم ، فأنشدنا ابن ميادة شعره
 مَلِيًّا ، ثم أنشدنا قوله :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةَ بَحْرَةَ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي
 بِلَادُهَا نِيْطَتْ عَلَيَّ تَقَامِي وَقُطِّلْنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكْنِي عَقْلِي
 وَهَلْ أَسْمَنُ الدَّهْرَ أَصْوَاتُ هَجْتِهِ تَطَالَعُ مِنْ هَجَلٍ خَصِيبٍ إِلَى هَجَلٍ
 صَهْنِيَّةٍ صَفَاءُ تُلْقِي رِبَاعَهَا بُنْعَرَجِ الصَّانِ وَالْجَرَعِ السَّهْلِ
 تُلْقِي رِبَاعَهَا : تَطَرَّحَ أَوْلَادُهَا . وَوَاحِدَ الرَّبَاعِ رُبْعُ .

وَهَلْ أَجْمَنُ الدَّهْرَ كَفِّيَّ جَمْعُهُ بِمَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ ذَاتِ شَوَى عَبْلٍ

(١) الغيث بالعين المهملة : الفساد .

(٢) الصَّان : أرض غليظة دون الجبل ، ويطلق على جبل ينقاد ثلاث ليال وليس له ارتفاع بين
 البصرة ومكة ، يخرج المسافر من البصرة الى مكة فيسير الى كاظمة ثلاثاً ثم الى الدَّوِّ ثلاثاً ثم الى
 الصَّان ثلاثاً ثم الى الدهناء ثلاثاً .

(٣) الجرَع : الرملة السهلة المستوية .

(٤) الشوى : الأطراف : البدان والرجلان والرأس . والعبل : الضخم .

مُحَلَّلَةٌ لِي لَا حَرَامًا أَتَيْتُهَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ حِينَ تَرَكْتُ فِي الْحِجْلِ
ثَمِيلٌ إِذَا مَالَ الضَّجِيعَ بَعِطْنَهَا كَمَا مَالَ دَعَصٌ مِنْ ذُرًّا عَقِدَ الرَّمْلَ
فَقَالَ لَهُ عَيْسَى بْنُ عُمَيْلَةَ : فَأَيْنَ قَوْلُكَ يَا أَبَا الشَّرْحَبِيلِ :

لَقَدْ حَرَمْتَ أُمِّي عَلَيَّ عَدِمْتُهَا كَرَأْتُمْ قَوْمِي ثُمَّ قَلَّةٌ مَالِيَا

فَقُلْتُ لَهُ : فَاعْطِفْ إِذْنِي إِلَى أُمِّ بَنِي سُهَيْلٍ فَهِيَ أَعْنَدُ وَأَنْكَدُ ، وَقَدْ كُنْتُ
أُظَنُّ أَنْ مِيَادَةَ قَدْ ضَرَبْتَ جَاشِكُ عَلَى الْيَأْسِ مِنَ الْحَرَاثِ ، وَأَنَا أَدَاعِبُهُ وَأُضَاحِكُهُ ؛
فَضَحَكَ وَقَالَ :

أَلَمْ تَرَ قَوْمًا يَنْكِحُونَ بِمَالِهِمْ وَلَوْ خَطَبْتُ أَنْسَابَهُمْ لَمْ تُرَوِّجِ

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ وَغَيْرُهُ :

أَنَّ حُسَيْنَةَ الْيَسَارِيَّةَ كَانَتْ جَمِيلَةً - وَآلُ يَسَارٍ مِنْ مَوَالِي عُثْمَانَ رِضْوَانُ اللَّهِ
عَلَيْهِ يَسْكُنُونَ تَيَّاءَ ، وَلَهُمْ هُنَاكَ عَدَدٌ وَجَلَدٌ ، وَقَدْ أَنْتَسَبُوا فِي كَلْبٍ إِلَى يَسَارٍ
أَبْنُ أَبِي هَنْدٍ فَقِيلَ لَهُمْ بَنُو كَلْبٍ - قَالَ : وَكَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا يَقَالُ لَهُ :
عَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَسَارٍ ، وَكَانَ أَبْنُ مِيَادَةَ يَزُورُهَا ؛ وَفِيهَا يَقُولُ :

سَتَاتَيْنَا حُسَيْنَةَ حَيْثُ شِئْنَا وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْفُ بَنِي يَسَارٍ

قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا يَوْمًا فَوَجَدَ أَبْنُ مِيَادَةَ عِنْدَهَا ، فَهَمَّ بِهِ هُوَ وَأَهْلُهَا ؛
فَقَاتَلَهُمْ وَعَاوَنَتْهُ عَلَيْهِمْ حُسَيْنَةُ حَتَّى أَفْلَتَ أَبْنُ مِيَادَةَ ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

(١) الحجل بفتح الحاء المهملة وكسرها : الخلل .

(٢) الدعص (بالكسر) : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكتيب منه المجتمع ، جمعه دعص
(كعب) وأدعاص ودعصة (كعبية) .

(٣) العقد : التراكم من الرمل .

(٤) قال في اللسان (مادة جأش) : « وقال مجاهد في قوله تعالى : (يأتينا النفس المطمئنة) :
هي التي أيقنت أن الله ربهَا وضربت بذلك جأشاً . قال الأزهرى : معناه : قوت يقيناً واطمأننت كما
يضرب البعير بصدره الأرض » . والمعنى هنا : أنها جعلت قلبه على يأس من الاقتران بالحرار لا لخطا
نسبها .

لقد ظَلْتُ تُعَاوُنِي عَلَيْهِمْ صَمُوتُ الْحَجَلِ كَاطِمَةُ السَّوَارِ
وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ يُقَطِّعُ سَلَحَهُ خَلْفَ الْجِدَارِ

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدثني
عبد الله بن خالد بن دُفَيْفٍ التَّغْلِبِيُّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن نُمَيْرَةَ العدوي عن
أبي العلاء بن وثَّاب قال :

زار سليمان بن عبد الملك ومدحه :

قَدِمَ ابْنُ مِيَادَةَ الْمَدِينَةَ زَائِرًا لِعَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ أَمِيرُهَا
وَكَانَ يَسْمُرُ عِنْدَهُ فِي اللَّيْلِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي أَهَمُّ أَنْ أُتْرَجَ ،
فَأُبْعُوْنِي أَيْمًا ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مِيَادَةَ : أَنَا أَذُوكَ ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ قَالَ : عَلَى
مَنْ يَا أَبَا الشَّرَحْبِيلِ ؟ قَالَ : قَدِمْتُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَدَخَلْتُ مَسْجِدَكُمْ فَإِذَا أَشْبَهَ
شَيْءٌ بِهِ وَبَيْنَ فِيهِ الْجَنَّةُ وَأَهْلُهَا ، فَوَاللَّهِ لَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِيهِ إِذْ قَادَتْنِي رَاغِيَةٌ عِطْرُ
رَجُلٍ حَتَّى وَقَفْتُ بِي عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَقَعَ بَصَرِي عَلَيْهِ اسْتَلْهَانِي حُسْنُهُ فَمَا أَقْلَعْتُ عَنْهُ
حَتَّى تَكَلَّمْتُ ، فَخَلَّتْهُ لَمَّا تَكَلَّمْتُ يَتَلَوُ زُبُورًا أَوْ يَدْرُسُ إِنْجِيلًا أَوْ يَقْرَأُ قُرْآنًا حَتَّى
سَكَتَ ، فَلَوْلَا مَعْرِفَتِي بِالْأَمِيرِ لَشَكَّكْتُ أَنَّهُ هُوَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مُصَلَّاهُ إِلَى دَارِهِ ،
فَسَأَلْتُ : مَنْ هُوَ ؟ فَأَخْبَرْتُ أَنَّهُ لِلْحَيَيْنِ وَبَيْنَ الْخَلِيفَتَيْنِ ، وَأَنْ قَدْ نَالَتْهُ وَلَادَةٌ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا نُورٌ سَاطِعٌ مِنْ غُرَّتِهِ وَذَوَابِتِهِ ، فَنَعِمَ الْمُتَنَكِّحُ
وَنَعِمَ حَشْوُ الرَّحْلِ وَأَبْنُ الْعَشِيرَةِ ، فَإِنْ أَجْتَمَعْتَ أَنْتَ وَهُوَ عَلَى وَلَدٍ سَادَ الْعِبَادُ
وَجَابَ ذِكْرَهُ الْبِلَادُ . فَلَمَّا قَضَى ابْنُ مِيَادَةَ كَلَامَهُ قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ وَمَنْ حَضَرَهُ :
ذَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ :

لَهُمْ نَبُوءَةٌ ۚ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ وَكُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ فَهُوَ مُقَسَّمٌ

(١) كاطمة : من كظم أي صمت ، والسوار من حليّ اليمين معروف . والمعنى أن خلقها—
وسوارها لا يسمع لها صوت لامتلائها بمصمها وساقها .

(٢) النبوة : ما ارتفع من الأرض ، وهي هنا كناية عن العلو والارتفاع .

قال يحيى بن علي : ومأ مدح به عبد الواحد لما قدم عليه قوله :

مَنْ كَانَ أَخْطَاهُ الرَّيِّعُ فَإِنَّمَا نُصِرَ الْحِجَازُ بِغَيْثِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
إِنَّ الْمَدِينَةَ أَصْبَحَتْ مَعْمُورَةً يُتَوَجَّحُ حُلُورُ الشَّامِلِ مَا جَدِرَ
وَلَقَدْ بَلَغَتْ بِغَيْرِ أَمْرِ تَكْلُفٍ أَعْلَى الْخُطُوطِ بِرَغَمِ أَنْفِ الْحَاسِدِ
وَمَلَكَتْ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ وَيَثْرِبِ مُلْكًا أَجَارَ لِمُسْلِمٍ وَمُعَاهِدِ
مَالِيهَا وَدَمِيهَا مِنْ بَعْدِ مَا غَشَى الضَّعِيفَ شُعَاعُ سَيْفِ الْمَارِدِ

امر من مر واحلى من عسل :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن زيد السلمي قال :

إِنَّا لَتُرُولُ أَنَا وَأَصْحَابُ لِي قَبْلَ الْفِطْرِ بِثَلَاثِ لَيَالٍ عَلَى مَاءٍ لَنَا ، فَإِذَا رَاكِبٌ
يَسِيرُ عَلَى جِلٍّ مُلْتَفٍّ بِثُوبٍ وَالسَّمَاءُ تَغْشَاهُ حَتَّى أَنَاخَ إِلَى أَجْمٍ عَرَفْتَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ
لَثَقًا قُمْنَا إِلَيْهِ فَوَضَعْنَا رَحْلَهُ وَقَيَّدْنَا جَمْلَهُ ، فَلَمَّا أَقْلَعَتِ السَّمَاءُ عَنَّا وَهُوَ مَعَنَا قَاعِدٌ قَامَ
غَلْمَةٌ مَنَّا يَرْتَجِزُونَ وَالرَّجُلُ لَمْ يَنْتَسِبْ لَنَا وَلَا عَرَفْنَاهُ ، فَارْتَجِزُوا أَحَدُهُمْ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مِيَادَةَ لِبَاسُ الْخَلَلِ أَمْرٌ مِنْ مُرٍّ وَأَحْلَى مِنْ عَسَلٍ

حتى قال له الرجل : يا ابن أخي ، أتدري من قال هذا الشعر ؟ قال : نعم ، ابن ميادة
قال : فأنا هو ابن ميادة الرماح بن أبرد ، وبات يُعَلِّلُنَا مِنْ شَعْرِهِ ، وَيَقْطَعُ عَنَّا
الَلِيلَ بِنَشِيدِهِ ، وَسَرَيْنَا رَاغِلِينَ فَصَبَّحْنَا مَكَّةَ فَقَضَيْنَا نُسُكَنَا ، وَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنْ
قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مِرَّةٍ فَعَرَفَهُمَا وَعَرَفَاهُ وَأَفْطَرْنَا بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ يَوْمَ
الْفِطْرِ إِذَا نَحْنُ بِفَارَسَيْنِ مُسَوَّدَيْنِ وَرَاغِلَيْنِ مَعَ الْمَرَّيْنِ يَقُولُونَ : أَيْنَ ابْنُ مِيَادَةَ ؟

(١) نصر : سقى ، يقال : نصر الفيت الارض نصراً ، أي غاثها وسقاها وأعانها على الحطب
والنبات ، وقد أورد صاحب اللسان هذا المعنى واستشهد عليه بهذا البيت .

(٢) أجم جمع أجة وهي الشجر الكثير المتلف .

(٣) اللق : المبتل ، يقال : لثق الطائر من باب تعب فهو لثق إذا ابتل ريشه .

فقلنا : ها هو وقد برزنا من خيمة كئنا فيها ، فقلنا لابن ميادة : أبرز ؛ فلما نظر الى المرتين قال :

إحدى عشيأتك يا شيرج

- قال : وهذا رجزٌ لبعض بني سليم يقوله لفرسه :

أقولُ والركبة فوق المنسج " إحدى عشيأتك يا شيرج

ويروى : مشرج .

ما أكثر الماصتين :

فقال لابن ميادة : أجب الأمير عبد الصمد بن عليّ وخذ معك من أصحابك من أحببت ؛ فخرج وخرج معه مناً أربعة نفر أنا أحدهم حتى وقفنا على باب دار الندوة ، فدخل أحد المسودين ، ثم خرج فقال : أدخل يا أبا شجرة ، فدخلتُ على عبد الصمد بن عليّ فوجدته جالساً متوشحاً بمنحفة موروثة ؛ فقال لي : من أنت ؟ قلت : رجلٌ من بني سليم ؛ فقال : ما لك تصاحب المرتي وقد قتلتوا معاوية بن عمرو ! وقالت الحنساء :

ألا ما لعيني ألا ما لها لقد أخضَل الدمعُ سِرْبَها
فآلَيْتُ آسَى على هالكٍ وأسألُ نائحةً ما لها
أبعدُ ابنِ عمرو من آلِ الشريد حَلَّتْ به الأرضُ أثقالها

(١) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد ، وقيل : المنسج للفرس بمنزلة الكاهل من الانسان والحارث من البعير .

(٢) دار الندوة : دار أحدثها قتي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة ، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قتي ، ثم صارت الى حكيم بن حزام ، فاشتراها منه معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم وقيل لم تزل في أيدي بني عبد الدار حتى اشتراها معاوية بن عكرمة بن عامر من بني عبد الدار وجعلها دار الامارة ، وسميت دار الندوة لأنهم كانوا يندون فيها أي يجتمعون للشاورة .

(٣) موروثة : لونها ورد ، يقال : وردت الثوب أي جعلته وردياً . والورد في الألوان : حمرة تضرب الى صفرة حسنة .

(٤) يريد لا آسى ولا أسأل .

(٥) حلت به الأرض أثقالها : زينت موتها ، وهو من التحلية . والأثقال : الموت ، وقد فسر بذلك قوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) . أو حلت من حلت الشيء فأنحل ، ومعناه أن اخاها معاوية بن عمرو كان ثقيلاً على الأرض لأنه كان هو وأصحابه ومن معه يركضون على الأرض ويقاتلون عليها فلما مات انحلت ذلك الثقل الذي كان عليها .

فإن تك مرة أودت به فقد كان يُكثر ثقتها

أترونها؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير، وما زال من المعركة حتى قتل به
خفاف بن عمرو المعروف بأبن ندبة كبش القوم مالك بن حمار الفراري ثم
الشمخي، أما سمع الأمير قول خفاف بن ندبة في ذلك:

فإن تك خني قد أصيب صميمها فعنداً على عين تيممت مالكا
تيممت كبش القوم حين رأيته وجابت شبان الرجال الصالكا
أقول له والرمح ياطر متته تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

وقد توسط معاوية بن عمرو خيلهم فأكثر فيهم القتل، وقتل كبش القوم
الذي أصيب بأيديهم؛ فقال: لله درك! إذا ولدت النساء فليلدن مثلك! وأمر
لي بألف درهم، فدفعته إليّ وخلع عليّ. وأدخل ابن ميادة فسلم عليه بالأمرة؛
فقال له: لا سلم الله عليك يا ماص كذا من أمه؛ فقال ابن ميادة: ما أكثر
لماصين! فضحك عبد الصمد، ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن ميادة التي يقول فيها:
لنا الملك إلا أن شيئاً تعدّه قريش ولو شئنا لداخت رقابها

ثم قال لابن ميادة: أعتق ما أملك إن غادرت منها شيئاً إن لم أبلغ غيظك،
فقال ابن ميادة: أعتق ما أملك إن أنكرت منها بيتاً قلته أو أقرت بيت لم
أقله؛ فقرأها عبد الصمد ثم قال له: أنت قلت هذا؟ قال نعم؛ قال: أفكنت
أمنت يا ابن ميادة أن ينقض عليك بازر من قريش فيضرب رأسك! فقال: ما
أكثر البازين! أفكان ذلك البازي آمناً أن يلقاه بازر من قيس وهو يسير فيرميه
فتشول رجلاه! فضحك عبد الصمد ثم دعا بكسوة فكساهم.

(١) كبش القوم: رئيسهم وسيدهم.

(٢) ياطر: يثني ويعطف.

(٣) تقول العرب في السب: يا ماص بظر أمه، ولم يصرح به هنا لقبه.

(٤) داخت: ذلت وخضعت.

(٥) تشول: ترتفع، وهو كناية عن الموت.

قرشي يهجو الحسن بن علي :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عبد الصمد بن شبيب قال قال أبو
'حذافة السهمي :

سَبَّ رجلٌ من قُرَيْشٍ في أيام بني أمية بعض ولد الحسن بن عليّ عليهما
السلام ، فأغلظ له وهو ساكت ، والناس يعجبون من صبره عليه ، فلما أطال أقبل
الحسني عليه متميلاً بقول ابن ميادة :

أظنّت سفاهاً من سفاهة رأيها أن أهجوها لما هجّنتي محاربُ
فلا وأبيها إني بعشيرتي ونفسي عن ذاك المقام لأرغبُ
فقام القرشيّ خجلاً وما ردّ عليه جواباً .

مدحه امير المؤمنين :

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال :

مدح ابن ميادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة ، فأخبرني سمع بن عبد
الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها اليه . قال فقال له : جزاك الله خيراً !
من أنت رحمك الله ؟ قلت : أحد بني مسمع ؛ قال : بمن ؟ قلت : من قيس بن
ثعلبة ؛ قال : بمن ؟ عافاك الله ! قلت : من بكر بن وائل ؛ قال : والله لو
كنت سمعت بيكر بن وائل قط أو عرفتهم لمدحتك ، ولكنني ما سمعت بيكر
قط ولا عرفتهم ، ثم مدح جعفرأ فقال :

لعمرك ما سيوف بني عليّ بنايعة الطّباة ولا كلال

(١) الطّباة : جمع طلبة وهي حدّ السيف والسنان والنصل .

(٢) قال ابن سيده : يجوز أن يكون جمع كال كجائع وجياع ونائم ونيام أو جمع كليل كشديد
وشداد وحديد وحداد .

نَهْمُ الْقَوْمِ الْأَلَى وَرَثُوا أَبَاهُمْ تَرَاثَ مُحَمَّدٍ غَيْرَ انْتِحَالٍ
وَهُمْ تَرَكَوا الْمَقَالَ لَهُمْ رَفِيعًا وَمَا تَرَكَوا عَلَيْهِمْ مِنْ مَقَالٍ
حَذَوْهُمْ قَوْمَكُمْ مَا قَدْ حَذَوْهُمْ كَمَا يُحْذَى الْمِثَالُ عَلَى الْمِثَالِ
فَرُدُّوا فِي جِرَاحِكُمْ أَسَاكِمَ فَقَدْ أَبْلَغْتُمْ مُرَّ النَّكَالِ

يُشِيرُ عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ عَنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَيُذَكِّرُهُ بِأَرْحَامِهِمْ .

أَخْبَرَنَا هَذَا الْحَبْرُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ سُلَيْمَانَ الْمَدِينِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ
يَحْيَى قَالَ أَبُو الْحَارِثِ الْمُرْتَبِيُّ فِيمَا ذَكَرَهُ إِسْحَاقُ مِنْ أَخْبَارِهِ :

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ لِأَبْنِ مَيْأَدَةَ : أَتَجِبُ أَنْ أُعْطِيكَ مِثْلَ مَا أُعْطَاكَ ابْنُ عَمِّكَ
رِيَّاحُ بْنُ عُمَانَ ؟ فَقَالَ : لَا ، أَتَيْهَا الْأُمَيْرُ ، وَلَكِنْ أُعْطِنِي كَمَا أُعْطَانِي ابْنُ عَمِّكَ
الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ .

قَالَ يَحْيَى وَأَخْبَرَنَا حَمَادُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الْحَارِثِ قَالَ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ لِأَبْنِ
مَيْأَدَةَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَغَضَّبُوا ثُمَّ تَغَضَّبُوا وَتَغَضَّبَ قُرَيْشٌ ثُمَّ قَامَ قَيْسًا غَضَابُهَا

قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! مَا هَكَذَا قُلْتَ ؛ قَالَ : فَكَيْفَ قُلْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ :

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَغَضَّبُوا ثُمَّ تَغَضَّبُوا وَتَعَدَّلَ قُرَيْشٌ ثُمَّ قَامَ قَيْسًا غَضَابُهَا

هَجَا بَنِي أَسَدٍ وَبَنِي تَمِيمٍ :

قَالَ : صَدَقْتَ هَكَذَا قُلْتَ . وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ يَهْجُو بِهَا ابْنُ مَيْأَدَةَ بَنِي أَسَدٍ
وَبَنِي تَمِيمٍ ، وَفِيهَا يَقُولُ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ :

وأحقرُ محقورٍ نَمِيمٌ أخوكمُ وإن غَضِبْتَ يَرْبُوعَهَا وربُّها
 ألا ما أبالي أن تُخَنِّدَ خَنْدِفٌ ولستُ أبالي أن يَظُنَّ ذُبَابُهَا
 ولو أن قَيْسًا قَيْسَ عَيْلانَ أَقْسَمْتُ على الشمسِ لم يَظْلَعِ عَلَيْكُمْ حِجَابُهَا
 ولو حاربْتُنَا الجُنُّ لم زَفَعِ القَنَا عن الجنِّ حتى لا تَهْرِكَلَابُهَا
 لنا المُلْكُ إلا أن شَيْئًا تَعُدُّهُ قُرَيْشٌ ولو شِئْنَا لَدَأَتْ رِقَابُهَا
 وإن غَضِبْتَ من ذا قُرَيْشٍ فَقُلْ لها مَعَاذَ الإِلَهِ أن أَكُونَ أَهَابُهَا
 وإني لقَوَالُ الجَوَابِ وإنني لَمَفْتَجِرٌ أَشْيَاءَ يُعْيِي جَوَابُهَا
 إذا غَضِبْتَ قَيْسٌ عَلَيْكَ تَقَاصَرْتُ يَدَاكَ وفاتَ الرَّجُلَ مِنْكَ رَكَابُهَا

هو وابن اشول :

قال إسحاق في خبره فحدثني جبر بن رباط بن عامر بن نصر قال : فقال سماعة
 ابن أشول النعماني يعارض ابن ميادة :

لعلَّ ابنَ أشبانيَّةٍ عارضتُ به رِعاءَ الشَّوِيِّ من مُريحٍ وعازِبِ
 يُسامي فروعاً من خَزَيْمَةِ أَحْزَتِ عليه ثَنَايا المجد من كل جانبِ

فقال ابن ميادة : مَنْ هذا ؟ لقد أغلَقَ عليَّ أغلَقَ اللهُ عليه ! قالوا : سماعة بن

(١) يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن نعيم أبو حمي من نعيم منهم منعم بن نويرة اليربوعي
 الصحابي . ويربوع بن غيظ بن مرة أبو بطن من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، منهم الحارث
 ابن ظالم المرتبي اليربوعي ، نقله الجوهري .

(٢) الرباب قبائل ، قال أبو عبيد : سموا بذلك لأنهم جاءوا برَب فأكلوا منه وغمَّسوا فيه أيديهم
 وتحالفوا عليه وهم تيم وعدي وعكل ، وقريب منه قول الأصمعي وقال ثعلب : سموا رباباً لأنهم تربوا
 أي تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة وهم : ضبة وثور وعكل وتيم وعدي .
 وقد قيل أيضاً عكس ذلك وهو أنهم سموا بذلك لتفرقهم لأن الربة الفرقة ولذلك إذا نسبت إلى الرباب
 قلت ربي بالضم ترده إلى واحدة .

(٣) تخندف : تهزول ، يقال : خندف الرجل إذا هزول ومشى بسرعة .

(٤) بطن : بصوت .

(٥) يقال : انتجر الكلام إذا اخترقه من غير أن يسمعه فيتمله .

(٦) الشوي : اسم جمع للشاة ، وقيل : هو جمع لها مثل كلب وكنيب .

أشول؛ فقال: سماعة 'يُسَمِّعُ' بي، وأشول 'يَشُولُ' بي، والله لا أهاجيه أبداً،
وسكت عنه.

ابن ميادة التي ... :

وقال عبد الرحمن بن جهم الأسدي أحد بني حارث بن سعد بن ثعلبة بن
دودان بن أسد يرد على ابن ميادة، وهي قصيدة طويلة ذكرت منها أبياتاً:

لقد كَذَبَ العبدُ ابنُ ميادةَ الذي ربا وهي وَسَطُ الشَّوْلِ تَدْمِي كَعَابِهَا
شَرَنْبَثَةً الْأَطْرَافِ لَمْ يَقْنُ كَعْفَهَا خِضَابٌ وَلَمْ تَشْرَقْ بَعَطْرِ ثِيَابِهَا
أَرْمَاحُ إِنْ تَغَضَّبَ صَنَادِيدُ خَنْدِفٍ يَهْجُ لَكَ حَرْباً قَضُبُهَا وَأَعْتِيَابِهَا

ويروى «أعتيابها» من الغيبة و«أعتيابها» من العيب.

ولو أَغْضَبْتُ قَيْسُ قُرَيْشًا جَدَّعْتُ مَسَامِعَ قَيْسٍ وَهِيَ خُضْعُ رِقَابِهَا
لَقَدْ جَرَّ رَمَاحُ ابْنِ وَاهِصَةَ الْخَصِي عَلَى قَوْمِهِ حَرْباً عَظِيماً عَذَابِهَا
وَقَدْ عَلِمَ الْمَسْلُوحُ بِالشُّومِ رَأْسُهُ قُتِيبةٌ أَنْ لَمْ تَحْمَرْ قَيْساً غِضَابِهَا
وَلَمْ تَحْمِمْهَا أَيَّامَ قَتْلِ ابْنِ حَازِمٍ وَأَيَّامَ قَتْلِي كَانَ خِزْيَاناً مُصَابِهَا
وَلَا يَوْمَ لَاقِينَا غَمِيراً فَقَتَلْتُ غَيْرُ وَفَرَّتْ كَعْبُهَا وَكَلَابِهَا
وَإِنْ تَدْعُ قَيْساً لَا تُجَبِّكَ وَحَوْلَهَا خِيُولُ تَمِيمٍ سَعْدُهَا وَرِبَابِهَا
وَلَوْ أَنَّ قَيْساً قَيْسَ عَيْلَانَ أَصْحَرْتُ لَا نَوَاءَ غَنَمٍ غَرَّقَتْهَا شِعَابِهَا

(١) أي يشهري ويفضحي.

(٢) يشول بي: يرفع من ذكرني ويشهري.

(٣) أي غليظتها.

(٤) هو من قنا التي لغة في قنأ، أي صبغه، وقوله بعد «لم تشرق» الخ. أي لم تمتلي، يقال: شرق الجسد بالطيب، أي أمتلأ.

(٥) قصبها: عيبها، يقال: قصبه يقصبه قصباً، أي عابه ووقع فيه.

(٦) من الوهمس وهو الغمز أو شد خفي الكبش، ويعبر الرجل فيقال له: يابن واهصة الخصى إذا كانت أمه راعية.

(٧) أصحرت: برزت إلى الصحراء لا يواربها شيء.

ولو أن قرن الشمس كان لمعشر
ولكنها لله يملك أمرها
لعمري لئن شابت حليقة نهبل
ولم تدر حمراء العجان^(١) أن نهبل
فإن يك رماح بن ميادة التي
جرى جري موهون القوى قصرت به
فلن تسبق المضار في كل موطن
ووالله لولا أن قيساً أذلة^(٢)
لألحقها بالزنج ثم رميتها
لكان لنا إشراقها واحتجابها
بقدرته إصعادها وأنصابها
لبن شاب المرء كان شبابها
أبوه أم المري تب تبأبها
يُصن^(٣) إذا باتت بأرض تراها
لثيمة أعراق إليه أنسابها
من الخيل عند الجدي^(٤) إلا عرابها
لثام فلا يرضى لخر سبابها
بشعاء يعني القائلين جوابها

ابن ميادة وابان :

أخبرني يحيى بن علي عن حماد عن أبيه قال :

وجدت في كتاب أبي عمرو الشيباني تعرضته على أبي داود فعرفه أو
عامته ، قال :

إنا جلوس^(١) على الهجم^(٢) في ظل القصر عشيّة ، إذ أقبل إلينا ثلاثة نفر
يقودون ناقة حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عيينة بن حصن وهو في جماعة من
بني عيينة ، قال : فرأيت أجلة^(٣) ثلاثة ما رأيتهم قط ، فقلنا : من القوم ؟ فقال
أحدهم : أنا ابن ميادة وهذان من عشيرتي ؛ فقال أبان لأحد بنيّه : أذهب بهذه
الناقة فأطلق عنها عند بيت أهلك ؛ فقال له ابن ميادة : هذه يا أبا جعفر السعلاة ،
أفلا أنشدك ما قلت فيها ؟ قال : بلى فهات ؛ فقال :

(١) حمراء العجان : هو سب كان يجري على ألسنة العرب يسب به الأعجمي فيقال له : « يابن
حمراء العجان » .

(٢) يصن : ينتن .

(٣) الهجم : ماء لبني فزارة ، ويقال : إنه من حفر عاد .

قَعَدْتُ عَلَى السَّعْلَةِ تَنْفُضُ مِسْحَهَا وَتَجَذَّبُ مِثْلَ الْإِيمِ فِي بُرَةِ الصَّفْرِ
تَيَسَّمْ خَيْرَ النَّاسِ مَاءً وَحَاضِرًا وَتَحْمِلُ حَاجَاتِ تَضَنُّهَا صَدْرِي
فَإِنِّي عَلَى رَغَمِ الْأَعَادِي لِقَائِلُ وَجَدْتُ خِيَارَ النَّاسِ حَيَّ بَنِي بَدْرِ
لَهُمْ حَاضِرٌ بِالْهَجْمِ لَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ حَيًّا أَهْلَ بَدْرِ وَلَا حَضَرَ
وَخَيْرُ مَعْدٍ مَجْلَسًا مَجْلِسُ لَهُمْ يَفِي؛ عَلَيْهِ الظِّلُّ مِنْ جَانِبِ الْقَصْرِ
أَخْصُ بِهَا رَوْقِي عُيَيْنَةً إِنَّهُ كَذَاكَ ضَحَاكُ الْمَاءِ يَأْوِي إِلَى الْعَمْرِ
فَأَنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ تَتَخَيَّرُوا السَّمِيَاءَ وَأَنْ تَرَعُوا ذُرَى الْبَلَدِ الْقَفْرِ

قال : فكان أول قائم من القوم ركضة بن علي بن عيينة ، وهو ابن عم أبان وعبد بن أبان ، وكانت إبله في العطن وهي أكرم بن عيينة وأكثره فقال : ما سمعت كاليوم مديح قوم قط ، حكمتك ماض في هذه الإبل ؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك ، وقام آخر وآخر ؛ فقال ابن ميادة : يا بني عيينة ، إني لم آتكم لتباري لي شياطينكم في أموالكم ، إنما كان علي دني فآردت أن تعطوني أبكرا أبيها في دني . فأقام عند أبان بن سعيد خمسة عشر يوماً ، ثم راح بتسع عشرة ناقة ، فيها ناقة لابن أبان عسراء أو رباعية . قال يحيى في خبره : وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة :

إني على الهجم يوماً إذ أقبلَ رجلٌ فجعل يُصَرِّفُ راحلته في الحياض فيرده

(١) المسح : كساء من الشعر . والأيم : الحية . والبرة : الحلقة من صفر أو غيره تجعل في لحم أنف البعير .

(٢) الحاضر : الحي العظيم أو القوم ، كما يطلق الحاج والسامر والجمال على جماعة الحجاج والسيار وجماعة الإبل . وقال الأزهري : العرب تقول : حي حاضر بغير هاء إذا كانوا نازلين على ماء عد .

(٣) لم توجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بأيدينا وإنما الموجود « ضحضح » و « ضحضاح » . ولعله « ضحال الماء تأوي » جمع ضحل وهو الماء القليل .

(٤) الغمر : الماء الكثير كالغمرة .

(٥) العطن للإبل : كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركها حول الحوض .

(٦) يصرف راحلته : يردّها ويصرفها من حوض إلى آخر .

الرجل بعد الرجل، فدعوته فقلت : اشرع^١ في هذا الحوض ؛ فلما شرع فسقى قال :
من هذا الفتى ؟ فقيل : هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة ؛ فقال :

بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَأَبَاءِ سُوءٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيَّرَ
فَمَا الْعُودُ إِلَّا نَابَتْ^٢ فِي أَرْوَمِهِ^٣ أَبِي شَجَرُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا

قال إسحاق : سألت أبا داود عن قوله :

كَذَاكَ ضَحَّاحُ الْمَاءِ يَجْرِي إِلَى الْقَمَرِ

فقال : أراد أن الأمر كله والسودد يصير إليه ، كما يصير الماء إلى القمر
حيث كانت .

ابن ميادة وأيوب بن سلمة :

أخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال أخبرني مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ
قال :

ضَافَ ابْنُ مِيَادَةَ أَيُوبَ بْنَ سَلَمَةَ فَلَمْ يَعْرِهِ ، وَابْنُ مِيَادَةَ مِنْ أَخْوَالِ أَيُوبَ بْنَ
سَلَمَةَ ، فَقَالَ فِيهِ :

ظَلَّلْنَا وَقُوفًا عِنْدَ بَابِ ابْنِ أَخْتِنَا وَظَلَّ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَالْمَجْدِ فِي شُغْلٍ
صَفًّا صَلَدًا^٤ عِنْدَ النَّدَى وَنَعَامَةً^٥ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا الْعُصْلِ^٦

(١) شرعت المواب في الماء (وزان منع) : دخلت فيه ، وشرع فلان في الماء : تناوله بكفيه أو
دخل فيه ، وشرع إبله : أوردتها شريعة الماء .

(٢) سير : ذكر سير الاوائل ، ويحتمل ان يكون بمعنى « سار » وشدد الفعل للمبالغة وإن لم
توجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بأيدينا .

(٣) الأروم : الأصل ، كالأرومة .

(٤) الصلد : الصلب الأملس والأصل فيه سكون اللام وحركتها هنا للضرورة .

(٥) جمع أعصل أي بين العصل ، والعصل في الناب اعوجاجه . قال أوس :

رَأَيْتُهَا نَابًا مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلَا

قال أبو أيوب وأخبرني مُصعب قال :

حذار من قريش :

قدم ابنُ ميادةَ على رياح بنِ عثمان ، وقد وليَ المدينةَ وهو جادٌ في طلبِ محمد
ابنِ عبد الله بنِ حسن وإبراهيم أخيه ، فقال له : اتَّخِذْ حَرَساً وَجُنُوداً مِنْ غَطْلَفَانِ
وَأَتْرَكَ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدَ الَّذِينَ تُعْطِيهِمْ دِرَاهِمَكَ ، وَحَذَارِ مِنْ قُرَيْشٍ ؛ فَاسْتَخَفَّ بِقَوْلِهِ
وَلَمْ يَقْبَلْ رَأْيَهُ ؛ فَلَمَّا قُتِلَ رِيَّاحٌ قَالَ ابْنُ مِيَادَةَ :

أَمَرْتُكَ يَا رِيَّاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ فَقُلْتَ هَشِيمَةً^١ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
وَقُلْتَ لَهُ تَحْفَظْ مِنْ قُرَيْشٍ وَرَقَعَ كُلَّ حَاشِيَةٍ وَبُرِدَ
فَوَجَدْتُ مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَّاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً غَيْرَ وَجَدِي

ابن ميادة والنساء :

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن
إسماعيل قال حدثني أكرم بن صيني المُرِّي^٢ ثم الصاردي عن أبيه قال :

كَانَ ابْنُ مِيَادَةَ رَأَى أَمْرَأَةً مِنْ بَنِي جُثَمِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرَامٍ يَقَالُ لَهَا :
أُمُّ الْوَلِيدِ ، وَكَانُوا سَارُوا عَلَيْهِ ، فَأَعْجَبَ بِهَا وَقَالَ فِيهَا :

أَلَا حَبَّذَا أُمُّ الْوَلِيدِ وَمَرْبَعٌ^٣ لَنَا وَلَهَا نَشْتُو بِهِ وَنَصِيفُ^٤

ويروى :

أَلَا حَبَّذَا أُمُّ الْوَلِيدِ وَمَرْبَعٌ^٣ لَنَا وَلَهَا بِالْمَشْتَوِ وَمَصِيفُ^٤
حَرَامِيَّةٌ أُمًّا مَلَاثُ^٤ إِزَارِهَا^٤ فَوَعَثُ^٤ وَأُمًّا خَصَرُهَا فِلْطِيفُ^٤

(١) هشيمة : ضعفة ، وأصل الهشيم الثبت إذا ولي وجف وتكسر فذوته الرياح يمينا وشمالا .
والنجد : أعالي الأرض ، عن الكامل للمبرد .

(٢) المربع هنا : المنزل .

(٣) المربع : هنا المكان يقام فيه وقت الربيع .

(٤) ملاث الإزار : موضع لوته وعصبه ، وهو ما دون الخصر من الجسم . والوعث : السمين .

كَأَنَّ الثُّرُونَ السُّودَ فَوْقَ مَقْدَحِهَا إِذَا زَالَ عَنْهَا بُرْقَعٌ وَنَصِيفٌ
بِهَا زَرْجُونَاتٌ بِقَفَرٍ تَنَسَّمَتْ لَهَا الرِّيحُ حَتَّى يَبْنِهِنَّ رَفِيفٌ

قال : فلما سمع زَوْجَهَا هذه الأبيات أتاها خلف بطلاقها : لئن وَجَدَ ابن ميادة عندها لَيَدُقَنَّ فَيُخَذُّهَا ، ثم أغرض عنها وأغترها ، حتى وجده يوماً عند بيتها فدقَّ فخذها ، وأحتمل فرحل ورحل بها معه ؛ فقال ابن ميادة :

أَتَانَا عَامَ سَارِ بَنُو كَلَابِ حَرَامِيُونَ لَيْسَ لَهُمْ حَرَامٌ
كَأَنَّ بِيوتَهُمْ شَجَرٌ رِصْفَارٌ بِقِيَعَانٍ تَقِيلُ بِهَا النَّعَامُ
حَرَامِيُونَ لَا يَقْرُونَ ضَيْفًا وَلَا يَدْرُونَ مَا خُلِقَ الْكِرَامُ

قال : ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب ، فأعجبَ بامرأة منهم يقال لها أمّ البختري ، وكان يتحدث اليها مدة مُقامهم ، ثم ارتحلوا فقال فيها :

أَرِقْتُ لَبْرَقٍ لَا يُفَرِّ لَامِعُهُ بِشَهَبِ الرُّبَى وَاللَّيْلِ قَدْ نَامَ هَاجِعُهُ
أَرِقْتُ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ صُحْبَتِي وَأَعْجَبَنِي إِيمَاؤُهُ وَتَنَابُعُهُ
يُضِيءُ صَبِيرًا مِنْ سَحَابٍ كَأَنَّهُ هِجَانٌ أَرْنَتْ لِلْحَنِينِ نَوَازِعُهُ
هَنِينًا لَأَمِّ الْبَخْتَرِيِّ الرَّوْيُ بِهِ وَإِنْ أَنْهَجَ الْجَبَلُ الَّذِي النَّأْيُ قَاطِعُهُ
لَقَدْ جَعَلَ الْمُسْتَبْضِعُ الْغَشَّ بَيْنَنَا لِيُضْرِمَ حَبْلِينَا تَجُوزُ بِضَائِعُهُ
فَمَا سَرَحَةُ تَجْرِي الْجَدَاوِلُ تَحْتَهَا بِطُرْدِ الْقِيَعَانِ عَذْبٍ يَنَابُعُهُ

(١) المَقْدَحُ (بالفتح) : ما بين الأذنين من خلف ومنتهى قس الشعر من مؤخر الرأس .

(٢) النَصِيفُ : النِجَارُ .

(٣) الزَرْجُونَةُ : شجرة العنب ، وكل شجرة زرجونة ، وهي فارسية معربة .

(٤) يقال : رف النبات رفيقاً إذا اهتز نضارة وحسناً . يقال : شجر رفيق إذا تندى .

(٥) معناه راقبها وطلب غرتها . وفي بعض النسخ : « واعتزلها » .

(٦) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي بالكسر والضم مع ما قبله .

(٧) الصبير من السحاب : البيضاء أو الكثيفة التي فوق السحاب أو الذي يصير بعضه فوق بعض .

والهجان من الأبل : البيض .

(٨) الروي (بالكسر) : الارتواء والماء الكثير المروي . وأنهج الجبل : أخلق ويلي .

(٩) المطرد : الماء المتتابع السيلان .

بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذِي الغَضَا أترعى جديداً الجبلِ أمْ أنتَ قاطعةُ

خطب امرأة فلم يزوجه فقال :

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم
قال : وذكر أبو الأشعث أن ابن ميادة خطب امرأة من بني سلمى بن مالك بن
جعفر ثم من بني البهثة - وهم بطن يقال لهم البهثة - فأبوا أن يزوجه وقالوا :
أنت هجين^١ أشرف منك ؛ فقال :

فلو طاوَعَتني آلُ سلمى بن مالكٍ لأعطيتُ مهرأً من مَسَرَّةٍ غالياً
وسِرْبٍ كسِرْبِ العينِ من آلِ جَعْفَرٍ يُغادينَ بالكُحْلِ العيونَ السَّوارجيا
إذا ما هَبَطْنَ التِّلْلاً أو كُنَّ دونه بسرورٍ إلحى ألفينَ ثم المراسيا

مات في صدر خلافة المنصور :

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابن ميادة في صدر من خلافة المنصور ، وقد
كان مدحه ثم لم يَفِدْ إليه ولا مدحه ، لما بلغه من قلّة رغبته في مدائح الشعراء
وقلّة ثوابه لهم .

(١) الهجين : الذي أبوه عربي وأمه غير محصنة .

(٢) هو بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يمتزقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير
حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر .

(٣) السرو : ما ارتفع عن مجرى السيل واغدر عن غلظ الجبل . والسوف (بالضم) : جمع سوفة
(بالضم ايضاً) وهي الارض بين الرمل والجبل . والحمى : موضع .

أخبار حنين الحيري ونسبه

نسبه :

حنين بن بَلَوَع الحيريّ مختلف في نسبه ، فقليل : إنه من العَبَادِيّين من تميم ، وقيل : إنه من بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم بَقُوا من جديس وطسم فَنَزَلُوا في بني الحارث بن كعب فَعُدُّوا فيهم ، ويُكنى أبا كعب ، وكان شاعراً مُغَنِّياً فَحَلَّ من فحول المُغَنِّين ، وله صنعة فاضلة متقدمة ، وكان يسكن الحيرة ويكرّي الجمال إلى الشام وغيرها ، وكان نصرانياً . وهو القائل يصف الحيرة ومثله بها .

صوت

أنا حنينٌ ومَنزلي النَّجَفُ^(١) وما نَدِمِي إِلَّا الْفَتَى الْقَصِفُ^(٢)
أَقْرَعُ بِالْكَأْسِ تُغَرُّ بِاطِلِيَّةٍ^(٣) مُتَرَعَّةٍ ، تَلَاةٌ وَأَغْرَفُ^(٤)
من قهوة بَاكَرَ الثَّجَارُ^(٥) بها بيتَ يهودٍ قَرَارُهَا اِخْتَرَفُ^(٦)
والعيشُ غَضُّ^(٧) ومَنزلي خَصِبُ^(٨) لم تَعُدُّنِي شِقْوَةً وَلَا عُفُ^(٩)
الفناء والشعرُ حُلَيْنٌ ، ولحنه خفيفٌ رَمَلٌ بالبَنْصَرِ . وفيه لَأَبْنُ الْمَكِيِّ خفيف
ثَقِيلٌ قَدِيمٌ . ولَعَرِيبٌ فيه خفيفٌ ثَقِيلٌ آخَرُ عن الهشامِيّ .

الشاعر المغني :

أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ قَالَ قَالَ حَمَّادٌ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِي الْخَطَّابِ قَالَ وَحَدَّثَنِي أَبُو

(١) النجف : موضع بظهر الكوفة ، والكوفة قرية من الحيرة .

(٢) القصف : حليف اللهو واللعب . ولم ترد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بأيدينا .

(٣) الباطلية : إناه الخمر .

كُنَاسَةٌ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ : مَوْلَى لِيَحْيَى ، وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ
أَبْنِ مَهْرُورٍ عَنْ قَعْنَبِ بْنِ الْحَرِزِ الْبَاهِلِيِّ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالُوا جَمِيعاً :

حَجَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَدِيلُهُ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ ، فَوَقَفَ لَهُ حُنَيْنٌ بظَهْرِ
الْكُوفَةِ وَمَعَهُ عُودُهُ وَزَامِرُ لَهُ ، وَعَلَيْهِ قُلَنْسِيَةٌ طَوِيلَةٌ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِ هِشَامُ عَرَضَ
لَهُ ؛ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : حُنَيْنٌ ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَحُمِلَ فِي مَحْمَلٍ عَلَى جَمَلٍ وَعَدِيلُهُ
زَامِرُهُ ، وَسِيرَ بِهِ أَمَامَهُ وَهُوَ يَتَغَنَّى :

صوت

أَمِنْ سَلَمَى بِظَهْرِ الْكُو فَهَ الْآيَاتُ وَالطَّلُّ
يَاوُحُ كَمَا تَلَوُحُ عَلَى جَفُونِ الصَّيْقِلِ الْخَلَلُ

- الصنعة في هذا الصوت لحنين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه خفيف
ثقيل ينسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره - قال : فأمر له هشام بمائتي دينار ، وللزمار
مائة . وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطَّاب أنه غنى هشاماً :

صوت

صَاحَ هَلْ أَبْصَرْتَ بِالْحُبَّتَيْنِ مِنْ أَسْمَاءَ نَارَا
مَوْهِنًا سُبَّتَ لِعَيْنِيكَ وَلَمْ تُوقَدْ نَهَارَا

(١) العدِيلُ : الذي يعادلُك في العمل .

(٢) القُلَنْسِيَةُ : القُلَنْسُوةُ (بفتح القاف) فَإِنْ ضُمَّتِ الْقَافُ كَسَرَتْ السِّينُ وَقَلْبَتِ الْوَاوُ يَاءً

(٣) الصَّيْقِلُ : شحاذ السِّبْوَفِ وَجَلَاؤُهَا .

(٤) الْخَلَلُ : جَمْعُ خَلَّةٍ وَهِيَ بَطَّانَةٌ يَغْشَى بِهَا جَفَنُ السِّيفِ يَنْقُشُ بِالتَّحْقِيقِ وَغَيْرِهِ .

(٥) الْوَهْنُ مِنَ الْبَلِّ : نَحْوُ مُنْتَصَفِهِ أَوْ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنْهُ .

كَتَلَالِي الْبَرْقِ فِي الْمَرْقِ نِ إِذَا الْبَرْقُ أُسْتَطَارَا
أَذْكَرْتَنِي الْوَصْلَ مِنْ سُغْدَى وَأَيَّامًا قِصَارَا

- الشعر للأحوص، والغناء لآبَن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بالسبابة في مجرى الوسطى
عن إسحاق . ونسبه أَبَن الْمَكِّي إِلَى الْغَرِيض : وقال يونس : فيه لحنان للمالك ولم
يُجَسِّسْهُمَا . وقال الهشامي : فيه للمالك خفيف رمل - فلم يزل هشام يستعيده حتى
تزل من النجف ، فأمر له بمائتي دينار .

انفاسي اقسما بين الناس :

وقال إسحاق : قِيلَ لِحَنِين : أَنْتَ تَغْنِي مِنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً مَا تَرَكْتَ لَكَرِيمٍ
مَا لَا وَلَا دَارًا وَلَا عَقَارًا إِلَّا أَتَيْتَ عَلَيْهِ ! فَقَالَ : بَأَيِّ أَنْتُمْ ، إِنَّمَا هِيَ أَنْفَاسِي
أَقْسَمُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، أَفَتَلَوْمُونَنِي أَنْ أَغْنِيَ بِهَا الثَّمَنَ ! .

غنى في الموسم في ظل بيت أبي موسى الأشعري :

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه
ومُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ بَعْضِ الْمَكِّيِّينَ ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَحَبِيبُ
أَبْنِ نَصْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ
مِنَ الْمَكِّيِّينَ يَقَالُ لَهُ شَرِيسٌ قَالَ :

إِنَّا لَبَالُاطُحُ أَيَّامِ الْمَوْسَمِ نَشْتَرِي وَنَبِيعُ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ أَيْضُ الرُّأْسِ وَاللَّحْيَةِ
عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ مَا نَدْرِي أَهْوَأُ أَشَدَّ بَيَاضًا أَمْ بَغْلَتُهُ أَمْ ثِيَابُهُ ؛ فَقَالَ : أَيْنَ بَيْتُ
أَبِي مُوسَى ؟ فَأَشْرَنَّا لَهُ إِلَى الْخَائِطِ ؛ فَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى الظِّلِّ مِنْ بَيْتِ أَبِي
مُوسَى ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَنَا بِبَغْلَتِهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ انْدَفَعَ يُغْنِي :

صوت

أَسْعِدْنِي بِدَمْعٍ أَسْرَابٍ مِنْ دَمْعٍ كَثِيرَةٍ التَّسْكَابِ
 إِنَّ أَهْلَ الْحَصَابِ قَدْ تَرَكُونِي مُغْرَمًا مُوَلَّعًا بِأَهْلِ الْحَصَابِ
 فَارْقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ
 سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزَعٌ يَبْتَ أَيُّ مَوْ سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُنِيِّ السَّبَابِ
 كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُونَ مِنْ حَيٍّ صَدَقِ وَكَهُولٍ أَعْقَى وَشَبَابِ
 أَهْلُ بَنَاتٍ تَتَابَعُوا لِلنَّيَا مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
 فَلْيَبِ الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمَلْنِي أَصْحَابِي

- الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي . والغناء لمعبد
 ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وفيه لَأَبْنُ أَبِي دُبَا كِلِ الْخُرَاعِي ثَانِي
 ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ أَبْنِ خُرْدَاذُبِهِ - قَالَ : ثُمَّ صَرَفَ الرَّجُلُ بَغْلَتَهُ وَذَهَبَ ، فَتَبِعْنَاهُ
 حَتَّى أَدْرَكْنَاهُ ، فَسَأَلْنَاهُ مَنْ هُوَ ، فَقَالَ : أَنَا حُنَيْنُ بْنُ بَلَوَعٍ وَأَنَا رَجُلٌ جَمَالٌ أَكْثَرِي
 الْإِبِلَ ، ثُمَّ مَضَى .

كان غلاماً يحمل الفاكهة ويقدم باقات الزهور :

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن المدائني ، قال :
 كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة ، وكان لطيفاً في عمل التحيات فكان

(١) أسراب : جمع سرب ، والسرب : الماء السائل .

(٢) الحصاب (بكسر الحاء) موضع رمي الجمار بمنى .

(٣) صفى السباب : موضع بمكة ، وقال الزبير : إنه ماء بين دار سعيد الحرشي التي تناوح
 ببيوت أبي القاسم بن عبد الواحد التي في أصلها المسجد الذي صلى عنده على أمير المؤمنين أبي جعفر
 المنصور . والمراد بأبي موسى أبو موسى الأشعري :

(٤) قال في لسان العرب : التتابع : الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه
 ولا يكون في الخير ، وقيل : التتابع في الشر كاللتابع في الخير .

(٥) التحيات : جمع تحية وهي ما يجيبها به من نحو السلام ، ومن المحتمل أن يراد منه ما يقدم
 عند التحية من باقات الرياحين ، وقد كان العرب في الجاهلية يفعلون ذلك في عيد لهم يقال له يوم
 السباب قال النابغة :

« يميون بالرياحان يوم السباب »

ويظهر أن هذه العادة ظلت إلى العهد الإسلامي .

إذا حمل الرياحين إلى بيوت القتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين إلى الحيرة ورأوا رشاقتهم وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه، وأقام عندهم وخف لهم، فكان يسمع الغناء ويشتهي ويصغي إليه ويستمتع ويطيل الإصغاء إليه، فلا يكاد يُنتفع به في شيء. إذا سمعه، حتى شدا منه أصواتاً فأسمعها الناس - وكان مطبوعاً حسن الصوت - واشتهوا غناؤه والاستماع منه وعشرفته، وشهر بالغناء ومهر فيه، وبلغ منه مبلغاً كبيراً، ثم رحل إلى عمر بن داود الوادي وإلى حكم الوادي، وأخذ منها، وغنى لنفسه في أشعار الناس، فأجاد الصنعة وأحكمها، ولم يكن بالعراق غيره فأستولى عليه في عصره. وقدم ابن محرز حينئذ إلى الكوفة فبلغ خبره حنيناً، وقد كان يعرفه، فخشى أن يعرفه الناس فيستحلوه ويستولي على البلد فيسقط هو، فقال له: كم مئتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار؛ قال: فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخذها وأنصرف وأحلف لي أنك لا تعود إلى العراق؛ فأخذها وأنصرف.

خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق فردّه عنه :

أخبرني عمي وعيسى بن الحسين قالوا حدثنا أبو أيوب المدائني عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال :

كان ابن محرز قديم الكوفة وبها بشر بن مروان، وقد بلغه أنه يشرب الشراب ويسمع الغناء، فصادفه وقد خرج إلى البصرة؛ وبلغ خبره حنين بن بلّوع فتلف له حتى دعاه؛ فغناه ابن محرز لحنه - قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثاني من جند الأغاني - :

صوت

وحرّ الزبرجد في نظمه على واضح الليت زان المقوداً

(١) الليت (بكسر اللام) : صفحة العنق .

يُفَصِّلُ ياقوتُهُ دُرَّهُ وكأَجْمَرٍ أَبْصَرْتُ فِيهِ الْفَرِيدَا

قال : فسمع شيئاً هاله وحيره ، فقال له حُتَيْن : كم مَنَّتَكَ نفسك من العراق ؟
قال : ألف دينار ، فقال : هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك
وبدأتك ودع العراق لي وأمضِ مُصاحِباً حيث شئت - قال : وكان ابن مُحَرِّز
صغير الهمة لا يحب عشرة الملوكة ولا يُؤثرُ على الخلوة شيئاً - فأخذها وانصرف .

اهل حمص لا يستطيعون غناءه :

وقال حماد في خبره قال أبي حدثني بعض أهل العلم بالغناء عن حُتَيْن قال :

خرجت الى حمص ألتبس الكسبَ بها وأرتاد مَنْ أَسْتَفِيدُ منه شيئاً ، فسألت
عن الفتيانِ بها وأين يجتمعون ، فقل لي : عليك بالحمائم فإنهم يجتمعون بها إذا
أصبحوا فُجْتُ إلى أحدها فدخلته ، فإذا فيه جماعة منهم ، فأنستُ وأنبسطت ،
وأخبرتهم أنني غريب ، ثم خرجوا وخرجتُ معهم ، فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ،
فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا ، وأتينا بالشراب فشربنا ، فقلتُ لهم : هل لكم
في مُغَنٍّ يُغَنِّيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً
فأُتيتُ به ، فأبتدأتُ في هُنيئٍ ألي عباد مَعْبَد ، فكأنما غَنَّيتُ للحيطان لا
فَكِهوا لغنائي ولا سُروا به ، فقلتُ : ثَقُلَ عليهم غناء مَعْبَد لكثرة عمله وشدة
وصعوبة مذهبه ، فأخذتُ في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلاً شيء ، وغَنَّيتُ

(١) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره .

(٢) الفتيان : طائفة يدينون بالفتوة وخصال الرجولة وهم أشد الناس احتفالا بالغرباء من الناس
وأُسرع إلى اطعام الطعام وقضاء الخواثج ، فيخدمون بالنهار ويشترى بهم الفواكه والطعام
فإن ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أزلوه وكان ذلك ضيافته لسيهم وإن لم يرد وارد اجتمعوا هم
على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعاتهم بالقدو وقد كان الخليفة الناصر العباسي المتوفى
سنة ٦٢٢ قد جعل نفسه رئيساً لهذه الطائفة وكتب سنة ٦٠٧ إلى ملوك الاطراف الذين يعترفون بخلافته
أن يشربوا كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها وأن ينسبوا اليه برمي البندق .

(٣) الهنيات : الأراجيز .

خفاف ابن سُريخ ، وأهزاج حَكَم ، والأغاني التي لي ، وأجتهدتُ في أن يفهموا ، فلم يتحرك من القوم أحدٌ ، وجعلوا يقولون : ليت أبا مُنيّه قد جاءنا ؛ فقلتُ في نفسي : أرى أنني سأفتضح اليوم بأبي مُنيّه فضيحةً لم يفتضح أحدٌ قطُّ مثلها . فبينما نحن كذلك إذ جاء أبو مُنيّه ، وإذا هو شيخ عليه خفان أحمران كأنه جَلال ، فوثبوا جميعاً إليه وسلموا عليه وقالوا : يا أبا مُنيّه أبطأت علينا ، وقدموا له الطعام وسقوه أقداحاً ، وخنستُ أنا حتى صرتُ كلاً شيء خوفاً منه ، فأخذ العودَ ثم أندفع يغني :

طربَ البحر فأعبري يا سفينته لا تشقي على رجال المدينة

فأقبل القوم يصفقون ويطربون ويشربون ، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء ؛ فقلتُ في نفسي : أنتم ها هنا ! لئن أصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدة . فلما أصبحتُ شددتُ رجلي على ناقتي وأحتقتُ ركةً من شراب ورحلت متوجهاً إلى الحيرة ، وقلت :

ليت شعري متى تحب بي النا قة بين السدير والصين
محبياً ركةً وخبر رفاق وبُقولا وقطعة من نون
لست أبغي زاداً سواها من الشا م وحسي علالة تكفيني
فإذا أبتُ سالماً قلتُ سُحقاً وبعاداً لمعشر فارقوني

عندما حرموا الغناء :

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرنا به وكيع

(١) خنس الرجل من القوم خنوساً : تأخر واختفى .

(٢) احتقت ركة : احتملها خلفه . والركة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . وفي إحدى النسخ : « زكرة » . والزكرة « بالضم » : زق صغير للشراب .

(٣) النون : الحوت .

(٤) العلالة بالضم : ما يتعلل به .

في عقب أخبار رواها عن حماد بن إسحاق عن أبيه فقال : وقال لي إسحاق ، فلا أدري أأدرج الإسناد وهو سماعه أم ذكره مُرسلاً ، قال إسحاق وذكر ابن كُناسة :

أن خالد بن عبد الله القسري حرّم الغناء بالعراق في أيامه ، ثم أذن للناس يوماً في الدخول عليه فدخل إليه حنين ومعه عودٌ تحت ثيابه ، فقال : أصلح الله الأمير ، كانت لي صناعةٌ أعودُ بها على عيالي فخرتها الأميرُ فأضرت ذلك بي وبهم ؛ فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا ؛ فقال له خالد : غنّ ؛ فخرّك أوتاره وغنى :

صوت

أيها الشامتُ المَعِيرُ بالدهرِ أَأنتُ المَبْرَأُ الموفورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رَأَيْتَ المُنونَ خَلَدْنَ أم مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أذنتُ لك وحدك خاصةً فلا تجالسن سفيهاً ولا مُعَرِّباً . فكان إذا دعي قال : أفیکم سفيهٌ أو معربد ؟ فإذا قيل له : لا ، دخل .

شعر هذا الصوت المذكور لعدي بن زيد ، والغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو . وقوله : المبرأ ، يعني المبرأ من المصائب . والموفور : الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء ، يقال : وفّر الرجل يوفّر . ولديك بمعنى عندك هاهنا .

غنى بحضور الشعبي :

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصّحّاف الكوفي قال حدثنا قَعْنَبُ بن الحُمرز الباهلي قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عيَّاش وعن مُجَالِد عن

الشعبي جميعاً ، وأخبرني محمد بن مزيد وحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم ابن عدي عن عبد الله بن عياش عن الشعبي قال :

لما ولي بشر بن مروان الكوفة كنت على مظالمه ، فأتيتُه عشيةً وحاجبه أعيّن (صاحب حمائم أعيّن) جالس ، فقلتُ له : استأذن لي على الأمير ! فقال لي : يا أبا عمرو ، هو على حالٍ ما أظنك تصل إليه معها ؛ فقلت : أعلمه - وخلاك ذمٌ - فقد حدث أمر لا بد لي من إنهائه إليه - وكان لا يجلس بالعشي - فقال : لا ، ولكن أكتب حاجتك في رقعة حتى أوصّلها إليه ؛ فكتبت رقعة ، فابلت أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبي بمن يُحتشم منه فأذن له فأذن لي فقال : أدخل ، فدخلت فإذا بشر بن مروان عليه غلالة رقيقة صفراء وملاءة تقوم قياماً من شدة الصّقال ، وعلى رأسه إكليل من ریحان ، وعلى يمينه عكرمة بن ربيعة ، وعلى يساره خالد بن عتاب بن ورقاء ، وإذا بين يديه حنين بن بلوع معه عودُه ، فسلمت فردّ عليّ السلام ورحب وقرب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لو كان غيرك لم آذن له على هذه الحال ؛ فقلت : أصلح الله الأمير ، عندي لك السرّ لكل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يحل ، والشكرُ على ما تولّيتني ؛ فقال : كذاك الظن بك ، ثم التفت إلى حنين وعودُه في حجره وعليه قباء خشك شوي - وقال إسحاق : خشكون - ومُسْتَقَّة حمراء وخفان مكعبان ، فلم

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت التوب .

(٢) كذا بالأصل . ولفظها بالفارسية : « خشك شقي » ومعناها : « الغميص الخشن » .

(٣) كذا بالأصل وفي الفارسية مركبة من كلمتين : « خوش » بمعنى « زاهي » و « كو » بمعنى « اللون » أي قباء زاهي اللون ، ولعله المعنى المراد لأنه أنسب بالمقام .

(٤) قال الجواليقي : « وأصلها بالفارسية مشتة فعرّب » . والمستقة : فرو طويل الكم ، وقيل : هي الجبة الواسعة . وعن أنس أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها رسول الله فكأنه أنظر إلى يسديها يذبذبان فبعث بها إلى جعفر فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشي . وأنشد :

إذا لبست مساتقها غنيّ فيا وبيح المسائق ما لقينا

(٥) مكعبان : موشيان .

عليّ؛ فقلت له: كيف أنت أبا كعب؛ فقال: بخير أبا عمرو؛ فقلت: أخزق^(١) الزير^(٢) وأرخ اليم^(٣) ففعل؛ وضرب فأجاد؛ فقال بشر لأصحابه: تلاموني علي أن آذن له في كل حال! ثم أقبل عليّ فقال: أبا عمرو، من أين وقع لك خزق^(٤) الزير؟ فقلت: ظننت أن الأمر هناك؛ فقال: فإن الأمر كما ظننت هناك كله. ثم قال: فمن أين تعرف حنيننا؟ فقلت: هذا بطّة^(٥) أعراسنا فكيف لا أعرفه! فضحك، وغنى حنين فأجاد، فطرب وأمر له بجاذرة^(٦)، ثم ودّعته وقت بعد أن ذكرت له ما جئت فيه، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب، فقمت مع الخادم حتى قبضت ذلك منه وأنصرفت. وقد وجدت هذا الخبر بخط أبي سعيد السكري^(٧) يأثره^(٨) عن محمد بن عثمان المخزومي عن أبيه عن جده: أنه كان عند بشر بن مروان يوم دخل عليه الشعبي هذا المدخل وأن حنين بن بلوع غناه:

هم كسموني سيرهم حين أزمعوا وقالوا آتعدنا للرواح وبكروا

وهذا القول خطأ قبيح، لأن هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لعلويه رمل بالوسطى، وغنى للأمون فيه فقال: سَخِرُوا من أي الفضل أغزّه الله.

شيء من اوصاف الحيرة:

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي، وقال أبو عبيد الله الكاتب حدثني سليمان بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال:

وكان بعض^(٩) ولاة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية، فقال له رجل من أهلها - وكان عاقلاً ظريفاً - : أتعيب^(١٠) بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والاسلام!

(١) اخزق: اشدد.

(٢) الزير: أرفع أوتار العود، وكانت أربعة في ذلك العهد.

(٣) اليم: أغلظ أوتار العود.

(٤) يأثره: يرويه.

قال : وبماذا تُمدح ؟ قال : بصحة هوائها ، وطيب ماها ، ونزهة ظاهرها ،
تصلح للخف والظلف ، سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبر وجر ، محل
الملوك ومزارعهم ، ومسكنهم ومشواهم ، وقد قدمتها - أصلحك الله - مهنياً
فرجعت مثقالاً ووردتها مثقالاً فأصارتك مكثراً ؛ قال : فكيف نعرف ما وصفتها
به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إليّ ، ثم أدع ما شئت من لذات العيش ، فوالله
لا أجوز بك الحيرة فيه ؛ قال : فاصنع لنا صنيعاً وأخرج من قولك ؛ قال :
أفعل ، فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها :
من ظباء ونعام وأرانب وجباري^١ ، وسقاهم ماءها في قلالها ؛ وخرها في آينتها ،
وأجلسهم على رفقها^٢ - وكان يتخذ بها من الفرش أشياء ظريفة - ولم يستخدم
لهم حراً ولا عبداً إلا من مولديها ومولداتها من خدم ووصائف^٣ كأنهم اللؤلؤ ،
أعتهم لغة أهلها ، ثم غناهم حنين وأصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم وأعشى
همدان لم يتجاوزهما ، وحيأهم برياحينها ، ونقلهم^٤ على خمرها ، وقد شربوا
بفواكهها ؛ ثم قال له : هل رأيتني أستعنت على شيء مما رأيت وأكلت وشربت
وأفترشت وشمت وسمعت بغير ما في الحيرة ؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنت
صفة بلدك ونصرتك فأحسنت نصرتك والخروج مما تَضَمَّنْتَه ، فبارك الله لكم
في بلدكم .

مغنى الحيرة غير حنين :

قال إسحاق : ولم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى حنين إلا نقرأ من

(١) الجباري : طائر قال في كتاب الحيوان : إنه طويل العنق رمادي اللون ، في منقاره بعض طول وهو يقع على الذكر والأنثى واحده وجمعه سواء وإن شئت قلت في الجمع جباريات ، وهو ممنوع من الصرف معروفاً ومنكراً .

(٢) الرقم : ضرب مخطط من الوشي أو الخز .

(٣) جمع وصيفة وهي الجارية البالغة حد الخدمة ، والوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام البالغ حد الخدمة أيضاً . وقد يقال الوصيف للخدام غلاماً كان أو جارية .

(٤) نقلهم : أطعمهم النقل ، والنقل : ما يشغل به على الشراب من فستق وتفتح ونحوهما .

السِّدْرَيْنِ يقال لهم : عباديس ، وزيد بن الطُّلَيْس ، وزيد بن كعب ، ومالك بن
 حُمّة ، وكانوا يغنون غناء الخيرة بين الهَرْج والنَّصْب ، وهو إلى النصب أقرب ولم
 يُدَوِّن منه شيء ، لسقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول . وما سمعنا نحن لأحد من
 هؤلاء خبراً إلا لما لك بن حُمّة ، أخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سَعْد .

عاش مئة سنة وسبع سنين :

وقال وكيع في خبره عن إسحاق حدثني أبو بشر القُراري قال حدثني بشر بن
 الحسين بن سليمان بن سمرة بن جندب قال :

عاش حُتَيْن بن بَلَوَع مائة سنة وسبع سنين ، وكان يقال إنه من جدّيس ؛ قال
 وقيل أيضاً : إنه من لَحْم ؛ وكان هو يزعم أنه عبادي وأخواله من بني الحارث
 ابن كعب .

جده المغني :

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا
 أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال :

كنتُ مع الرشيد في السنة التي تَزَل فيها على عَوْنِ العبادي ، فأتاني عَوْنُ
 بَابْنِ ابْنِ حُتَيْن بن بَلَوَع ، وهو شيخ ، فغنّاني عدّة أصوات جلدّه ، فما أَسْتَحْسِنُهَا ،
 لأنَّ الشيخ كان مشوّهُ الخلق ، طَنّ الغناء ، قليلَ الخلاوة ، إلا أنه كان لا
 يفارق عمود الصوت أبداً حتى يَفْرُغ منه ، فغنّاني صوتَ ابْنِ سُرَيْج :

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمَعْصَمِ .

(١) النصب : غناء يشبه الخداء إلا أنه أرق .

(٢) طن الغناء : يدل السياق على أنه وصف من الطنين وهو صوت الشيء الصلب كالنحاس وغيره .

(٣) جزر السباع : اللحم الذي تأكله ، يقال : تركوم جزراً بالتحريك إذا قتلوم وقطعوم
 إرباً إرباً وجعلوم معرّضين للسباع والطيور .

(٤) ينشنه : يتناولنه .

فما أذكر أني سمعته من أحد قطّ أحسن مما سمعته منه، فقلت له: لقد أحسنت في هذا الصوت، وما هو من أغاني جدك ولا من أغاني بلدك، وإني لأعجب من ذلك! فقال لي الشيخ: والصليب والقربان ما صنع هذا الصوت إلا في منزلنا وفي سرداب جدتي، ولقد كاد أن يأتي على نفس عمي؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال:

عندما ضافه ابن سريج:

حدثني أبي أن عبيد بن سريج قدم الحيرة ومعه ثلثمائة دينار. فأتى بها منزلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة، وقال: أنا رجل من أهل الحجاز من أهل مكة، بلغني طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر:

حتتني حانيات الدهر حتى كاني خاتل يذنو لصيد
قريب الخطو يحسب من رأيي ولست مقيداً أني بقيد

فخرجت بهذه الدنانير لأنفقها معك وعندك وتعاشر حتى تنفذ وأنصرف إلى منزلي. فسأله جدي عن اسمه ونسبه فغيرهما وأتسمى إلى بني مخزوم، فأخذ جدي المال منه وقال: موثوق مالك عليك ولك عندنا كل ما يحتاج إليه مثلك ما نسطت للمقام عندنا، فإذا دعتك نفسك إلى بلدك جهّزناك إليه ورددنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقته عليك أن جئتنا، وأسكنه داراً كان ينفرد فيها، فكث عندنا شهرين لا يعلم جدي ولا أحد من أهلنا أنه يعني، حتى أنصرف جدي من دار بشر بن مروان في يوم صائف مع قيام الظهيرة. فصار إلى باب الدار التي كان أتزل ابن سريج فيها فوجده مغلقاً فأرتاب بذلك، ودق الباب فلم يفتح له ولم يجبه أحد، فصار إلى منازل الحرم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه. ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحاً، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقول أخته؛ فلما دخلها رأى أخته وجواريه وقواً على باب السرداب وهن يومئذ إليه بالسكوت وتحفيف الوطء، فلم يلتفت إلى إشارتهن لما تداخلة، إلى أن سمع ترنم ابن سريج بهذا الصوت، فألقى السيف من يده وصاح به - وقد عرفه من

غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحذق - : أبا يحيى ، جُعِلْتُ فداءك ، أتيتنا بثلاثمائة دينار لتُنْفِقَها عندنا في حيرتنا ! فوَحَرَ المسيح لا خرجت منها إلا ومَعَكَ ثَلَاثَةُ دِينَارٍ وَثَلَاثَةُ دِينَارٍ وَثَلَاثَةُ دِينَارٍ سَوَى مَا جِئْتَ بِهِ مَعَكَ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ وَرَحَّبَ بِهِ وَلَقِيَهُ بِخِلَافِ مَا كَانَ يَلْقَاهُ بِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ هَذَا الصَّوْتِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ صَاغَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . فَصَارَ مَعَهُ إِلَى بَشَرِ بْنِ مَرْوَانَ فَوَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ وَصَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمِثْلِهَا ؛ فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ رَدَّ عَلَيْهِ جَدِّي مَالَهُ وَجَهَّزَهُ وَوَصَلَهُ بِمَقْدَارِ نَفَقَتِهِ الَّتِي أَنْفَقَهَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْحَيْرَةِ ، وَرَجَعَ ابْنُ سُرَيْجٍ إِلَى أَهْلِهِ وَقَدْ أَخَذَ جَمِيعَ مَنْ كَانَ فِي دَارِنَا مِنْهُ هَذَا الصَّوْتِ .

غنى للناس فازدحموا عليه فسقط عليه سطح فمات :

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثي قال حدثنا عبد الله قال حدثنا عبيد بن حنين الحيري قال :

كان المغنُّون في عصر جدِّي أربعة نفرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق ،
والذين بالحجاز : ابنُ سُرَيْجٍ والغريض ومعبد ، فكان يبلِّغهم أنَّ جدِّي حينئذٍ
قد غنى في هذا الشعر :

هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ وَكَفَفْتَ عَنْ ذَمِّ الْمَشِيبِ الْآئِبِ
هَذَا وَرُبَّ مُسَوِّفِينَ سَقَيْتُهُمْ مِنْ خَمْرِ بَابِلَ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِ
بَكَّرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ مِنْ ذَاتِ كُوبٍ مِثْلَ قَعْبِ الْحَالِبِ
بِزَجَاجَةٍ مِلْءِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا قِنْدِيلُ فِصْحٍ فِي كَنِيسَةِ رَاهِبٍ

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدِّي وقالوا : ما في الدنيا أهلُ صناعةٍ شرٍّ مِنَّا ، لَنَا أَخٌ بِالْعِرَاقِ وَنَحْنُ بِالْحِجَازِ ، لَا تَزُورُهُ وَلَا نَسْتَزِيرُهُ . فَكَتَبُوا إِلَيْهِ وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ نَفَقَةً وَكَتَبُوا يَقُولُونَ : نَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَأَنْتَ وَحْدُكَ فَأَنْتَ أَوَّلَى بِزِيَارَتِنَا ، فَشَخَّصَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ فَخَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ ، فَلَمْ يَرَوْهُ يَوْمَ كَانَ أَكْثَرُ حَشَرًا وَلَا جَمْعًا مِنْ يَوْمِئِذٍ ، وَدَخَلُوا ، فَلَمَّا صَارُوا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ

لهم معبد : صيروا إليّ ؛ فقال له أبْنُ سُريج : إن كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سَكينة بنت الحسين عطفنا اليك ؛ فقال : ما لي من ذلك شيء ، وعدّوا لي منزل سَكينة . فلما دخلوا إليها أذِنَتْ للناس إذناً عاماً فغَصَّت الدار بهم وصعدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها ، ثم إنهم سألوا جدي حُنيناً أن يغنيهم صوته الذي أوله :

هَلَّا بِكَيْتَ عَلَى الشَّابِّ الذَّاهِبِ

فغنّاهم إياه بعد أن قال لهم : ابدءوا أنتم ؛ فقالوا : ما كنا لتتقدّمك ولا نُغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت ؛ فغنّاهم إياه ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فأزدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه ، فسقط الرّواق على من تحته فسلموا جميعاً وأخرجوا أصحاء ، ومات حُنين تحت الهدم ؛ فقالت سَكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حُنينُ سرورنا ، انتظرناه مُدّة طويلة كأننا والله كنّا نسوقه إلى مَنَيْنِهِ .

الغناء في الأصوات المتقدمة :

نسبة ما في الخبر الأول من الغناء

صوت

وَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنْشُنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِغْصَمِ
إِنْ تُغْدِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي طَبُّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلِمِ

الشعر لعنتر بن شدّاد العبسي ، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيل .

ومنها :

(١) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . والطب : الحاذق من الرجال الماهر بعله . والمستلم : لابس الأمانة ، وهي الدرع .

صوت

حَسَنَتِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدُنُو لِصِيدٍ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يُحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّدًا أَنِّي بِقَيْدٍ

الغناء حَتَيْنِ الحِيرِيّ ثَقِيلُ أَوَّلٍ . وفيه لإبراهيم الموصلي مأخوريّ جميعاً عن
أبن المكيّ، ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم ونسبة الشعر الذي غَنَاهُ حَتَيْنِ
في منزل سُكِينَة - عليها السلام - يقال : إنه لعديّ بن زَيْد ، وقيل : إنَّ بعضه
له وقد أضافه المغنّون إليه . ولحنه خفيفٌ ثَقِيلٌ مُطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت من المائة المختارة

رَاعَ الْفَوَادَ تَفَرَّقُ الْأَحْبَابُ يَوْمَ الرِّحِيلِ فَهَاجَ لِي أَطْرَائِي
فَفَلَّلْتُ مَكْتَنِبًا أَكْفَكِفُ عُبْرَةً سَحًا تَفِيضُ كَوَاشِلِ الْأَسْرَابِ
لَمَّا تَنَادَوْا لِلرَّحِيلِ وَقَرَّبُوا بُزْلَ الْجَمَالِ لِطَيْئَةٍ وَذَهَابِ
كَادَ الْأَسَى يَغْضِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَالْوَجْهُ مِنْكَ لَبَّيْنِ إِنْكَ كَأَيِّ

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريّض ، ولحنه
المختار من الثَقِيلِ الأوَّلِ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش : أنَّ
للغريّض أيضاً فيه خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى . ولما لك ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى . وهذه الاييات
قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مروان كانت حَجَّتْ في خلافته .

(١) راع الفؤاد: أفرعه . والأطراب : جمع طرب ، والطرب يطلق على الفرح والحزن
والشوق ، والمراد هنا أحد المعنيين الأخيرين .

(٢) واشل : سائل ، من وشل الماء يشل (كوعد) إذا سال وقطر ، والأسراب : جمع سرب
(بالتحريك) وهو الماء السائل من المزايدة .

(٣) يقال : مضى فلان لطيفته أي لوجهه وبنته التي انتواها .

ابن أبي ربيعة وبنت عبد الملك :

أخبرني علي بن صالح بن ألهيثم قال أخبرني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزُّبيري والمدائني ومحمد بن سلام والمسيبي :

أن بنتاً لعبد الملك بن مروان حجّت، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعّده إن ذكرها في شعره بكلّ مكروه؛ وكانت تحب أن يقول فيها شيئاً وتعرض لذلك، فلم يفعل خوفاً من الحجاج. فلما قضت حجّها خرجت فزّ بها رجلٌ فقالت له : من أين أنت ؟ قال : من أهل مكة ؛ قالت : عليك وعلى أهل بلدك لعنة الله ! قال : ولم ذاك ؟ قالت : حججتُ فدخلتُ مكة ومعي من الجوّاري ما لم ترَ الأعينُ مثلهنّ ، فلم يستطع الفاسق ابن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً نلّوها في الطريق في سفرنا ! قال : فإني لا أراه إلّا قد فعل ؛ قالت : فأتينا بشيء إن كان قاله ولك بكل بيت عشرة دنانير : فمضى إليه فأخبره ؛ فقال : لقد فعلتُ ، ولكن أحبُّ أن تكتم علي ؛ قال : أفعل ؛ فأنشده :

راعَ الفؤادَ تفرّقُ الأحبابِ يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أطرابي

وهي طويلة . وأنشده :

هاجَ قلبي تذكُّرُ الأحبابِ وأعترتني نوابُ الأطرابِ

وهي طويلة أيضاً، يقول فيها :

أقتليني قتلاً سريعاً مريحاً لا تكوني عليّ سوطَ عذابِ
شفتُ عنها مُحقّق جنديّ فهي كالشمس من خلالِ سحابِ

— ذكر حبش : أن في هذه الثلاثة الأبيات للهُذليّ ثانيّ ثقيل بالبصرة — قال :

فعادَ إليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفعَت إليه ما وعدته به :

ذكر الغريضة وأخباره

من هو الغريضة :

الغريضة لقبٌ لُقِّبَ به ، لأنه كان طريّ الوجه نضراً غَضَّ الشباب حَسَنَ المنظر ، فَلُقِّبَ بذلك . والغريضة الطريّ من كل شيء . وقال ابن الكلبي : شُبِّهَ بالإغريض وهو الجُحار فَسُمِّيَ به ، وتَقَلَّ ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقليل له : الغريضة . وأسمه : عبد الملك ، وكنيته : أبو زيد .

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشَّيعي عن عمر بن شُبَّة عن أبي غَسَّان عن جماعة من المكِّيِّين :

أنه كان يَكْنَى أبا مَرْوان . وهو مَوْلَى الْعَبَّات ، وكان مَوْلِداً من مَوْلَدَي البربر . وَوَلَّاهُ وَوَلَّاهُ يَحْيَى قَيْلٌ وَسُمِّيَ لِثَرِيّاً (صاحبةُ عمر بن أبي ربيعة) وأخواتها الرُّضَيَّا وقُرْبَيَّة وأُمُّ عَثَّان بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّة الأصغر ، وقد مضت أخبارهنَّ في صدر الكتاب .

الاستاذ محمد تلميذه :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد بن نصر الضُّبَعي قال حدثني عبد الكريم بن أبي معاوية العَلَّابي عن هشام بن الكلبي عن أبيه وعن أبي مسكين ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شُبَّة قال حدثني أبو غَسَّان محمد بن يحيى ، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأزهر حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْري والمدائني ومحمد بن سَلَام ، وقد جمعت رواياتهم في قصة الغريضة ، قالوا :

كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدفّ ويُوقع بالقضيب، وكان جميلاً وضيئاً، وكان يُصنّع نفسه ويُبرّقها. وكان قبل أن يُغني خياطاً. وأخذ الغناء في أول أمره عن ابن سريج لأنه كان يُحذّره. فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقته خشي أن يأخذ غناؤه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه وجسده؛ فأعتلّ عليه، وشكاه إلى مولاته، وعنّ كنّ دفعته إليه ليعلمه الغناء، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده؛ فشكا ذلك إلى مولاته وعرفهنّ غرض ابن سريج في تنحيته إياه عن نفسه، وأنه حسده على تقدّمه.

تعلّم النوح وكان ينوح للنساء في المآتم :

فقلنّ له : هل لك في أن تسمع نوحنا على قتلاتنا فتأخذه وتغني عليه ؟ قال : نعم فأفعلنّ، فأسمعه المراثي فاحتذاها وخرّج غناء عليها كالمراثي، وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتضرب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كلّ من سمعه. ولما كثّر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشجاء فكان ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه الغريض فيه لحناً آخر. فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتدّ عليه وحسده، فغنى الأرمال والأهزاج فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض : يا أبا يحيى، قصّرت الغناء وحذفتّه؛ قال : نعم يا مخنث حين جعلت تنوح على أمك وأبيك.

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة قال : لما غضب ابن سريج على الغريض فأقصاه وهجره لحق بحجّوزاء وبغوم - جارين ناحتين كانتا في شعب ابن عامر بمكة، ولم يكن قبلهما ولا بعدهما مثلهما - فرأته يوماً يعصر عينيه ويبكي؛ فقالتا له :

(١) يصنّع نفسه : يقوم على تحسينها وترتيبها.

(٢) يبرقها : يزينها ويمسحها. يقال برّق منزله أي زينه وزوّقه. وفي بعض الأصول : «ويبرقها» ومعناه يوسع عليها ويدلّها ويعطيها شهواتها.

(٣) الشجاء : الحزن.

(٤) أي ناقضه وباراه فيه بلحن آخر يغنيه.

ما لك تبكي؟ فذكر لها ما صنع به ابن سريج؛ فقالتا له: لا أرقأ الله دمعك! الزُرْ رأسك بين ما أخذته عنه وبين ما تأخذه منك، فإن رُضت بعدها فأبعدك الله.

من الأربعة المشهورين :

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزُّبيري قال: رأيت جريراً في مجلس من مجالس قريش فسمعتُه يقول: كان المغنُّون بمكة أربعة، فسيد مبرز وتابع مسدد؛ فسألناه عن ذلك، فقال: كان السيد أبو يحيى بن سريج والتابع أبو يزيد الغريض. وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال: كان الغريض أخذق أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سريج، وما زال أصحابنا لا يُفرِّقون بينهما لمقاربتهما في الغناء. قال الزُّبيري وقال بعض أهلي: لو حُكِّمَتْ بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرقتُ بينهما، وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق، فأما غير ذلك فلا، لأن أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره أغترف وفي ميدانه جرى، فكان كأنه هو؛ ولذلك قالت سُكَيْنَةُ لما غنى الغريض وأبن سريج:

عوجي علينا ربة الهودج

والله ما أفرق بينكما، وما مثلكما عندي إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسن لا يُدرى أي ذلك أحسن.

الغريض أشجى غناء وابن سريج أحكم صنعة :

قال إسحاق: وسمعت جماعة من البُصراء عند أبي يتذاكرونهما، فأجمعوا على أن الغريض أشجى غناء، وأن ابن سريج أحكم صنعة.

(١) أي أجعل رأسك بينهما: تريدان بذلك أن يجمع بين ما أخذه عن ابن سريج وما سبأخذه عنها.

(٢) يلاحظ أنه لم يذكر هنا إلا اثنين.

غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن :

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزُّبَيْرِيُّ قال حدثني بعض أهلي قال : حَبَّجْنَا فلما كنَّا يَجْمَعُ سَمِعْنَا صوتاً لم نَسْمَعْ أحسنَ منه ولا أَشَجَى ، فأصغى الناس كلَّهم إليه تعجباً من حسنه ، فسألتُ من هذا الرجل ؟ فقليل لي : الغريز ، فتتابع جماعة من أهل مكة فقالوا : ما نعرفُ اليوم أحداً أحسنَ غناءً من الغريز ، ويدلُّك على ذلك أنه يعترض بصوته الحاجَّ وهم في حَجِّهم فيُصْغون إليه . فسألوا الغريز عن ذلك ، فقال : نعم ، فسألوه أن يُغَنِّيهم فأجابهم ، وخرج فوقف حيث لا يُرى ويُسمع صوته فترنَّم . ورجَّع صوته وغنَّى في شعر عمر بن أبي ربيعة :

أيها الرائحُ المجدُّ أَيْتَكَارَا قد قضى من تِهَامَةٍ الأوطارَا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك الصوت ، وتكلَّم الناسُ فقالوا : طائفةٌ من الجنِّ حُجَّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

أيها الرائحُ المجدُّ أَيْتَكَارَا قد قضى من تِهَامَةٍ الأوطارَا
مَنْ يَكُنْ قلبه القَدَاةَ خَلِيّاً ففؤادي بالخيفِ أَمْسَى مُعَارَا
ليت ذا الحجِّ كان حَتَمًا علينا كلَّ شهرَيْنِ حِجَّةً وَأَعْتَارَا

عروضه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لأَبْنِ مُحَرَّزٍ ، ولحنه من القَدَرِ الأوسط من الثقيل الثاني بالخصر في مجرى الوسطى . وفيه لحن للغريز من رواية حماد عن أبيه .

(١) جمع : المزدلفة وهو مبيت الحاج وجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات ، وهو المشعر الحرام .

(٢) الحجة (بالكسر) : المرة من الحج وهو شاذ لأن قياس المرة على فعلة بفتح الفاء .

نفي الغريض وابن سريج ومعبد :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمرو بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال :

بلغني أن معبداً وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكة ذات ليلة فقالوا : هلمَّ نَبْكِ أهل مكة ، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مرويٍّ عن يونس الكاتب : أن أميراً من أمراء مكة أمر بإخراج المغتربين من الحرم ، فلما كان في الليلة التي غزم بهم على النفي في غيرها اجتمعوا على أبي قبيس - وكان معبد قد زارهم - فبدأ معبد فغنى كذا روي عن يونس ولم يذكره الباقون .

صوت

أترتني من أعلى معدة هديتني أجداً البكا إن التفرق باكراً
فما مكثنا دام الجميل عليكما ربّهلان^(١) إلا أن تُرمَ الأباعرُ

- عروضة من الطويل . هكذا ذكره ولم ينسبه ولا جنسه - قال : فتأوه أهل مكة وأثوا وتمخّطوا^(٢) . وأندفع الغريض يغني :

أيها الرائحُ المجددُ أيتكاراً قد قضى من تهمّة الأوطاراً
فأرتفع البكاء والنحيب . وأندفع ابن سريج يغني :

جددي الوصل يا قريبُ وجودي لمحبي فراقه قد ألمأ
ليس بين الحياة والموت إلا أن يرُدُّوا رجالتهم فترماً

(١) هلان : جبل بنجد .

(٢) تمخّطوا : اضطربوا .

فارتفع الصراخ من الدور بالويل والحرب^١. قال يونس في خبره : وأجتمع الناس إلى الأمير فاستغفوه من نفيهم فأغفاهم . وذكر الباقر أن الغريض ابتداء بلحنه .

أيها الرأكب المجدد أبتكاراً

وتلاه ابن سريج في «جددي الوصل» . قال : وارتفع الصراخ فلم يسمع من معبد شيء ، ولم يقدر على أن يغني .

شطباء المغنية :

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعدي قال :

حضرت شطباء المغنية جارية علي بن جعفر ذات يوم تغني :

ليس بين الرحيل والبين إلا أن يردوا جمالهم قترماً

فطرب علي بن جعفر وصاح : سبحان الله العظيم ! ألا يوكون^٢ قرينة ! ألا يشدون محملاً ! ألا يعلقون سفرة^٣ ! ألا يسلمون على جار ! هذه والله العجلة .

نوح الغريض على الثريا :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال :

(١) أي قبل واويلاه وواحرباه . والحرب (بالتحريك) : أن يسلب الرجل ماله ، ثم توسع فيه فغير به عما يصيب المرء من مكروه .

(٢) أو كى القرينة : شدتها بالوكاء وهو رباطها ، وفي الحديث : «أو كوا الأسقية» . أي شدوا رؤوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شيء .

(٣) السفرة في الأصل : طعام يتخذه المسافر ، ومنه حديث عائشة : صنعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر سفرة في جراب أي طعاماً ، ثم أطلق مجازاً على جلد مستدير يعمل فيه هذا الطعام . وتطلق السفرة أيضاً على ما يبسط ليؤكل عليه .

قال لي كثير بن كثير السهمي : لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي : قل لي شعراً أبكر به عليها ؛ فقلت :

صوت

ألا يا عينُ ما لكِ تَدَمِّعينا أَمِنْ رَمَدٍ بَكَيْتِ فَتُكْخَلِينَا
أَمْ أَنْتِ مَرِيضَةٌ تَبْكِينَ شَجْوَاً فَشَجْوُكَ مِثْلُهُ أَبْكِي الْعِيُونََا

فناح به عليها . قال : وأخبرني مَنْ رآه بين عمودي سريرها ينوح به . الغناء للغريض في هذين البيتين خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى عن ابن المكي . وفيه ثقيل أول مجهول .

سكينة بنت الحسين تساوي بين المغنين :

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن سلام وأخبرنا وكيع قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن جرير ، ورواه حماد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضاً :

أَنَّ سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَجَّتْ فَدَخَلَ إِلَيْهَا ابْنُ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضُ وَقَدْ اسْتَعَارَ ابْنَ سُرَيْجٍ حُلَّةً لَأَمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَبَسَهَا ؛ فَقَالَ لَهَا ابْنُ سُرَيْجٍ : يَا سَيِّدَتِي ، إِنِّي كُنْتُ صَنَعْتُ صَوْتاً وَحَسَّنْتُهُ وَتَنَوَّقْتُ فِيهِ ، وَخَبَأْتَهُ لَكَ فِي حَرِيرَةٍ فِي دُرْجٍ مَمْلُوءٍ مِسْكَاً فَنَازَعْنِيهِ هَذَا الْفَاسِقُ - يَعْنِي الْغَرِيضُ - فَأَرَدْنَا أَنْ نَتَحَاكَمَ إِلَيْكَ فِيهِ ، فَأَيْنَا قَدَمَيْهِ فِيهِ تَقَدَّمْ ؛ قَالَتْ : هَاتِهِ ؛ فغَنَّاها :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرُجِيْ

فَقَالَتْ : هَاتِهِ أَنْتِ يَا غَرِيضُ ؛ فغَنَّاها إِيَّاهُ ؛ فَقَالَتْ لَابْنَ سُرَيْجٍ : أَعِدْهُ ،

(١) تنوَّق : نجوَّد في الشيء وبالغ فيه .

(٢) تخرجي : تأثمي .

فأعاده ، وقالت : يا غريض ، أعدّه ، فأعاده ؛ فقالت : ما أَسْتِهْكُما إِلَّا بِالْجُدَيْنِ :
الحارّ والبارد لا يُدْرِي أَيُّهما أَطيب . وقال إسحاق في خبره . ما أَسْتِهْكُما إِلَّا
بِاللؤلؤ والياقوت في أعناق الجوّاري الحسن لا يُدْرِي أَيُّهما أَحسن .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرُجِي
إِنِّي أَتَيْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ^١ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجٍ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهْجٍ
فِي الْحِجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَخْجِجِ
أَيْسَرُ مَا نَالَ مُحِبٌ لَدَى بَيْنَ حَبِيبٍ قَوْلُهُ عَرَجِ

عروضه من السريع . والشعرُ للعُرجي . والغناء لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بالوسطى
عن عمرو . وفيه للغريض ثَقِيل أَوَّل بالوسطى عن حبش . ولا إسحاق في الأَوَّل
والثالث ثَقِيل أَوَّل بالنصر عن عمرو . ولا تَجْرِي فيه ثاني ثَقِيل بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى
النصر عن ابن المكي . وَلِإِلْهَوِيَّةٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ . وَلِحُكْمٍ خَفِيفٌ
رَمَلٌ عَنْهُ أَيْضًا .

عطاء ابن رباح والغريض :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ خَلَفَ وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ رِبَاشٍ قَالَ حَدَّثَنِي

(١) يَمَانِيَّةٌ (بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ) نِسْبَةٌ إِلَى الْيَمَنِ ، وَالْمَشْهُورُ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الْيَمَنِ : بَنِي وَثَّانٍ بِالتَّخْفِيفِ
وَالْأَلْفِ عَوْسٌ عَنْ يَاءِ النِّسْبِ ، قَالَ سَيُوهٍ : وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ يَمَانِيَّةً بِالتَّشْدِيدِ . وَمِمَّا جَاءَ بِالتَّشْدِيدِ قَوْلُ
أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ :

يَمَانِيَّةٌ يَظَلُّ يَشْدُو كَبِيرًا وَيَنْفَعُ دَائِمًا لَهَبِ الشَّوَاظِ

إبراهيم بن المنذر قال حدثني حمزة بن عتبة اللهي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال :

كنت مع عطاء بن أبي رباح فجاء رجل فأنشده قول العرجي :
إني أرتيحت لي يمانية

وذكر الأبيات وختمها بقوله :

في الحج إن حجت وماذا مني وأهله إن هي لم تحجج

قال فقال عطاء : بني والله وأهله خير كثير إذ غيها الله وإياه عن مشاعره .

سكران يتغنى :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال :
ولي قضاء مكة الأوقص المخرومي فما رأى الناس مثله في عفافه ونبله ، فإنه
لناثم ليلة في جناح له إذ مر به سكران يتغنى :

عوجي علينا ربة الهودج

فأشرف عليه فقال : يا هذا شربت حراماً ! وأيقظت نياماً ! وغثيت خطأ !
خذه عني ! فأصلحه له وأنصرف .

الأبجر المغني :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق عن حمزة
ابن عتبة اللهي قال :

مر الأبجر بعطاء وهو سكران فعذله وقال : شهت نفسك بالغناء وأطرحتها
وأنت ذو مروءة ، فقال : أمراته طالق ثلاثاً إن برحت أو أغثيك صوتاً ، فإن
قلت لي : هو قبيح تركته ؛ فقال له عطاء : هات ويحك ! فقد أضرت بي ، فغناه :

في الحجّ إن حجّت وماذا مِنّي وأهله إن هي لم تَخْجِرْ

فقال له عطاء : الخيرُ والله كُله هناك حجّت أو لم تحجّ ، فأذهب الآن راشداً
فقد برّتَ يمينك .

ابن أبي عتيق والغريض :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهزويه قال حدثني
المغيرة بن محمد قال حدثني هارون بن موسى الغروي قال حدثني بعض المدنيتين قال :

خرج ابن أبي عتيق على نجيب له من المدينة قد أوقره^(١) من طرف المدينة
المشارب^(٢) وغير ذلك ، فلتى فتى من بني مخزوم مقبلاً من بعض ضياعه ، فقال :
يا ابن أخي ، أتصحبني ؟ قال : نعم ؛ قال المخرومي : فضينا حتى إذا قربنا من مكة
جنبنا عنها حتى جُزناها فصرنا إلى قصر ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأذن له ، فدخلنا
فإذا رجل جالس كأنه عجوز بربرية مختضبة ، لا أشك في ذلك ، وإذا هو الغريض
وقد كبر ، فقال له ابن أبي عتيق : تشوقنا إليك ، وأهدى له ما كان معه ، ثم
قال له : نحب أن نسمع ؛ قال : أدع فلانة - جارية له - فجاءت فغنّت ، فقال :
ما صنعتِ شيئاً ، ثم حلّ خضابه وغنى :

عوجي علينا ربة الهودج

فما سمعت أحسن منه قط ، فأقنا عنده أياماً كثيرة وخبأه قائم وطعامه كثير .
ثم قال له ابن أبي عتيق : إني أريد الشخص ، فلم يبق بمكة تحفة عدني ولا
يمان ولا عود إلا أوقره به راحلته . فلما أرتحلنا وبرزنا صاح به الغريض : هيا
هيا ، فرجعنا إليه ؛ فقال : ألم تروا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« يُحْشَرُ من بَقِيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر » ! فقال له ابن

(١) أوقره : حمله .

(٢) المشارب : جمع مشربة (بالكسر) وهي إناء يشرب به .

أبي عتيق : بلى ، فقال : هذه سنٌ لي انتزعت فأحب أن تدفنها بالبقيع ، فخرجنا والله أخسر اثنين لم نعتسر ولم ندخل مكة ، حاملين سن الغريض حتى دفناها بالبقيع .

جرى ناصح بالود بيني وبينها :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغريض مع قوم فغنأهم هذا الصوت :

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقرَّبني يوم الحصاب إلى قتلي

فاشتد سرور القوم ، وكان معهم غلام أعجبه ، فطلب إليهم أن يكلموا الغلام في الخلوة معه ساعة ففعلوا فانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرة ، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم ، وأقبل الغريض يتناول حجراً حجراً يقرع به الصخرة ، ففعل ذلك مراراً ، فقالوا له : ما هذا يا غريض ؟ قال : كأنني بها قد جاءت يوم القيامة رافعة ذيلها تشهد علينا بما كان منأى إلى جانبها ، فأردت أن أخرج شهادتها عليّ ذلك اليوم .

نسبة هذا الصوت

صوت

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقرَّبني يوم الحصاب إلى قتلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقبٍ معي فتحدثت غير ذي رقبة أهلي
ولكن سرِّي ليس يحمله مثلي

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات . وذكر يونس أن فيه لحناً مالمالك ، وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش والهشامي وعليّ

أَبْنُ يَحْيَى وَحَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ . وَلَمُعِدٌ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشَ . وَلَا بَنُ مُحَرَّرٍ
ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْهُ .

شعر جميل وشعر عمر :

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو هَفَّانٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ
الْمُسَيَّبِيِّ وَالْمَدَائِنِيِّ وَأَبْنِ سَلَامٍ :

أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ كَانَ يُعَارِضُ جَمِيلًا ، إِذَا قَالَ هَذَا قَصِيدَةً قَالَ هَذَا مِثْلَهَا ،
فَيَقَالُ : إِنَّ عُمَرَ فِي الرَّائِيَةِ وَالْعَيْنِيَّةِ أَشْعَرُ مِنْ جَمِيلٍ ، وَإِنَّ جَمِيلًا أَشْعَرُ مِنْهُ فِي اللَّامِيَّةِ .
وَقَالَ الزُّبَيْرُ فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنْهُ : مِنَ النَّاسِ مَنْ يُفْضِلُ قَصِيدَةَ
جَمِيلِ اللَّامِيَّةِ عَلَى قَصِيدَةِ عُمَرَ ، وَأَنَا لَا أَقُولُ هَذَا ، لِأَنَّ قَصِيدَةَ جَمِيلٍ مُخْتَلِفَةٌ غَيْرُ
مُؤْتَلَفَةٍ ، فِيهَا طَوَالِعُ النَّجْدِ وَخَوَالِدُ الْمَهْدِ ، وَقَصِيدَةُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ مِلْسَاءُ الْمَتُونِ ،
مُسْتَوِيَةُ الْأَبْيَاتِ ، آخِذٌ بَعْضُهَا بِأَذْنَابِ بَعْضٍ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيلًا خَاطَبَ فِي قَصِيدَتِهِ
مَخَاطَبَةَ عُمَرَ لَأَرْتَجَحَ عَلَيْهِ وَعَثَرَ كَلَامُهُ بِهِ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ
حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ عَنْ أَبِي الْحَارِثِ بْنِ نَابِتَةَ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ الْحَزْرَمِيِّ وَهُوَ
الَّذِي يَقُولُ لَهُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ :

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ فَاسْتَمِعْ قَوْلَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنٍ

قَالَ : شَهِدْتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَجَمِيلًا بِالْأَبْطَحِ ، فَأَنْشَدَ جَمِيلٌ قَصِيدَتَهُ الَّتِي
يَقُولُ فِيهَا :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَأْشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي بُثَيْنَةً أَوْ أَبَدْتَ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ

ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الْوِزْنِ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

فقال جميل: هيهات يا أبا الخطّاب، والله لا أقول مثل هذا سجيس^(١) الليالي؛
والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحد! وقام مُشْتَرَا.

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال:
رأيت علماءنا جميعاً لا يشكّون في أنّ أحسن ما يُروى في تعظيم السرّ قولُ عمر:
ولكنّ سرّي ليس يحمله مثلي
قال الزبير: وحدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني ابن أبي الزناد قال: إنّما
اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجناب.

الفرزدق وشعر عمر:

أخبرني محمد بن أحمد الطّلاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الحرّاز عن المدائني:
أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة، فلما بلغ الى قوله:
فَقُمْنِ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَفْأَا فَعَلَنْ الَّذِي يَفْعَلَنْ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
صاح الفرزدق وقال: هذا والله الشعر الذي أرادته الشعراء فأخطأته وبكت
الديار.

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني

سوى قصيدة جميل فإنّ لها أخباراً تُذكر مع أخباره
فمن ذلك قصيدة عمر التي أولها:

جرى ناصح بالودّ بيني وبينها

(١) يقال: لا أفعل ذلك سجيس الليالي أي لا أفعله أبداً.

(٢) الجناب: موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى، وقيل هو من منازل بني مازن.
وقال نصر: الجناب من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد.

صوت

قِنِي الْبَغْلَةَ الشَّهْبَاءَ بِاللَّهِ سَلِمِي غُرَيْزَةَ ذَاتَ الدَّلِّ وَالْخُلُقَ الْجَزْلِي
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَمَثَلِ الَّذِي فِي حَدْوِكَ التَّغْلَ بِالتَّغْلِ
فَقُلْنَا لَهَا هَذَا عِشَاءُ وَأَهْلُنَا قَرِيبُ الْمَاءِ كَسَامِي مَرْكَبِ الْبَغْلِ

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبد في الأول والثاني
ثقیل أول بالوسطى عن عمرو بن بآنة وعلي بن يحيى ، وقيل إنه لمالك . ولأبن مُحَرِّز
في الثاني والثالث خفيف ثقیل أول بالبصرة عن الهشامي . ولأبن سُريج في
في الأول ثقیل والثاني خفيف آخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال . ولمالك في
الثاني والثالث ثاني ثقیل بالبصرة . ولا إبراهيم فيها خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى
الوسطى عن ابن المكي .
ومنها :

صوت

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ فَاسْتَمِعْ قَوْلَ رَشِيدٍ مُؤَمِّنٍ
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُكُمْ غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أَجِنُ
حَسَنُ الْوَجْهِ نَفِي لُونُهُ طِيبُ النَّشْرِ لَذِيذُ الْمُحْتَضِنِ

عروضه من الرمل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لأبن سُريج ثاني
ثقیل بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنه لأبن عائشة . وذكر ابن المكي أنه للغريض
في الثاني والثالث ، وفيهما رمل يُقال إنه لأهل مكة ، ويقال : إنه لمعبد الله بن
يونس صاحب أبيلة . وفيه ثقیل أول ذكر حبش أنه لأبن سُريج ، وذكر غيره
أنه لمحمد ابن السدي المكي ، وأنه غنَّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه .

(١) أبية بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي في أول الحجاز وآخر
الشام . وقال أبو المنذر ، سميت بأبية بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد
ابن يحيى قال :

كان ابن عائشة يُغني الهزج والخفيف ؛ ف قيل له : إنك لا تستطيع أن تُغني
غناء شجياً ثقيلاً ؛ فغنى :

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ

رجع الحديث الى أخبار الغريض

يتلقى غناءه عن الجن :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية عن مولى لآل
الغريض قال :

حدثني بعض موليائي وقد ذكرن الغريض فترحمن عليه وقلن : جاءنا يوماً
يحدثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عرّفنا بعد ذلك حقيقته ، وكان من أحسن الناس
وجهاً صغيراً وكبيراً ، وكُنّا نلقى من الناس عنتاً بسببه ، وكان ابن سُريج في جوارنا
فدفعناه إليه فلَقِنَ الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتاً ففتن أهل مكة بحسن
وجهه مع حسن صوته ، فلما رأى ذلك ابن سُريج كُفَّ عنه ، وكانت بعض
موليّاته تُعلِّمه التباحة فبرز فيها ، فجاءني يوماً فقال : نهتني الجن أن أنوح وأسمعني
صوتاً عجباً فقد أبتنيت عليه لحناً فاسمعيه مني ، واندفع فغنى بصوت عجيب في
شعر المرّار الأسدي :

حَلَقْتُ لها بالله ما بين ذي الغضا وهضب القنان من عوانٍ ولا بكرٍ
أحب إلينا منك ذلاً وما نرى به عند ليلٍ من ثوابٍ ولا أجرٍ

(١) لقن الكلام من فلان : أخذه عنه مشافهة وفهمه .

(٢) القنان : جبل لبني أسد فيه ماء يدعى العسيلة .

فكذبناه وقلنا : شيء فكَرَّ فيه وأخرجه على هذا اللحن ، فكان في كل يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحة صوتاً من الجن بترجيع وتقطيع قد بُنيتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يَزَلْ على ذلك ونحن نُنْكِرُ عليه ؛ فإنا لكذلك ليلة وقد اجتمع جماعة من نساء أهل مكة في جمع لنا سهرنا فيه ليلتنا والغريض يُغَنِّينا بشعر عمر ابن أبي ربيعة :

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدِّ الْبُكُورِ نَعَمْ فَلَايِيْ هَوَاهَا تَصِيرُ

إذ سمعنا في بعض الليل عزيفاً عجبياً وأصواتاً مختلفة ذَعَرَتْنا وأَفْرَعَتْنا ، فقال لنا الغريض : إن في هذه الأصوات صوتاً إذا غَمْتُ سمعته ، وأصبح فأبني عليه غنائي ؛ فأصغينا إليه فإذا نَغَمَتْهُ نغمة الغريض بعينها فصدقناه تلك الليلة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها البيتان

عروضه من الطويل . غنَّاه الغريض ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن حبش . قال : وَلِعَلَّوْهُ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ آخِرٍ بِالْبِنْصَرِ .
ومنها :

صوت

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدِّ الْبُكُورِ نَعَمْ فَلَايِيْ هَوَاهَا تَصِيرُ
أَبَالْعَوْرِ أَمْ أَنْجَدَتْ دَارُهَا وَكَانَتْ حَدِيثًا بَعْدِي تَعُورُ

(١) عزف عزيفاً : صوت ، غنى .

(٢) أنجدت : ارتفعت .

نَظَرْتُ بِخَيْفٍ مِّنِّي نَظْرَةً إِلَيْهَا فَكَادَ فُؤَادِي يَطِيرُ
هِيَ الشَّمْسُ تَسْرِي بِهَا بَغْلَةً وَمَا خَلَتْ شَمْسًا بَلِيلَ تَسِيرِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ مُسْتَشْفَرٌ وَأَنْ عَدُوَّكَ حَوْلِي حُضُورُ

عروضه من المتقارب . الشعر للتثني ، وقيل : إنه ليزيد بن معاوية . والغناء
لسياط خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . ولأبن سريج فيه خفيف ثقيل
بالوسطى ؛ أوله :

هِيَ الشَّمْسُ تَسْرِي بِهَا بَغْلَةً

وفيه للغريض ثاني ثقيل بالينصر عن الهشامي وحامد ، وذكر غيرها أنه لأبن
جامع . وذكر حبش أن فيها لأبن محرز ثقيلاً أول بالينصر .

سكينة والغريض وعمر :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصَعَّبُ
الزُّيَّرِيِّ :

اجْتَمَعَ نِسْوَةٌ فَذَكَرْنَ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَشِعْرَهُ وَظَرْفَهُ وَحُسْنَ مَجْلِسِهِ
وَحَدِيثَهُ وَتَشَوَّقْنَ إِلَيْهِ وَتَمَنَّيْنَهُ ؛ فَقَالَتُ سَكِينَةُ : أَنَا لَكُنَّ بِهِ ، فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ
رَسُولًا وَوَعَدْتُهُ الصُّورَيْنِ^(١) لِلَّيْلَةِ سَمَّتَهَا ، فَوَافَاها عَلَى رِوَاحِلِهِ وَمَعَهُ الْغَرِيضُ ، فَخَدَّتْهُنَّ
حَتَّى وَافَى الْفَجْرُ وَحَانَ أَنْصَرَفْنَهُنَّ ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي وَاللَّهِ لَمُشْتَاقٌ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَكِنْ لَا أَخْلُطُ بِزِيَارَتِكَ
شَيْئًا ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ :

أَلَيْمٌ بِزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَأُ قُلَّ الثَّوَاءِ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا

قال : وأنصرف عمر بالغريض معه ، فلما كان بمكة قال عمر : يا غريض ، إني

(١) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع .

(٢) أفد بكسر الفاء : دنا وحضر .

أريد أن أخبرك بشيء، يتعجل لك نفعه ويبقي لك ذكره، فهل لك فيه؟ قال: أفعل من ذلك ما شئت وما أنت أهله؛ قال: إني قد قلت في هذه الليلة التي كنا فيها شعراً فأمض به إلى النسوة فأنشدن ذلك وأخبرهن أنني وجهت بك فيه قاصداً؛ قال: نعم. فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سكينة وقال لها: جعلت فداك يا سيدي ومولائي، إن أبا الخطاب - أبقاه الله - وجهني إليك قاصداً، قالت: أو ليس في خير وسرور تركته؟ قال: نعم؛ قالت: وفي وجهك أبو الخطاب حفظه الله؟ قال: جعلت فداك، إن ابن أبي ربيعة يحملني شعراً وأمرني أن أنشدك إياه؛ قالت: فهاته، قال فأنشدها:

أَلِمَ بَزِينَبَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ التَّوَاهُ لَنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا

الشعر كله؛ قالت: فيا ويحه! فما كان عليه ألا يرحل في غده! فوجهت إلى النسوة فجميعتهن وأنشدتهن الشعر، وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً؟ قال: قد غنيت ابن أبي ربيعة؛ قالت: فهاته، فغنأه الغريض؛ فقالت سكينة: أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة، لولا أنك سبقت فغنيت عمر قبلنا لأحسناً جازتلك، يا بُنانة، أعطيه بكل بيت ألف درهم، فأخرجت إليه بُنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه؛ وقالت سكينة: لو زادنا عمر لزدناك.

نسبة هذا الغناء

صوت

أَلِمَ بَزِينَبَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ التَّوَاهُ لَنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
قَدْ حَلَقَتْ لَيْلَةَ الصَّوْرَيْنِ جَاهِدَةً وَمَا عَلَى الْحُرِّ إِلَّا الصَّبْرُ مُجْتَهِدَا
لَاخْتَهَا وَلَاخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا

(١) قاصداً: عامداً.

(٢) المناصف: جمع منصف (كمنبر ومقعد) وهو الخادم، والأنثى بالهاء.

لَعَمْرُهَا مَا أَرَانِي إِنْ نَوَىٰ تَزَحَّتْ ۖ وَهَكَذَا الْحَبُّ إِلَّا مَيِّتًا كَمَدَا

عروضه من البسيط . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ، وله فيه لحنان : أحدهما رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق ، والآخر خفيف رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه لحنٌ للغريض خفيفٌ ثَقِيلٌ بالبصر عن الهشامي وحَمَادٌ ، وذكر عمرو : أنه لما لك ، أوله الرابع ثم الأول ، ومن الناس مَنْ يَنْسِبُ هذا إلى معبد ؛ وأوله :

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا

وذلك خطأ ، اللحن الذي عمله معبد غير هذا وهو :

صوت

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنْ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا ۖ قَلَّ الثَّوَاءُ لَنْ كَانَ الرِّحِيلُ غَدَا
أَمْسَى الْعِرَاقِي لَا يَدْرِي إِذَا بَرَزَتْ ۖ مَنْ ذَا تَطْلُوفَ بِالْأَرْكَانِ أَوْ سَجْدَا

عروضه من البسيط . الشعر للأخوص ، ويقال : إنه لعمر أيضاً . والغناء لمعبد ، ولحنه من الثقيل الأول بالبصر عن عمرو والهشامي .

عائشة بنت طلحة والغريض :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال :

حَجَّتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بِنْتُ عُيَيْنَةَ اللَّهُ خَفَاءُهَا الثَّرَيَا وَأَخَوَاتُهَا وَنِسَاءُ أَهْلِ
مَكَّةَ الْقُرَشِيَّاتِ وَغَيْرُهُنَّ ، وَكَانَ الْغَرِيضُ فِيمَنْ جَاءَ ، فَدَخَلَ النِّسْوَةَ عَلَيْهَا فَأَمَرَتْ
هَنْ بَكْسُودَةَ وَأَلطافاً كَانَتْ قَدْ أَعَدَّتْهَا لَمَنْ يُجِئُهَا ، ففعلتُ تَخْرُجُ كُلَّ وَاحِدَةٍ

(١) النوى هنا : الدار وهي مؤنثة . وتزحت : بعدت .

(٢) الألفاظ : جمع لطف (بالتحريك) وهو من طرف التحف ما أُلْفِتَ به أخاك ليعرف به برك .

ومعها جاريتهُ ومعها ما أمرت لها به عائشة والغريضُ بالباب حتى خرج موكباًته
مع جواريهنَّ إلخُفُ والالطافُ؛ فقال الغريضُ : فأين نصيبي من عائشة ؟ فقلن له :
أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا ؛ فقال : ما أنا بيارح من بابها أو آخذَ بحظي منها
فإنها كريمةُ بنتُ كرام ، وأندفع يغني بشعر جميل :

تذكَرْتُ ليلي فالنَّوَادِ عَمِيدُ^(١) وَشَطَّتْ نَوَاهَا فَالْمَزَارُ بَعِيدُ

فقالت : ويلكم ! هذا موكلي العَبَلات بالباب يُذَكِّرُ بنفسه هاتوه ، فدخل ،
فلما رآته ضحكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها ،
ثم قالت له : إن أنت غَنَيْتَنِي صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا (شيء سَمَّته له
ذهب عن ابن سلام) قال : فغناها في شعر كثير :

وما زِلْتُ من ليلي لَدُنْ طَرَّ شَارِي^(٢) إِلَى الْيَوْمِ أَخْنِي جَبْهًا وَأُدَاجِنُ^(٣)
وَأَحْمِلُ فِي لَيْلِي لِقَوْمٍ ضَعِينَةً^(٤) وَتَحْمِلُ فِي لَيْلِي عَلَيَّ الضَّغَائِنُ

فقالت له : ما عدوت ما في نفسي ، ووَصَلْتَهُ فَأَجَزَلْتُ . قال إسحاق : فقلتُ
لأبي عبد الله : وهل علمتَ حديثَ هذين البيتين ؟ ولم سألتَ الغريضَ ذلك ؟
قال : نعم .

الشعبي عند مصعب بن الزبير وزوجه عائشة :

حدثني أبي قال قال الشعبي : دخلتُ المسجد فإذا أنا بمصعب بن الزبير على
سَرِيرٍ جالسٍ والناسُ عنده ، فسَلَّمْتُ ثم ذهبتُ لأنصرف ، فقال لي : ادْنُ ،
فدنوت حتى وضعتُ يدي على مِرَافِقِهِ^(١) ، ثم قال : إذا قمتُ فأتبعني ، فجلس قليلاً
ثم نهض فتَوَجَّه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته ، فلما طعنُ في الدار التفتَ إلي

(١) العميد : الشديد الحزن الذي هداه العشق .

(٢) طَرَّ شارب الغلام من باب نصر فهو طارٌّ : طلع ونبت

(٣) جمع مرفق أو مرفقة وهي الخدة .

(٤) طعن في الدار : ذهب ، سار .

فقال : ادخل ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجْرته وتبعته ، فالتفتَ إليّ فقال : ادخل ، فدخلتُ معه ، فاذا حُجْلة^(١) ، وإنها لأوّل حُجْلة رأيْتُها لأُمير^(٢) ، فقمْتُ ودخل الحُجْلة فسمعتُ حركة ، فكهرتُ الجلوسَ ولم يأمرني بالانصراف ، فاذا جارية قد خرجتْ فقالت : يا شعبي^(٣) ، إنَّ الأُمير يأمرُك ان تجلس ، فجلستُ على وِسادة ورُفْع سَجف الحُجْلة ، فاذا أنا بمصعب بن الزُّبير ، ورُفْع السجف الآخر فاذا أنا بعائشة بنت طلحة ، قال : فلم أر زوجاً قطُّ كان أجملَ منهما : مصعب وعائشة ، فقال مصعب : يا شعبي^(٤) ، هل تعرف هذه ؟ فقلت : نعم أصلح الله الأُمير ؛ قال : ومَنْ هي ؟ قلت : سيدةُ نساء المسلمين عائشة بنت طلحة ؛ قال : لا ، ولكن هذه ليلي التي يقول فيها الشاعر :

وما زِلْتُ من ليلي لَدُنْ طَرٍّ شاري

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فسمِّ ، فقمْتُ . فلما كان العشيُّ رُحْتُ وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسَلَّمْتُ ، فلما رآني قال لي : ادنْ ، فدنوت حتى وضعتُ يدي على مرافقه ، فأصغى^(٥) إليّ فقال : هل رأيتَ مثل ذلك لإنسان قطُّ ؟ قلت : لا والله ؛ قال : أفتدري لِمَ أدخلناك ؟ قلت : لا ؛ قال : لتُحدِّثَ بما رأيتَ . ثم التفتَ إلى عبد الله بن أبي فرُوة فقال : أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً ، فما أنصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما أنصرفتُ به ، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة^(٦) القُصَّار ثياباً وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة .

عائشة بنت طلحة وازواجها :

قال : وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا

(١) الحُجْلة (بالتحريك) : مثل القبة ، وحُجْلة العروس : بيت يزِين بالثياب والاسرة والسنور .

(٢) ولأخوه عبد الله العرافين فتولاهما حتى سار اليه عبد الملك بن مروان ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدمته فلقبه مصعب فقاتله حتى قتل .

(٣) أصغى : أمال رأسه .

(٤) الكارة من الثياب : ما يجمع ويشد ، وكارة القُصَّار سميت بذلك لأنه يكور ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

عُذْرَتِهَا ثُمَّ هَلَكَ ، فَتَزَوَّجَهَا مَصْعَبٌ فَقُتِلَ عَنْهَا ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْتَرٍ فَبَنَى بِهَا بِالْحَيْرَةِ ، وَوَهَبَتْ لَهُ يَوْمَ عُرْسِهِ فُرُشَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا : سَبْعُ أَذْرَعٍ فِي عَرَضٍ أَرْبَعٍ ، فَانصَرَفَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَنْ سَبْعِ مَرَّاتٍ ؛ فَلَقِيَتْهُ مَوْلَاةٌ لَهَا حِينَ أَصْبَحَ فَقَالَتْ : يَا أَبَا حَفْصٍ ، كُفِّتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي هَذَا . فَلَمَّا مَاتَ نَاحَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ قَائِمَةٌ ، وَلَمْ تَنْجُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَائِمَةً - وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا نَاحَتْ الْمَرْأَةُ قَائِمَةً عَلَى زَوْجِهَا عُلِمَ أَنَّهَا لَا تَرِيدُ أَنْ تَتَزَوَّجَ بَعْدَهُ - فَقِيلَ لَهَا : يَا عَائِشَةُ ، مَا صَنَعْتَ هَذَا بِأَحَدٍ مِنْ أَزْوَاجِكَ ! قَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ فِيهِ خِلَالٌ ثَلَاثٌ لَمْ تَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ : كَانَ سَيِّدُ بَنِي تَيْمٍ ، وَكَانَ أَقْرَبَ الْقَوْمِ بِي قَرَابَةٍ ، وَأَرَدْتُ أَلَّا أَتَزَوَّجَ بَعْدَهُ !! .

وَأَخْبَرَنِي بِنَجْرِ مَصْعَبٍ وَالشَّعْبِيِّ وَعَائِشَةُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ :

خَرَجَ مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ يَرِيدُ دَارَ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ ، فَرَأَى بِالْمَسْجِدِ فَأَخَذَ بِيَدِ الشَّعْبِيِّ . ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِ الْمُغَنِّينَ . قَالَ أَبُو عَمَّارٍ : وَأَخْبَرَنِي بِهِ دَاوُدُ بْنُ جَمِيلٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ جَمِيلٍ الْكَاتِبُ عَنْ أَبِي الْأَعْرَابِيِّ : قَالَ أَبُو عَمَّارٍ وَأَخْبَرَنِي بِهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْحَرَّازُ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ :

دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَفِيهِ مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَاسْتَدْنَانِي فَدَنَوْتُ حَتَّى وَضَعَتْ يَدَيَّ عَلَى مِرَافِقِهِ ، فَأَصْفَى إِلَيَّ وَقَالَ : إِذَا قُتِلَ فَاتَّبِعْنِي . ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ أَيْضًا مِثْلَ الَّذِي تَقَدَّمَ .

نسبة هذا الصوت

صوت

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلٍ لَدُنْ طَرِّ شَارِبِي إِلَى الْيَوْمِ أَخْنِي حُبَّهَا وَأَدَايْنِ

(١) العذرة (بالضم) : البكارة ، يريد أنه أوّل من تزوّجها .

وأحمل في ليلي ضغائنَ مَعْشَرٍ وتُحْمَل في ليلي عليّ الضغائنُ
عروضه من الطويل . الشعر لكثير بن عبد الرحمن . والغناء لمعبد ثقیل أول
بالنصر عن حبش . وفيه لحن للغريض .

انا سر يحيي :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال :
كان الغريض إذا غنى بيتين لكثير قال : أنا السريحي حقاً ، ولم يكن يقول
ذلك في شيء من غنائه وكان من جيد غنائه . وقدم يزيد بن عبد الملك مكة
فبعث إلى الغريض سرّاً فأثاه فغنّاه بهذا اللحن :

وإني لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشا نصحت لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حقدني

فأشير إلى الغريض أن أسكت ؛ وفطن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يُغَنِّيَني
بما يُريد ، فأعاد عليه الصوت مراراً ، ثم قال : زدني ممّا عندك فغنّاه بشعر عمرو
ابن شأس الأسدي :

فواندمي على الشباب وواندم ندمت وبان اليوم مني بغير ذم
أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلم

قال : فطرب يزيد وأمر له بجائزة سنّة . قال إسحاق : حدثت أبا عبد الله
هذا الحديث ، وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً ،
فقال أبو عبد الله : كان قدوم يزيد مكة وبعثته إلى الغريض سرّاً قبل أن
يُستخلف ؛ فقلت له : فلم أشير إلى الغريض أن يسكت حين غنّاه بشعر كثير :

وإني لأرعى قومها من جلالها

وما السببُ في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله : أنا أُحدِّثُكَ :

عندما تتدخل المرأة في شؤون زوجها :

حدَّثني أبي قال : كان عبد الملك بن مروان من أشدَّ الناس حُبًّا لعاتكة أمراته ، وهي ابنة يزيد بن معاوية وأُمُّ كَلْثُوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وهي أم يزيد بن عبد الملك ، فغضبت مرة على عبد الملك ، وكان بينهما باب فحجبت وأغلقت ذلك الباب ، فشقَّ غضبها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصته يقال له : عمر بن بلال الأسدي ، فقال له : ما لي عندك إن رَضِيتَ ؟ قال : 'حُكْمُكَ . فَأَتَى عُمُرُ بابها وجعل يَتَبَاكَى ، وأرسل إليها بالسلام ، فخرجتُ إليه حاضنتها ومواليها وجواربها فقلن : ما لك ؟ قال : فَرَعْتُ إلى عاتكة ورجوتُها فقد علمتُ مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعده ، قلن : وما لك ؟ قال : ابناي لم يكن لي غيرُهما فقتل أحدهما صاحبه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتِلُ الآخر به ، فقلتُ : أنا الوليُّ وقد عفوتُ ؛ قال : لا أعودُ الناسَ هذه العادة ، فرجوتُ أن يُنجيَ اللهَ ابني هذا على يدها ؛ فدخلنَ عليها فذكرنَ ذلك لها ؛ فقالت : وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرتُ له ؟ قلن إذا والله يُقْتَلُ ، فلم يزلن حتى دعتُ بَنِيَّاهَا فَأَجْمَرَتْهُمَا^(١) ثم خرجت نحو الباب ، فأقبل حُدَيْجُ الْحَصِيّ قال يا أمير المؤمنين : هذه عاتكة قد أقبلتُ ؛ قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : قد والله طلعتُ ! فأقبلتُ وسلَّمتُ فلم يَرُدَّ عليها ، فقالت : أما والله لولا عمرُ ما جئتُ ، إن أحدَ أبنيه تعدَّى على الآخر فقتلَه فأردتُ قتلَ الآخر وهو الوليُّ وقد عفا ؛ قال : إني أكره أن أعودُ الناسَ هذه العادة ؛ قالت : أنشدُك اللهَ يا أمير المؤمنين ، فقد عرفتُ مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد ، وهو بباني ؛ فلم تزل به حتى أخذتُ برجله فقبَّلْتُها ؛ فقال : هو لك ، ولم يَبْرَحَا حتى أصطلحا ؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف

(١) أجمرتها : بخرتها .

رأيت ؟ قال : رأينا أثرَكَ ، فهاتِ حاجَتَكَ ؛ قال : مَزْرَعَةٌ بعدَتْها وما فيها ،
وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي ؛ قال : ذلك لك . ثم أندفع عبد
الملك يتمثل بشعر كثير :

وإني لأرعى قومها من جلالها

البيتين ؛ فعلمت عاتكة ما أراد . فلما غني يزيد بهذا الشعر كرهته مواليه
إذ كان عبد الملك يتمثل به في أمه ، ولم يكرهه يزيد وقال : لو قيل هذا الشعر
فيها ثم غني به لما كان عيباً ، فكيف وإنما هو مثل يتمثل به أمير المؤمنين في
أجل العالمين !

قال أبو عبد الملك : وأما خبره لما غنى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشعث
لما قُتِل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس ، فلما ورد
به وأوصل كتاب الحجاج جعل عبد الملك يقرؤه ، فكلما شك في شيء سأل عرار
عنه فأخبره ، فعجب عبد الملك من بَيانه وفصاحته مع سواده ، فقال متمثلاً :

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإنني أحبّ الجونَ ذا المنكبِ العمَمِ

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك ؛ فقال له : ممَّ ضحكت
ويلك ! قال : أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا ؛
قال : فأنا والله هو ؛ فضحك عبد الملك وقال : حظٌ وافق كلمة ، ثم أحسن
جاءته وسرَّحه .

قال أبو عبد الله : وإنما أراد الغريص أن يُغني يزيد بتمثلات عبد الملك في
الأمر العظام ، فلما تبين كراهة مواليه غناه فيما يتمثل به في عاتكة أراد أن
يُعقِّبه ما يتمثل به في فتح عظيم كان لعبد الملك ، فغنَّاه بشعر عمرو بن شأس
في عرار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

وإني لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشاً نصحت لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حقدي

عروضه من الطويل . الشعر لكثير . والغناء للغريض ثاني ثقل بالسبابة في
مجرى البصر عن إسحاق . وذكر حبش أن فيه لقفا النجار ثاني ثقل بالوسطى ،
وفيه لعلويه ثقل أول .

معبد يطلب لقاء الغريض :

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني إبراهيم عن يونس
الكاتب قال حدثني معبد قال :

خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائه في لحنه :
وما أنسَ مَ الأَشْيَاءَ لَا أنسَ شَادِرَنَا بِمَكَّةَ مَكْحُولَا أَسِيلاً مَدَامَعُ

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه وأن الجُنَّ نهته أن يُغنيَه لأنه فتن طائفة
منهم ، فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه ، فلما قدمت مكة سألت عنه فدُلْتُ
على منزله ، فأتيته فقرعت الباب فما كلمني أحد ، فسألت بعض الجيران فقلت :
هل في الدار أحد ؟ قالوا لي : نعم ، فيها الغريض ، فقلت : إني قد أكثرت دقَّ
الباب ، فما أجابني أحد ! قالوا : إن الغريض هناك ، فرجعت فدققت الباب فلم
يُجِبْنِي أَحَدٌ ، فقلت : إن نفعني غنائي يوماً نفعني اليوم ، فأندفعت فغنيت لحنِي في
شعر جميل :

عَلِقْتُ الهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنِمِي حُبَّهَا وَيَزِيدُ

فوائده ما سمعتُ حركةَ الباب ، فقلت : بطل سحري^(١) وضاع سَفْري وجئتُ
أطلبُ ما هو عسيرٌ عليّ ، وأحتقرتُ نفسي وقلت : لم يتوَهمني^(٢) لضعفِ غنائي
عنده ، فما شَعَرْتُ إلا بصائح يصيح : يا معبد المغني ، انهم وتَلَقَّ عني شعرَ جميل
الذي تُغني فيه يا شقيّ البخت ، وغني :

للغريض ولم تذكر طريقته

صوت

وما أنس مـ الأشياء لا أنس قولها وقد قَرَبْتُ نضوي^(٣) أمصرَ تريدُ
ولا قولها لولا العيون التي ترى أتيتُك فاعذرني فدَتَّك جُودُ
خَليلي ما أخني من الوجد باطن ودمعي بما قلتُ الغداةَ شهيدُ
يقولون جاهد يا جميلُ بغزوة وأيَّ جِهادٍ غيرهن أريدُ
لكلِّ حديثٍ عندهن بشاشة وكلِّ قتيلٍ بينهن شهيدُ

عروضه من الطويل . قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسن منه ، وقَصَّرُ
إليّ نفسي وعلمتُ فضيلته عليّ بما أحسن من نفسه ، وقلت : إنه لحريّ بالاستتار
من الناس تَتَرِيهاً لنفسه وتعظيماً لِقَدْرِهِ ، وإن مثله لا يستحقّ الابتذال ، ولا
أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الأنصراف إلى المدينة راجعاً ، فلما كنتُ غير بعيد
إذا بصائح يصيح بي : يا معبد ، انتظر أكَلِمُك ، فرَجَعْتُ ، فقال لي : إن الغريض
يدعوك ، فأسرعتُ فَرِحاً فدنوتُ من الباب ؛ فقال لي : أتحبّ الدخول ؟ فقلتُ :
وهل إلى ذلك من سبيل ؟ فقرع الباب ففُتِحَ ، فقال لي : ادخل ولا تُطِلْ
الجالوس ؛ فدخلتُ فإذا شمس طالعة في بيت ، فسَلَّمْتُ فَرَدَّ السلام ، ثم قال :

(١) بطل سحري : ضاعت حيلتي وخاب مكري .

(٢) أي لم يثبني ولم يعرفني .

(٣) النضو : المهزول من الابل وغيرها .

(٤) أي صغرها في عيني .

اجلس جلست ، فإذا أنبلُ الناس وأحسنهم وجهاً وخلقاً وخلقاً ، فقال : يا مَعْبِدُ ، كيف طرأتْ^(١) إلى مكة ؟ فقلت : 'جِعلتُ فداءك ! وكيف عرفتني ؟ فقال : بصوتك ؛ فقلتُ : وكيف وأنت لم تسمعه قط ! قال : لما غنيتُ عرفتك به وقلت : إن كان مَعْبِدُ في الدنيا فهذا ؛ فقلت : 'جِعلت فداءك ، فكيف أجبتني بقولك : وما أنسَ^(٢) من الأشياء لا أنسَ قولها وقد قَرَبْتُ^(٣) نضوي أمصرَ تريدُ

فقال : قد علمتُ أنك تريد أن أسمعك صوتي :

وما أنسَ^(٢) من الأشياء لا أنسَ شاذناً^(٤) بمكة مكحولاً أسيلاً مدامعهُ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنه صوتٌ قد نُهيتُ أن أغنييه فغنيتك هذا الصوتَ جواباً لما سألتَ وغنيتُ ؛ فقلت : والله ما عدوتُ ما أردتُ ، فهل لك حاجة ؟ فقال لي : يا أبا عَبَادٍ ، لولا مَلالةُ الحديثِ وثقلُ إطالة الجلوس لا سَكُثرتُ منك ، فأعذر ؛ فخرجتُ من عنده ، وإنه لأجلُ الناس عندي ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدثتُ بحديثه وعجبتُ من فطنته وقيافته ، فما رأيتُ إنساناً إلا وهو أجلُّ منه في عيني . وذكرتُ جميلًا وبُشينة فقلتُ : ليتني عرفتُ إنساناً يُحدثني بقصة جميل وخبر الشعر فأكون قد أخذت بفضيلة الأمر كله في الغناء والشعر .

خبر جميل وبشينة :

فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مشهورٌ ، وقيل لي : إن أردت أن تُخبرَ بمشاهدته فأتِ بني حنظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يُخبرُكَ الخبر ؛ فأتيت الشيخ فسألتُه فقال : نعم ، بينا أنا في إيلي في الربيع إذا أنا برجلٍ منطوٍ على رَحله كأنه جانٌ فسلم عليّ ثم قال : من أنت يا عبدَ الله ؟ فقلت : أحدُ بني

(١) أي كيف أقبلت فجأة إلى مكة .

(٢) الشاذن : ولد الظبية .

(٣) القيافة : تتبع الاثر .

حنظلة ؛ قال : فانتسب ؛ فانتسبت حتى بلغت إلى مخذي الذي أنا منه ؛ ثم سألتني
عن بني عذرة أين نزلوا ؛ فقلت له : هل ترى ذلك السفح ؟ فإنهم نزلوا من
ورائه ؛ قال : يا أخا بني حنظلة ، هل لك في خير تصطنعه إلي ؟ فوالله لو أعطيتني
ما أصبحت تسوق من هذه الإبل ما كنت بأشكر مني لك عليه ؛ فقلت نعم ،
ومن أنت أو لا ؟ قال : لا تسألني من أنا ولا أخبرك غير أنني رجل بيني وبين
هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم ، فإن رأيت أن تأتيهم فإنك تجد القوم في
مجلسهم فتشدهم بكورة أدماء تجر خفيها غفلاً من السمة ، فإن ذكروا لك
شيئاً فذاك ، وإلا استأذنتهم في البيوت وقلت : إن المرأة والصبي قد يريان ما لا
يرى الرجال ، فتشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك ولا بيتاً من بيوتهم إلا
نشدتها فيه ؛ فأتيت القوم فإذا هم على جزور يقتسمونها ، فسلمت وانتسبت لهم
ونشدتهم ضالتي ، فلم يذكروا لي شيئاً ؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت : إن
الصبي والمرأة يريان ما لا ترى الرجال ، فاذنوا ؛ فأتيت أقصاها بيتاً ثم استقريتها
بيتاً بيتاً أنشدهم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا انتصف النهار وآذاني حرّ الشمس
وعطشت وفرغت من البيوت وذهبت لأنصرف حانت مني التفاتة فإذا بثلاثة
أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسني : سوءة ! وثق
بي رجل وزعم أن حاجته تعدل مالي ثم آتته فأقول : عجزت عن ثلاثة أبيات !
فأنصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أرخى مؤخره ومقدمه ، فسلمت
فرد علي السلام ، وذكرت ضالتي ، فقالت جارية منهم : يا عبد الله ، قد أصبت
ضالتك وما أظنك إلا قد اشتد عليك الحر واشتهيت الشراب ؛ قلت : أجل ؛
قالت : ادخل ؛ فدخلت فأتتني بصحفة فيها تمر من تمر هجر ، وقد حر فيه لبن ،
والصحفة مصرية مقضضة والقدح مقضض لم أر إناء قط أحسن منه ؛ فقالت :

(١) تشدهم بكورة : تناديهم وتسالهم عنها والبكرة : الفتية من الإبل ، والادماء : وصف
من الادمية ، والادمية في الناس : السمرة ، وفي الإبل والظباء : البياض . قال الأصمعي : الادم من
الإبل : الأبيض فان خالطته حمرة فهو أصهب فان خالطت الحمرة صفاء فهو المدمي .

(٢) الجزور : ما يجزر من النوق أو الغنم .

(٣) الصحفة : قصعة كبيرة منبسطة .

دُونَكَ؛ فَتَجَمَّعْتُ وَشَرِبْتُ مِنْ اللَّبَنِ حَتَّى رَوَيْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَمَّةَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُ
 الْيَوْمَ أَكْرَمَ مِنْكَ وَلَا أَحَقَّ بِالْفَضْلِ، فَهَلْ ذَكَرْتَ مِنْ ضَالَّتِي شَيْئاً؟ فَقَالَتْ:
 هَلْ تَرَى هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَوْقَ الشَّرَفِ؟ قُلْتُ نَعَمْ؛ قَالَتْ: فَإِنَّ الشَّمْسَ غَرَبَتْ
 أَمْسٍ وَهِيَ تُطَيِّفُ حَوْلَهَا ثُمَّ حَالَ اللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا؛ فَقُمْتُ وَجَزَيْتُهَا الْخَيْرَ
 وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ تَغَذَّيْتُ وَرَوَيْتُ! غَفَرْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الشَّجَرَةَ فَأَطْفَتُ بِهَا، فَوَاللَّهِ
 مَا رَأَيْتُ مِنْ أَثَرٍ، فَأَتَيْتُ صَاحِبِي فَإِذَا هُوَ مُشْرِحٌ فِي الْإِبِلِ بِكَسَائِهِ وَرَافِعٌ عَقِيرَتَهُ
 يُغْنِي؛ قُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ؛ قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا وَرَاءَكَ؟ قُلْتُ: مَا وَرَائِي
 مِنْ شَيْءٍ؛ قَالَ: لَا عَلَيْكَ! فَأَخْبَرَنِي بِمَا فَعَلْتُ، فَاقْتَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ حَتَّى انْتَهَيْتُ
 إِلَى ذِكْرِ الْمَرْأَةِ وَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي صَنَعْتُ؛ فَقَالَ: قَدْ أَصَبْتَ طَلِبَتَكَ؛ فَعَجِبْتُ مِنْ
 قَوْلِهِ وَأَنَا لَمْ أَجِدْ شَيْئاً، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ صِفَةِ الْإِبِلِ: الصَّحْفَةُ وَالْقَدْحُ فَوَصَفْتُهَا لَهُ،
 فَتَنَفَسَ الصُّعْدَاءُ وَقَالَ: قَدْ أَصَبْتَ طَلِبَتَكَ وَيْحَكَ! ثُمَّ ذَكَرْتُ لَهُ الشَّجَرَةَ وَأَنَّهَا
 رَأَتْهَا تُطَيِّفُ بِهَا؛ فَقَالَ: حَسْبُكَ! فَكَشْتُ حَتَّى إِذَا أَوْتُ إِبِلِي إِلَى مَبَارِكِهَا
 دَعَوْتُهُ إِلَى الْعِشَاءِ فَلَمْ يَدْنُ مِنْهُ، وَجَلَسَ مَعِيَ بِزُرِّ الْكَلْبِ، فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ
 نِمْتُ رَمَقْتُهُ فَقَامَ إِلَى عَيْبَةٍ لَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا بُرْدَيْنِ فَأَتَرَّرَ بِأَحَدِهِمَا وَتَرَدَّى
 بِالْآخَرِ، ثُمَّ انْطَلَقَ عَامِداً نَحْوَ الشَّجَرَةِ. وَأَسْتَبَطَنْتُ الْوَادِيَّ فَجَعَلْتُ أَخِي نَفْسِي حَتَّى
 إِذَا خَفْتُ أَنْ يَرَانِي انْبَطَحْتُ، فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى سَبَقْتُهُ إِلَى شَجَرَاتٍ قَرِيبٍ مِنْ
 تِلْكَ الشَّجَرَةِ بِحَيْثُ أَسْمَعُ كَلَامَهَا فَاسْتَوْتُ بِهِنَّ، وَإِذَا صَاحِبَتُهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَأَقْبَلَ
 حَتَّى كَانَ مِنْهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، فَقَالَتْ: أَجْلِسْ؛ فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ لَصِقَ بِالْأَرْضِ، فَسَلَّمَ
 عَلَيْهَا وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا أَكْرَمَ سَوْالٍ سَمِعْتُ بِهِ قَطّاً وَأَبْعَدَهُ مِنْ كُلِّ رِييَةٍ، وَسَأَلْتُهُ
 مِثْلَ مُسْئَلَتِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُ جَارِيَةً مَعَهَا فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ طَعَاماً، فَلَمَّا أَكَلَ وَفَرَّغَ، قَالَتْ
 أَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ؛ فَأَنْشَدَهَا:

(١) الشرف: المكان العالي.

(٢) عقيرة الرجل: صوته إذا غنى أو قرأ أو بكى. وقيل أصله أن رجلاً عقرت رجله فوضع
 العقيرة على الصبيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقليل: رفع عقيرته، ثم كثر ذلك حتى صير الصوت
 بالغناء عقيرة.

(٣) العيبة: وعاء من آدم يكون فيه المتاع.

عَلِقْتُ الهوى منها وليداً ولم يزل إلى اليوم يَنمي حبها وَيُزِيدُ

فلم يزالا يتحدثان ، ما يقولان خُشاً ولا هَجْراً ، حتى التفتت التفاتة فنظرت إلى الصبح ، فودّع كل واحد منهما صاحبه أحسن وداع ما سمعت به قط ثم أنصرفا ، فقصت فضيتُ إلى إيلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه ؛ فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرديه ثم قال : يا أخا بني تميم ، حتى متى تنام ! فقصت وتوضأتُ وصليتُ وحلبت إيلي وأعاني عليها وهو أظهر الناس سروراً ، ثم دعوته إلى الغداء فتغدّيتُ ، ثم قام إلى عييته فافتتحها فإذا فيها سلاحٌ وُبردانٌ مما كسسته الملوكة ، فأعطاني أحدهما وقال : أما والله لو كان معي شيء ما ذخرته عنك ، وحدثني حديثه وأنتسب لي ، فإذا هو جميل بن مَعْمَرِ والمرأة بُثينة ، وقال لي : إني قد قلت أبياتاً في مُنصرفي من عندها ، فهل لك إن رأيتهما أن تُتشدّها ؟ قلت : نعم ! فأُنشدني :

وما أنسَ من الأشياء لا أنسَ قولها وقد قرّبتُ رضوي أمصرَ تُريدُ

الأيّيات ، ثم ودّعني وأنصرف ، فكشّيتُ حتى أخذت الإبلَ مرارتيها ، ثم عمدت إلى دهنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي ، ثم أردتيت بالبرد وأتيت المرأة فقلت : السلام عليكم ، إني جئتُ أُمسِر طالباً واليوم زائراً ، أفتأذنون ؟ قالت نعم ، فسمعتُ جَويَريّة تقول لها : يا بُثينة ، عليه والله بُردٌ جميلٌ ؛ فجعلتُ أثني على ضيفي وأذكر فضله ، وقلت : إنه ذَكَرَكَ فأحسن الذكر ؛ فهل أنت بارزة لي حتى أنظر اليك ؟ قالت : نعم ، فلبست ثيابها ثم برزت ودعت لي بطرف ، ثم قالت : يا أخا بني تميم ، والله ما ثوبك هذان بمُسْتَبَيَّهَيْنِ ، ودعت بعينيتها فأخرجتني إلى ملحفة مَروِيّةٍ مُشَبَّعةٍ من العُصفر ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومنَّ إلى كسر البيت

(١) الملحفة (بالكسر) : اللباس الذي فوق اللباس من دثار البرد ونحوه ، ومروية : نسبة إلى «مرو» : بلدة بفارس . والنسبة إليها «مروي» (بالفتح والتحرّيك) و«مروزي» بزيادة الزاي . وفي إحدى النسخ : «ملحفة هروية» . وهذه نسبة إلى هراة : مدينة من أعظم مدن خراسان حضارة وكثرة سكان .

(٢) العُصفر : صبغ أصفر اللون .

وَلَتَخْلَعَنَّ مِدْرَعَتَكَ^١ ثُمَّ لَتَأْتِرَنَّ بِهِزِهِ الْمَلْحَفَةَ فَهِيَ أَشْبَهُ بِبُرْدِكَ ؛ ففعلتُ ذلك
وأخذتُ مِدْرَعَتِي بيدي فجعلتها إلى جانبي ، وأنشدتها الأبيات فدَمَعَتْ عيناها ،
وتحدثنا طويلاً من النهار ، ثم أنصرفتُ إلى أبي بلحفة بُثينة وُبرد جميل ونظرة
من بُثينة . قال مَعْبِد : فجزيتُ الشيخَ خيراً وأنصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ
الناس حالاً بنظرة من الغريز وأستأجر لغناؤه ، وعلمَ بحديث جميل وبُثينة فيما
غَنَيْتُ أنا به وفيما غَنَى به الغريز على حقِّ ذلك وصدقَه ، فإِيتُ ولا سمعتُ
بزوجين قطَّ أحسنَ من جميل وبُثينة ، ومن الغريز ومَنِي .

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر

وهي كلها من قصيدة واحدة .

منها :

صوت

عَلِقْتُ أَهْوَى مِنْهَا وَلِيداً فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْسِي حُبَّهَا وَيَزِيدُ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي أَنْتِظَارِي نَوَالَهَا وَأَفْنَيْتُ بِذَلِكَ الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِباً وَلَا حُبُّهَا فِيهَا يَبِيدُ يَبِيدُ
وَمَا أُنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أُنْسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَّبْتَ رِضْوِي أَمِصْرَ تُرِيدُ
وَلَا قَوْلَهَا لَوْلَا الْعَيُونُ الَّتِي تَرَى لَتَرُرْتُكَ فَاغْذِرْنِي فَدَتُكَ جُدُودُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي مِنْ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ تَوَلَّتْ وَقَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ

عروضه من الطويل . الشعر لجميل بن مَعْمَر . والغناء لمعبد في الأوَّل والثاني
والثالث والسادس والسابع . وَحَنُّهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ
إِسْحَاقَ وَعُمَرُو بْنِ بَانَةَ . وَذَكَرَ عُمَرُو وَالْهَشَامِيُّ أَنَّ فِيهِ ثَقِيلاً أَوَّلَ آخِرَ لِلْهَذَلِيِّ ،

(١) المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف .

وَأَنَّ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إِلَى مَعْبَدٍ وَالْإِبْرَاهِيمُ ، أَوَّلُهُ : « وَمَا
أَنْسَ مَرَّ الْأَشْيَاءِ » . وَفِي الْأَرْبَعَةِ الْأَبْيَاتِ الْأَوَّلِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ لِأَبْنِ أَبِي
قَبَاحَةَ . وَلَا إِسْحَاقَ فِي الثَّلَاثِ وَالسَّادِسِ ثَانِي ثَقِيلٌ آخِرٌ بِالْوُسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ .
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِيهِ غَنَاءٌ أَيْضاً ، وَهُوَ مَوْصُولٌ بِأَبْيَاتٍ أُخَرَ :

صوت

أَلَا لَيْتَ رِيْعَانِ الشَّبَابِ جَدِيدُ وَدَهْرًا تَوَلَّى يَا بُشَيْنُ يَعُودُ
فَنَنْغِي كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ قَرِيبُ وَمَا قَدْ تَبَذُّلَيْنِ زَهِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيَّتَ لَيْلَةً بِوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
وَهَلْ أَلْقَيْنَ سَعْدِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً وَمَا رَثَّ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدُ
فَقَدْ تَلَّتَنِي الْأَهْوَاءُ بَعْدَ تَفَاوُتِ وَقَدْ تُطَلِّبُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ

فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ ، ذَكَرَ حَبَشُ أَنَّهُ
لَا إِسْحَاقَ ؛ وَلَيْسَ يُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ . وَفِي الثَّلَاثِ وَمَا بَعْدَهُ لِأَبْنِ سُرَيْجٍ
ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ أَيْضاً .

قريض عمر والغريض :

أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ إِجَازَةً قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو
غَسَّانٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْنٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ سَلَمَةَ الْمُخَرَّمِيِّ
قَالَ :

(١) رِيْعَانُ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ .

(٢) وَادِي الْقُرَى : وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَهُوَ بَيْنَ تِيَّاهٍ وَخَيْبَرٍ ، فِيهِ قُرَى كَثِيرَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ
فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ فِي اسْمِ « الْقُرَى » : « قَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ : سَمِيَ وَادِي الْقُرَى لِأَنَّ الْوَادِي مِنْ أَوَّلِهِ
إِلَى آخِرِهِ قُرَى مَنْظُومَةٌ وَكَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ الْبَلَادِ ، وَآثَارُ الْقُرَى إِلَى الْآنَ بِهَا ظَاهِرَةٌ ، إِلَّا أَنَّهَا فِي
وَقْتِنَا هَذَا كُلُّهَا خَرَابٌ وَمِيَاهُهَا جَارِيَةٌ تَنْدَقُ ضَائِعَةٌ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا أَحَدٌ » .

خرجت مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخ^(١)، فلما أسحرنا^(٢) قال لي أعمامي :
انزل عن نجيبك^(٣) وأحمل عليه هذا الشيخ وأركب جملة^(٤)، ففعلت ؛ فإذا الشيخ^(٥)
قد أخرج عوداً له من غلاف^(٦)، ثم ضرب به وغنى :

هاج الغريض الذِّكرُ لما غَدُوا فانشَمروا^(٧)

فقلت لبعض أصحابنا : من هذا ؟ قال : الغريض .

نسبة هذا الصوت

صوت

هاج الغريض الذِّكرُ لما غَدُوا فانشَمروا
على بغالٍ شَحَجٍ^(٨) قد ضَمَّهِنَّ السَّفرُ
فيهنَّ هندٌ ليتني ما عَمَرْتُ أَعَمَّرُ
حتى إذا ما جاءها حَتَفُ^(٩) أتاني القَدَرُ

عروضه من الرجز . الذي قال عمر :

هاج الغريض الذِّكرُ

بالقاف ، فجعله الغريضُ لما غنى فيه : « الغريض » يعني نفسه . الشعر لعمر بن أبي
ربيعة . والغناء لأبن سريج . ذكر يونس أن له فيه لحنين . وذكر إسحاق أن

(١) أسحرنا : دخلنا في السحر .

(٢) النجيب من الإبل : القوي الخفيف السريع .

(٣) الغلاف : ما يوضع فيه الشيء .

(٤) فانشمروا : مروا جاذين مسرعين .

(٥) شحج : جمع شاحج ، والشاحج : صوت البغل .

(٦) هذا البيت وما بعده وردا في قصيدة من ديوانه مطلقها .

قد هاج قلبي محضر أقوى وربع مقفر

أحدهما رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر ولم يذكر الآخر ، وذكر الهشامي أن الآخر خفيف رَمَلٌ . وفيه للغريض ثقل أول بالبنصر ، وقيل : إنه لحن ابن سريج ، وإن خفيف الرَمَل للغريض . وأول هذا الصوت في كتاب يونس :

هاج فؤادي محضراً بذى عكاظٍ مُقْفَرٍ
حتى إذا ما وازنوا السَّروَةَ حين ائْتَمَرُوا
قيل أنزلوا فَعَرَسُوا من ليكنم وأنشِروا
وقولها لأختها أُمُطَيْنٌ عَمَرٌ

الوليد في مكة مع عمر والغريض :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال وذكر السَّعْدِيُّ :

أن الوليد بن عبد الملك قديم مكة ، فأراد أن يأتي الطائف ، فقال : هل من رجل عالم يُخبرني عنها ؟ فقالوا : عمر بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حاجة لي به ، ثم عاد فسأل ، فذكروه فأباه ، ثم عاد فذكروه فقال : هاتوه ؛ وركب معه فجعل يُحدثه ، ثم حوّل عمرُ رداءه ليُصلِّحه على نفسه ، فرأى الوليدُ على ظهره أثراً ، فقال : ما هذا الأثر ؟ قال : كنت عند جارية لي إذ جاءني جارية برسالة من عند جارية أخرى وجعلت تُسارِني بها ، فغارت التي كنتُ عندها فعَضَّتْ منكمبي ، فما وجدتُ ألمَ عَضَّتْها من لَذَّة ما كانت تلك تنفثُ في أذني حتى بَلَغَتْ ما ترى والوليد يَضْحَك . فلما رجع عمرُ قيل له : ما الذي كنت تُضْحِكُ به أمير المؤمنين ؟ قال : ما زِلنا في حديث الزَّنا حتى رَجَع . وكان قد حَمَلَ الغريضَ معه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنَّ عندي أجملَ الناسِ وجهاً وأحسنهم حديثاً ، فهل

(١) المحضر عند العرب : النهل الذي يجمعون ويحضرُون عليه ، وسواء كان حاضرو المياها ممن يقرُّون عليها للأبد ، أم يحضرونها شهوور الفيض ويفارقونها حين يقع ربيع في أرض فيلتجمعون ، وخلاف المحضر المنتجع والمبدي .

(٢) المراد من موازنتهم للمروة محاذاتهم لها ومقابلتهم إياها ، والمروة : جبل بمكة وهو أحد شعائر الحج . وائْتَمَرُوا : تشاوروا .

لك أن تسمعه؟ قال : هاتِه ، فدعا به فقال : أسمع أمير المؤمنين أحسن شيء
قلته ؛ فاندفع يغني بشعر عمر - ومن الناس من يرويه لجليل - :

صوت

إني لأحفظُ سرَّكم ويسرُّني لو تعلمين بصلاح أن تُذكرني
ويكونُ يومٌ لا أرى لك مرسلًا أو نلتني فيه علي كأشهر
يا ليتني ألقى المنية بعتة إن كان يوم لقائكم لم يُقدر
ما كنت والوعد الذي تعديني إلا كبرق سحابة لم تَطُر
تقضى الديون وليس يُنجزُ عاجلاً هذا الغريم لنا وليس بسغير

- عروضة من الكامل . وذكر حبش أن الغناء للغريص ، ولحنه ثقيل أول
بالبنصر - قال : فاشتد سرور الوليد بذلك وقال له : يا عمر ، هذه رقيقتك ،
ووصله وكساه وقضى حوائجه .

عمر وجليل وكثير في نظر نصيب :

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن
عوانة قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال :

قديم نصيب الكوفة ، فأرسلني أبي إليه ، وكان له صديقاً ، فقال : أقرئه مني
السلام وقل له : إن رأيت أن تهدي لنا شيئاً مما قلت ! فأتيته في يوم الجمعة وهو
يصلي ، فلما فرغ أقرأته السلام وقلت له ، فقال : قد علم أبوك أنني لا أنشد في
يوم الجمعة ولكن تلقاني في غيره فأبلغ ما تحب ، فلما خرجت وانتهيت إلى الباب
رُدِدْتُ إليه ؛ فقال : أتروي شيئاً من الشعر ؟ قلت نعم ؛ قال : فأنشدني ،
فأنشدته قول جميل :

إني لأحفظُ غيبكم ويسرُّني لو تعلمين بصلاح أن تُذكرني

الآبيات المتقدمة ؛ فقال نُصِيبُ : أَمْسِكْ ! أَمْسِكْ ! لله دَرُّهُ ! ما قال أحدٌ إلا دون ما قال ، ولقد نَحَتَ للناس مثلاً لا يَحْتَدُونَ عليه . ثم قال : أُمَّا أَصَدُّ قُنَّا في شعره فجميل ، وأُمَّا أَوْصَفُنَا لِرَبَّتِ الحُجَال فَكثِير ، وأُمَّا اكْذُبْنَا فَعَمَرُ بن أبي ربيعة ، وأُمَّا أَنَا فَأَقُول ما أعرف .

صنع لنا من اصوات الرهبان :

وقال هارون بن محمد الزيَّات حدثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه :
أن الغريض سمع أصوات رُهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض من معه : يا أبا يزيد ، صُغ على مثل هذا الصوت ، لنا ؛ فصاغ مثله في لحنه :
يا أُمَ بَكَرَ حُبَّكَ البادي لا تَصْرِمِينِي إِنِّي غادي
فما سَمِعَ بأحسن منه .

نسبة هذا الصوت

صوت

يا أُمَ بَكَرَ حُبَّكَ البادي لا تَصْرِمِينِي إِنِّي غادي
جَدَّ الرَحِيلُ وَحَثْنِي صَحْبِي وأريد إمتاعاً من الزاد
عروضه من مُزَاحِفِ الكامل^(١) . الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري . والغناء للغريض خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى . وفيه لَابَنُ الْمَكِّي ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى عن حَبَش . وفيه لَابِرَاهِيم بن أَبِي الْهَيْثَم هَزَج .
عاقبة الاحتشام :

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عُمر بن شُبَّة عن أيوب بن عَبَّاد عن عمرو بن عُقبة — وكان يُعرف بأبن الماشطة — قال :

(١) البيتان من الكامل الذي دخل عروضه وضربه الحذف وهو حذف الوتد المجموع من متفاعلين ، والاشتمار وهو إسكان ثانيه .

خرجت أنا وأصحابي لي فيهم إبراهيم بن أبي الهيثم إلى العقيق، ومعنا رجل ناسك كنا نحتشم منه، وكان محموداً ثامناً، وأحببنا أن نسع من معنا من المغنين ونحن نهاؤه ونحتشمه، فقلت له: إن فينا رجلاً يُنشد الشعر فيحسن، ونحن نحب أن نسمعه، ولكننا نهاؤك؛ قال: فإني منكم! أنا محمود ثام، فاصنعوا ما بدا لكم؛ فاندفع إبراهيم بن أبي الهيثم فغنى:

يا أم بكر حبك البادي لا تضرميني إني غادي
جد الرحيل وحتني صخي وأريد إمتاعاً من الزاد

فأجاده وأحسنه. قال: فوثب الناسك فجعل يرقص ويصيح: أريد إمتاعاً من الزاد، والله أريد إمتاعاً من الزاد، ثم كشف عن أبيه وقال: أنا أنيك أم الحمي! قال: يقول لي ابن الماشطة: أعتقت ما أملك إن كان ناك أم الحمي أحد قبله. أخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب فذكر الخبر ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سوءته وما قاله بعد ذلك.

وفاته:

وكانت وفاة الغريز في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها. والأشبه أنه مات في خلافة سليمان، لأن الوليد كان ولي نافع بن علقمة مكة فهرب منه الغريز وأقام باليمن واستوطنها مدة ثم مات بها. وأخبرني بنجره الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسيبي قال أخبرني بعض المخزوميين أيضاً بنجره.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان: أن نافع بن علقمة لما ولي مكة خافه الغريز - وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجئه - فهرب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه. قال: فحدثني رجل من أهل مكة كان يخدمه: أنه دفع إليه يوماً ربة له وقال له: صر بها إلى فلان

العطَّار يَلُوحَا لي طيباً ؛ قال : فصرتُ بها اليه ، فلقيني نافعُ بن علقمة فقال : هذه رُبْعَةُ الغريض والله ! فلم أقدر أن أكتُمه ، فقلت : نعم ؛ قال : ما قصته ؟ فأخبرته الخبر ؛ فضحك وقال : سرُّ معي إلى المنزل ففعلت ، فلأها طيباً وأعطاني دنانير ، وقال : أعطه وقل له يَظهرُ فلا بأسَ عليه ؛ فسيرتُ اليه مسروراً فأخبرته بذلك فخرع وقال : الآن ينبغي أن أهرُب ، إنما هذه حيلةٌ أحتاها عليّ لأقع في يده ؛ ثم خرج من وقته إلى اليَمَن ، فكان آخرَ العهد به .

قال إسحاق خذتني هذا المخرومي : أن الغريضَ لما صار إلى اليمن وأقام به أَجَزْنَا به في بعض أسفارنا ؛ قال : فلما رأيته بكى ؛ فقلت له : ما يُبكيك ؟ قال : بأبي أنت وأمي ! وكيف يَطيبُ لي أن أعيشَ بين قوم يَروني أَجِلُ عودي فيقولون لي : يا هناه ، أتبيع آخرةَ الرَّحْلِ ! فقلت له : فارجع إلى مكة ففيها أهلك ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنما كنتُ أُستلِذُ مكة وأعيشُ بها مع أبيك ونحوه ، وقد أوطنتُ هذا المكانَ ولستُ تاركُهُ ما عشتُ ؛ قلنا له : فغَنَّا بشي ، من غنائك فتأبى ، ثم أقسمنا عليه فأجاب ، وعمدنا إلى شاةٍ فذبحناها وخرطنا من مصرانها أوتاراً ، فشدناها على عوده وأندفع فغنى في شعر زهير :

جرى دمعي فهيج لي سُجونا فقلبي يُستَجِنُ به جُنونا

فأسمعنا شيئاً أحسنَ منه ؛ فقلنا له : أرجع إلى مكة ، فكلُّ مَنْ بها يشتاؤك . ولم تزل تُرغبه في ذلك حتى أجاب اليه . ومَضَيْنَا حاجتنا ثم عُدْنَا فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ما قصتك ؟ قال : جاءني منذ ليالٍ قومٌ ، وقد كنتُ أغني في الليل ، فقالوا : غَنَّا ؛ فأنكرتهم وخفَّتهم ، فجعلتُ أغنَّهم ؛ فقال لي بعضهم غَنِّي :

(١) الهن : كلمة يكتن بها عن اسم الانسان . وقد تزايد في النداء الالف والهاء فيقال : يا هناه او يا هناه أقبل بالضم والكسر ، فالضم على أنها آخر الاسم والكسر لانقاء الساكنين .

(٢) آخرة الرحل ومؤخرته : ما يستند اليه الراكب ، وهي خلاف قادمته .

(٣) أي اغذته وطناً .

(٤) استجن به (بالبناء للفعول) : صار به مجنوناً .

لقد حثوا الجمالَ ليَهْرُبُوا مِنَّا فلم يَثْبُتُوا^١

ففعلت ؛ فقام إليّ هُنَّ^٢ منهم أَرْبُ^٣ فقال لي : أحسنتَ والله ! ودَقَّ رأسي ،
حتى سقطتُ لا أدري أين أنا ، فأفقتُ بعد ثلاثة وأنا عليل كما ترى ، ولا أراني
إلا سَامُوت . قال : فأقننا عنده بقيَّةَ يومنا ومات من غدرِ فدفنناه وأنصرفنا .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شُبَّة عن أبي غَسَّان قال :

زعم المكيُّون أنَّ الغريز خرج إلى بلاد عَكٍّ^٤ فغنى ليلاً :

هُمُ رَكِبُ لَقُوا رَكْبًا كما قد تَجَمَّعُ السُّبُلُ^٥

فصاح به صائحٌ : اكفُفْ يا أبا مَرْوَانَ ، فقد سَفَّهْتَ حُلَمَاءَنَا ، وأصيبتُ^٥
سفهاءَنَا ، قال : فأصبح مَيِّتًا .

وفاته في رواية ثانية :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شُبَّة قال حدثني محمد بن الحُطَّاب
قال حدثنا رجل من آل أبي قَبِيلٍ - يقال له مُحْرَز - عن أبي قبيل قال :
رأيتُ الغريز ، وقال إسحاق في خبره المذكور : حدثني محمد بن سَلَام عن أبي
قبيل - وهو مَوْكِي لآل الغريز - قال :

شهدتُ مجمَعاً لآل الغريز إمَّا عُرْسًا أو خِتَانًا ، فقبيل له : تَعَنَّ ؛ فقال :
هو ابنُ زانية إن فعل ؛ فقال له بعضُ مَوَالِيهِ : فأنتَ والله كذلك ! قال :

(١) لم يَثْبُتُوا : لم يجدوا موثلاً وملجأً يعتصمون به .

(٢) الهن : اسم يكنى به عن الشخص وجمعه « هنون » وفي حديث الجن : « فإذا هو بهنين
كانهم الرط » .

(٣) الأرب : الكثير الشعر .

(٤) عك : قبيلة ، والبلاد التي تضاف إليها : مخلاف باليمن .

(٥) أصيبت : دعوت إلى الصبا .

أوكذلك أنا؟ قال: نعم؛ قال: أنت أعلم بي والله! ثم أخذ الدفَّ فرمى به
وتمشى مشية لم أرَ أحسنَ منها، ثم تغنى:

تَشْرَبَ لَوْنَ الرَّازِقِيَّ بِيَاضُهُ أَوْ الزَّعْفَرَانِ خَالِطَ الْمِسْكِ رَادَعُهُ

فجعل يُغَنِّيهِ مُقْبِلًا وَمُذْبِرًا حَتَّى التَّوْتُ عُنُقُهُ وَخَرَّ صَرِيعًا، وَمَا رَفَعْنَاهُ إِلَّا
مَيِّتًا، وَظَنَّنَا أَنْ فَالْجَا عَاجِلُهُ. قَالَ إِسْحَاقُ وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي وَاسْكِينٍ
قَالَ: إِذَا نَهَتْ الْجَنَّةُ أَنْ يَتَغَنَّى بِهَذَا الصَّوْتِ، فَلَمَّا أَغْضِبَهُ مَوَالِيهِ تَغَنَّى فَقَتَلَتْهُ الْجَنَّةُ
فِي ذَلِكَ.

نسبة هذه الأصوات

منها:

صوت

جَرَى دَمْعِي فَهَيَّجَ لِي شُجُونًا فَقَلْبِي يُسْتَجِنُ بِهِ جُنُونًا
أَبْكِي لِلْفِرَاقِ وَكُلِّ حَيٍّ سَيِّئِي حِينَ يَفْتَقِدُ الْقَرِينَا
فَإِنْ تُصْبِحُ طُلُوحُهُ فَارَقَتْنِي بَيْنَ فَاِلْزِيَّةِ أَنْ تَبِينَا
فَقَدْ بَانَتْ بِكَرْهِِي يَوْمَ بَانَتْ مُفَارِقَةً وَكُنْتُ بِهَا ضُنِينَا

الشعر لزهير. والغناء للغريض عن حبش. وقيل: إنه لدحمان. وفيه لائي
الورد خفيف رمل بالوسطى عن حبش والهمشامي.

انقضت أخبار الغريض.

ومنها:

(١) الرازقي: يقال على ثياب الكتان البيض، وقيل: الرازقي: الكتان نفسه، ويقال على
ضرب من عنب الطائف أبيض اللون.

صوت

من المائة المختارة في رواية جحظة

لقد حثوا الجمالَ ليهـرُبوـا منأ فلم يثلوا
على آثارهن مقلص السربال معتبل
وفيهم قلبك المتبو ل بالحسنا مختبل
مخففة بحمل حما نل الديباج والحلل
أسائل عاصماً في السر أين تراهم تزلوا
فقال لهم قريب منك لو نفعوك إذر حلوا

الشعر للحكم بن عبدل الأسدي . والغناء في اللحن المختار للغريض ، ولحنه خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات . وذكر الهشامي أن فيها لحناً لمبعد من الثقيل الأول . وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيها لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن حبش . وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه أربعة ألحان : منها لحنان في خفيف الثقيل للغريض ومالك ، ولحنان في الرمل لابن سريج ومخارق . وذكر ابن الكلبي أن فيها لعريب رملًا ثالثاً ، وذكر حبش أن فيها لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ، ولابن مسجج رملًا بالبنصر ، ولابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر . هذه الألحان كلها في « لقد حثوا » والذي بعده .

(١) مقلص السربال : مشعره ، يقال : قلص قبضه أي شمره ورفعه . والمعتبل : الذي يعمل بنفسه .

(٢) المختبل : الذي اختبل عقله أي جن ، وقد خبله الحزن واختبله .

(٣) في هذا البيت اقواء ، وهو اختلاف حركة الروي .

أخبار الحكم بن عبدل ونسبه

نسبه :

هو الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد
ابن جبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ،
شاعرٌ مجيدٌ مُقدّمٌ في طبقته ، هجاءٌ خبيثٌ اللسان ، من شعراء الدولة الأموية ؛
وكان أعرجاً أحذباً . ومنزله ومنشؤه الكوفة .

كان أعرج ويكتب بحاجته على عصاه فلا ترد :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا
محمد بن إدريس القيسيّ بواسط قال حدثنا العتيبي قال :

كان الحكم بن عبدل الأسديّ أعرج لا تُفارقة العصا ، فترك الوقوف
بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبيع بها مع رسله ، فلا يُجسّ
له رسولٌ ولا تُؤخّر له حاجةٌ ؛ فقال في ذلك يحيى بن نوفل :

عصا حكم في الدار أول داخلٍ ونحن على الأبواب نقصّي ونُحجبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً وهذي لعمر الله أدهى وأعجبُ
تطاعُ فلا تُعصى ويُحذرُ سُخطُها ويُرتعّبُ في المرأسة منها وترهبُ

قال : فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها ؛ فكان ابن عبدل
بعد ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ! ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة ؟
وأجتنّب أن يكتب عليها كما كان يفعل ، وكاتب الناس بحوائجهم في الرقاع :

(١) الضحكة (بضم الضاد وسكون الحاء) : من يضحك الناس منه .

أعاجيب الزمان :

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني ، وأخبرني ابن عمّار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثنا أبو جعفر القُرشي قال :

كان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو عليّة ، وكان ابن عبدل قد أقعد^(١) ، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل بعض إخوانهما ، والحكم يُحمَلُ وأبو عليّة يُقاد ، فلقيا صاحب العَسّ بالكوفة فأخذها فخبسها ، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي عليّة موضوعة إلى جانب عصاه ، فضحك وأنشأ يقول :

حبسي وحبسُ أبي عليّة من أعاجيب الزمان
أعمى يُقاد ومُقعّد لا الرجلُ منه ولا اليَدان
هذا بلا بَصَرٍ هنا لك وفي يُحبُّ الخاملان
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفلا قرين حوتٍ في مكان
طرفي وطرفُ أبي عليّة دهرنا مُتوافقان
مَنْ يفتخرُ بجواده فجيادنا عكازتان
طرفان لا علفاهما يُشرى ولا يتصاولان
هبني وإياه الحريقُ أكان يسطع بالدخان

قال : وكان اسم أبي عليّة يحيى ، فقال فيه الحكمُ أيضاً :

أقول ليحيى ليلة الحبس سادراً^(٢) ونومي به نومُ الأسير المقيّد
أعني على رعي النجوم وحلّظها أرنك على تحبير شعرٍ مقصّد^(٣)
ففي حالتينا عبرة وتفكّر وأعجبُ شيء حبسُ أعمى ومُقعّد

(١) أقعد الرجل (بالبناء للمفعول) : أصابه داء فلم يستطع المشي .

(٢) السادر : المتحير الواجم .

(٣) شعر مقصد : مطوّل كثيرة أبياته .

كِلَانَا إِذَا الْعُكَّازُ فَارَقَ كَفَّهُ يُنِيخُ صَرِيحاً أَوْ عَلَى الْوَجْهِ يَسْجُدُ
فَعُكَّازَةٌ تَهْدِي إِلَى السَّبْلِ أَكْثَمَهَا وَأُخْرَى مَقَامَ الرَّجْلِ قَامَتْ مَعَ الْيَدِ

دولة العرجان :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ
أَبْنُ بُكَيْرٍ الْأُسْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَنَسٍ السَّلَامِيُّ الْأُسْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
سَهْلٍ رَاوِيَةَ الْكُتَيْبِ قَالَ :

وَلِيَ الشَّرْطَةَ بِالكُوفَةِ رَجُلٌ أَعْرَجٌ ، ثُمَّ وَلِيَ الْإِمَارَةَ آخَرُ أَعْرَجٌ ، وَخَرَجَ
أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَ أَعْرَجٌ ، فَلَمَّ سَائِلًا أَعْرَجٌ وَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْأَمِيرِ يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ
أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِلْسَائِلِ :

أَلْقِ الْعَصَا وَدَعْ التَّخَامُعَ^(١) وَالْتِمِسْ^(٢) عَمَلًا فَهَذَا دَوْلَةُ الْعُرْجَانِ
لِأَمِيرِنَا وَأَمِيرِ شَرْطَتِنَا مَعًا يَا قَوْمَنَا لِكَلْبَيْنِهَا رِجْلَانِ
فَإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا وَوَزِيرُنَا وَأَنَا فَإِنَّ الرَّابِعَ الشَّيْطَانُ^(٣)

فَبَلَغَتْ أَبْيَاتُهُ ذَلِكَ الْأَمِيرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَتِي دِرْهَمٍ وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْفَى عَنْهُ .
وَحَدَّثَنِيهِ الْأَخْفَشُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
الْحَكَمِ عَنْ عَوَانَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْغَزِيرِ قَالَ :

وَلِيَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ الْكُوفَةَ وَضَمَّ إِلَيْهِ رَجُلٌ
مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ يُقَالُ لَهُ سَهْلٌ ، وَكَانَا جَمِيعاً أَعْرَجَيْنِ . ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ مِثْلَ
حَدِيثِ يَعْقُوبَ بْنِ نُعَيْمٍ .

(١) فِي هَذَا الْبَيْتِ إِقْوَاءٌ وَهُوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ الرَّوِيِّ بِالرَّفْعِ وَالْكَسْرِ .

(٢) التَّخَامُعُ : التَّظَاهُرُ بِالْجَمْعِ وَهُوَ الْعَرَجُ ، يُقَالُ : خَمَعْتُ الضَّبْعَ خَمْعًا وَخَمُوعًا وَخَمَعَانًا إِذَا ظَلَمْتَ
فِي مَشْيَيْهَا كَأَنَّهَا عَرَجَا .

(٣) فِي هَذَا الْبَيْتِ إِقْوَاءٌ وَهُوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ الرَّوِيِّ بِالرَّفْعِ وَالْكَسْرِ .

هو وعبد الملك بن بشر بن مروان :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل عن قعنب
ابن المحرز الباهلي عن الهيثم الأحمر قال :

كانت لابن عبد الأسد حاجة إلى عبد الملك بن بشر بن مروان ، فجعل
يدخل عليه ولا يتهاى له الكلام ، حتى جاءه رجل فقال : إني رأيت لك رؤيا ،
فقال : هاتها ، فقصها عليه ؛ فقال ابن عبد : وأنا قد رأيت أيضا ؛ قال : هات
ما رأيت ؛ فقال :

أغفيتُ قبلَ الصبحِ نومَ مُسَهَّدٍ في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أناها
خجوتني فيما أرى بوليدةً مغنوجةً حسنَ عليّ قياها
وببدرةٍ حُملتُ إليّ وبغلةٍ شهباءَ ناجيةٍ يصلُ لجأها
ليت المنايرَ يابنَ بشرٍ أصبحتُ تُرقى وأنتَ خطيبها وإماها

فقال له ابن بشر : إذا رأيت هذا في اليقظة أتعرفه ؟ قال : نعم وإنما رأيتُه قُبيلَ
الصبح ؛ قال : يا غلام ، ادعُ فلاناً ، جاء بوكيله ، فقال : هاتِ فلانة فجاءت ، فقال : أين
هذه مما رأيت ؟ قال : هي هي ؛ وإلا فعليه وعليه ؛ ثم دعا له ببدة ، فقال : مثل
ذلك ، وبغلة فركبها وخرج ؛ فلقيه قهرمان عبد الملك ، قال : أتبعها ؟ قال : نعم ،
قال : بكم ؟ قال : بستائة ، قال : هي لك ؛ فأعطاه ستائة ، فقال له : أما والله
لو أبيت إلا ألفاً لأعطيتك ؛ قال : إياي تُندِم ! لو أبيت إلا ستة ليعتلك .

هجاؤه محمد بن حسان وقد تزوج امرأة قيسية :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكُراني قال : حدثنا العُمري عن
الهيثم عن ابن عيَّاش عن لقيط قال :

(١) البدة من المال : كمية عظيمة منه .

(٢) ناجية : سريعة .

(٣) يصل لجأها : يصوت .

(٤) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

تزوج محمد بن حسن بن سعد التميمي امرأة من ولد قيس بن عاصم وهي
أبنة مقاتل بن طلبة بن قيس ، زوجها إياه رجل منهم يقال له زياد ، فقال
أبن عبدل :

أباع زيادُ سود الله وجهه عَقِيلَةً قوم سادة بالدرهم
وما كان حسنُ بن سعدٍ ولا أبنته أبو المسك من أكفاء قيس بن عاصم
ولكنه ردَّ الزمان على أسيته وضِيع أمرَ المحصنات الكرائم
خُذِي دَرِيَّةً منه تَكُنْ لِكِ عُدَّةٌ وجيئي الى باب الأمير غاصمي
فلو كنت في رَوْحٍ لما قلتُ غاصمي ولكننا ألقيت في سجن عارمٍ

قال : فلما بلغ أهلها شعره أنفوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسن حتى
فارقها . قال : وكان محمد بن حسن عاملاً على بعض كُور السواد ، فسأله أبن عبدل
حاجة فردّه عنها ، فقال فيه هذا الشعر وغيره وهجاه هجاء كثيراً .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل الغزي
قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن بشر السلمي عن محمد بن سهل
راوية الكُميت ، فذكر نحو ما ذكره عمي وزاد فيه قال :

وكانت المرأة التي تزوجها معاذاً بنت مقاتل بن طلبة ، فلما سمعت ما قال
أبن عبدل فيها نَشَرَتْ على زوجها وهَرَبَتْ الى أهلها ، فتوسّطوا ما بينهما
وأفترديت منه بما وفارقها .

امراة تنشد شعره :

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني عن العُمري عن عطاء عن يحيى بن نصر
أبي زكرياً قال :

(١) الروح : الراحة ، ومن معانيها أيضاً الفرح والسرور والرحمة ومنه في القرآن الشريف
(ولا تياسوا من روح الله) .

(٢) قال ياقوت : « وسجن عارم حبس فيه محمد بن الحنفية ، حبسه فيه عبد الله بن الزبير فخرج
اختار بالكوفة ودعا اليه ثم كان بعد ذلك سجناً لهججاً ولا أعرف موضعه وأظنه بالطائف » .

سمع ابنُ عبدل الأسدي امرأةً وهي تتسنى بالبلاط تتسل بقوله :

وأعسرُ أحياناً فتشتدُّ عُسرَتِي وأدركُ ميسورَ الغنى ومعِي عِرْضِي

فقال لها ابنُ عبدل - وكان قريباً منها - : يا أختي ، أتعرفين قائلَ هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن عبدل الأسدي ؛ قال : أَفَتُكَلِّمْتِه معرفة ؟ قالت : لا ؛ قال فأنأ هو ، وأنا الذي أقول :

وأنعِظُ أحياناً فينقدُّ جلدُهُ وأعدُّهُ جهدي فلا ينفعُ العَدْلُ
وأزدادُ نَعْظاً حين أبصرُ جارتي فأوثقهُ كِيا يثوبَ له عَقْلُ
ورُبُّنَا لم أدْرِ ما حِيلَتِي له إذا هو آذاني وغرَّ به الجهلُ
فأويتهُ في بطن جاري وجارتي مكابرةً قُدُماً وإن رَغِمَ البَعْلُ

فقلت له المرأة : بئس والله الجارُ للمُغَيِّبةِ أنتَ ، فقال : إي والله ، وللتِي معها زوجها وأبوها وأبنُها وأخوها .

الختلاف المهيّن :

أخبرني محمد بن زكريا الصَّحَّافُ قال حدثنا قَعْنَبُ بنُ المحرز الباهلي قال حدثنا الهيثم بن عدي وأخبرني به حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن قال حدثني أبو خالد الخُراعي الأسلمي عن الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش قال :

قَدِمَ الحَكَمُ بنُ عبدل الشاعر الكوفي واسطاً على ابن هُبَيْرَة وكان بخيلاً ، فأقبل حتى وقَفَ بين يديه ثم قال :

(١) القدم (بضمين وسكنت الدال لضرورة الشعر) : المضي ، الإقدام .

(٢) المغيبة : التي غاب عنها زوجها .

(٣) الصحاف كشّداد : بائع الصحف أو صانعها .

(٤) واسط : بلد خطه الحجاج بين البصرة والكوفة ، يصرف ولا يصرف .

أَتَيْتَكَ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ عَشِيرَتِي وَأَعْيَا الْأُمُورِ الْمُفْطَعَاتِ جَسِيمُهَا
فَإِنْ قُلْتَ لِي فِي حَاجَتِي أَنَا فَاعِلٌ فَقَدْ تَلَبَّجْتُ نَفْسِي وَوَلَّتْ هُمُومُهَا

قال : أنا فاعل إن اقتصدت ، فما حاجتك ؟ قال : غُرْمٌ لَرَمَنِي فِي حِمَالَةٍ ؛
قال : وكم هي ؟ قال : أربعة آلاف ، قال : نحن مُنَاصِفُوكَهَا ، قال : أصلح الله
الأمير ، أتحاف عليّ التُّخْمَةُ إِنْ أْتَمَّتْهَا ؟ قال : أكره أن أعود الناسَ هذه العادة ؛
قال : فأعطني جميعها سرّاً وأمنعني جميعها ظاهراً حتى تُعوِّدَ الناسَ المنعَ وإلا
فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلبون ؛ فضحك ابنُ هُبَيْرَةَ وقال :
ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك ؛ فجثا بين يديه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلَّ
من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان ؛ قال : أعطوه إياها قَبَّحَهُ اللهُ - ما
عَلِمْتُ - حَلَّافٌ مَهِينٌ ؛ فأخذها وأنصرف .

طاعون بالكوفة :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا العزّي قال : حدثني محمد بن معاوية
الأسدي قال حدثني مشايخنا من بني أسد محمد بن أنس وغيره قالوا :

لَمَّا وَقَعَ الطاعون بالكوفة أفنى بني غاضرة ومات فيه بنو زُرٍّ بن حَيْشٍ
الغاضري صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكانوا ظُرَفَاءً ، وبنو عمّ لهم ،
فقال الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم :

أَبْعَدَ بَنِي زُرٍّ وَبَعْدَ ابْنِ جَنْدَلٍ وَعَمْرُو أَرْجِي لَذَّةَ الْعَيْشِ فِي خَفْضِ
مَضُوءٍ وَبَقِينَا نَأْمُلُ الْعَيْشَ بَعْدَهُمْ أَلَا إِنْ مَنْ يَبْقَى عَلَى إِثْرٍ مَنْ يَمُضِي
فَقَدْ كَانَ حَوْلِي مِنْ جِيَادٍ وَسَلَمٍ كَهَوْلُ مَسَاعِيرٍ وَكُلُّ فَتَى بَضٍّ

(١) الجمالة : الكفالة ، أي الضمان .

(٢) مهين : فاجر .

(٣) مساعير : جمع معار وهو موقد نار الحرب ، وبض : رخص الجسم .

يَرَى الشَّحَّ عَارًا وَالسَّاحَةَ رِفْعَةً أَغْرُ كَعُودِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الْقَضَرِ

هجاؤه :

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبي مُخَلِّمٍ قال : سأل الحكم بن عبدل أخو بني نصر بن قَعَيْنٍ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ بْنَ سَعْدٍ حَاجَةً لِرَجُلٍ سَأَلَهُ مَسْأَلَتَهُ إِيَّاهَا ؛ فَرَدَّهُ وَلَمْ يَقْضِهَا ؛ فَقَالَ فِيهِ ابْنُ عَبْدِلَ :

رَأَيْتُ مُحَمَّدًا شَرِّهَا ظَالُمًا وَكُنْتُ أَرَاهُ ذَا وَرَعٍ وَقَصْدٍ
يَقُولُ أَمَاتَنِي رَبِّي إِخْدَاعًا أَمَاتَ اللَّهُ حَسَّانَ بْنَ سَعْدٍ
فَإِلَّا كَسْبُهُ لَوُجِدْتُ فَسَلًا لَنَيْمِ الْكَسْبِ شَأْنُكَ شَأْنُ عَبْدِ
رَكِبْتُ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ أَتَانِي كَرِيمٍ يَبْتَغِي الْمَعْرُوفَ عِنْدِي
فَقُلْتُ لَهُ وَبَعْضُ الْقَوْلِ نَصَحٌ وَمِنْهُ مَا أُسِرْتُ لَهُ وَأُبْدِي
تَوَقَّ دِرَاهِمَ الْبَكْرِيِّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ التَّعْدِي
أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ لِيَدُنَا فَمَا يَزِدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ
فَأَقْسَمُ غَيْرَ مُسْتَتِرٍ يَمِينًا أَبَا بَجَرٍ لَتَسْخِمَنَّ رَدِّي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس السلمي قال حدثني محمد بن سهل الأسدي راوية الكُميت :

أنَّ الحَكَمَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِيَّ أَتَى مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ بْنَ سَعْدِ التَّمِيمِيِّ وَكَانَ عَلَى خَرَاكِ الْكَوْفَةِ ، فَكَلَّمَهُ فِي رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا مِنْ خَرَاكِهِ ؛ فَقَالَ : أَمَاتَنِي اللَّهُ إِنْ كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَضَعَ مِنْ خَرَاكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا ؛ فَانصرف ابنُ عبدل وهو يقول :

دَعِ الثَّلَاثِينَ لَا تَعْرِضْ لِصَاحِبِهَا لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي تِلْكَ الثَّلَاثِينَا

ما علا صوته في الدار مُبتكراً كأشتفان يرى قوماً يَدوُسونا
أحسِنُ فإنك قد أعطيتَ مملكةً أمارَةً صرْتَ فيها اليومَ مَفْتونا
لا يُعطيك اللهُ خيراً مثلاً أبداً أقسْتُ باللهِ إلّا قلتَ آميناً

قال : فلم يضع له شيئاً مما على الرجل ؛ فقال فيه :

رَأَيْتُ مُحَمَّدًا شَرِّهَا ظُلُومًا وَكُنْتُ أَرَاهُ ذَا وَرَعٍ وَقَصْدِ
يَقُولُ أَمَاتَنِي رَبِّي خِدَاعًا أَمَاتَ اللهُ حَسَّانَ بْنَ سَعْدِ
فَمَا صَادَفْتَ فِي قَحْطَانٍ مِثْلِي وَلَا صَادَفْتُ مِثْلَكَ فِي مَعَدِ
أَقَلَّ بَرَاعَةً وَأَشَدَّ بُخْلًا وَالْأَمَّ عِنْدَ مَسْئَلَةِ وَحْمِدِ
نَحَوْتُ مُحَمَّدًا وَدُخَانُ فِيهِ كَرِيحِ الْجَعْرِ فوقَ عَطِينِ جِلْدِ
فَأَقْسَمُ غَيْرَ مُسْتَنِيٍّ يَمِينًا أَبَا بَجْرِ لَتَتَّخِمَنَّ رَدِّي
فَلَوْ كُنْتُ الْمَهْذَبَ مِنْ قِمَمِ لَخِفْتُ مَلَامَتِي وَرَجَوْتُ حَمْدِي
نَكَّهْتَ عَلَيَّ نَكْهَةً أَخْذَرِيَّ شَتِمَ أَعْصَلَ الْأَنْيَابِ وَرَدِّي
فَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طَلَيْتُ مَشَافِرَهُ بِقَنْدِ
فَإِنْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْ فَيْكِ حَتْفًا فَإِنِّي كَالَّذِي أَهْدَيْتَ مُهْدِي

قال محمد بن سهل : وما زال ابنُ عبدل يزيد في قصيدته هذه الدالية حتى مات وهي طويلة جداً . قال : واشتهرت حتى إن كان المُكارييَ لَيَسوقُ بغله أو

(١) الجعر : نجو كل ذات غلب من السباع .

(٢) العطين : الجلد المتين من عطن الجلد يعطنه إذا وضعه في الدباغ وتركه حتى فسد وأنتى .

(٣) المراد من الأخدريّ الأسد ، غير أن الوارد في اللسان وتاج العروس في وصف الأسد خادر ومخدر ؛ يقال : خدر الأسد إذا لزم خدره أي عرينه فهو خادر ، وأخدر أي اتخذ الأجرة خدراً فهو مخدر ، وإنما جاء الأخدريّ لخمارة الوحش نسبة إلى فعل يقال له أخدر ، وجاء أيضاً في وصف القيل كما قال العجاج : « ومخدر الأخدار أخدري » . والشتيم : الأسد العابس . وأعصل الأنبياء : معوجها . والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .

(٤) القند : عسل قصب السكر إذا جد .

حمارة فيقول: «عد» أَمَاتَ اللهُ حَسَّانَ بنَ سَعْدٍ فاذا سمع ذلك أبوه قال: بل أَمَاتَ اللهُ أبني محمداً، فهو عَرَضَنِي لهذا البلاء في ثلاثين درهماً.

ابن عبدل وابو المهاجر:

أخبرني أحمد بن محمد بن زكريا الصَّحَّاف قال حدثنا قَعْنَبُ بنُ مُحَرَّرٍ قال أخبرنا ألهيثم بن عدي قال:

دعا أبو المهاجر الحكم بن عبدل ليشرب عنده وله جارية تغني فغنت: فقال ابن عبدل:

يا أبا المهاجر قد أردت كرامتي فأهنتني وضررتني لو تعلم
عند التي لو مس جلدي جلدها يوماً بقيت مخلداً لا أهرم
أو كنت في أحمى جهنم بقعة فرأيتها بردت علي جهنم

قال: فجعل أبو المهاجر يضحك ويقول له: وتضحك! والله لو كان اليها سبيل لوهبتها لك، ولكن لها مني ولد.

ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي:

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الحَرَّاز عن المدائني قال: كان عمر بن يزيد الأسدي مُبَحَّلًا، ووجده أبوه مع أمة له فكان يُعَيَّرُ بذلك، وجاءه الحكم بن عبدل الأسدي ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجة، فدخلوا إليه وهو يأكل تمرًا فلم يدعهم إليه، وذكروا له حاجتهم فلم يقضها؛ فقال فيه ابن عبدل:

جئنا وبين يديه التمر في طَبَقٍ فما دعانا أبو حفص ولا كادا
علا على جسمه ثوبان من دَنَسٍ لؤم وجبن ولولا أيره سادا

(١) هذه الكلمة تقولها العامة لزجر البغال بدل «عدس». قال صاحب اللسان (مادة عدس): «وعدس وحس زجر للبغال والعامة تقول عد».

يقتضى الديون :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأحول عن أبي نصر عن الأصمعي قال :

كانت امرأة موبسة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسواد، فاستعانت بأبن عبدل في دينها، وقالت : إني امرأة ليس لي زوج، وجعلت تُعرض بأنها تروجه نفسها؛ فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه؛ فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه :

سَيُخْطِطُكَ الَّذِي حَاوَلْتَ مِنِّي فَقَطِّعْ حَبْلَ وَصْلِكَ مِنْ حَبَالِي
كَمَا أَخْطَاكَ مَعْرُوفُ ابْنِ بَشْرٍ وَكُنْتَ تَعُدُّ ذَلِكَ رَأْسَ مَالٍ

قال : وكان ابن عبدل أتى ابن بشار بالكوفة فسأله : فقال له : أخمسائة أحبُّ إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل ؟ قال : ألف في قابل . فلما أتاه قال له : ألف أحبُّ إليك أم ألفان في قابل ؟ قال : ألفان ؛ فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشار وما أعطاه شيئاً .

يُخْطَبُ امْرَأَةٌ فَتَرُدُّهُ :

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن لَقِيط قال :

دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشار ، فقال له : ما أحدثتَ بعدي ؟ قال : خطبتُ امرأة من قومي فردَّتْ عليَّ جواب رسالتي ببَيْتِي شعراً ؛ قال : وما هما ؟ قال : قالت :

سَيُخْطِطُكَ الَّذِي حَاوَلْتَ مِنِّي فَقَطِّعْ حَبْلَ وَصْلِكَ مِنْ حَبَالِي
كَمَا أَخْطَاكَ مَعْرُوفُ ابْنِ بَشْرٍ وَكُنْتَ تَعُدُّ ذَلِكَ رَأْسَ مَالٍ

فضحك عبدُ الملك ، ثم قال : جاد ما أذكُرتَ بنفسك ! وأمر له بألني درهم .

ابن عبد وبشر بن مروان :

أخبرني أبو الحسن الأسدي وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني منجاب بن الحارث قال حدثني عبد الملك بن عفان قال :

كان الحكم بن عبد الأسدي ثم الغاضري صديقاً لبشر بن مروان ، فرأى منه جفاءً لشغلٍ عَرَضَ له ، فغَبِرَ عنه شهراً ، ثم أَلْتَقَيَا فقال : يا ابن عبد ، ما لك تركتنا وقد كنت لنا زوّاراً ؟ فقال ابن عبد :

كنتُ أثني عليك خيراً فلماً أضمر القلبُ من نوالك ياسا
كنتُ ذا مَنْصِبٍ قَنَيْتُ حَيَايَ لَمْ أَقُلْ غَيْرَ أَنْ هَجَرْتُكَ ياسا
لَمْ أُطِقْ مَا أُرِدْتُ بِي يَا بَنَ مَرَوَا نَ سَتَلَقِي إِذَا أُرِدْتَ أُنَاسَا
يَقْبَلُونَ الْحُسَيْسَ مِنْكَ وَيُثْنُونَ نَ ثَنَاءَ مُدْخَسَا دِرْخَمَاسَا

فقال له : لا تَسُومَكَ الْحُسَيْسَ ولا تزيد منك ثناء مدخساً ، ووصله وحمله وكساه .

عندما طلب للغزو :

أخبرني الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل الغضري قال وحدثني محمد بن معاوية قال حدثني منجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفان قال :

أراد عمرو بن هبيرة أن يُغزِيَ الْحَكَمَ بْنَ عَبْدِ الْغَاضِرِيِّ ، فاعتلّ بالزَّمانَةِ

(١) غبر عنه : ذهب عنه ولم يره .

(٢) يقال : ثناء مدخس ودخاس أي ليست له حقيقة ، وهو الذي لا يبين ولا يجد فيه .

(٣) يقال : أغزاه إغزاه : بعثه إلى العدو غازياً .

(٤) الزمانة : العاهة .

فَحِيلَ وَالْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ جُرْدَهُ فَإِذَا هُوَ أَعْرَجٌ مَفْلُوجٌ ، فَوَضَعَ عَنْهُ الْغُرُوزَ وَضَمَّهُ
إِلَيْهِ وَشَخَّصَ بِهِ مَعَهُ إِلَى وَاسِطٍ ؛ فَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَرَدْتَنِي فَوَجَدْتَنِي كَثِيرَ الْعُيُوبِ سَيِّئُ الْمُتَجَرَّدِ
فَأَعْيَيْتَنِي لَمَّا رَأَيْتَ زِمَانَتِي وَوَقَفْتَ مِنِّي لِلْقَضَاءِ الْمُسَدِّدِ

فَلَمَّا صَارَ عَمْرٌ إِلَى وَاسِطٍ شَكَا إِلَيْهِ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبْعَةَ ، فَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً مِنْ
جَوَارِيهِ ، فَوَاتَبَهَا لَيْلَةً صَارَتْ إِلَيْهِ فَنَكَحَهَا تَسْعًا أَوْ عَشْرًا طَلَقًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ
قَالَتْ لَهُ : « جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ ؟ » قَالَ : « أَمْرُو مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ؛
قَالَتْ : « بِهَذَا الْعَمَلِ نُصِرْتُمْ . »

واعفاء الحجاج :

أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ الصَّيْرَفِيُّ ، قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ بُكَيْرٍ الْأَسَدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَنَسٍ السَّلَامِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ رَاوِيَةً
الْكُتَيْبَةَ فَقَالَ فِيهِ :

ضَرَبَ الْحَجَّاجُ الْبَعْثَ عَلَى الْمُحْتَلِّينَ وَمَنْ أَنْبَتَ مِنَ الصَّبِيَّانِ ، فَكَانَتْ
الْمَرْأَةُ تَحْجِيءُ إِلَى أَبْنَاهَا وَقَدْ جُرْدَ فَتَضَمَّهُ إِلَيْهَا وَتَقُولُ لَهُ : « يَا بَنِي » جَزَعًا عَلَيْهِ ،
فَسَمِيَ ذَلِكَ الْخَيْشُ « جَيْشُ بَنِي » ، وَأَحْضَرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ جُرْدَ فَوُجِدَ أَعْرَجٌ فَأَعْنِي ؛
فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَرَدْتَنِي فَوَجَدْتَنِي

(١) سبى المتجرّد : يريد به أنه سبى الجسم . وفي صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان أنور
المتجرّد ، أي ما جرد عنه الثياب من جسده وكشف .

(٢) الضبعة : شدة شهوة الفعل .

(٣) شوطاً واحداً .

(٤) البعث : بعث الجند إلى الغزو .

(٥) أنبت الغلام : راهق وبلغ مبلغ الرجال .

البيتين ، وزاد معها ثالثاً وهو :

ولستُ بُذِي شَيْخِينَ يَلْتَرِمَانِهِ وَلَكِنْ يَتِيمٌ سَاقِطُ الرِّجْلِ وَالْيَدِ

كرهه زوجه فهجاها :

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن منجاب عن عبد الملك بن عفا قال :

تزوج ابن عبدل امرأة من همدان فقالوا له : على كم تزوجت ؟ فقال :

تَزَوَّجْتُ هَمْدَانِيَّةً ذَاتَ بَهْجَةٍ عَلَى نَمَطٍ عَادِيَّةٍ وَوَسَائِدِ
لَعْمَرِي لَقَدْ غَالَيْتُ بِالْمَهْرِ إِنَّهُ كَذَلِكَ يُغَالَى بِالنِّسَاءِ الْمَوَاجِدِ

قال : فلما دخل بها كرهها فقال :

أَعَاذَلْتِي مِنْ لَوْمٍ دَعَانِي أَقْلًا اللَّوْمَ إِنْ لَمْ تَعْدِرَانِي
فَإِنِّي قَدْ دُلِلْتُ عَلَى عَجُوزٍ مُبْرَقَةٍ مَخْضَبَةِ الْبَنَانِ
تَعَضَّنْ جِلْدُهَا وَأَخْضَرَ إِلَّا إِذَا مَا ضَرَجَتْ بِالزَّعْفَرَانِ
فَلَمَّا أَنْ دَخَلْتُ وَحَادَتْنِي أَظْلَمْتَنِي بِيَوْمٍ أَرْوَانِ
تُحَدِّثْنِي عَنِ الْأَزْمَانِ حَتَّى سَمِعْتُ نِدَاءَ حُرٍّ بِالْأَذَانِ
فَقَالَتْ قَدْ نَكَحْتُ اثْنَيْنِ شَتَّى فَلَمَّا صَاحِبَانِي طَلَّقَانِي
وَأَرْبَعَةً نَكَحْتُهُمْ فَاتُوا فَلَيْتَ عَرِيفَ حَيٍّ قَدْ نَعَانِي
وَقَالَتْ مَا تِلْدَاكَ قُلْتُ مَالِي حِمَارٌ ظَالِعٌ وَمَزَادَتَانِ

(١) النمط : ضرب من البسط وجمعه أنماط ، ولم يظهر لوصف النمط بقوله « عادية » وجه إذ لم نجده فيما يؤت من الاسماء . والعادية : نسبة الى عاد ، وهو كناية عن القدم ، يقال : بئر عادية أي قديمة . فلعله محرف عن « بسط » .

(٢) المواجد : جمع ماجدة ، وهي المرأة السمعة الحسنة الخلق .

(٣) أروان : صعب .

(٤) تلد المال كالأبل والغنم : كان أو ولد في بيتك من قديم فهو تالد وتلاد .

(٥) ظلع البعير : غمز في مشيه .

وَبُورِي^(١) وَأَرْبَعَةٌ^(٢) زُيُوفٌ وَثُوبًا مُفْلِسٍ مُتَحَرِّقَانِ
وَقِطْعَةٌ جُلَّةٌ^(٣) لَا تَمَرُ فِيهَا وَدَنًا عَوْمَةٍ مُتَقَابِلَانِ
فَقَالَتْ قَدْ رَضِيتُ فَسَمِ الْفَأْ لِيَسْعَ مَا تَقُولُ الشَّاهِدَانِ
وَمَا لَكَ عِنْدَنَا أَلْفٌ عَتِيدٌ وَلَا يَسْعُ تَعْدَ وَلَا ثَانِ
وَلَا سَبْعٌ وَلَا سِتٌّ وَلَكِنْ لَكُمْ عِنْدِي الطَّوِيلُ مِنَ الْهُوَانِ

رثى بشر بن مروان وكان منقطعا له :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال :

كان الحكم بن عبد الأسد منقطعا إلى بشر بن مروان ، وكان يأنس به ويحبّه ويستطيعه ، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها ، فلما مات بشر جزع عليه الحكم وقال يرثيه :

أَصْبَحْتُ جَمَّ بِلَابِلُ^(٤) الصَّدْرِ مُتَعَجِّبًا لَتَصْرُفَ الدَّهْرِ
مَا زِلْتُ أَطْلُبُ فِي الْبِلَادِ فَتًى لِيَكُونَ لِي ذُخْرًا مِنَ الذُّخْرِ
وَيَكُونُ يُسْعِدُنِي وَأُسْعِدُهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ مِنَ الْأَمْرِ
حَتَّى إِذَا ظَفِرَتْ يَدَايَ بِهِ جَاءَ الْقَضَاءُ بِحَيْنِهِ يَجْرِي
إِنِّي لِنِي هَمٍّ يُبَاكُرُنِي مِنْهُ وَهَمٍّ طَارِقٍ يَسْرِي
فَلَأَصْبِرَنَّ وَمَا رَأَيْتُ دَوًى^(٥) لِلْهَمِّ غَيْرَ غَزِيمَةٍ الصَّبْرِ
وَاللَّهِ مَا اسْتَعْظِمْتُ فُرْقَتَهُ حَتَّى أَحَاطَ بِفَضْلِهِ خُبْرِي

(١) البوري : الحصير المنسوج من القصب ، فارسي معرب .

(٢) أي أربعة دراهم زائفة .

(٣) الجلة : قفة كبيرة للتمر .

(٤) البلايل : جمع بلال وهو شدة الهم والوسواس في الصدر .

(٥) الدوى بالياء مقصوراً : الدواء .

كان يسمر عند عبد الملك في الشام :

أخبرني ابن دريد قال حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال :

لما ظفر ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عمال بني أمية خرج ابن عبدل معهم إلى الشام ، وكان ممن يدخل إلى عبد الملك ويسمر عنده ، فقال لعبد الملك ليلة :

يا ليت شعري وليت ربما نفعت
بالذل والأسر والتشريد إنهم
أم هل أراك بأكناف العراق وقد
هل ابصرن بني العوام قد شملوا
على البرية حثف حيثما نزلوا
ذلت لعزك أقوام وقد نكلوا

فقال عبد الملك - ويروى أنه قائل هذا الشعر - :

إن يمكن الله من قيس ومن جدس
نضرب حجاجهم أقوام على حنق
ومن جذام ويقتل صاحب الحرم
ضرباً ينكل عن سائر الأمم

ابن هبيرة وبنت عبدل :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني عن رجل من بني أسد قال :

خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غاضرة ، وقد أقيمت الصلاة ، فنزل يصلي ، واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشرف النساء من السطوح ، فلما قضى صلاته قال : لمن هذا المسجد ؟ قالوا : لبني غاضرة ، فتمثل قول الشاعر :

(١) جدس : بطن من كندة . وفي نسخة : « جرش » بالجيم وجرش (بضم ففتح) : بطن من حمير . وفي نسخة أخرى : « حرش » بالحاء المهملة . وحرش : اسم لعدة قبائل .
(٢) في باقي الأصول : « غابر الأمم » . والغابر يطلق على الماضي والباقي ، فهو من الأضداد .

ما إن تَرَ كُنَّ مِنَ الْغَوَاضِرِ مُعْصِرًا إِلَّا قَصَصْنَهَا بِسَاقِهَا خَلْخَالًا

فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِفَاتِ :

وَلَقَدْ عَطَفْنِ عَلَى فَرَارَةٍ عَطْفَةً كَرَّ الْمُنِيحُ وَجُلْنَ ثُمَّ مَجَالًا

فَقَالَ يَزِيدُ : مَنْ هَذِهِ ؟ فَقَالُوا : بِنْتُ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : هَلْ تَدْرِي
الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً ! وَقَامَ خَيْلًا .

ابن عبدل وصاحب العس :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ بْنُ الْمَرْزُوبَانِ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ حَدَّثَنَا
الْعُمَرِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ مُضْعَبٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ الْحَدَّادِ قَالَ :

كَانَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ أَعْرَجَ أَحَدَبَ ، وَكَانَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ وَأَمْلَجِهِمْ ،
فَلَقِيَهُ صَاحِبُ الْعَسِّ لَيْلَةً وَهُوَ سَكْرَانٌ مُجْمُولٌ فِي مُحَقَّةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟
فَقَالَ لَهُ : يَا بَغِيضُ ، أَنْتَ أَعْرِفُ بِي مِنْ أَنْ تَسْأَلَنِي مَنْ أَنَا ، فَاذْهَبْ إِلَى سُفْلِكَ ،
فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّصُوصَ لَا يَخْرُجُونَ بِاللَّيْلِ لِلسَّرِقَةِ مَحْمُولِينَ فِي مُحَقَّةٍ ؛ فَضَحِكَ
الرَّجُلُ وَأَنْصَرَفَ عَنْهُ .

ابن عبدل يعرض بابن هبيرة في شعر حتى اغضبه :

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونٍ طَائِعٌ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو
عَدْنَانَ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

(١) وفي بعض النسخ : « قصصن » بالقاف ، والفرق بين القصم والقسم أن القسم كسر من غير
بينونة ، والقسم هو أن ينكسر الشيء فيبين .

(٢) المنيح : اسم فرس فيس بن مسعود الشيباني .

(٣) الحقة : مركب من مراكب النساء كالمهودج .

رأيتُ ابنَ عبدل الأسديّ وقد دخل على ابنِ هُبَيْرَةَ ، فقال له : أنشدني شيئاً ، فقال : أنشدك مقولةَ أبيها الأمير ؟ قال : هات ؛ فأشده هذه الأبيات - وهي قديمةٌ وقد تمثل بها ابنُ الأشعث حين خرج ، ويروى أنها لأعشى همدان - :

نجمٌ ولا نُعطى وتُعطى جُيوشهم وقد ملأوا مِن مالنا ذا الأكارع
وقد كلّفونا عُدَّةً وروائعا فقد وأي رُعناكم بالروائع
ونحنُ جلبنا الخيلَ من ألفِ فارس اليكم بمحمّرٍ من الموت ناقع

قال : فغضب ابنُ هُبَيْرَةَ من تعريضه به ، وقال له : والله لولا أنّي قد أمنتك وأستشدتُك لضربتُ عنقك .

هل تلد الحية الاحية ؟

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان أبو عبد الله قال حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال :

كانت للحكم بن عبدل جاريةٌ سوداء ، وقد كان يميل اليها فولدت له ابناً أسوداً ، فكان من أعرم الصبيان ، فقال فيه :

يا رَبِّ خالٍ لَكَ مُسَوْدَ القفا لا يَشْتَكِي من رِجله مَسَّ الحفا
كَانَ عَيْنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا عَيْنَا غُرَابٍ فَوْقَ نَيْقِرٍ أَشْرَفَا

هو واحد البخلاء :

أخبرنا محمد بن خلف بن المَرْزُبَان أبو عبد الله قال حدثنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا المدائني قال :

(١) من أعرم الصبيان : من أخبهم يقال : عرم الصبي (بالفتح والضم والكسر) إذا خبث .

(٢) النيق بالكسر : أرفع موضع في الجبل .

كان 'عمر' بن يزيد الأسدي بجيلاً على الطعام ، فدخل عليه الحكم بن عبدل الشاعر وهو يأكل بطيخاً ، فسلم فلم يرده عليه السلام ولم يدعه الى الطعام ؛ فقال ابن عبدل يهجوهُ :

في 'عمر' بن يزيد خلّتا دَنَسٍ بُجْلٌ وَجُنٌ ولولا أيرُهُ سادا
جئنَاهُ يأكلُ بطيخاً على طَبَقٍ فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا
قال وكان 'عمر' على شرطة الحجاج وكان بجيلاً جداً ، فأصابه قولنجٌ ففتنه الطيبُ بدُهْنٍ كثيرٍ ، فانخل ما في بطنه في الطست ، فقال للغلام : ما تصنع به ؟ قال : أصبهُ ؛ قال : لا ! لكن مَيِّزْ منه الدُهْنَ واستصبح به .

هو وكاتب عبد الملك :

اخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أبو هفان قال :
كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتب يقال له محمد بن عمير وكان كلأها مدحه ابن عبدل بشي ، وامر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها ، فدخل يوماً الى عبد الملك وكاتبه هذا يساره ، فوقف وأنشأ يقول :

أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي عَرُوضٍ مَشَقَّةٍ وَحَصَادُ أَنْفِكَ بِالْمَنَاجِلِ أَهْوَنُ
فَبِحَقِّ أَمِّكَ وَهِيَ غَيْرُ حَقِيقَةٍ بِاللَّيْنِ وَاللَّطْفِ الَّذِي لَا يُخَزَنُ
لَا تُدْنِ فَالِكَ إِلَى الْأَمِيرِ وَنَجِّهِ حَتَّى يُدَاوِيَ نَتْنَهُ لَكَ أَهْوَنُ
إِنْ كَانَ لِلظُّرْبَانِ جُحْرٌ مُنْتِنٌ فَلْجُحْرُ أَنْفِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَنُ

خطب امرأة فابت فقال يعبرها :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلمي عن محمد بن سهل راوية الكُميت قال :

(١) القولنج : مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج التفل والريح .

(٢) العروض : الطريق في عرض الجبل في مضيق .

(٣) الظربان : دويبة كالطرة كثيرة الغسوة منتنة .

خطب ابن عبدل امرأة من همدان يقال لها : أم رباح فلم تزوجه ، فقال :
أما والله لأفضحنك ولأغيرنك فقال :

فلا خير في الفتيان بعد ابن عبدل ولا في الزواني بعد أم رباح
فأيري بحمد الله ماض مجرب وأم رباح عرضة لئسكاحي

ولد له ولد فسماه بشرا تيمنا :

قال : فتحامها الناس فما تزوجت حتى أسئت . وبهذا الإسناد عن محمد بن
سهل قال : ولد للحكم بن عبدل ابن فسماه بشرا ، ودخل على بشر بن مروان
فأنشده :

سئيت بشرا يبشر الندى فلا تفضخني بتصادقها
إذا ما قرش قرش البطا حر عند تجتمع آفاقها
تسامت قرومهم للندى تباري الرياح بأوراقها
فألك أنفع أموالها وخلقك أكرم أخلاقها

دفع عنه عبد الملك مالا اقترضه :

فأمر له بألفي درهم ، وقال : أستعين بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن
سهل قال : أقترض ابن عبدل مالا من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أن يقضيه
المال عند طلوع الهلال ، فلما بقي من الشهر يومان قال :

قد بات همي قرناً أكابده كأنما مضجعي على حجر
من رهبة أن يرى هلال غد فإن رأوه حق لي حذري
من فقد بيضاء غادة كملت كأنها صورة من الصور
أصبحت من أهلي الغداة ومن مالي على مثل ليلة الصدر

(١) أوراق جمع ورق وهو المال من إبل ودرهم وغيرها .

(٢) يقال : تركته على مثل ليلة الصدر ، أي مضطرباً كالناس حين يصدرون عن حجهم .

فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم ما لهم عليه وأضعفه له؛ فقال فيه :

لما أتاه الذي أُرِصْتُ به وأنشدوه إِيَّاه في شعري
جاذبُضْعْفِي ما حلَّ من عُرمي عفواً فزالَت حرارةُ الصَّدْرِ
لأشكرنَّ الذي مَنَنْتَ به ما دُمْتُ حيًّا وطال لي عُمرِي

فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء :

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد : أجمع الشعراء الى الحجاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا للحجاج : إنما شعرُ ابن عبدل كُله هجاء وشعرٌ سَخيف ؛ فقال له : قد سمعتَ قولهم فاستمع مِنِّي ؛ قال هات ؛ فأنشده قوله :

وإني لأستغني فما أَبْطَرُ الغني وأعرضُ ميسوري لَمَنْ يَتَّبِعِي قَرْضِي
وأعيرُ أحياناً فَنَشْتَدُ عُسرِي فأدركُ ميسورَ الغني ومعي عِرْضِي

حتى أنتهى الى قوله :

ولستُ بذِي وَجْهَيْنِ فيمن عَرَفْتَهُ ولا البُخْلُ فاعْلَمُ مِنْ سَمَائِي ولا أَرْضِي

فقال له الحجاج : أحسنتَ ! وفضله في الجائزة عليهم بألفي درهم .

احد الاصوات المائة المختارة :

صوت

من المائة المختارة

أَجْدُ بَعْمَرَةَ غُنْيَانِهَا فتهجُرُ أم شَانُنَا شَانِهَا
فإن تَمَسَّ شَطَطُهَا دَارُهَا وباحَ لك اليومَ هِجْرَانِهَا

(١) البطر : الطغيان عند النعمة . ونصب الغنى على إسقاط الخافض ، وبذلك أوّل قوله تعالى : (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) ، قال صاحب اللسان : «وتأويله : بطرت في معيشتها .

فاروضة من رياض القطا^١ كأن المصاييح حوذاً^٢ لها
 بأحسن منها ولا مُزنة^٣ دلوح^٤ تكشف إدجانها
 وعمرة من سرورات النسا تنفخ بالمسك أردانها

أجد : أَسْتَمِرَّ . وغنياؤها : أَسْتَغْنَاوْهَا . أم شأننا شأنها : يقول أم هي على
 ما نحب . وشطت : بُعِدَتْ ، قال ابن الأعرابي : يقال : شطت وشطنت وشسعت
 وتشسعت وبُعِدَتْ ونأت وترحزحت وشطرت ؛ قال :

لا تَنزُكْنِي فيهم شطيراً^٥

ومنه شمي الشاطر^٦ . وباح : ظَهَرَ ؛ ومنه بأحة الدار وأنشد :

أَتَكْتُمُ حُبَّ سَلَمَى أَمْ تَبُوحُ

والروضة : موضع فيه نبت وماء مستدير ، وكذلك الحديقة . وقوله :

كأن المصاييح حوذاً^٢ لها

أراد كأن حوذاها المصاييح فقلب ، والعرب تفعل ذلك ؛ قال الأعشى :

... كأن الجمر مثل تراها

أراد كأن تراها مثل الجمر . والمزنة : السحابة . والدلوح : الثقيلة ،

(١) ورد في أشعار العرب «رياض القطا» و«روض القطا» وقد ساق ياقوت في معجم البلدان عند اسم روضة القطا نبذة من هذه الأشعار ، ثم نقل عن أبي جعفر محمد بن إدريس ما يدل على أنه من أرض اليمامة .

(٢) الخوذان بالفتح : نبات سهلي حلو طيب الطعم يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء في أصلها صفرة وورقه مدوّرة .

(٣) شطيراً : غريباً .

(٤) الشاطر : هو من أعيان أهله خبئاً . قال صاحب اللسان : وأراه مولداً ، ووجه أخذه من شطر بمعنى بعد أنه يشطر عن أهله أى ينزع عنهم ويتركهم مراغماً أو مخالفاً .

يقال : مرّ يَدُلّحُ بحمله اذا مرّ به مُثَقَّلًا . والدُّجْنُ : إلباسُ الغيمِ السحابِ بِرَشٍّ
وَنَدَى ، يقال : أدجنت السماء ؛ وقوله : تَكشَّفُ دجَانُها إذا أنكشف السوادُ
عنها ، وذلك أحسن لها ، وأراد مُرَنَةً بيضاء . والأردان : ما يلي الذراعين جميعاً
والإبطَيْن من الكُمَّيْن .

الشعر لقيس بن الخطيم ، والغناء لطوَيْس خفيف ثَقِيل أوّل بإطلاق الوتر في
مَجْرَى الوُسْطَى .

(١) « إلباس الغيم برش وندى » بدون كلمة السحاب وفي اللسان في مادة « دجن » والدجن :
إلباس الغيم الأرض ، وقيل : إلباسه أقطار السماء .

فهرس

المجلد الثاني من كتاب الأغاني

صفحة	صفحة	كلمة الناشرين
٣٢	٣	تسميته
٣٤		ليلي أم مالك
٣٦		قيس الهائم على وجهه
٣٧		نهارى نهار الناس
٣٩	٥	بعد ان تزوجت
٤١	٥	طربت وشاقتك الحمول الدوافع
٤٢	٦	المجنون وهديل الحمام
٤٣	٦	جبل التوباد
٤٤	٧	ذهاب عقله
٤٤	٩	يهنئ بليلي
٤٦	١٠	داه قديم
٤٧	١١	ظل النسوة في القمر
٤٩	١٢	ولم يلهم بليلي
٥٠	١٥	حديث ليلي مع جارتها
٥١	١٥	ليلي تخرج مع زوجها
٥١	١٦	غريب الدار في ارض عامر
٥٣	١٦	عندما خرب مغشياً على وجهه
٥٤	٢٠	خبر نوفل بن مساحق مع المجنون
٥٦	٢٣	اعد الليالي ليلة بعد ليلة
٥٨	٢٣	المجنون يرثي أباه
٥٨	٢٤	شعره على أثر موعظة
٥٨	٢٥	نجاوب الحمام
٥٩	٢٨	يزورها في غياب زوجها
٥٩	٢٩	عندما مرض قيس
٦٠	٣٠	رأى غزالاً فتذكر ليلي
٦١	٣١	زوج ليلي يسب قيساً
٦١	٣٢	عفا الله عن ليلي
		اخبار مجنون بني عامر
		نسبه الصحيح
		اسمه الصحيح
		لم يكن مجنوناً
		الاختلاف في وجوده
		المجنون فتى من بني امية
		المجانين بليلي كثيرون
		المجنون اسم مستعار
		شعره مولد عليه
		عشق ليلي صغيراً
		المجنون يخطب ليلي
		ابوه يروي قصة جنونه
		هيامه بليلي
		قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف
		حجوا به ليسلوا فزاد جنونه
		بربك هل ضمت اليك ليلي
		صبا نجد
		وقوفه على منازل ليلي
		الغريم الذي لا ينصف
		تحرقت راحتاه وما شعر
		بنو عامر ارق الناس قلوباً
		بعض اوصافه
		آخر عهده بليلي
		سبب جنونه

صفحة

٢٣٢	ابن الحينة
٢٣٢	ثم يفتخر بأمه
٢٣٣	كان الفرزدق يشتغل شعره
٢٣٤	اخواه شاعران
٢٣٤	أنتم الشعر من قبل جدم زهير
٢٣٥	أوصافه
٢٣٥	مقارنة بينه وبين النابغة
٢٣٥	كثير السقط في شعره
٢٣٥	عاش في أيام هشام فظل الى خلافة المنصور
٢٣٦	مدح أمية وهاشم
٢٣٦	كيف عرف انه شاعر
٢٣٧	شعره في أم جحدر
٢٣٨	من أم جحدر
٢٣٩	قصة عشقه لها
٢٤١	رحل الى الشام ليراها فردته
٢٤٢	شعره فيها
٢٤٣	كيف روى خبره مع أم جحدر
٢٤٣	جاءه سيار في حمالة فرأى جاريته وسمع
٢٤٦	شعره فيها
٢٤٧	ابن ميادة وابن الجعد الحفري
٢٤٨	ابن ميادة والحفري
٢٥١	فضلت أم جحدر ابن ميادة على الحكم
٢٥١	وعلمس فهجواها
٢٥٦	نوع من المبارزة
٢٥٨	عندما ضربه ابراهيم بن هشام
٢٥٩	ابن ميادة والحكم الحفري بعريحاء
٢٥٩	صلحها
٢٦١	طرده السلطان فرحل الى الشام فأت هناك
٢٦١	منافضات حكم وابن ميادة
٢٦٦	كان يحسد على مكانه من الوليد
٢٦٩	ابن ميادة وشقران
٢٧١	تفاخره بشعره
٢٧٢	حنينه الى وطنه وحواره مع الوليد
٢٧٣	عارض ابن القتال وانتحل بيتاً له
٢٧٤	عندما أجازته الوليد

صفحة

٢٠٥	أهذا ولي عهد المسلمين
٢٠٦	غناؤه في صوت من المائة الصوت المختارة

اخبار ابن ارمطة

٢٠٨	نسبه
٢٠٩	شاعر اسلامي ليس من الفحول
٢١٠	كيف كانوا يداوون المغرور
٢١١	كان من ندماء الوليد بن عثمان ومادحيه
٢١٢	عندما ضرب ثمانين سوطاً
٢١٣	رثي سكران فشنعوا به وجلدوه
٢١٤	حب معاوية له
٢١٥	ابطاله الحد عنه
٢١٦	معاوية وأرمطة أيضاً
٢١٨	كان مع سعيد بن عثمان حين قتله وهرب
٢٢٠	عنه ثم رثاه
٢٢٠	عندما هجا بني مطيع
٢٢١	عندما لامته امرأته على ميته خارج المنزل
٢٢٢	كان يقول لمن يشرب الزبيب اشرب الخمر
٢٢٢	فالوزر واحد
٢٢٣	بات الوليد يعاطيني مشعشة
٢٢٤	قصة تبرئه لسعيد ابن العاص من الشرب
٢٢٤	وما قاله في ذلك
٢٢٥	احد الاصوات المائة المختارة

اخبار ابن ميادة

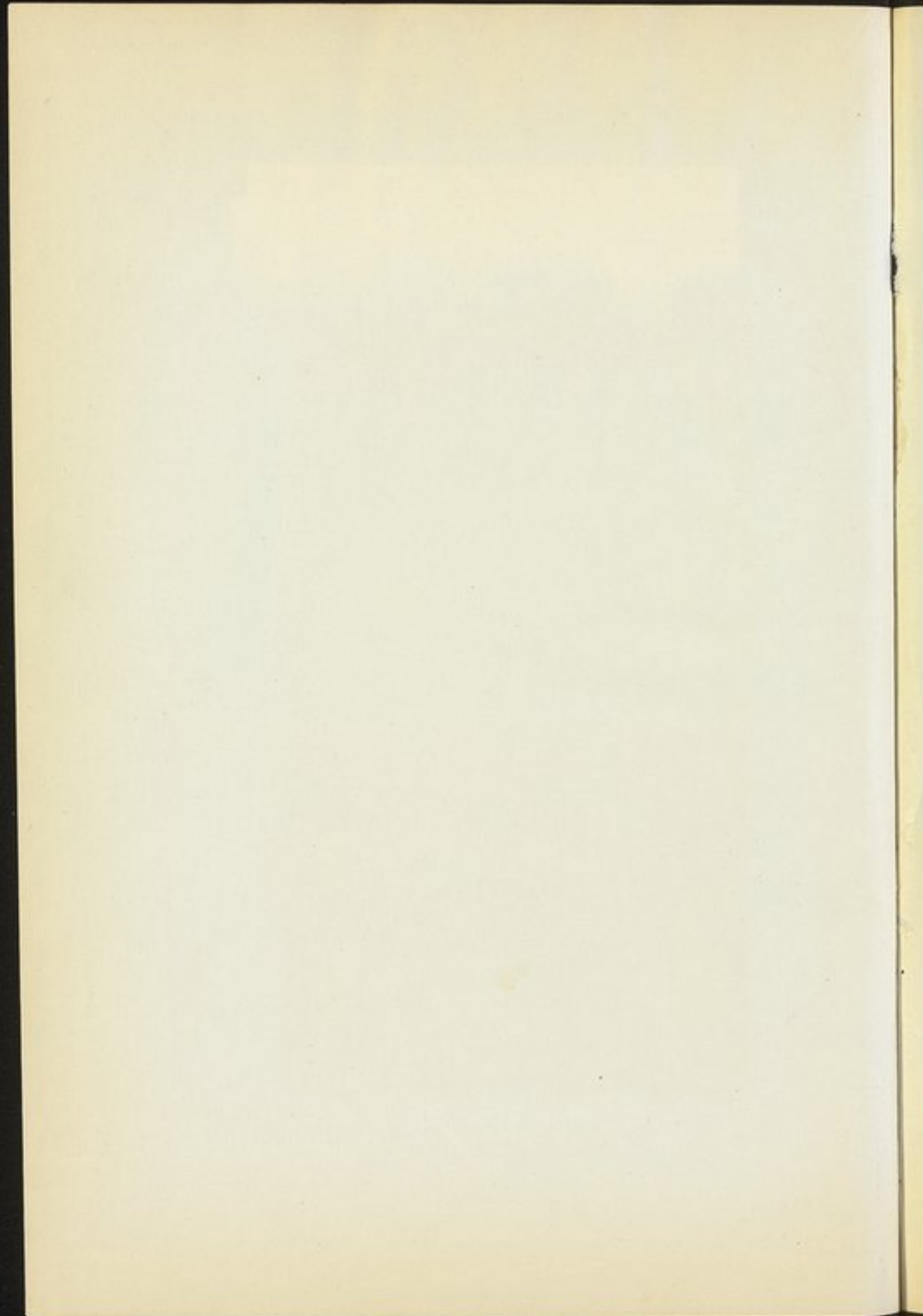
٢٢٧	نسبه
٢٢٧	أمه اسبانية أم فارسية
٢٢٧	بعضهم يقول اسبانية
٢٢٨	شاعر مخضرم
٢٢٨	كان يتعرض للهجاء ويساب الناس
٢٢٩	ويقول لأمه اصبري على الهجو
٢٣٠	كان يسمع امه هجاء فتثور
٢٣٠	قصة تزوج أمه بأبرد
٢٣١	ابن حمراء العجبان

صفحة	صفحة
٣٠٨	غنى بحضور الشعبي
٣١٠	شيء من أوصاف الحيرة
٣١١	مغنوا الحيرة غير حنين
٣١٢	عاش مئة سنة وسبع سنين
٣١٢	جده المغني
٣١٣	عندما ضافه ابن سريج
	غنى للناس فازدحموا عليه فسقط عليه سطح
٣١٤	فات
٣١٥	الغناء في الاصوات المتقدمة
٣١٧	ابن ابي ربيعة وبنت عبد الملك
ذكر الغريض	
٣١٨	من هو الغريض
٣١٨	الاستاذ يحسد تلميذه
٣١٩	تعلم النوح وكان بنوح للنساء في المآثم
٣٢٠	من الاربعة المشهورين
٣٢٠	الغريض اشجى غناء وابن سريج احكم صنعة
٣٢١	غنى الناس يجمع فحسبوه من الجن
٣٢٣	شطباه المغنية
٣٢٣	نوح الغريض على الثريا
٣٢٤	سكينة بنت الحسين تساوي بين المغنين
٣٢٥	عطاه ابن رباح والغريض
٣٢٦	سكران يتغنى
٣٢٦	الأبجر المغني
٣٢٧	ابن أبي عتيق والغريض
٣٢٨	جري ناصح بالود بيني وبينها
٣٢٩	شعر جميل وشعر عمر
٣٣٠	الفرزدق وشعر عمر
٣٣٢	يتلقى غناؤه عن الجن
٣٣٤	سكينة والغريض وعمر
٣٣٦	عائشة بنت طلحة والغريض
٣٣٧	الشعبي عند مصعب بن الزبير وزوجه عائشة
٣٣٨	عائشة بنت طلحة وازواجها
٣٤٠	أنا سريحي
٣٤٢	عندما تتدخل المرأة في شؤون زوجها
٢٧٥	شعره في رثاء الوليد
٢٧٥	وغث قريش حيث كان سمين
٢٧٦	هجاؤه بني حميس
٢٧٩	ابن ميادة وزينب بنت مالك
٢٨٠	اعطاه الوليد جارية فقال شعراً
٢٨١	ملاحاة ابن ميادة
٢٨١	كان بخيلاً لا يكرم اضيافه
٢٨٢	وليعة يقرب فيها الناس بالسياط
٢٨٣	من تركت عند نساك
٢٨٣	مدحه لابي جعفر المنصور
٢٨٤	ترل مطر شديد وصواعق فأشد
٢٨٥	كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس
٢٨٧	زار سليمان ابن عبد الملك ومدحه
٢٨٨	أمر من مرّ وأحلى من عسل
٢٨٩	ما أكثر الماصين
٢٩١	قرشي يهجو الحسن بن علي
٢٩١	مدحه أمير المؤمنين
٢٩٢	هجا بني اسد وبني عجم
٢٩٣	هو وابن اشول
٢٩٤	ابن ميادة التي . . .
٢٩٥	ابن ميادة وأبان
٢٩٧	ابن ميادة وأيوب بن سلمه
٢٩٨	حذار من قريش
٢٩٨	ابن ميادة والنساء
٣٠٠	خطب امرأة فلم يزوجه فقال
٣٠٠	مات في صدر خلافة المنصور
اخبار حنين الحيري	
٣٠١	الشاعر المغني
٣٠٣	انفاسي أقسمها بين الناس
٣٠٣	غنى في الموسم في ظل بيت ابي موسى الاشعري
٣٠٤	كان غلام يعمل الفاكهة ويقدم باقات الزهور
٣٠٥	خاف أن يفوز به ابن عمر بالعراق فردّه عنه
٣٠٦	اهل حمص لا يستطعمون غناؤه
٣٠٧	عندما حرموا الغناء

صفحة		صفحة	
٣٦٩	ابن عبدل وأبو المهاجر	٣٤٣	معيد يطلب لقاء الفريض
٣٦٩	ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي	٣٤٥	خير جيل وبثينة
٣٧٠	يقتضي الديون	٣٥٠	قريش عمر والفريش
٣٧٠	يخطب امرأة فترده	٣٥٢	الوليد في مكة مع عمر والفريش
٣٧١	ابن عبدل وبشر بن مروان	٣٥٣	عمر وجيل وكثير في نظر نصيب
٣٧١	عندما طلب للفزوة	٣٥٤	صنع لحناً من أصوات الرهبان
٣٧٢	واعفاء الحجاج	٣٥٤	عاقبة الاحتشام
٣٧٣	كره زوجه فهاها	٣٥٥	وفاته
٣٧٤	رثى بشر بن مروان وكان منقطعاً له	٣٥٧	وفاته في رواية ثانية
٣٧٥	كان يمر عند عبد الملك في الشام		
٣٧٥	ابن هيرة وبنت عبدل		
٣٧٦	ابن عبدل وصاحب العس		
	ابن عبدل يعرض بابن هيرة في شعره حتى		
٣٧٦	اغضبه	٣٦٠	نسبه
٣٧٧	هل تلد الحية الا حية	٣٦٠	كان أعرج ويكتب بحاجته على عصاه فلا ترد
٣٧٧	هو وأحد البخلاء	٣٦١	اعاجيب الزمان
٣٧٨	هو كاتب عبد الملك	٣٦٢	دولة العرجان
٣٧٨	خطب امرأة فأبت فقال يعيرها	٣٦٣	هو وعبد الملك بن بشر بن مروان
٣٧٩	ولد له ولد فسماه بشراً تيمناً	٣٦٣	هجاؤه محمد بن حسان وقد تزوج امرأة قيسية
٣٧٩	دفع عنه عبد الملك مالا اقترضه	٣٦٤	امرأة تنشد شعره
٣٨٠	فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء	٣٦٥	الخلاف المهين
		٣٦٦	طاعون بالكوفة
		٣٦٧	هجاؤه

اخبار الحكم بن عبدل





COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

RESERVE

This book is due on the 1st of the month of

LIBRARIES

ABU

قيليد
صالح النقر
بهموت - المزرعة

COLUMBIA UNIVERSITY



0026814765

893.71s1

035

v.2

NOV 28 1956

